الحجاز في أدب الرحلة العربي

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة



إعداد

حافظ محمد بادشاه

الإشراف

د. كفايت الله همدانى

محاضر بقسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد
العام الدراسي، 2009-2013 م

الحجاز في أدب الرحلة العربي

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها
كلية الدراسات والبحوث المتقدمة المتكاملة



الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد ـ باكستان
العام الدراسي، 2013 م

الجامعه الوطنيه للغات الحديته ، إسلام اباد
العام الدراسي : 2007-2011

Nv

1	مقالـــہ اور دفـــاع کـــی منظـــوری کـــا فـــارم	أ
2	فهرس المحتويات	ب
3	يمين الباحث...	ط
4	Abstract..	ي
5	الإهداء	ك
6	كلمة الشكر	ل
7	رموز ومصطلحات	م
8	المقدمة	1

الباب الأول : أدب الرحلة وأهميته

الفصل الأول : الرحلة لغة واصطلاحاً

9	الرحلة لغة	8
10	الرحلة في القرآن والسنة النبوية γ	10
11	مفهوم أدب الرحلة	13
12	أغراض الرحلة	15

الفصل الثاني : الرحلة العربية قبل الإسلام وبعده

13	الرحلة العربية قبل الإسلام وبعده	17
14	الرحلة بعد الإسلام	20

الفصل الثالث : تقاليد السفر وآداب الرحلة

15 تقاليد السفر وآداب الرحلة 28

الفصل الرابع : أدب الرحلة ، أهميته، ونشأته وتطوره

16 أدب الرحلة أهميته ونشأته وتطوره 34

17 أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري 37

18 أدب الرحلة في القرن الرابع الهجري 38

19 أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري 39

20 أدب الرحلة في القرن السادس الهجري 40

21 أدب الرحلة في القرن السابع الهجري 41

22 أدب الرحلة في القرن الثامن الهجري 43

23 أدب الرحلة في القرن التاسع الهجري 44

الفصل الخامس : أدب الرحلة في العصر الحديث

24 أدب الرحلة في العصر الحديث 45

25 أهم كتب أدب الرحلة التي كتبت في العصر الحديث 47

الباب الثاني : الحجاز

الفصل الأول : الحجاز لغة واصطلاحاً

26 معنى الحجاز 49

27 الحجاز في الاصطلاح 52

28 آراء المتقدمين حول حدود الحجاز 53

29 آراء المتأخرين والمعاصرين حول حدود الحجاز 57

الفصل الثاني : الحجاز عبر العصور

30	الحجاز في صدر الإسلام وأهميته في تثبيت الإسلام	60
31	الحجاز في العصر الأموي	62
32	الحجاز في العصر العباسي	65
33	أهم أحداث الحجاز في العصر العباسي	72
34	الحجاز في العهد العثماني	75
35	الحجاز في العهد السعودي	81

الفصل الثالث : مدن الحجاز

36	مكة المكرمة	90
37	أسماء مكة المكرمة	93
38	الكعبة المشرفة	96
39	مياه زمزم	100
40	مقام إبراهيم	105
41	المدينة المنورة	108
42	المدينة المنورة عبر العصور	120
43	المسجد النبوي γ	127
44	الأماكن الأخرى في المدينة المنورة	132
45	مدينة الطائف	135
46	مدينة جدة	143
47	مدينة ينبع	149

الباب الثالث :أهم الرحالة العرب وغيرها

الفصل الأول : التعريف بأهم الرحالة العرب

48 سلام الترجمان 154
49 سليمان التاجر 159
50 ابن فضلان 163
51 المقدسي 169
52 الإدريسي 174
53 رفاعة الطهطاوي 180
54 الشيخ ناصر محمد بن العبودي 186

الفصل الثاني : التعريف بأهم الرحالة غير العرب إلى الحجاز

55 الإصطخري.. 192
56 ابن جبير 196
57 العبدري 201
58 ابن بطوطة 205
59 جوهان لودفيج بركهات 208
60 نواب صديق حسن خان.. 213

الفصل الثالث: تعريف بأهم الرحالة العرب إلى الحجاز

61 المسعودي 218
62 ابن خلدون 224
63 شكيب أرسلان 231
64 محمد حسين هيكل 237
65 إبراهيم عبدالقادر المازني 241

الفصل الرابع : التعريف بأهم المؤلفات في أدب الرحلة إلى الحجاز

66 تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار 252
67 رحلة العبدري 256
68 تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار 269
69 رحلة الصديق إلى بيت العتيق 277
70 ارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف 279
71 في منزل الوحي 282

72 رحلة إلى الحجاز 285

الباب الرابع :الحجاز عند الرحالة العرب وغير العرب

الفصل الأول : الجوانب الدينية والتاريخية

73 الجانب الديني في الرحلات الحجازية 290
74 الجانب التاريخي في الرحلات الحجازية 297

الفصل الثاني : الجوانب الجغرافية والاقتصادية

75 الجانب الجغرافية في الرحلات الحجازية 307
76 الجانب الاقتصادي في الرحلات الحجازية 318

الفصل الثالث : الجوانب الاجتماعية

77 طبقات المجتمع 331
78 طبقات العلماء في رحلات الحجازية 333
79 العادات والتقاليد لأهل الحجاز 335
80 الأعياد والاحتفالات لأهل الحجاز 337

الباب الرابع : الدراسة الأسلوبية لأهم الرحلات الحجازية

الفصل الأول : الصورة الفنية

81 الصورة الفنية 345
82 أمثلة من رحلة ابن جبير 348
83 أمثلة من رحلة العبدري 350
84 أمثلة من رحلة ابن بطوطة 351
85 أمثلة من الرحلة الحجازية 352
86 أمثلة من " في منزل الوحي " 354
87 أمثلة من " رحلة إلى الحجاز" 355

الفصل الثاني : الصورة القصصية

88 الصورة القصصية 357
89 أمثلة من رحلة ابن جبير 358

90	أمثلة من رحلة العبدري	360
91	أمثلة من رحلة ابن بطوطة	361
92	أمثلة من الرحلة الحجازية و "في منزل الوحي"	363
93	أمثلة من " رحلة إلى الحجاز"	366

الفصل الثالث : الصورة الأدبية المتميزة

94	شواهد الأشعار في الرحلات الحجازية	367
95	شواهد القصص والحكايات في الرحلات الحجازية	375
96	شواهد أسلوب الحوار في الرحلات الحجازية	380
97	شواهد الرسائل في الرحلات الحجازية	382
98	شواهد الخطب في الرحلات الحجازية	384
99	شواهد بلاغية وأدبية مختلفة في الرحلات الحجازية	385
100	نتائج البحث	389
101	التوصيات والاقتراحات	391
102	فهرس الآيات الواردة في البحث	393
103	فهرس الأحاديث الواردة في البحث	397
104	فهرس الأبيات الواردة في البحث	400
105	المصادر والمراجع	404

يمين الباحث

أعلن أن أطروحتي : "**الحجاز في أدب الرحلة العربي**" التي أعددتها تحت إشراف الأستاذ الدكتور كفايت الله همداني، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

____

حافظ محمد بادشاه

الباحث

الجامعة الوطنية للغات الحديثة ، إسلام آباد

فبراير 2013

Abstract

Topic of PhD Dissertation

(Al-Hijaz in the Arabs' Travel Literature)

Traveling has been very nature of human being and a source of earning since times immemorial. Traveling experiences and observations attract every body's attention in the form of stories. That is why, with the passage of time, travelogue became a genre of literature. Like other languages Arabic is also rich in travelogues.

For the Muslims, the land of Hijaz is their center for love and respect, because it is the place where the revelation came and the whole humanity took advantage of it. That is why visiting the holy places Makkah Al-Mukarramah

and Al-Madinah Al-Munawwarah has been the wish of every Muslim. As a result, Hijaz became the most frequently visited place in the world.

As Hijaz is also a center of knowledge and trade, that is why a great number of travelogues were written about Al-Hijaz particularly in Arabic language.

This is why I have selected the topic "**Al-Hijaz in the Arabs' Travel Literature**".

I have divided this thesis into Abstract, Preface, five chapters, Bibliography and list of contents.

First chapter talks about the importance of literature of travelers and it has five sub-chapters.

Second chapter is about Hijaz and it has three sub-chapters.

Third chapter is about Arab and non-Arab travelogue writers who wrote about Hijaz.

Fourth chapter discusses political, economic and religious overview of Hijaz in the light of travelogues.

Fifth chapter has three sub-chapters and talks about the styles of travelogues.



إلى الذي أخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهداية، النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم سيد الكونين والثقلين .

وإلى والـدي رحمـه الله الـذي رفـع رأيـة العلـم والتـدريس، والـذي علمـني الصلاة والقرآن وعني بتربيتي وشجعني على تحصيل العلم. اللَّهم نوِّر قبره بنور الجنة والقرآن واجعل قبره روضة من رياض الجنة.

وإلى أمي التي سهرت عليّ وربتني، و عطفت عليّ وأحبتني و ما نسيتني بأدعيتها، والتي نصحتني دائما بالخير.

وإلى زوجتي العالية التي تحملت أعباء الأسرة وتربية الأولاد وحدها طوال مدة انشغالي بالدراسة والبحث.

وإلى ابنتي منيبة وابني محمود اللذان عانيا طوال فترة انشغالي من بُعدي عنهما.

كلمة الشكر

أحمد الله χ الذي يسر لي مهمتي وأعانني على إنجاز هذا البحث المتواضع.

وبعد !

قال الله β: ↓ ❏◆☽⅋❶⬂ ✍⬧♁❑❶⅄♍☙

❻◆🖃☙▤⬈☠⬀ ⬠⬦⬁✍✖ ⅄☒⌛☒❷⬀✍➔⚐⬄

🏵☙⅋③⑨⍓☼❋▤⬈☠⬀ ☎ ↑

(سورة إبراهيم، رقم الآية/7)

مطبقاً بقول الله χ أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من مدّ إلي يد العون في هذا البحث ، وبخاصة الأستاذ الدكتور السيد علي أنور عميد الكلية اللغات الذي لم يبخل علي بمشورته وتوجيهه ونصحه أثناء كتابة البحث .

كما أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لسعادة الدكتور كفايت الله همداني الذي حمل مسئولية الإشراف على هذا البحث وقدم إليّ يد العون والمساعدة في كل مشكلة ولم يبخل بتوجيهاته ونصحه طيلة فترة إعداد هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أخي عبدالحي بادشاه وعبدالمحي بادشاه اللذين ساعدا في سبيل دراستي ودائماً شجعاني على تحصيل الدراسة والتعليم، فأسأل الله لهما أن يحفظهما من كل بلاء وأن يجزيهما خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

رموز ومصطلحات

﴿ ﴾ : هذان القوسان المزخرفان مختصان للآيات القرآن الكريم .

[ ] : هذان القوسان المعقوفان مختصان للأحاديث النبوية الشريفة.

( ) : هذان القوسان لتفصيل المجمل، وأرقام الحواشي، والأقوال بين النص.

۝ : علامة الآية بين الآيتين .

" " : علامتا التنصيص للاقتباسات المنقولة.

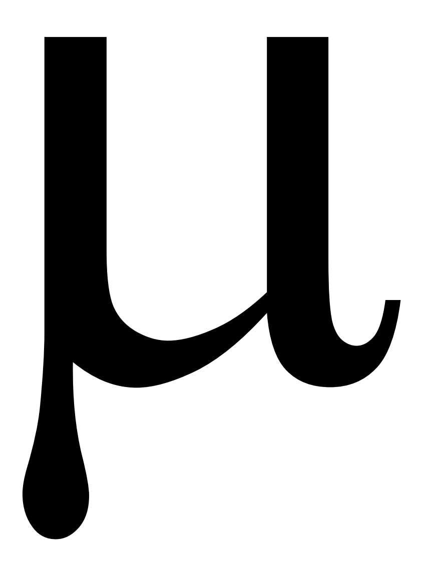
... : استمرار القول.

ص/ : رقم الصفحة.

ج/ : رقم المجلد.

ح/ : رقم الحديث.

ع/ : رقم العدد للمجلات والجرائد وغيرها.



الحمد لله الذي فرض الحج إلى البيت الحرام، وشوّق القلوب إلى تلك الديار الفخام، وأجاب دعوة شيخ الأنبياء إبراهيم v ، فقدم الناس إلى البقاع المقدسة راغبين ، والعَرَصات المطهرة ممتثلين، يهتف بهم داعي الشوق والحنين: هلموا إلى مطاف النبيين، ومتنزل الملائكة المقربين، ومهوى أفئدة الصالحين.

والصلاة والسلام على من طهّر تلك المنازل المقدسة من شوائب الوثنية، وعاد بالشرائع إلى ما كانت عليه أيام الرسالة الإبراهيمية، فاقتفى حجته كل راغب في الأجر والحسنات. وبعد!

إن للرحلة أهمية في مجال المعلومات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، والرحلات أثرت أثراً عميقاً في الأدب العربي، والرحلات تعدُّ مصدراً من المصادر التاريخية الأدبية والجغرافية . وكانت الرحلة عوناً للمؤرخ والجغرافي على حد سواء، إذ أن أغلب الجغرافيين المسلمين كانوا رحالة وسجلوا مشاهداتهم ومعاينتهم للأقاليم المختلفة التي وطئوها. فقد كان للرحلة دور في صقل منهج هؤلاء وتأكيد الوقائع والأحداث بالمشاهدة والملاحظة وأدت بالتالي إلى اتساع أفق صاحبها لكثرة ما زار من البلدان واختلط بالعلماء وأصحاب المعرفة فجاءت بذلك في أسلوب أدبي رفيع.

ومع مرور الزمن اعتبرت الرحلة لونا من ألوان الأدبية الرفيعة ذا خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى، فهو ـ وإن كان ـ يتفق مثلاً مع

الرواية في الإفادة من المعطيات الفنية، ويشاكلها في السرد والوصف أحيانا، فإنه يختط له خطاً متميزاً، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي، حتى ليمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة، هي " أدب الرحلة " .

إن " أدب الرحلة " يمنح الرحالة حرية قلما تتوفر لغيره في الألوان الأدبية الأخرى، وهي حرية تتمثل في اختيار المشاهد، ورصد الحوادث، مما يمكنه غالباً من تلوين أساليبه، وموضوعاته الرِحلية، كما يمكنه أيضاً من الإفادة من ثقافاته المختلفة، وقدراته الإبداعية ، نثراً وشعراً.

وكان من بين الرحالة رجال علم ودين قامت رحلتهم على أساس التزود بالعلم والالتقاء بالعلماء في مراكز الحضارة الإسلامية كما كان من بينهم رجال شغفوا بالسفر وكانت المغامرة واستكشاف المجهول دافعاً لرحلاتهم.

والرحلة لطلب العلم والاستفادة من علماء الحجاز، وأداء فريضة الحج من أهم العوامل التي دفعت الرحالة إلى الحجاز وبخاصة إلى مدنه لزيارة البيت الحرام والمسجد النبوي عليه الصلاة والسلام.

وتعتبر منطقة الحجاز من أهم المناطق في العالم الإسلامي لدى المسلمين حيث إن بلاد الحجاز تركت أثراً عظيماً في نفوس المسلمين، إذا احتوت أرضه الطاهرة على مكة المكرمة مهبط الوحي حيث نزل جبريل الأمين ν على خير البشر وخاتم الأنبياء والرسل بأعظم معجزة بهرت الأنظار، وأدهشت العقول، وكذلك توجد الكعبة المشرفة التي جعلها الله قبلة المسلمين. قال الله β : (🔔♦⑨⇧
❼🙰× ⌧⌨🙰♑⇧♉◆❒ ✽◘⚘◘⬧◗⬧✍ ▤❽◆❷◆☼
☎ 🙰↗✐✍⌧☺○○⥌✍✁
☪🕯⬧✁⬀⌨🙰🔔 ⌧⌨□✡◆⑩🙰ⅇ⥌◆❑⬉✡■◘⬧▫
⌧⌨⌧♑⇧♉◆❒ ☞♏✌◆❑⬧▫ 🗐 ✍⌧♑⥌✽➩⬀❷⬧✍

⅄⊠➲⇳❷◆ ✃♐♏♎❍⬂☺⬓⬭⬄⬈⬁⑨♐

(1) (🗐 ♐✈✃◆❷⬓⬧⬂♏♎♐✃)

واحتوت أرض الحجاز على المدينة المنورة ثاني المدن المقدسة ومسجدها ثاني المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها. والمدينة حرم مثل مكة كما في حديث النبي γ عن عبد الله بن زيد η عن النبي γ [أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكة وَدَعَا لَهَا وَحَرَّمْتُ المَدَيْنَة كَمَا حَرَّمَ إَبْرَاهِيم مَكة وَدَعوت لهَا فَي مَدِّهَا وَصَاعِها مِثْل مَا دَعَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَام لِمكة] (2)

بالإضافة إلى هاتين المدينتين أرض الحجاز تحتوي مدينة الطائف وهي المدينة التي دعا النبي γ لأهلها ، وأن الله تعالى قرنه بالحرمين أيضاً في أولية شفاعته γ لأهله على غيرهم ممن ليس من أهل الحرمين، فقد قال γ : [أَوَّلُ مَنْ أَشْفَع لَه يَوْم القِيَامَة ، أَهْلُ مَكة وَأَهْلُ الَمدِيْنَة وَأَهْلُ الطَّائِف] (3)

بالإضافة إلى كثير من الأماكن المختلفة في منطقة الحجاز والتي زارها النبي γ . كانت الفيصل بين الحق والباطل، ولذلك فقد ضم الحجاز مناطق تاريخية أسرعت نفس كل مسلم لمعرفتها.

فالحجاز كان ولا يزال وسيظل إن شاء الله مركزاً لتجمع المسلمين من مختلف أقطار المعمورة يتجهون إليه بأنظارهم وأفئدتهم، لذا عُد من أقوى مراكز نشر الثقافة الإسلامية بين الأقطار المختلفة ومحط رحال العلماء والمتعلمين.

لما كنت مقيماً في مكة المكرمة لأجل الدراسة في جامعة أم القرى فقد قرأت الرحلات الحجازية العديدة وتجولت في مدن الحجاز. ولما رجعت إلى بلدي والتحقت بالجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد في مرحلة الماجستير اللغة العربية فمنذ تلك الأيام كانت رغبتي أن أكتب عن الحجاز وأخيراً وجدت الفرصة واخترت

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 144.

(2) صحيح البخاري، ح/2022

(3) رواه أبو محمد القاسم بن عساكر عن عبدالمالك بن عباد بن جعفر، ونقله عن المحب الطبري ضمن القرى.

موضوع البحث لنيل درجة الدكتوراه " **الحجاز في أدب الرحلة العربي**" ومن العوامل الأخرى التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع:

1. مكانة الحجاز الدينية، فهي تحتل مكانة عالية لدى المسلمين جميعاً.
2. الحب الشديد للحجاز لأن فيه مكة المكرمة مهبط الوحي والمدينة المنورة مسكن نبينا وسيدنا محمد γ قبل موته γ وبعده.
3. مكانة منطقة الحجاز الدينية فهي تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين، وكل من يزورها ويستطيع أن يكتب فهو لم يتأخر في تدوين رحلته المقدسة.
4. الرغبة الشديدة في دراسة الأدب العربي وتدريسها.
5. تدوين الرحالين رحلاتهم بأساليب أدبية مختلفة.
6. هويتي قراءة الرحلات والروايات لأنهما وسيلة التطلع بأخبار البلدان والتاريخ.

وبعد الموافقة على موضوعي المقترح من العميد الدكتور سيد علي أنور ثم المشرف على بحثي الدكتور كفايت الله همداني وضعت خطة البحث التي تشمل على مقدمة وخمسة أبواب وكل باب يحتوي على فصول عديدة ونتائج البحث وفيما يلي تفاصيل الخطة:

الإهداء

الشكر والتقدير

المقدمة

الباب الأول : أدب الرحلة وأهميته

ويشتمل هذا الباب على خمسة فصول:

الفصل الأول : الرحلة لغة واصطلاحاً

الفصل الثاني: الرحلة العربية قبل الإسلام وبعده

الفصل الثالث : تقاليد السفر وآداب الرحلة

الفصل الرابع : أدب الرحلة ، أهميته، ونشأته وتطوره

الفصل الخامس : أدب الرحلة في الأدب العربي الحديث

الباب الثاني : الحجاز

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الحجاز لغة واصطلاحاً وموقعه وحدوده

الفصل الثاني : الحجاز عبر العصور

الفصل الثالث : أهم مدن الحجاز

الباب الثالث : أهم الرحالة العرب وغيرها

ويتكون هذا لباب من أربعة فصول
الفصل الأول : التعريف بأهم الرحالة العرب
الفصل الثاني : التعريف بأهم الرحالة غير العرب إلى الحجاز.
الفصل الثالث : التعريف بأهم الرحالة العرب إلى الحجاز
الفصل الرابع : التعريف بأهم المؤلفات في أدب الرحلة إلى الحجاز.
الباب الرابع : الحجاز عند الرحالة العرب وغير العرب
وفيه ثلاثة فصول :
الفصل الأول : الجوانب الدينية والتاريخية
الفصل الثاني: الجوانب الجغرافية والاقتصادية
الفصل الثالث : الجوانب الاجتماعية
الباب الخامس : الدراسة الأسلوبية لأهم الرحلات إلى الحجاز
وفيه ثلاثة فصول :
الفصل الأول : الصورة الفنية
الفصل الثاني: الصورة القصصية
الفصل الثالث : الصورة الأدبية المتميزة
نتائج البحث
التوصيات والاقتراحات
الفهارس الفنية

ومنهجي في هذا البحث هو دراسة تحقيقية لأدب الرحلة وبلاد الحجاز ثم أحاول أن أعرف أهم الرحّالين إلى الحجاز خاصة من حيث حياتهم ورحلاتهم وأخيراً أقدم دراسة تحقيقية عن الرحلات الحجازية من حيث الفنية والأدبية.

وفيما يلي أعرض أهم المصادر والمراجع التي استخدمتها في بحثي هذا:

استعنت بعدة المصادر في تاريخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة عموماً، وكتب أدب الرحلة خصوصاً. وأكتفي بذكر أهم المصادر والمراجع في ما يلي:

فمن المصادر التي استفدت منها في أدب الرحلة :

1. أدب الرحلة عند العرب للدكتور حسني محمود حسين .
2. المختار من الرحلات الحجازية للدكتور محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف.
3. أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل ، وهذا الكتاب وجدته من أحسن الكتب في أدب الرحلة.

4. الرحلات للدكتور شوقي ضيف .

وأما المصادر التي استخدمتها في تاريخ مكة المكرمة منها :

1. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين الفاسي . والكتابان من أهم المصادر التي كتبت في أخبار مكة المكرمة .
2. إتحاف الورى بأخبار أم القرى لنجم الدين عمر بن محمد بن فهد.
3. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لمحمد بن عبدالله محمد بن أحمد الأزرقي الغساني.
4. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهي.
5. تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام ، للشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي.

والمصادر التي استفدت منها في تاريخ المدينة المنورة منها :

1. أخبار مدينة الرسول المسمى الدرة الثمينة لمحمد بن محمود ابن النجار. وكتابه من أحسن المصادر في المدينة المنورة.
2. المدينة المنورة درة المدائن ، للدكتور مختار محمد بلول
3. المدينة بين الماضي والحاضر، إبرهيم بن علي العياشي

وأما الرحلات المفيدة في بحثي هذا ، فهي جميع الرحلات الحجازية ، منها :

1. تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف بـ " رحلة ابن جبير " .
2. رحلة ابن بطوطة
3. رحلة العبدري والمعروفة أيضاً برحلة المغربية .
4. ارتسامات اللطاف في خاطر الحجاس في أقدس مطاف، المعروفة برحلة الحجازية لشكيب أرسلان .
5. رحلة إلى الحجاز لعبدالقادر المازني.

والله أسأل أن يوفقني في هذه الدراسة القيمة وأن يجعل عملي خالصاً لوجه الله χ ، إنه ولي التوفيق وهو نعم المولى ونعم النصير.

طالب فصل الدكتوراه

حافظ محمد بادشاه.

الباب الأول
أدب الرحلة وأهميته

الفصل الأول: الرحلة لغة واصطلاحاً

الفصل الثاني: الرحلة العربية قبل الإسلام وبعده

الفصل الثالث: تقاليد السفر وآداب الرحلة

الفصل الرابع: أدب الرحلة ، أهميته ، ونشأته وتطوره

الفصل الخامس: أدب الرحلة في الأدب العربي الحديث

إن الإنسان ولد راحلاً، والرحلة راسخة في طبيعة الإنسان، فمن العدم إلى الوجود كانت رحلة آدم v الأولى، ومن الجنة إلى سطح الأرض الرحلة الثانية، ومن الرحلات الأولية الأخرى رحلة نوح v في السفينة، ورحلة يونس v في سفينة وفي بطن الحوت، ورحلة سيدنا إبراهيم v مع زوجته سارة إلى مصر، وبعدها إلى مكة المكرمة مع طفلهما إسماعيل v ، ورحلة سيدنا محمد γ من مكة إلى المدينة، وجميع هذه الرحلات مسجلة في الكتب المقدسة.

وسأواصل الكلام فيما بعد ولكن أولاً علينا أن ننطلق إلى مفهوم الرحلة لغوياً واصطلاحياً .

الرحلة لغة

يقول ابن منظور في لسان العرب عن الرحلة : " الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يقال رحل الرجل إذا سار "[1]

فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر " والترحل والارتحال الانتقال وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال" .

وجاءت الرحلة أيضاً بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان " الرحلة الارتحال. والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم"، كما تطلق الرحلة أيضاً على السفرة الواحدة " الرحلة السفرة الواحدة" . [2]

وأصحاب المعجم الوسيط ذكروا عدة معان تحت مادة رحل حيث قالوا: رحل "عن المكان رحلا ورحيلا وترحالا ورحلة سار ومضى والبعير رحلا ورحلة جعل عليه الرحل فهو مرحول ورحيل وعلاه وركبه ويقال رحل فلان بمكروه ورحله بسيفه علاه به وفي الحديث (لتكفن عن شتمه أو لأرحلنك بسيفي) وله نفسه صبر على

---

(1) لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري، بيروت دار صادر ج/11، ص/ 276.

(2) المصباح المنير لأحمد بن علي المقري الفيومي بيروت ،دار الكتب العلمية 1398، ج / 1، ص /264.

أذاه، (أرحل) فلان كثرت رواحله فهو مرحل والإبل سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة وفلانا جعله يرحل والإبل راضها حتى صارت رواحل وفلانا أعطاه راحلة ، (الرحال) صانع الرحل ، (الرحال) العرب الرحال الذين لا ، يستقرون في مكان ويحلون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى ، (الرحالة) الكثير الرحلة (والتاء للمبالغة) ، (الرحل) العرب الرحل الرحال ، (الرحل) ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع وغيره ومسكن الإنسان وما يستصحبه من الأثاث وفي الحديث (إذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال) (ج) أرحل ورحال ويقال حط فلان رحله وألقى رحله أقام (الرحلة) الارتحال (ج) رحل وفي التنزيل العزيز) رحلة الشتاء والصيف (وكتاب يصف فيه الرحالة ما رأى وبعير ذو رحلة ذو قوة على السير ، (الرحلة) ما يرتحل إليه يقال الكعبة رحلة المسلمين وأنتم رحلتي وعالم رحلة يرتحل إليه من الآفاق ويعبر ذو رحلة قوة على السير ، (الرحول) كثير الارتحال والراحلة" [(1)]

وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط : " الرُّحْلَةُ بالضم والكسر أو بالكسر: الارْتِحالُ وبالضم : الوَجْهُ الذي تَقْصِدُه والسَّفْرَةُ الواحدةُ . والرَّحيلُ كأَميرٍ : اسمُ ارْتِحالِ القومِ ومَنْزِلٌ بين مكةَ والبَصْرَةِ . وراحيلُ : أُمُّ يوسفَ عليه السلامُ . ورِحْلَةُ : هَضْبَةٌ . وأرْحَلَ : كثُرَتْ رَواحِلُه و البعيرُ : قَوِيَ ظَهْرُه بعدَ ضَعْفٍ و الابِلُ: سَمِنَتْ بعدَ هُزالٍ فأَطاقَتِ الرِحْلَةَ و فلاناً : أعطاهُ راحِلَةً . ورَحَلَ كمَنَع : انْتَقَلَ . ورَحَّلْتُه تَرْحيلاً فهو راحِلٌ من رُحَّلٍ كرُكَّعٍ و فلاناً بسَيْفِهِ" . [(2)]

وجدنا فيما ذكرنا آنفا في معنى الرحلة أن الرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه . وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر ومنه أخذ لفظ رحّال : وهو الشخص المتنقل من مكان لآخر.

---

(1) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، ص/ 334-335.
(2) القاموس المحيط، لمحي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل بيروت، ج/2، ص/ 394.

الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها، ومنها الرحلة ، سواء أكانت الرحلة للعلم أو الهجرة بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة .

وفي بداية الحديث عن الرحلة لا بد من النظر إلى أولى الرحلات الثابتة لدينا والمستقاة من أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية وهو القرآن الكريم ، فقد حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع منها على الرغم من عدم ورود لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة في سورة قريش، قال β : ([illegible])[1]

وقد تحدث سورة قريش كلها عن الرحلة، وهي رحلة قريش التجارية. فكما هو معلوم أن أهل مكة المكرمة اتجهت أنظارهم إلى التجارة بحكم موقع مكة ([illegible]) كما قال تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام ([illegible]

---

(1) سورة قريش ، رقم الآيات / 1-4

⌘♊♋♓✍ ♋☠□◆❷⍓☺□⌖♑♐✂
♑⬧➔⍓⬛❄♑⇦⇔ ④□⌖⇳▤❷↖❷↖□♌⬧)[1]

وعلى ضوء ذلك تمتعت مكة المكرمة بمكانة عظيمة وتقاطر الناس عليها استجابة لدعوة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام. هذا فيما يتعلق بالرحلات الخارجية ، أما الرحلات الداخلية فكانت :

لأداء فريضة الحج بدافع ديني وكانوا يستفيدون من رحلتهم تلك في التبادل التجاري حيث كانت تعقد الأسواق قبل الحج وبعده.

الرحلات إلى أسواق العرب التي أقاموها في نواحٍ متعددة من جزيرتهم واشتهر منها سوق عكاظ[2] وذي مجاز[3] ومجنة [4] ودومة الجندل[5] وعمان وغيرها .

لقد حرص العرب على إقامة هذه الأسواق سنوياً، وتميزت بتنافس الشعراء في إظهار عبقريتهم الشعرية، إلى جانب استغلال هذه الأسواق أيضاً لتبادل السلع التجارية المختلفة، والترويج للأفكار والديانات الجديدة، فقد عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على العرب في هذه المواسم ، ودعاهم إلى الإسلام والدفاع عنه[6]، وفي الحديث عن جابر بن عبدالله قال : كان رسول الله صلى الله عليه يعرض نفسه على الناس في المواسم فيقول : [**أَلَا رَجُل يَحْملنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أَبلُغَ كَلَام رَبِي**] [7].

---

(1) سورة إبراهيم ، رقم الآية/ 37

(2) سوق عكاظ من أشهر أسواق العرب في الجاهلية بين الطائف ومكة ، انظر للتفصيل معجم البلدان لياقوت الحموي : ج/4، ص/ 142 .

(3) ذي مجاز : موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرس من عرفة وتقيم فيه العرب في الجاهلية ثمانية أيام من ذي الحجة ، (معجم البلدان ، ج/5، ص/ 54)

(4) اسم سوق العرب كان في الجاهلية وهو بمر الظهران قرب مكة ، وكان العرب يقيمون فيه عشرين يوما من ذي القعدة ، (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ، ج/ 7، ص/ 380) .

(5) دومة الجندل : حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء ودومة الجندل ، ويكون سوقها خلال شهر ربيع الأول : (تاريخ اليعقوبي ليعقوبي ، ج/1، ص/ 270) .

(6) سيرة ابن هشام ، ج/2، ص/ 245 ،

(7) سنن ابن ماجة ، ج/1، ص/ 73

الانتقال سعياً وراء العشب والماء، لأنهما قوام حياة العربي في ذلك الوقت.
فهذه الرحلات الثلاث داخلية، يقومون بها سنوياً وبانتظام داخل بلادهم.

ولقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى فوائد وأنواع الرحلات ، ويمكن إدماجها في الآتي :

1. الرحل فراراً بالدين من أرض الشرك إلى أرض الإسلام، وأشهرها هجرة المسلمين الأولى والثانية إلى الحبشة ثم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، قال الله عزوجل : ([illegible]) [1].

2. الرحلة في طلب العلم : وردت في القرآن آيات كثيرة ، تبين هذا النوع من الرحلة ، وأشهر رحلة علم وردت فيه . هي رحلة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام ليتعلم منه قال تعالى : ([illegible]) إلى هذه الآية ([illegible]

(1) سورة النساء ، رقم الآية/ 100

[illegible]) [1] فهذه الآيات تدل على سعي طلب العلم من مكان لآخر .

3. الرحلة للحج : يقول الله سبحانه وتعالى : ([illegible]) [2]، فالدعوة لحج بيت الله الحرم قديمة منذ أيام إبراهيم خليل الله عليه السلام . ولما جاء الإسلام ألزمهم به مرة في العمر للقادر على ذلك ، قال تعالى : ([illegible]) [3]

(1)سورة الكهف ، رقم الآيات / 60 – 82

(2)سورة الحج ، رقم الآية/ 27

(3)سورة آل عمران ، رقم الآية/ 97

4. الرحلة للتجارة : لقد مهر العرب في التجارة ، وإن كان ذلك داخل نطاق محدود في الجاهلية، فهم يرحلون رحلتين في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، ولكن بعد الإسلام اتسع نطاق تجارتهم تبعاً لاتساع دولتهم، بل لقد تعداه إلى أماكن لم يصلها غيرهم ولم يكتفوا براً، بل ركبوا البحر أيضاً، خاصة بعد أن وجه الله تعالى أنظارهم لذلك[1]، قال تعالى:([illegible])[2]

مفهوم أدب الرحلة

عرف الدكتور إنعام الحق غازي أدب الرحلة نقلا من إحدى معاجم المصطلحات الأدبية ، حيث قال: " هو جنس أدبي مهمل وذو تنوع كبير وترجع أصوله إلى العصور القديمة، وقد ساهم فيه كثير من الكتاب الخبراء المشهورين كما أنه وغيرهم من الناس منهم الدبلوماسيين والعلماء والدعاة والأطباء وأصحاب الجيش والبحريين. وهذا الجنس الأدبي يضم الأعمال التي تتصل بالاستكشاف والمغامرات كما أنه يشتمل على سجل الملاحظات التي دوّنها الرحالون عن الأراضي الأجنبية"[3]

وترى الموسوعة البريطانية حول الرحلة : "إن في هذا النوع الأدبي النثري غير القصصي ، يحتل الرحالة نفسه المكانة أكثر من البلد الذي يزوره. ويضيف الكاتب

---

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج/10 ، ص/ 291 .

(2)سورة الإسراء ،رقم الآية/ 66

(3) صورة شبه القارة الهندية – الباكستانية عند الرحالة العرب، إنعام الحق غازي،2010، ص/4. نقلاً من
Dictionary of literary terms and literary theory, J.A Cuddon, Penguin Book, 1999, India, P. 937.

قائلاً : كان الرحالة في العصر القديم مغامراً أو محبًّا للفنون أو كان راغباً في رؤية المناظر الأجنبية ومعرفة العادات الغريبة بالإضافة إلى كونه كاتباً إبداعياً" [1]

وترى الدكتورة قدسية قريشي أن الرحلة فن متفرّد بين الفنون النثرية الأخرى وذلك لأن كل رحالة يصوغ مشاهداته بصياغة تخصّه، ولا نستطيع أن نقول إن كل رحلة توفّر متعة ولكن يمكننا أن نعتبر الرحلات، من حيث العموم ، تتسم بصياغة أدبية جذابة" [2]

وقالت عواطف محمد يوسف نواب عن أدب الرحلة والرحالة :

"الشخص الذي قام بالرحلة ، قد ترك موطنه ، وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها، لذا كان لفظ رحلة أعم وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة ."[3]

ذكر الدكتور أنور سديد العناصر المهمة لأدب الرحلة وأود أن ألخص بعض العناصر من كتابه :

- الرحلة هي تلك الكتابة الأدبية التي تتميز بالسرد والتي يجمع الرحالة مادتها خلال مشاهداته في الأراضي الأجنبية.
- تتضمن الرحلة الأحوال والانطباعات والمعلومات التي تتراكم لدى الرحالة خلال سفره.
- كلما تتمتع الرحالة بدقة النظر وعمق الفكر، كثرت تفاصيله، فالناظر العادي يذوب في تحديد المنظر الجغرافي وبيان سماته الخارجية، والحديث عن أهل البلد مركزاً على الإحصائيات وما شابه ذلك من المعلومات.
- تتكون الرحلة من الأفكار والعواطف والآثار السلبية والإيجابية.

---

(1) Encyclopedia Brit. Macromedia London, 1985, 23/194

(2) اردو كے سفرنامے، ص/ 224

(3) الرحلات المغربية والأندلسية ، دراسة تحليلية مقارنة، لعواطف محمد يوسف نواب، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض،1996 ، ص/ 41.

- يضم الرحالة عواطفه العميقة إلى الأوضاع الخارجية وبذلك يعبّر عما يدور في قلبه، ومن هنا يتميز أسلوب الرحلة حيث يصبح أسلوباً أدبياً مؤثراً.[1]

أغراض الرحلة

أشار فؤاد قنديل في كتابه أدب الرحلات دوافع كثيرة ولكني الخص هنا وأذكر أهم الأغراض والدوافع ، ويمكن الرجوع للتفصيل إلى كتابه .[2]

الدوافع التي تحث الإنسان على الرحلة متعددة ومختلفة ، وهي تختلف من شخص إلى آخر ومن قوم لقوم ومن عهد لعهد آخر، ولكني هنا أبين بعض منها متساوية في جميع الأحوال .

1. دوافع دينية

كان الناس يرتحلون لزيارة أماكن المقدسة تلبية لنداء الرحمن وتوبة، وتطهيراً للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة. ومعظم الرحلات تتجه من المغرب إلى المشرق بسب وجود الأماكن المقدسة فيه ، وكثرة العلماء ، ومركز الخلافة فيه.

2. دوافع علمية أو تعليمية

إن طلبة العلم يريدون أن يرحلوا لغرض الاستزادة من العلم في منطقة أخرى من العالم في مجالات مختلفة كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ونجد في كتب الحديث والسير أن من الفقهاء والعلماء من كان يقطع القفار ويعبر الأنهار طلبا لحديث نبوي سمع به، أو لمجرد التحقق من كلمة فيه، وقد فعل ذلك عبدالله بن عباس والإمام الغزالي وغير ذلك من العلماء وهكذا رحلات البحوث العلمية والكشوف الجغرافية.

3. دوافع سياسية

---

(1) اردو ادب میں سفرنامہ، للدكتور انور سديد، ص/ 48-52 ، وقد ذكرها الدكتور إنعام الحق غازي في صورة شبه القارة الهندية الباكستانية عند الرحالة العرب أيضاً ، ص/ 5-6.

(2) أدب الرحلات ، ص/ 18 -24 .

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شئون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو.

4. دوافع سياحية وثقافية

الإنسان يحب التنقل وتغيير الهواء والمناظر ومعرفة الجديد من خلق الطبيعة والبشر، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع ، وقد تكون لتعرف المعالم الشهيرة كالآثار والمنارات والأبراج والغرائب والعجائب.

5. دوافع صحية

كالسفر للعلاج أو الاستشفاء ، أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها، وقد يكون هربا من وباء أو طاعون .

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★

تقاليد السفر وآداب الرحلة

إن السفر منذ خروج آدم v من الجنة جزءاً في حياة الإنسان ، وقد كثر الأسفار بمرور الأيام وتغيّر طرق الأسفار والرحلات ، ففي البداية الإنسان يسافر ماشياً فراكباً على المواشي فالمراكب سواء أكانت المراكب بحرياً أو برياً وأصبح السفر حالياً جوياً.

وقد اهتم النبي γ والخلفاء الراشدون وخيرة العلماء بالسفر ، وكان النبي γ أرسل الصحابة بالرحلات المختلفة وأرشدهم بالنصائح لسفرهم . ووضع النبي γ تقاليد الرحلة وآدابها ، ثم الخلفاء الراشدين والعلماء أوضحوا وبينوا تلك التقاليد والآداب.

قد ذكر العلماء آداب كثيرة للسفر وأذكر بعض منها :

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي ρ في آداب السفر:

أولاً : "أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته وبرد الودائع إن كانت عنده، ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب وليأخذ قدرا يوسع به على رفقائه قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره ولا بد في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر فإنه يخرج خبايا الباطن ، ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر ولذلك قيل إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه والسفر من أسباب الضجر ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر" .[1]

معنى قول الغزالي أن المسافر إذا أراد السفر فعليه سد الدين وإعداد النفقة لأسرته وإعداد زاد السفر من حلال الطيب بقدر وسعه، ولكن إذا ليس عنده نفقة لأسرته أو عليه الدين ولا يستطيع سده فلا حاجة للسفر .

(**1**) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، دار الغد العربي، القاهرة ، 1987 ، ج/6 ص/ 107

وأشار الكاشاني في محجة البيضاء ضمن آداب السفر حيث قال :

ثانياً : "أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر فإن المرء على دين خليله ولا يعرف الرجل إلا برفيقه"(1)

ومن الأفضل أن يكون رفيقك هي الزوجة والأولاد في الرحلة والسفر لأن فيهم راحتك وراحة وسعادة أسرتك . وهذه هي السنة لأن النبي γ إذا عزم سفراً فكان يقرع بين نسائه ، كما في حديث عائشة ι : [عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَبي كَانَ إِذَا سَافَر أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِه] (2)

وقد نهى γ عن أن يسافر الرجل وحده : فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ أَبَدًا] (3)

والحق أننا نحتاج إلى الأمير والقائد لأن الآراء تختلف في الجماعة وفي تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر ولا نظام إلا في الوحدة. فإذا اخترنا الأمير فيسهل الأمور.

ثالثًا:أن يودع الأهل والأسرة يقول الإمام الغزالي في الأدب الثالث قائلاً:

"أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث روي عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال [إِذَا أَرَادَ أَحَدكُم سَفَراً فَلْيُوَدِّعْ إِخْوَانَه فَإِنَّ الله تَعالَى جَاعل لَهُ فِي دُعَائِهم البَرَكَة]" (4)

وفي حديث أبي هريرة قال ودعني رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : [أَسْتَوْدِعكَ الله الذِي لَا تُضِيْعَ وَدَائِعَه] (5)

---

(1) محجة البيضاء، ج/ 1 ، ص/55

(2) سنن ابن ماجة ، ح/ 2237

(3) مسند إمام أحمد ، ح/ 5252

(4) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت ص/ 125

(5) سنن ابن ماجة ، ح/ 2825

وعن ثابت عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي γ فقال يا رسول الله إني أريد سفرا فزودني [قَالَ زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى] قال زدني قال [وَغَفَر ذَنْبَك] قال زدني بأبي أنت وأمي قال [وَيَسِر لَكَ الخَيْر حَيْثُمَا كُنْت] (1)

رابعاً :" أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة ووقت الخروج يصلي لأجل السفر" (2)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا أتى النبيγ فقال إني نذرت سفرا وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى ابني أم أخي أم أبي فقال النبي γ [مَا اسْتَخْلَف عَبْد فِي أَهْلِه مِنْ خَلِيفَة أَحَبَّ إِلى اللهِ مِن أَرْبَع رَكَعَات يُصَلّيهن فِي بَيْتِهِ إِذَا شَدَّ عَلَيْهِ ثِيَاب سَفَرِه يَقْرَأ فِيْهِن بِفَاتِحَةِ الكِتَاب وَ قُل هُوَ الله أَحْد ثُمَّ يَقُولُ اللهم إِنِي أَتَقَرَّبُ بِهِن إِليكَ فَاخْلفنِي بِهِنَّ فِي أَهْلِي وَمَالِي فَهِي خَلِيْفَتِه فِي أَهْلِه وَمَالِه وَحَرَزَ حَوْلَ دَارِه حَتى يَرْجِع إِلَى أَهْلِه] (3)

خامساً: "أن يرحل عن المنزل بكرة ويفضل أن يخرج يوم الخميس" (4) أي فيما يأتون به أول النهار.

وكان الرسول γ يدعو للسفر في البكور ويفضل يوم الخميس، وسوف نرى أن معظم الرحالة حرص على أن يبدأ رحلته يوم الخميس.

وفي حديث الرسول γ عن صخر الغامدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [اللهم ! بَارِك لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا قَالَ وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سِرِيَةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُم أَوَّل النَّهَارِ وَكَان صَخْر رَجُلًا تَاجِرًا وَكَانَ إِذَا بَعَثَ تِجَارَة بَعَثَ أَوَّل النَّهَار فَأَثْرى وَكَثُر مَالَه] (5)

وفي حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [اللهم بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُوْرِهَا يَوْمَ الخَمِيْس] (6)

---

(1) سنن الترمذي، ح/ 3444

(2) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج/6 ص/ 107

(3) الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لمحمد بن علان الصديقي، ص/ 105، ح/5

(4) بعض أحكام السفر وآدابه ، لعبد النبي عبدالمجيد النشابة، ص/ 3.

(5) سنن الترمذي ، ح/ 1212

(6) سنن ابن ماجة ، ح/ 2237

سادساً : " الإكثار من المشورة

أخرج (الفقيه) عن سليمان بن داود المنقري، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:" قال لقمان لابنه إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم، إذا دعوت فأجبهم وإن استعانوا بك فأعنهم. واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة، وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت النظر "[1]

سابعاً : ينبغي أن يستصحب معه أشياء ، عن سليمان بن داود المنقري، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبدا لله عليه السلام قال: (في وصية لقمان لابنه: يا بني سافر بسيفك وخفك وعمامتك وحبالك وسقائك وخيوطك ومخرزك, وتزود معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك, وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل). [2]

وليعلم أن ما جاء في الحديث ونظائره يتغير حسب تغير الحاجات ونوع السفر, فربما يستغني عن بعضها في العصر الحاضر ويحتاج إلى أمور أخرى, فما جاء في هذا الحديث ونظائره من المقررات التي تتغير حسب تغير الأزمنة وليست من القوانين الشرعية التي لا يمسها التغير والتبدل.

ثامناً : "أن يرفق بالدابة إن كان راكبا فلا يحملها ما لا تطيق ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة" [3]

ويقول فؤاد قنديل تحت هذا الأدب " وفي النزول ساعة صدقتان إحداهما ترويح الدابة، والثانية إدخال السرور على قلب المكاري، فضلاً عن رياضة البدن والتخلص من خدر الأعضاء بطول الركوب " [1]

(**1**) بعض أحكام السفر وآدابه ، لعبد النبي عبدالمجيد النشابة، ص/ 3.

(**2**) نفس المرجع

(**3**) نفس المرجع، ج/3، ص/ 214.

تاسعاً : يقول فؤاد قنديل " إن في آداب الرجوع من السفر أن يحمل المرء لأهل بيته وأقاربه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة، وهو دلالة على التفات القلب إلى ذكرهم وهو في السفر" [2] كما جاء في حديث النبي γ : [إِذَا خَرَجَ أَحَدكَم إِلَى سَفرٍ ثُمَّ قَدِمَ عَلى أَهْلِه، فَلْيَهْدِهِم وَلْيَطْرِفَهُم وَلَو حِجَارة][3]

وقد حث الإسلام السفر والرحلة وسهّل دينه في السفر حتى التقصير في أداء الفرائض، وأباح التيمم بدلا من الوضوء في حالة عدم الماء، وأجاز الفطر للصائم المسافر في شهر رمضان.

عاشراً : الدوام بالأدعية المسنونة في بداية السفر وأثناء السفر وفي منتهى السفر ومن الأدعية المسنونة هي :

دعاء في بداية السفر

كان الرسول γ إذا قدمت إليه دابته ليركبها فيقول هذا الدعاء:

عن عبدالله بن عمر η قال : [أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كَانَ إِذَا اسْتَوى عَلَى بَعِيرِه خَارِجًا إِلَى سَفر ، كَبَّرَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَ الذِيْ سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِين وَإِنَّا إِلَى رَبْنَا لَمُنْقَلِبُون، أللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى ، هُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ][4]

دعاء في وقت وصول المنـزل

عن عبد الله بن عمرκ :[أَنَّ رَسُولَ اللهِ γكَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَو حَجٍ أَو عُمْرةٍ يَكْبَرُ عَلَى كُلِّ شَرَفْ مِنَّ الأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيْرَات ، ثُمَّ يَقُول : لَا إِله إِلَا الله وَحْدَه لَا شَرِيْكَ لَه ، لَهُ المُلْكُ وَلَه الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءْ قَدِيْر ، آيِبُوْنَ تَائِبُونَ

---

(1) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 38

(2) نفس المرجع

(3) جامع الأحاديث، لجلال الدين، ح/ 1827.

(4) صحيح مسلم ، ح/ 1342

عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُون ، صَدَقَ الله وَعْدَه ، وَنَصَرَ عَبْدَه ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَه.] [1]

دخول في القرية

كان النبي γ إذا أراد أن يدخل في قرية ما فيقول هذا الدعاء :

عن صهيب بن سنان الرومي القرشي قال [مَا أَتِى مُحَمَد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قَرْيَة يُرِيْدُ دُخُوْلهَا إلاَّ قَالَ حِينَ يَرَاها اللهم رَبَّ السَمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبُ الأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبُّ الشَّيَاطِين وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبُّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرينَ فَإنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَة وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَنَعُوْذُ بِكِ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا][2]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★
★★★★★★★★
★★★★★★
★★★★
★★★
★★

(**1**) صحيح البخاري، ح/ 1797

(**2**) سنن النسائي ، ح/ 10303

الرحلة العربية قبل الإسلام وبعده

الرحلة منذ أقدم العصور متصلة بتاريخ الإنسان ، فنجدها أول رحلة قام بها الإنسان من الجنة إلى الأرض، كما أشار القرآن إلى قصة آدم ν حيث قال χ : (🔔➔🖬▫✡♦〰 ✂〰♎⬃⌨🙯⮌⬀❐✂☎ 👌🙯❄⬃🙵❑〰 ♎♦☝🙯⑩➔✡〰 ☎)[1]، والمؤرخون أطلقوا على رحلة آدم ν أسماء أخرى مثلاً النزول أو الهبوط أو الانتقال، مع هذه الأسماء لا نبالغ إذا قلنا بأنها رحلة، لأن مادة الرحلة تشارك في معنى الانتقال و ما شاكله بصفة عامة .

إن تاريخ الإنسان إنما هو تاريخ لمحاولاته التعرف ثم السيطرة على العالم الخارجي من حوله، وقد ناضل أولا القوى الحيوانية التي تحول بينه وبين هذه السيطرة، ثم أخذ يناضل القوى الإنسانية، فتكونت القبيلة ثم تكونت الأمة، واندفعت من إقليمها إلى الأقاليم المجاورة تكتشف آفاقاً جديدة.

تشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة نشطة، سافروا ورحلوا خارج أوطانهم برا وبحرا، وأغلب الظن أنهم عرفوا الملاحة والإبحار من قديم، وقد اشتهروا بالتجارة مع شعوب أفريقية في شمالها وشرقها وأيضاً في شرق الجزيرة حتى الهند وما وراءها، بدليل ما ورد في بعض المصادر من أن الاسكندر الأكبر فكر في غزو الجزيرة العربية، وإنه ارتأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي، حتى يقطع صلاتها بأسواقها في إفريقيا والهند، وهي الأسواق الرئيسية التي مونت العربي بالثراء، وبذلك يقطع عليهم هذه الموارد، كما أراد أن يقضي على سيادة العرب على الخطوط التجارية البرية والبحرية، ويحد من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار البضائع الثمينة، التي كانت تأتي من الشرق إلى أسواق مصر أو الشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل، ومن هناك تنقل إلى أوروبا .[2]

كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا شاملاً لها أو جامعا، اللهم إلا ما ورد

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 38.

(2) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ، ج/8، ص/ 76 ، دار العلم للملايين بيروت 1970.

متناثرا في قصائد الشعر وكتب اللغة، وعن بعض هذه الرحلات يذكر القرآن الكريم رحلات قريش الشهيرة. ([illegible]) [1].

وكل هذه رحلات بدأت ضيقة، ثم اتسعت مع مر الزمن ، يقول شوقي ضيف : "إن الإنسان وُلد راحلاً، وإن أعجزته الرحلة ، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة ، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر ." [2]

إذا فكرنا في قول شوقي ضيف فيظهر لنا أن الإنسان في الحقيقة رحالاً ، ومنذ ولادته حتى أن يموت كان في رحلات دائبة ، تتعد أشكالها بمرور الأيام وبتغير الظروف والأحوال، بل إن لحظات ميلاده تعد رحلة من رحم الأم إلى دنيا البشر، وما وفاته ودفنه إلى رحلة ينتقل فيها من دنيا البشر إلى رحم الأرض تمهيداً لرحلة نهائية وسرمدية تبدأ يوم ينفخ في الصور، وهناك رحلات أخرى متباينة على طريق العلم من مرحلة إلى مرحلة، وعلى طريق النضج من عمر إلى عمر، وفي إطار التشكيل الاجتماعي هناك رحلة من العزوبة والفردية إلى الزواج وتكوين الأسرة، وهناك رحلات داخل الوطن، كالانتقال من قبيلة إلى أخرى أو من القرية إلى المدينة أو من البدو إلى الحضر، ورحلات من داخل الوطن إلى خارجه، وتتسع مساحة الحركة وتمتد الرحلة لتصبح رحلة من الأرض إلى القمر والكواكب.

يقول شوقي ضيف في كتابه الرحلات : " وفي ثبت الرحلات العربية تبرز رحلات بحرية، رويت عن التجار والملّاحين وهواة البحار، وهي تبدأ عند العرب

(**1**) سورة قريش ، رقم الآيات / 1-4

(**2**) الرحلات لشوقي ضيف ، دار المعارف القاهرة ، ص/ 3

بمغامرات تاجر يسمى سليمان ، قذف بنفسه في لجج المحيط الهندي والهادي ، ثم تتسع فتشمل مغامرات أخرى في البحرين الأحمر والأسود وفي المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات" (1)

تتضمن هذه المغامرات كثيرا من المعلومات عن البحار وحيواناتها وأسماكها وأصدافها والأقوام الذين يسكنون على شواطئها. ويصاغ ذلك في أسلوب قصصي بديع، يؤكد الواقع أحياناً، وينشئ لنا عوالم خيالية أحياناً أخرى.

وهناك الدلائل التي تشير إلى رحلة بحرية رسمية إلى بلاد " بونت " في عهد خوفو فرعون مصر، الذي حكم حوالي الألف الثالثة ق . م ، وهناك الرحلة البحرية الشهيرة في عهد الملكة حتشبسوت إلى بلاد " بونت " في حوالي 1500 ق . م لاستيراد البخور والعطور، وهناك إشارات إلى رحلة بحرية إلى الشام وجزر البحر الأبيض حوالي الألف الرابع قبل الميلاد، تمت في عهد سنفرو سنة 3200 ق.م، وكانت مؤلفة من 40 سفينة، وقد كلفها الملك باستحضار الأخشاب اللازمة لصناعة السفن. (2)

وكان للفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسي وحطّوا رحالهم في الجزائر البريطانية، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر الروم في الجنوب وفي أسبانيا. وخَلَفهم الإغريق يقيمون مستعمرات لهم في البحر الأسود وفي بحر الروم، وقد عنُوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها ، وقدموا لنا كثيراً من المعارف الجغرافية، وهم أول من قال بكروية الأرض وبأن وراء البحار والمحيطات عوالم مسكونة، تقطنها شعوب مختلفة.

أشار شوقي ضيف إلى أكبر رحلة قائلاً : " وأكبر رحالة عرفه الإغريق " هيرودوت" الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران وتوغل في الشمال إلى البوسفور ، وأودع مشاهداته في هذه الزيارات أو الرحلات تاريخه الكبير . وخلفه طائفة من مؤرخي الإغريق حفلت كتبهم بأخبار الأمم المجاورة، ولعل أهمهم "

---

(1) نفس المرجع، ص/ 3

(2) نفس المرجع، ص/ 6

بلوتارك" الذي عن بتاريخ اليونان والرومان ، ومنه استمد شكسبير كثيراً من مسرحياته. " [1]

ويشير شوقي ضيف إلى الرحلات البرية والرحلات في القوافل ، فيقول: " أما الرحلات في الأمم والبلدان عن طريق البر وفي القوافل فهي كثيرة كثرة مفرطة" [2]

والرحلات البرية متنوعة ، فمنها ما يقف عند بعض البلدان العربية كمصر، ومنها ما يتجاوز حدود العالم العربي، إلى عالم ناء بعيد كعالم البلغار وأوربة الشرقية، أو عالم الهند والصين، أو عالم السودان وإفريقية الوسطى، وفي كل هذه العوالم يكتب الرحالة بمخيلة القصاص الذي يسند الواقع بالخيال والحقيقة بالأسطورة.

وهناك الطرق البرية في اتجاه جنوب القارة إلى بلاد كوش وبلاد يام، والتي تدل على تنظيم رحلات، اتخذت هذه الطرق سبيلا لبلوغها أهدافها سواء للتجارة أو للبحث عن الفارين أو للبحث عن منابع النيل، ومثل هذه الرحلات مشابهة كانت تتم بين العراق وبلاد فارس وبين الشام وآسيا الصغرى، ولكنها مهما بلغت من الحيوية والازدهار فلا مجال لمقارنتها بالرحلة بعد الإسلام، لأن العالم المعمور آنذاك اتخذ شكلا آخر وانتقل إلى عصر جديد.

الرحلة بعد الإسلام

إن العرب قبيل الإسلام ساهموا دوراً بارزاً في التجارة سوء أكانت التجارة برية أو البحرية ، وارتحلوا بمنتجاتهم إلى شواطئ السند والهند وجزيرة سيلان، حتى أصبحت للفرس اليد الطولى على العرب إبان الدولة الساسانية، ونازع البطالمة والرومان العرب النفوذ على المحيط الهندي والبحر الأحمر والبحر الأبيض، ونخلص من هذا جميعه أن العرب حصلوا معارف كثيرة وخبرات عن هذه البلاد ، وتمتع ملاحوهم بمهارات عالية ردحاً من الزمن.

وعندما ظهر الإسلام وأطل على الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى، وكلمة الله إلى البشر كافة داعيا في مواضع عديدة إلى السفر

(**1**) نفس المرجع، ص/ 8

(**2**) نفس المرجع، ص/ 5

والترحال والضرب في الأرض. يقول الله β ([illegible])[1]

وقال β : ([illegible])[2]

وقال الله β ([illegible])[3]

ونجد كلمة الفلك في آيات متعددة بما يدل على أن العرب كانوا على علم بها ، لأنهم صنعوا السفن وأبحروا وتاجروا واصطادوا من خيرات البحر.

قال الله χ : ([illegible])[4]

وقال χ : ([illegible]

(**1**) سورة الأنعام، رقم الآية/ 11

(**2**) سورة الملك ، رقم الآية/ 15

(**3**) سورة يوسف ، رقم الآية/ 109

(**4**) سورة الإسراء، رقم الآية/ 66

[1]

وقال الله : β ( )

[2]

وقال : χ ( )

[3]

وقال: β

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ 164

(**2**) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 32

(**3**) سورة فاطر، رقم الآية/12

[illegible] ([1])

وهناك آيات أخريات تذكرنا عن مجاهل البر والبحر، التي يعرف العرب جانبا من ظلماتها. وكان بعضهم يخشى البحار. كما يعرفون أيضاً ما ينالونه من خيراتها:

قال الله β : ([illegible]) [2].

قال β: ([illegible]) [3]

فوجدنا في هذه الآيات أن الله χ توجه بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض والسير في البر وركوب الفلك وخوض البحار والانتفاع بها تجارة أو صيداً، وقد كانت تلك الدعوات تشجيعاً لهم على تحمل مشاق السفر، انتفاعاً بالخيرات ثم بعد ذلك تدريباً على حمل الرسالة ونشر الدعوة، ولن تبلغ الرسالة كافة الخلق إلا بالسفر وقطع المسافات والطواف بالأمصار شرقاً وغرباً.

الرحلة لأجل الحج في الإسلام

وكانت إحدى أسس الإسلام الخمسة هي حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، فقال χ : ([illegible]

(1) سورة يس ، رقم الآية/ 41

(2) سورة النمل، رقم الآية/ 63

(3) سورة الإسراء، رقم الآية/70

[illegible]) [1]

فالحج فريضة على كل مسلم، إذا استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يكتمل إسلام المرء دون الحج.

وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس، ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغال، وقبل أن يحين موسم الحج بشهور تتحرك القلوب منطلقة إلى البيت الحرام، ثم يركب الحجيج الدروب الطويلة في اتجاه مكة والمدينة.

ومن حق الحاج على سله أن يبين له خير الطرق للوصول إلى الأماكن المقدسة، ويشرح له المخاطر ليستعد لها، ويعرض عليه ما يمكن أن يلقاه من مصاعب ليتغلب عليها. وسوف يأتي تفاصيل رحلات الحج والرحلات الدينية إن شاء الله .

الرحلة لأجل العلم في الإسلام

حرضت الدعوة الإسلامية طلب العلم، وحرضت عليه وقدرت العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء، ودعا الرسول الكريم γ الناس إلى طلب العلم ولو في الصين، فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان، ثقة وإيمان بأن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وقد طلبوا العلم في الدين وفي غيره.

(**1**) سورة الحج، رقم الآية/ 27-28

عن أنس بن مالك η قال : قال الرسول γ : [مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ] [1] وفي حديث آخر [مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يِلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا سَهَلَّ الله لَهُ طَرِيْقًا إِلَى الجَنَّةِ][2].

فلهذا الأسباب حرض الناس إلى طلب العلم واندفعوه مثل الجهاد والشهادة. وينفقون ماله ووقته وجهده لأجل تحصيل العلم ، والذي أراد حصول العلم خرج بالسفر ، مثل ما رحل جابر بن عبدالله من المدينة إلى مصر مع جماعة من أصحابه ، فساروا شهرا للتحقق من حديث بلغهم عن عبدالله بن أنيس الأنصاري يحدث به عن رسول الله γ حتى سمعوه.

ورحل أبو أيوب الأنصاري η من المدينة المنورة إلى مصر ليسمع الحديث من عقبة بن عامر الذي سمعه من الرسول γ فلما وصل إليه فقال أبو أيوب الأنصاري له حدِّثنا ما سمعته من النبي γ في ستر المسلم فلما حدَّثه رجع أبو أيوب الأنصاري η إلى المدينة . [3]

ونرى جابر عبدالله الأنصار η الذي اشترى إبلاً وركب عليه رحله وسافر مسافة شهر حتى وصل الشام في بيت عبدالله بن أنيس فسأله عن حديث سمعه من رسول الله γ في القصاص فقال : سمعت رسول الله γ : [يُحْشَرُ النَّاس يَومَ القِيَامَة ... الخ[4]][5]

وذكر المقري 280 شخصا من الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق في طلب العلم وحده، وليس لأجل الحج والتجارة ، وبعد حصول على العلم الوافر يطوفون

(**1**) سنن الترمذي، باب فضل طلب العلم، ج/5، ص/29، ح/ 2647.

(**2**) صحيح مسلم، ج/3 ، ص/ 208، ح/ 2620.

(**3**) http://merbad.net/vb/printthread.php?t=2048&pp=40&page=4

(**4**) سنن الترمذي ، شأن الحشر، ج/4، ص/ 615، ح/ 2423.

(**5**) المرجع السابق.

بالبلدان الإسلامية ليعلّم ويدعو ويفقه، نداء على قول الرسول γ : [خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ] . (1)

من هذه الأمثلة وضح أن أصحاب رسول γ ومن تبعهم من التابعين والعلماء الأتقياء بذلوا جهودهم وواصلوا رحلاتهم تتبعاً للأحاديث وجمعها ، وهذا الشيء يدل على اهتمام البالغ بحديث الرسول γ ودينه الإسلام .

أشهر الرحلات في زمن الرسول γ

وقد كانت الرحلات في زمن الرسول γ محدودة، لأنهم كانوا مشغولين في عمل الرسالة وإرساء قواعدها وتثبيت أقدامها في الجزيرة العربية.

رحلة الإسراء والمعراج

قال β: (☞⌛︎⬀♦︎⍓◷♊⌘ ✂︎☛✐⏏︎♔♎︎❽✓
🕮❐·⬄❸◆❽▤ ☞︎♐︎➔⍓🖮⬀⑨♎︎■♎︎◷ ♍︎♦︎❶⬂☒⌖
☟♓︎♎︎⌂︎☙ ✂︎☛⍥♍︎⬂☺︎⍓○⬄⬈⬁⑨♎︎
✂︎☛⍥♍︎⬂♦︎⍓❷◆✂︎✈︎♎︎ ☾♐︎🖫■❼
♎︎⑨⬁⬈⬄○⍓☺︎⬂♍︎⍥☛✂︎ ✂︎☛❁☞︎♔⬂◷✿☛
✂︎☛♈︎✐︎⏏︎♔♎︎❽ ✉︎◆◷❷◆✍︎⬂✡︎♦︎☛
○☒❐⬀♍︎♦︎○⬅︎◷ ♍︎♎︎ॐ⬅︎❸♐︎③◆○⬅︎◷ ☟♎︎♊⇳
➚◆✂︎③◆◷✌︎♎︎✡︎♦︎☛✐︎ 🗐 ☾♐︎☼✵○⬅︎◷ ♎︎➔❐◆
✂︎☛♍︎○○☺︎♎︎⑩➚⬅︎ ✂︎☛♍︎⍓🖮◆◷⬁❷❸⬉ ⬀⬃⬁
) (2)

إن حادثة الإسراء والمعراج ثابتة من القرآن فقد سيره χ ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وقال المفسرون إنما قال ليلاً بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء، وإنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل، وكانت مسيرة أربعين ليلة (3) ، وهدف هذه الرحلة كما في الآية لرؤية آيات الله تعالى والوقوف عليها.

رحلة الهجرة الأولى

---

(1) صحيح البخاري، ح/5027

(2) سورة الإسراء، رقم الآية/ 1

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج/1، ص/ 204.

وكانت الهجرة الأولى هي الرحلة الأولى في الإسلام لأجل الدين ، التي قام بها جماعة من الصحابة إلى الحبشة بأمر من الرسول γ بترك أرض الشرك عقب معاناتهم من أذى المشركين، وكان أميرهم جعفر بن أبي طالب η ومعهم عثمان بن عفان و عبدالرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام رضوان الله عليهم أجمعين، ومنهم من خرج بأهله ومنهم من خرج وحيداً.

رحلة أبي ذر الغفاري

رحلة أبي ذر الغفار لفهم تعاليم الإسلام من أولى الرحلات في زمن نبينا γ قبل هجرته ، وغرضها تعليم أسس الدعوة الإسلامية، وهذه الرحلة إلى مكة المكرمة وقت مبعثه γ للتثبيت مما يدعو إليه. [1]

رحلة مصعب ابن عمير إلى المدينة

هذه الرحلة حدثت في بداية الدعوة الإسلامية وبعد بيعة العقبة الأولى إلى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين .[2]

رحلة هجرة الرسول γ

الهجرة الثانية أي هجرة الرسول γ وصاحبه أبي بكر الصديق η من مكة إلى المدينة المنورة لأجل الدين الإسلام، فهي أيضاً تعد من الرحلات.

رحلات لفهم أحكام الشريعة

بعد فتح مكة المكرمة وجد نوع جديد من الرحلات للاستعلام عن بعض أحكام الشريعة الإسلامية ومراجعة الرسول γ في ذلك مثل رحيل عقبة ابن الحارث إلى المدينة للاستعلام عن حكم الرضاعة، ونلاحظ من أمثلة الرحلات التي قامت في حياة الرسول γ : إما لتبليغ دعوة الإسلام إلى مناطق لم يصلها، وإما لمعرفة تعاليم الدين الجديد، أو للتجسس ، وإما لمعرفة حكمٍ من أحكام الإسلام.

---

(1) الرحلات المغربية والأندلسية ، ص/42، ناقلا عن أسد الغابة لأبن الأثير، ج/5، ص/ 10 ،

(**2**) السيرة النبوية لابن هشام، ج/، ص/ 434

الرحلة لمراجعة الأحاديث النبوية

بعد وفاة الرسول γ لم تنقطع الرحلات نظراً لتفرق الصحابة في البلدان المفتوحة واستقرارهم بها. فكثرت أسفار بعضهم للبعض الآخر لمراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفاظاً عليها، ومن أمثلة هذه الرحلات رحلة جابر بن عبدالله لعبدالله بن أنيس، ورحلة أبي أيوب لعقبة بن عامر [1] ويمكننا أن نعزو كثرة الرحلات العلمية في ذلك الوقت إلى عدم تدوين الحديث الذي لم يتم تدوينه بصورة رسمية في مصنفاته إلا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. [2]

رحلات التجار

لم تكن رحلات المسلمين مقتصرة على الناحية العلمية التي حظيت بالنصيب الوافر، بل كان للتجارة دور كبير وخاصة أن أساطيل المسلمين التجارية أخذت تجوب جميع البحار، فليست رحلاتها قاصرة على المناطق الإسلامية، بل وصلت إلى مناطق شاسعة في الهند والصين والبلدان الأوربية وغدا المسلمون بفضل نشاطهم البحري ذوي شهرة كبيرة وأصحاب ثروات هائلة . [3]

وقد أسهمت رحلات التجار إلى تلك المناطق النائية في معرفة الكثيرة من أحوالها، ومن أشهر التجار في هذا المجال سليمان السيرافي ، وابن وهب القرشي، وقد أفاض المسعودي في سرد رحلة ابن وهب القرشي التي نقلها عن أبي زيد الحسن السيرافي . [4]

وللأسف لم يكن شائعاً في ذلك الوقت تدوين تلك المعلومات في كتب معروفة، بل عرفت عن طريق أصدقاء الرحالة من معاصريه، أو من خلال الأجيال التي تناقلتها بعد ذلك.



(**1**) السنة قبل التدوين ، لمحمد عجاج الخطيب، ص/ 177.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 337

(**3**) رحلة ابن بطوطة، لمحمد محمود الصياد، ص/ 7-8.

(**4**) مروج الذهب للمسعودي، ج/1، ص/ 144.

أدب الرحلة في العصر الحديث

من بداية القرن الثالث عشر الهجري إلى عصرنا هذا تسمى عصر النهضة العربية ، لأن في هذا العصر اتصل العالم العربي بالعالم الغربي، وكان العلماء والأدباء يرحلون لأخذ العلوم والمعارف إلى أوروبا وبالعكس.

اشتهر من الرحالة في هذا العصر " رفاعة الطهطاوي " الذي سافر إلى فرنسا عام 1241 ه ودوّن رحلته في شكل كتاب " تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز" ، وكان الطهطاوي يعرض في هذا الكتاب ظواهر الحياة الفرنسية.

وقد كان لكتاب " الطهطاوي " فضل كبير في الانتقال باللغة الأدبية من مجرد التبارى في المحسنات البديعية، وما أورثه ذلك من حجر وتأخر لهذه اللغة، إلى لغة محررة من هذه القيود والأغلال.

يقول عمر الدسوقي : " وإذا رحنا نتحسس طريقنا نحو تطور النثر الفني، وجدنا أول الرواد الذين عبدوا هذا الطريق، وأرفدوه بكثير من عوامل الصحة والقوة، ألا وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي" [1] حيث يعد كتابه في الرحلة باكورة في النثر الحديث، ذلك الكتاب الذي ذلل به اللغة العربية لوصف الحضارة الغربية الحديثة، كما أنه استطاع أن يتخلص من السجع المتكلف في هذا الكتاب فيما عدا مقدمته.

وكان من الرحالة غير الطهطاوي في هذا العصر منهم محمد عمر التونسي الذي دوّن كتابا في رحلته " تشحيذ الأذهان "، ومحمد عبدالله عنان وداود بركات اللذان سافرا إلى الشرق والغرب ، وهذا هو العصر الذي توجهت رحلات العرب إلى أوروبا ودونت رحلاتهم ووصفهم فيها بلاد أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وإلى جانب آخر تجول بعض الرحالة إلى أفريقيا، فمحمد فريد قام برحلاته إلى الجزائر وتونس وفرنسا، وعبد العزيز الثعالبي الذي قام برحلته إلى العالم الإسلامي ، وحسين هيكل في كتابيه " ولدي " و " منزل الوحي " وإبراهيم عبدالقادر المازني كتب رحلته الحجازية بعنوان " رحلة الحجاز " .

(1) نشأة النثر الحديث وتطوره ، ج/1، ص/ 30

والشيخ ناصر محمد العبودي[1] الذي لُقب بعميد الرحالين و كتب أكثر من مائة كتاب في رحلاته التي قام في عمره ، ومن كتبه "في إفريقيا الخضراء مشاهدات و انطباعات " و " رحلات في القارة الأوروبية: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء " و "كنت في بلغاريا رحلة وحديث عن أحوال المسلمين " .

ويكتب المهندس عبدالعزيز بن محمد السحيباني في مقالته في جريدة الجزيرة عن الشيخ ناصر محمد العبودي حيث يقول قائلاً: " أن يقوم بطبع كتبه المخطوطة في الرحلات ،التي تقارب الـ100 كتاب فكتب معاليه رائعة وشيقة وكلما قرأت كتابا اشتقتُ إلى الآخر.. ومن هذه الكتب كتاب رحلات في البيت وهي رحلات داخل المملكة العربية السعودية وأتمنى أن يرى النور قريباً " [2]

يقول دكتور حسن بن فهد الهويمل في مقالته عن أدب الرحلة عند العبودي قائلاً:

" تميز به (العبودي) لا من حيث الكثرة العددية التي لم تسبق، ولا من حيث التقصي والشمول والتنوع، وقد يتفوق بعضهم على بعض بأسلوبه أو بتبويبه أو بعمق ثقافته أو بدقة معلوماته"[3]

فهذا هو الجانب الأول في العصر الحديث الذي ذكرنا في رحالة العرب الذين ألفوا رحالاتهم . وهناك الجانب الآخر ولا بد لنا أن نشير إليه وهو جانب النقدي والدراسي عن أدب الرحلة ، فهناك عدد من الأدباء الذين دارسوا أدب الرحلة وكتبوا كتباً في أدب الرحلة ورحالة العرب، فمن هؤلاء العلماء الدكتور شوقي ضيف الأديب المعروف كتب كتابه في أدب الرحلة بعنوان" الرحلات " ، وفؤاد قنديل

---

(1) هو الشيخ ناصر بن عبدالرحمن بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمد بن عبود ، ولد في عام 1345 هـ في مدينة بريدة ، وأسأل الله أن يطول عمره.

(2) جريدة الجزيرة ، بتاريخ 2002/02/5 ، والمقالة موجودة بموقع الشيخ ناصر العبودي بهذا العنوان :
(http://www.alobody.net/saidabout.php?action=listsaidabout) .

(3) جريدة الجزيرة السعودية، بتاريخ 2004/2/3 ، والمقال موجود بموقع الشيخ ناصر العبودي ، باسم أدب الرحلة عند العبودي ، د حسن بن فهد الهويمل :
http://www.al-jazirah.com/2004/20040203/ar2.htm

كتب" أدب الرحلة في التراث العربي " والدكتور حسني محمود حسين الذي ألف كتابا بعنوان " أدب الرحلة عند العرب " والدكتور حسين محمد فهيم كتب " أدب الرحلات " والدكتور حسين نصار كتب " أدب الرحلة " والدكتور علي مال الله كتب أدب الرحلات عند العرب في المشرق.

أهم كتب أدب الرحلة التي كتبت في عصر الحديث

1. السفر إلي المؤتمر" لأحمد زكي باشا .
2. الرحلة إلي ألمانيا " لحسن توفيق .
3. رحلة محمد شريف إلي أوربة " لمحمد شريف
4. رحلات " لمجمد لبيل
5. ملوك العرب " لأمين الريحاني
6. ذكريات باريس " لزكي مبارك
7. الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية " للأمير شكيب أرسلان.
8. أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب " لصلاح عبد الفتاح الخالدي .
9. رحلاتي إلي البلاد الإسلامية " لمحمد محمود الصداف
10. " الرحلة الحجازية " لمحمد بن عثمان السنوسي
11. من نهر كابل إلي نهر اليرموك " لأبي الحسن علي الحسني الندوي
12. وراء المشرقين : رحلة حول العالم للشيخ ناصر العبودي
13. رحلات داخل المملكة العربية السعودية للشيخ ناصر العبودي
14. جولة في جزائر البحر الأبيض المتوسط للشيخ ناصر العبودي
15. ذكريات المؤتمرات (الخارجية) للشيخ ناصر العبودي
16. جولة في جزائر المحيط الأطلسي للشيخ ناصر العبودي
17. مؤتمرات إسلامية حضرتها للشيخ ناصر العبودي
18. رحلة المسافات الطويلة للشيخ ناصر العبودي
19. حول العالم في خط متعرج للشيخ ناصر العبودي
20. الإشراف على أطراف المشرق العربي للشيخ ناصر العبودي

خلاصة الكلام

ففي الأدب العربي الحديث نوعان من الأدباء الذين ساهموا في تطوير أدب الرحلة ، فالنوع الأول من العلماء والأدباء الذين شاركونا في رحلاتهم وخلفوا للثقافة العربية كتباً في الرحلة ، وهؤلاء كثيرون واشتهروا " طه حسين في " حديث الأربعاء"، وإبراهيم عبدالقادر المازني في " الرحلة الحجازية، و حسين الهيكل في " منزل الوحي، وأمين الريحاني في " ملوك العرب" ، ولكل هؤلاء طريقة وأسلوب وغاية وأغراض خاصة فمنهم من كتب بلغة فصيحة ، وقيد نفسه بقيود، ومنهم من كتب بلغة عامية ، وتحرر نفسه من القيود، ومن كتب بلغة علمية وأدبية.

أما النوع الثاني فهم من الأدباء الذين نقدوا ودرسوا ظاهرة أدب الرحلة وكتبوا كتباً في أدب الرحلة علمياً ونقدياً ، فأشهرهم فؤاد قنديل الذي كتب " أدب الرحلة في التراث العربي " ووجدت هذا الكتاب من أحسن الكتب في هذا الصنف ، و نجد دكتور شوقي ضيف في كتابه " الرحلات " ، و دكتور حسني محمود حسين في كتابه أدب الرحلات عند العرب.

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★
★★★★★★★
★★★★★
★★★
★★
★

أدب الرحلة أهميته ونشأته وتطوره

أدب الرحلة لون أدبي ذي خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى فهو ـ وإن كان ـ يتفق مثلاً مع الرواية ، في الإفادة من المعطيات الفنية، ويشاكلها في السرد والوصف أحياناً، فإنه يختط له خطاً متميزاً، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي، حتى ليمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة، هي" أدب الرحلة".

يقول مجدي وهبة وكامل مهندس في كتابه : " إن " أدب الرحلات" مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة. وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات، وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد" (1)

ويعرف عبدالباسط بدر بقوله قائلاً : " ذلك التأليف النثري المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة تجشم مشاقها، ومر خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالاً وأودية وصحاري، وواجه أحداثاً، ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته " (2)

وعرف الموسوعة العربية العالمية : " بأن أدب الرحلة هو الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث ، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلاد" (3)

وتعريف الموسوعة يحدد الرحلة بأدبية أسلوبها، مما يخرجها ويميزها عن الرحلات الأخرى، ذات الأهداف العلمية البحتة.

ويمكننا أن نقول : إن " أدب الرحلة " يعني الكتب الرحلية أو المقالات المتصلة سجل فيها أصحابها مشاهداتهم، وحوادثهم ورؤاهم الرحلية، على اختلافها وتنوعها، من خلال شعورهم بها ورؤيتهم لها في لغة أدبية موحية.

---

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبة وكامل مهندس، ص/ 16

(2) مجلة الأدب الإسلامي ، العدد الثالث ، ربيع الأول 415 هـ ص/ 12

(3) الموسوعة العربية العالمية ، ج/11، ص/ 136

فأدب الرحلة ينحصر في دراسة النثر الرحلي، ذي الطابع الأدبي ، ويصبح من المشروع بعد ذلك عدم إدخال الكتب الرحلية الأخرى، ذات الأسلوب العلمي، المتسق مع غاياتها العلمية البحتة.

وعلى المستوى الفني فإن " أدب الرحلة " يمثل لونا أدبياً فريداً يجمع بعض خصائص " القصة " ، و " الرواية " و " السيرة الذاتية " ، ويفيد من أدوات فنية مهمة كالصورة ، والقصة مما يجعله ميدانا فنياً ثراً، ويتيح له ذلك إيصال رسائله الفكرية، والفنية على اختلافها وتنوعها.

أدب الرحلة هو النثر الأدبي الذي يتّخذ من الرحلة موضوعا. وبمعنى آخر: عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميّز وفي قالب لغة خاصّة، ومن خلال تصوّر فنّي له ملامحه وسماته المستقلّة، فإنّ فنّ الكتابة هذا يعدّ واحدا من الفنون الأدبيّة.

وتصوّر كتب الرحلات الحقيقة حينا، فيما ترتفع إلى عالم الخيال أو التصوّرات المختلقة حينا آخر، إلاّ أنّ الغالب منها ما يلتزم الحقيقة المجرّدة، بل إنّ مساحة الخيال في أدب الرحلات قليلة جدّا، لأنّه يعتمد في الأساس على الواقع من ناس، وآثار، وأماكن، ومعلومات، وطعام، وشراب، وأزياء، وأخلاق وغير ذلك، ممّا يسمح للكاتب بإطلاق خياله أحيانا في التغيير والتعديل أو وصف الأشياء بما ليست عليه، ممّا يدفعه للابتعاد عن الحقيقة بعض الشيء وإن اقترب - غالبا - من الواقع.

وتضمّ كتب الرحلات كثيرا من المعلومات والمعارف الجغرافيّة والاجتماعيّة والتاريخيّة والاقتصاديّة في أزمنة مختلفة، وهي ـ من هنا ـ تشكّل مادّة غنيّة للجغرافيين والمؤرخين، وكذلك علماء الاجتماع والاقتصاديون ودارسو الأدب وغيرهم .

ومن فوائد أدب الرحلات، القيمة التعليميّة التي يختزنها، فهي -كتب الرحلات - تثقّف القارئ وتثري فكره ومعلوماته عن منطقة مّا أو مجتمع مّا، وذلك حين تصوّر ملامح حضارة المنطقة في عصر محدّد، حضارةً تكوّن مصدر ثقافة ذلك المجتمع. وبالرغم من وسائل البحث والتدوين الحديثة في قراءة وكتابة التاريخ الاجتماعي لبلد أو لمرحلة تاريخيّة والتي جعلتنا على معرفة أوسع وأدقّ بهذا البلد أو تلك المرحلة من

خلال اعتماد السجلات المدنية وأحكام القضاء ودوائر العقارات والمدونات الأخرى، إلاّ أنّها . هذه الوسائل . رغم أهمّيتها غير كافية، فقد يحصل تعسف أيضا في كتابتها أو تحليلها أو قراءتها، والسبب في ذلك غياب الشاهد الإنساني، ذلك الإنسان الذي عاش تلك الأحداث مرحلة بمرحلة، وعانى منها أو استلذّ بها، وليس هذا المصدر الذي يتمتّع بمثل هذا الشاهد إلاّ كتب الرحلات التي تركها لنا الأقدمون من أمراء وسياسيّين ورجال دين أو تجّار.

يقول شوقي ضيف في كتابه الرحلات : " إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي ، لسبب بسيط، وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما اتُّهم بها هذا الأدب، ونقصد تهمة قصوره في فن القصة ومن غير شك من يتهمونه هذه التهمة لم يقرءوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص عن زنوج إفريقية وعرائس البحر وحجاج الهند وأكلة لحوم البشر وصناع الصين وسكان نهر الفولجا وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حيناً ، ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حيناً آخر. "[1] .

نشأة وتطور أدب الرحلة

منذ أقدم الإنسان كانت الرحلة هواية الأمم ونجدها في الثقافات والحضارات القديمة حتى قيل إن كتاب " بوزانايس " رحلة في بلاد الإغريق هو المؤثر الأول في " أدب الرحلة " وقد ظهر هذا الكتاب أثناء القرن الثاني الميلادي.

ثم جاء بعده المؤرخون والجغرافيون الذين كتبوا في هذا اللون وخصوا " أدب الرحلة " بكتب مستقلة وخاصة. وفي القرن الرابع ظهرت التقاليد الأدبية لهذا الأدب على يد إِكْسِيْنَفُون في كتابه " أنابيزيس".

ولما جاء عصر النهضة فعُرِف " أدب الرحلة " نوعاً متميزاً في الأدب. وأصبح الأدبُ ذا خصائص وسمات ممتازة. وكان الرحالون والمكتشفون والمستشرقون وذوو السفارات السياسية ساهموا في تكوين أدب الرحلة. [2]

---

(1) الرحلات لشوقي ضيف، دار المعارف القاهرة ، ص/ 6 .

(2) http://www.al-jazirah.com/2004/20040203/ar2.htm

إذا نظرنا في تاريخ العرب فنجد أن أقدم رحلات العرب خارج الجزيرة هي عن طريق البحر ، لأن موطنهم تحيط الماء من ثلاث جهات، وكانت هذه الرحلات لأجل التجارة وقليل منها لأجل السير والمغامرات الكثيفة.

فهذه الرحلات ما سجلت وما دونت مثل ما يدون في عصرنا أو العصور قبلنا، ولكن كتب التاريخ وكتب الرحلة التي دونت في القرن الثالث تتحدث عن تلك الرحلات، وأول رحلة التي دونت عنها في القرن الثالث الهجري، فنعتبر هذا القرن عصر نشأة أدب الرحلة عند العرب .

أدب الرحلة في القرن الثالث الهجري

من أبرز الرحالين والعلماء والمؤرخين في القرن الثالث الذين ساهموا في أدب الرحلة منهم المؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي يعد نموذجاً للرحالة الخبير بالجزيرة العربية، وقد صنف عديداً من المؤلفات، أهمها "كتاب الأقاليم، والبلدان الكبير، والبلدان الصغير، ثم جاء بعد الأصمعي وألف " رسالة في صفة الأرض والسماء والنباتات، وتلميذه سعران بن المبارك الذي ألف كتاب " الأرضين والمياه والجبال والبحار " .

ومن الذين ساروا على الدرب نفسه، منهم سلام الترجمان ، والتاجر سليمان، ابن موسى المنجم وغير ذلك من الرحالين.

وإن أقدم الرحلة المدونة في كتب الرحلة هي رحلة سلام الترجمان[3] . وقام سلام الترجمان بتكليف من الواثق [4] برحلة إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج ، وبدأت رحلته عام 227 هـ. وقد وصل إلى السد، وتفاصيل رحلته موجودة في " المسالك والممالك لابن خرداذبة" .

الرحلة الثانية في القرن الثالث هي رحلة التاجر سليمان وهو من تجار العراق الذين ينقلون عروض الهند والصين إلى البلاد العربية . وعاش في القرن الثالث

(**3**) رجل من العراق عاش في زمن الخليفة العباسي الواثق بالله ، اشتهر بين أهل سر من رأى بإجادته التحدث بعديد من اللغات حتى سمي الترجمان، ولا نعرف شيئاً من أخباره، ولم يرد له ذكر في أي من معاجم الأعلام، كما لم يذكره المؤرخون وكتاب السير. (أدب الرحلة ، ص/ 91)

(**4**) الواثق بالله : هو أبو جعفر هارون بن المعتصم، بويع بالخلافة عام 227 هـ بعد موت أبيه، وتوفي سنة 232 هـ في عمر يناهر ست وثلاثون سنة . (لب التاريخ ، محمد غنيم ، ص/ 94) .

الهجري. ولم يصل إلينا ما يشير إلى بقية اسمه أو جانبا من حياته، لأنه كان رجلا عاديا، ولعل الأهم من هذا جميعه هو أن سليمان لم يفعل كما تعود التجار أن يفعلوا بأن يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم، ولكنه دون رحلته في مذاكرات عام 237 هـ، ولكن سوء الحظ لم تصلنا في كتاب مستقل، إنما وصلتنا في كتاب أبي زيد السيرافي في القرن الرابع الهجري.

وفي هذا القرن هناك آخرون الذين دونوا رحلاتهم منهم اليعقوبي[5] وابن خرداذبة[6] وابن رستة[7] وغيرهم.

أدب الرحلة في القرن الربع الهجري

اتسعت الدولة الإسلامية ووصل الإسلام في أنحاء العالم ، وتجار العرب نشروا نداء الإسلام في المناطق لم يصلها الجيش الإسلامي. بالإضافة إلى ذلك إرسال بعثات دينية لتعليم دينهم الحنيف في المناطق الإسلامية الجديدة، ولذا حدثت رحلات عديدة ، وقد وصف فؤاد قنديل تطور ازدهار الحضارة العربية وأشار أن الحضارة العربية ازدهرت لزيادة عدد الرحالة ، وظهور خرائط للبلاد الإسلامية لأول مرة ، وهو ما يسمى " أطلس الإسلام" . وظهور بعض ا لمعاجم التي تضم أسماء الأقطار والأماكين المختلفة، ووصول الرحالة إلى آفاق بعيدة، وخاصة الأصقاع الشمالية من العالم مثل حوض نهر الفولجا وبلاد الروس والبلغار وغيرها.

وشهد هذا القرن ظهور رحالة كبار من أهمهم المسعودي الذي ألف " مروج الذهب ومعادن الجوهر " وابن فضلان الذي كان رئيسا لبعثة التي أرسلت الخليفة سنة 309 هـ إلى منطقة بلغار. ودون ابن فضلان رحلته بشكل كتاب ، ونشره في القرن التاسع عشر ميلادي.

وتمثل رحلة ابن سليم الأسواني أهمية بالغاً، لأنها تعد أول رحلة إلى بلاد النوبة، تصل إلينا أخبارها في عام 365 هـ، وكان قد بعث به القائد جوهر الصقلي في مهمة دبلوماسية، إلا أن الكتاب لا يزال مفقوداً، ولم تبق منه غير شذرات يحتفظ

(**5**) أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. (أدب الرحلة ، ص/ 117)

(**6**) هو أبو القاسم عبيدالله بن أحمد بن عبدالله بن خرداذبة، فارسياً الأصل (أدب الرحلة ، ص/ 123)

(**7**) هو أب علي أحمد بن عمر بن رُستة أحد الجغرافيين الذين ظهروا في أوائل القرن الربع الهجري. (أدب الرحلة ، ص/133)

بها كل من المقريزي وابن إياس، وأشار كراتشكوفسكي إليه حيث قال : " لم يكن ابن سليم الأسواني وحده هو الذي أسدل عليه النسيان، وإنما يوجد عدد غير قليل من الكتاب المجهولين الذين لم يعرف المسلمون عنهم لسبب ما سوى القليل، وفوق ذلك فإن هناك ثلة، لم تصل إلينا مؤلفاتهم أو أنها لا تزال في طي المجهول" . [8]
وغير ذلك من الرحلات التي اشتهرت في القرن الرابع الهجري منها رحلة أبو زيد البلخي[9] وكتابه مفقود حتى الآن، ورحلة الاضطخري[10] وقدامة بن جعفر[11] وابن حوقل[12] ، ولكل هؤلاء طريقة وأسلوب ونتاج مستقل في رحلاتهم.

أدب الرحلة في القرن الخامس الهجري

كان البيروني[13] من أشهر رحالة العرب في القرن الخامس الهجري ، والبيروني من كبار العلماء والفلاسفة في العرب، وهذا هو البيروني الذي رافق السلطان محمود الغزنوي في فتوحات الهند ، وكان يبحث ويسير في بلاد الهند ويدون ما يشاهد في تلك البلاد ، وكتابه الذي دون في تلك الرحلة العظيمة هو " الهند الكبير أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة ". وهو ليس كتابا في الرحلات أو الجغرافيا فحسب، وإنما يتضمن أيضاً آراء في الدين والفلسفة والتاريخ.

(**8**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، لكراتشكوفسكي، ص/ 193.

(**9**) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي من مواليد عام 235 هـ ،كان فقيهاً وعالما وسياسياً ورياضياً ، لقب بالجاحظ الثاني، (أدب الرحلة ، ص/ 157)

(**10**) هو أبو القاسم إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ، فارسي الأصل ، عاش في القرن الرابع الهجري، (أدب الرحلة ، ص/ 178)

(**11**) هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج ولد في عام 275 وتوفي سنة 337 هـ ومن أهم كتبه نزهة القلوب وزاد المسافر، ونقد الشعر والنثر . (أدب الرحلة ، ص/ 192)

(**12**) هو أبو القاسم بن حوقل ولد في أوائل القرن الرابع الهجري ورحلته تستغرق منه ثلاثين عاماً من عمره، (أدب الرحلة، ص/ 229)

(**13**) هو أبو الريحان البيروني ، عالم بالرياضيات والفيلسوف الجغرافي والمؤرخ العظيم، ولد في ذي الحجة 362 هـ في الخوارزم . (أدب الرحلة ، ص/ 297)

ومن الرحالة الآخرين في هذا القرن منهم ابن بطلان[14] ، وكان ابن بطلان يرتحل من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى منطقة طلباً للعلم والمعارف وسعياً لاكتشاف الجديد في الفكر والطب.

ونجد أحمد بن عمر العذري الذي ارتحل إلى الشرق وعاش في مكة تسعة أعوام، وخلف لنا كتاباً سماه " نظام المرجان في المسالك والممالك" . وأكبر رحالة الأندلس أبو عبيد عبدالله البكري أيضاً عاش في هذا القرن وألف فيه كتابان هما " المسالك والممالك" و " معجم ما استعجم من أسماء الأماكن والبقاع " . [15]

أدب الرحلة في القرن السادس الهجري

يكاد هذا القرن ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقلة حضارية كبرى في هذا المجال.

وأول رحلة في القرن المذكور هو رحلة أبي حامد الغرناطي الأندلسي عام 508 هـ، الذي طاف بالعالم الإسلامي وبخاصة مناطق الشمالية في العالم الإسلامي حيث قضى فيها أكثر من خمس وعشرين عاماً، وتزوج خلال رحلته ، ونشر الإسلام، وصنف كتابين هما " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" و " المغرب عن بعض عجائب المغرب " .

ثم نرى الإدريسي الذي رحل في الأندلس ومصر والشام والمغرب حتى آسيا ، وهو العالم المعمور آنذاك، ووصف البلاد التي زارها وجمع مادة عظمية وصمم كرة من الفضة وتصور كافة تضاريس العالم، وقدمها لحاكم صقلية الأمير روجر الثاني، وسمى كتابه الذي اشتهر كثيرا في أدب الرحلة فيما بعد بـ" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

(**14**) هو أبو الحسن المختار بن ا لحسن بن عبدون ابن بطلان، وكان طبيب مشهور وشاعر وفيلسوف من الكرخ بالعراق، وعاش في خمسينيات القرن الرابع الهجري (أدب الرحلة ، ص/ 313)

(**15**) أدب الرحلة ، لفؤاد قنديل، ص/ 75.

ثم نرى في القرن المذكور أعلاه العالم الفقيه أبابكر العربي الأندلسي (ت 543هـ، الذي كان أول من استخدم لفظ رحلة في عنوان مؤلف، حيث وضع كتابا سماه " ترتيب الرحلة " ، ويعتبر بهذا أول من وضع أساس أدب الرحلات بالصورة الفنية المأمولة، وقدم لنا مادة ضخمة، تحفل بالمعلومات الثقافية والاجتماعية عن البلاد التي طاف بها. [16]

وغير هؤلاء الذين اشتهروا في إنتاج أدب الرحلة منهم ابن جبير[17]، هو الذي اكتملت على يديه ملامح أساسية لأدب الرحلة العربي ، حيث حرص على تدوين مذكراته ومشاهداته يوما بيوم، وسأتحدث بالتفصيل في هذا البحث إن شاء الله[18].

وأخيرا نذكر الأمير المجاهد أسامة بن منقذ [19] الذي عمر فوق التسعين، وقضى كل عمره في السفر والحرب والصيد، وكان صديقا للقائد العربي العظيم صلاح الدين الأيوبي، وترك لنا كتابا واحدا الذي اشتهر بين الرحالين ويكفي لنا أن نضع اسمه بين الرحالين، وسمى كتابه " الاعتبار" ، وكتابه مليئ بخبراته وتجاربه وسيرة حياته وذكرياته في البلاد التي ارتحل إليها.

أدب الرحلة في القرن السابع الهجري

ياقوت الحموي[20](ت 626 هـ) من أحد الوجوه المضيئة في تاريخ العرب، وكان رحالة وعالماً جمع بين معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة، ومن أهم إنجازاته كتاباه " معجم البلدان " و"معجم الأدباء" ومعجم البلدان مكون من عدة مجلدات ضخمة تحوي بين جوانبها مادة على قدر كبير من الثراء والقيمة عن كافة أقطار ومدن وقرن العالم الإسلامي، وبهذا أصبح معجم البلدان من أهم المعاجم الجغرافية.

(**16**) نفس المرجع، ص/ 75.

(**17**) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي ، ولد في بلنسية سنة 540 هـ ،(أدب الرحلة، ص/ 384)..

(**18**) انظر ص / 196 من هذه الرسالة.

(**19**) هو أسامة بن منقذ بن علي بن مقد ، ولد في عام 488 هـ ، وكان أمير الفارس والأديب والرحالة المغامر ، وصاحب التجربة في عالمي الحرب والسلام. (أدب الرحلة ، ص/ 368)

(**20**) هو أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله شهاب الحموي البغدادي ، ولد في عام 575 هـ في بلاد الروم .

وقد عدّه فؤاد قنديل من أبرز رحالة العرب حيث يشير إلى معجمه قائلا: " إنه يكفي الحموي لكي يكون أبرز خدام الرحلة والجغرافيا، أنه استنقذ لنا فقرات مطولة ومهمة من كتابات مؤلفين كبار، لم نعثر حتى الآن على مخطوطاتهم..."[21]

ثم نرى في القرن السابع البغدادي[22] (ت 629 هـ) الذي نال شهرة واسعة بفضل كتاب صغير ألفه بعد زيارته لمصر سماه " الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر " . وفيه يصور أحوال مصر إبان زيارته لها، وقد قام بزيارتها مرتين عامي 587، 589 هـ ، وبقي فيها نحو ثلاثة عشر عاماً ، وكان يدرس خلالها بالجامع الأزهر.

وتنوعت رحلات البغدادي وتعددت أغراضها، مابين رحلات سياحية للقاء الملوك والوزراء، وخير ما قال فؤاد قنديل عن رحلاته : " ولست مبالغاً إذا اعتبرته في ميزان هذه الدراسة رحالة مثالياً تتحقق فيه كل سمات الرحالة الذي أغرم بالسفر منذ الصبا البار بحثا عن المعرفة بكافة أشكالها وصورها." [23]

ونصل مع نهاية القرن إلى رحالة له سمات خاصة، هو الأديب الفقيه محمد العبدري[24] الذي بدأ رحلاته عام 688 هـ، وقد تجنب في كل مراحلها استخدام البحر، مؤثرا البر وخلف لنا " الرحلة المغربية" التي اشتملت ـ رغم قسوته وحدته في أحيان كثيرة ـ على أدق وصف لبلاد الشمال الإفريقي. وسأواصل الكلام عن العبدري في الباب الثالث إن شاء الله [25] .

أدب الرحلة في القرن الثامن الهجري

زين هذا القرن بموسوعات مهمة، وكلها تسهم في إضاءة أدب الرحلات وخدمته، مثل : " نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري، و " مسالك الأبصار في

(**21**) أدب الرحلة ، ص/434 .

(**22**) هو الإمام الفقيه المحدث اللغوي الفيلسوف الرحالة المعروف بعبداللطيف البغدادي. ولد في بغداد سنة 557هـ. (أدب الرحلة ، ص/ 419)

(**23**) أدب الرحلة، لفؤاد ، ص/ 422.

(**24**) هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري، وهو فقيه ولغوي وأديب ورحالة مغربي ، (أدب الرحلة ، ص/ 465)

(**25**) انظر ص / 201 من هذه الرسالة.

ممالك الأمصار" لأبي فضل العمري، إلا أنهم جميعاً كانوا من كبار المثقفين الموسوعيين، ناقلين وجامعين لصنوف العلوم والمعارف، وإلى جانب احتفالهم بالمعلومات التاريخية والجغرافية، فقد حرصوا على نشر المنتخبات النثرية والشعرية التي ترتبط بالمواضع والأحداث.

وليس من شك أن هذه الموسوعات ضربت بسهم وافر في حقل أدب الرحلة العربي، على أن كل ما أثمره هذا القرن يتضاءل كثيراً إزاء ظهور النجم الكبير والرحالة العالمي صاحب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" ذروة أدب الرحلة العربي، وأشهر من جال في البلاد وجاس في أمصار، والتقى بالعلماء والملوك، وتزوج النساء في أغلب البلدان، وقطع أكثر من مائة وعشرين ألف كيلو متر، وداس جميع الأراضي التي وصل إليها بشر حسب علمه باستثناء دول الشمال، وأبرز من كتب عن إفريقيا، إنه الرحالة الأشهر ابن بطوطة أبو عبدالله اللواتي الطنجي.

ونجد أيضاً في هذا القرن ابن خلدون[26] الذي لا يحتاج إلى أي تعريف ، وكتابه في أدب الرحلة " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً" . وكان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، ومع ذلك فالكتاب يتضمن نصاً جيداً في أدب الرحلة العربي، إذ تعددت وتنوعت وكثرت مخاطرها، ولم تخل من الملاحظات الدقيقة الذكية، التي لا تكاد نعثر عليها لدى غير هذه الشخصية الطموحة الوثابة، ولو كان ابن خلدون قد عني بإفراد كتاب مستقل لرحلاته، مع انتهاجه أسلوبا أدبيا بسيطا متدفقا، يخلو من السجع والمحسنات البديعية لوضع مصنفاً بديعاً في أدب الرحلة، لا يقل أهمية عن مصنفاته في التاريخ أو الاجتماع.

(**26**) هو عبدالرحمن أبو زيد وليد الدين ابن خلدون ، ولد في عام 732 هـ في تونس . (أدب الرحلة ، ص/ 529)

ومن رحالة هذا القرن أيضاً ومحمد التجاني[1] لكننا لا نعرف عنه الكثير، وإن كانت بعض المؤلفات قد أشارت إليه. وهكذا أبو الفداء[2] ألف كتاباً في أدب الرحلة " تقويم البلدان".

أدب الرحلة من القرن التاسع إلى بداية النهضة العربية

هذه الفترة من الزمن هي الفترة التي فهيا أوضاع العرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية كانت على وشك التدمير والانتهاء، فلذا قلّت الرحلات ، والذي قام برحلات إلى الخارج في أسوأ حالة العربية منهم عبدالغني النابلسي [3]ودوّن رحلته باسم " الرحلة الحجازية" والطرابلسي والعياشي،. وقد ذكر فؤاد قنديل عدة أسباب لقلة عدد الرحلات في القرون التاسع إلى الثاني عشر الهجري، حيث قال:

" ونحسب أن لذلك أسباباً عديدة منها :

1. المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت وعمت العالم العربي.
2. النكوص الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام.
3. زوال دولة الإسلام من إسبانيا.
4. سقوط كل دولة تحت عبء مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة.
5. بدء الكشوف الجغرافية الكبرى، واكتشاف العالم الجديد في الأمريكتين. وبداية الصعود الحضاري الأوروبي.

وهذا هو عرض وجيز في نشأة أدب الرحلة وتطورها في الأدب العربي، وأكتفي بهذا القدر.

★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★
★★★★★★★
★★★★★
★★

(1) هو أبو محمد بن عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني، فقيه وأديب تونسي، وهو من مواليد سبعينيات في القرن الثامن الهجري، في مدينة تونس. (أدب الرحلة ، ص/ 484)

(2) هو الملك المؤيد إسماعيل بن علي بن محمود أبو الفداء، ولد في عام 672 هـ بدمشق .

(3) هو عبدالغني النابلسي توفي في عام 1143 هـ، وكان من فقهاء دمشق.

الباب الثاني
الحجاز

- **الفصل الأول:** الحجاز لغة واصطلاحاً وموقعه وحدوده.
- **الفصل الثاني:** الحجاز عبر العصور
- **الفصل الثالث:** أهم مدن الحجاز

التعريف بأهم الرحالة العرب

سلام الترجمان

رجل من العراق في زمن الخليفة العباسي الواثق بالله[1] ، عاش في القرن الثالث الهجري ، واشتهر بين أهل سر من رأى بإجادته التحدث بعديد من اللغات حتى سمي الترجمان ، ولا نعرف شيئا من أخباره ، ولم يرد له ذكر في أي من معاجم الأعلام ، كما لم يذكره المؤرخون وكتاب السير .

قام سلام الترجمان الرحلة عندما أرسله خليفة الواثق بالله إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج ، وبدأت رحلته عام 227 هـ من سر من رأي، وقد مر بعدة بلدان حتى وصل إلى السد، وقد وردت تفاصيل رحلته في " المسالك والممالك " لابن خرداذبة.

رحلة سلام الترجمان

رحل سلام الترجمان رحلته المشهورة إلى بلاد يأجوج و مأجوج بين عام 227-232 هـ ، وكان رحل بأمر الخليفة الواثق بالله للتحقق من السد الذي بناه ذو القرنين للفصل بين يأجوج ومأجوج وبقية ابن آدم v اتقاء شرهم، لأن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض كما يقول الله β في كتابه الحكيم :

[illegible]

---

(1) الواثق بالله : هو أبو جعفر هارون بن المعتصم، بويع بالخلافة عام 227 هـ بعد موت أبيه، كان من أفاضل الخلفاء فطنا أديباً وشاعراً لبيبا وكان يتشبه بالمأمون ، في عهده فتح العرب جزيرة صقيلة سنة 232 هـ وعمره ست وثلاثون سنة . (لب التاريخ ، محمد غنيم ، ص/ 94) .

[illegible])[1]

وهذه الرحلة منذ ذلك الوقت متداولة بين الرحالين والجغرافيين ، وقد ذكر الإدريسي وابن حوقل وابن فضلان وابن سعيد والإصطخري وغيرهم من الرحالين والجغرافيين. وشكك ابن بطوطة بوجود السد الذي وصفه سلام الترجمان.

خلاصة رحلته

رأى الواثق بالله في منامه كأن السد الذي بناه ذو القرنينv ، ليحول دون تسرب يأجوج ومأجوج قد انفتح، ففكر أن يبعث رجلاً عالماً ومعه الأعوان ليتأكد من ذلك، ولعل هذا الحلم كان نتيجة الشائعات التي انتشرت عن تحرك القبائل التركية في أواسط آسيا بسبب قضاء القرغيز على قبائل الأويغور عام 840 م، وقد فزع خشية أن يكون ما رآه صحيحاً، وقد أورد ذلك سلام الترجمان نفي كتاب قدمه للخليفة الواثق بالله بعد عودته من رحلته.[2]

وذكر ابن خرداذبة: " أن سلاماً قص عليه قصة رحلته بنفسه ، وكان معه الرحالة محمد بن موسى بن شاكر المنجم . "[3]

(**1**) سورة الكهف، رقم الآية/ 93-98

(**2**) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 94

(**3**) المسالك والممالك لابن خرداذبة، مكتبة المثنى، بغداد، ص/ 1962 .

وأود أن أذكر خلاصة رحلة سلام الترجمان مثل ما ذكر الدكتور زكي حسن حيث يقول :

إن سلام الترجمان يزعم أن الخليفة العباسي الواثق بالله رأى في المنام أن السد الذي بناه الإسكندر ذو القرنين (والذي يقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج) مفتوح ، فأرعبه هذا المنام وأمر سلاماً بأن يرحل ليتفقد السد. فسار الترجمان من مدينة سر من رأى، وكان معه خمسون رجلاً ومائتا بغل تحمل الزاد والماء، وكان الخليفة قد أعطاه كتاباً إلى حاكم أرمينية ليقضى حوائجهم ويسهل مهمتهم . فعني هذا الحاكم بالرحلة ورجاله، وزودهم برسالة توصية إلى حاكم إقليم السرير. وكتب لهم هذا الحاكم إلى أمير إقليم اللان[1]، وكتب هذا الأمير إلى قيلانشاه، وكتب لهم فيلانشاه إلى ملك الخزر في إقليم بحر قزوين، فوجه معهم خمسة من الأدباء وسار الجميع ستة وعشرين يوماً، فوصلوا إلى أرض سوداء كريهة الرائحة وكانوا قد حملوا معهم بإشارة الأدلاء خلا[2] لتخفيف هذه الرائحة، وسار الركب في تلك الأرض عشرة أيام ثم وصلوا إلى إقليم فيه مدن خراب[3]، ساروا فيها سبعة وعشرين يوما. وقال الأدلاء إن شعب يأجوج ومأجوج هو الذي خرب تلك المدن، وانتهوا إلى جبل فيه السور المنشود، وعلى مقربة منه حصون تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط.

وتقدم الركب إلى جبل لا نبات عليه يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً، وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس، عليه قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس ا لجبل ، وكان رئيس تلك الحصون الإسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، مع كل منهم مرزبة من

(**1**) ألLان : بالفتح وآخره نون بلاد واسعة وأمة كثيرة لهم بلاد متاخمة للدربند في جبال القبق وليس هناك مدينة كبيرة مشهورة وفيهم مسلمون والغالب عليهم النصرانية وليس لهم ملك واحد يرجعون إليه بل على كل طائفة أمير وفيهم غلظ وقساوة وقلة رياضة (معجم البلدان لياقوت الحموي، ج/1، ص/ 245.

(**2**) نوع من النبات

(**3**) إن المدن خربت وانتهت لذا سمي بمدن خراب ، وما ذكر أحد من الجغرافيين وجه تسميته (معجم البلدان ، ج/3، ص/ 199)

حديد، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة، ليسمع من يسكنون خلفه، فيعلموا أن للباب حفظة، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً.

ولما فرغ سلام الترجمان ورفقاؤه من مشاهدة السور رجعوا إلى سر من رأى مارين بخراسان، وكان غيابهم في هذه الرحلة ثمانية عشر شهرا. (1)

نماذج من رحلته

وقد ذكر النص الكامل ابن خرداذبة في كتابه " المسالك والممالك(2) " وقد نقل هذا النص منه فؤاد قنديل في كتابه " أدب الرحلة " :

" فحدثني سلام الترجمان بجملة هذا الخبر ، ثم أملاه عليّ من كتاب كان كتبه للواثق بالله ". (3)

ثم يستمر في كلامه فيقول :

"وبوسعنا أن نلحظ أمانة الرجل في قص ما حدث، حريصا على أدق التفصيلات دون أن يصف لنا البلاد التي مر بها ولا أحوال أهلها مكتفياً بالتركيز على الهدف من رحلته، وهو تقديم تقرير بحالة السد، دون أن يتناول غيره من المشاهدات أو العمران، وتكشف عباراته عن بساطة أسلوبه وخلوه من كل خبرة أدبية." (4)

آراء المؤرخين والجغرافيين عن هذه الرحلة

إن هذه الرحلة تلقت قبولاً عاما عن المؤرخين والجغرافيين وهنا نسرد بعض الأقوال تدل على أهمية هذه الرحلة فمثلاً : قال المستشرق الفرنسي كرادي فو عن هذه الرحلة:

" من المحتمل أن هذه الرحلة كانت إلى الحصون الواقعة في جبال القوفاز بالقرب من دربند في إقليم داغستان غربي بحر قزوين" (5)

(**1**) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 16

(**2**) انظر المسالك والممالك من ص 162-170 . وأدب الرحلة من ص/ 90-97.

(**3**) أدب الرحلة ، ص/ 96

(**4**) نفس المرجع، ص/ 96

(**5**) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، د. زكي محمد حسن ، ص/ 17

ويذكر فؤاد قنديل هذه الآراء أيضاً:

"يرى أشبرنجر أن هذه الرحلة مجرد أسطورة ، وليس لها من الحقيقة نصيب، ويذهب إلى مثل ما ذهب إليه جريجوريف ومينورسكي غير أن دي خويه أن هذه الرحلة حقيقة، في حين أن فاسيليف لا يستبعد أن يكون سلام قد أخبر الخليفة بالحكايات المحلية التي سمعها من سكان البلدان التي وصل إليها"(1)

ويؤيد في ذلك كراتشكوفسكي قائلا: " إن رأي فاسيليف هو الأقرب إلى الصحة " (2)

ويقول الدكتور زكي حسن : " إن رحلة سلام الترجمان إلى سور الصين الشمالي قد تكون حقيقة تاريخية، وإن كان سببها الذي يذكره الجغرافيون العرب . كالقزويني وياقوت . على لسان الرحالة نفسه، أشبه بأسطورة خيالية . والظاهر أن حديثها كان مشهوراً في العصور الوسطى" (3)

ويرجح فؤاد قنديل حقيقة الرحلة لأسباب عديدة وهي :

أولاً : أنها تمت في عهد الواثق بالله، وقد كان معروفاً عنه حبه للعلم والمعرفة ومحاولاته أن يعيد عصر المأمون وكان حريصا على تقليده ولهذا تحمس لفكرة البعث التي يمكن أن تضيف إلى عهده وجهاً من وجود المجد خاصة أنه كان في أولى سنوات حكمه.

ثانياً : إن ابن خرداذبة بوصفه أحد رواة هذه الرحلة كان معاصراً له، ومن مواطني المدينة نفسها سر من رأي أي أنه جدير بالثقة أكثر من الأصطخري ، ومن ياقوت المتأخر عنهما. ولذلك اعتمدنا على روايته لأنه نقلها نقلاً مباشراً من سلام.

ثالثاً : يخلو نص الرحلة من العجائب والغرائب التي اعتاد بعض الرحالة أن يحشدوا بها مصنفاتهم جذباً للانتباه وتسرية وإمتاعا للسامعين والقراء، وإذا كانت مجرد

(**1**) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 96

(**2**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كراتشكوفسكي، ص/ 139.

(**3**) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 15

تقرير، فما الذي يدفع بعض المستشرقين إلى اعتبارها أسطورة مع اعترافنا بأن بها بعض المبالغات.

رابعاً: كان بصحبة سلام في هذه الرحلة، رحالة آخر هو محمد بن موسى المنجم، وقد ارتحل الرجل وحده في أكثر من رحلة وقصها وغيرها على مواطنه آنذاك، فهل هو الأخرى أسطورة.[1]

وأختتم الحديث عن سلام الترجمان ورحلته ، مؤكدا أنها حقيقة ورأى سد يأجوج ومأجوج.

سليمان التاجر

يقول شوقي ضيف : " كان سليمان من تجار العراق الذين ينقلون عُروض الهند والصين إلى البلاد العربية" [2]

يقول فؤاد قنديل:" إن رائد أدب الرحلات البحرية في العالم العربي وربما الإسلامي جميعه، لم يكن عالماً فلكياً أو جغرافيا أو بحاثة أو ملاحاً، ولم يكن مؤرخاً أو سفيراً أو أميراً، وإنما كان تاجراً... نعم مجرد تاجر من سيراف اسمه سليمان"[3].

اعتاد السفر إلى الهند والصين لجلب مختلف السلع والمنتجات التي تنتج أو تباع في هذه البلاد، وعرضها في أسواق الأقطار العربية خاصة العراق، وكان سبيله إلى ذلك السفر بحراً، حيث يبدأ من الخليج الفارسي إلى المحيط الهندي وشرقا إلى المحيط الهادي.

ولم يصل إلينا ما يشير إلى بقية اسمه أو جانبا من حياته، وكيف يتوفر ذلك وهو الرجل العادي المغمور، ولعل الأهم من هذا جميعه هو أن سليمان لم يفعل كما تعود التجار أن يفعلوا بأن يقصوا قصصهم ومشاهداتهم على ذويهم، ولكنهم دون رحلته في مذكرات عام 328 هـ .[4]

(**1**) أدب الرحلة ، ص/ 97

(**2**) الرحلات لشوقي ضيف، ص/ 29

(**3**) أدب الرحلة ، ص/ 98

(**4**) نفس المرجع

وقد عني الرُحل بوصف الطريق التي سار فيها وما شاهده من الجزر والجبال وما عاينه من الأخطار، وما وقعت عليه عينه أو سمعه من حالات البحر وحيوانه .

ولم تصلنا مذكرات رحلته في كتاب أو مخطوط مستقل ، وإنما وردت في كتاب " سلسلة التواريخ " الذي ألفه عراقي من مواطني سليمان ، عاش في القرن الرابع الهجري بعد حوالي ستين عاماً من كتابة سليمان، لمذكراته، وهو يدعي أبا زيد حسن السيرافي.

وقد سجل على رحلة سليمان وأضاف إليها طائفة من الأخبار عن أهل الهند والصين، جمعها من أقوال التجار والبحارة والرحالة ونشر الرحلة.

وتعد مذكرات سليمان التاجر سليمان مستندا مهما لفهم المعارف البحرية عند كتاب العربية في القرون الوسطى، كما يعد أول ما كتب بالعربية عن أحوال الهند والصين وسواحل البحر الشرقي الكبير على أساس من الخبرة الشخصية، والتجربة الحية المباشرة .

أبحر سليمان من سيراف عام 238 م إلى مسقط على ساحل الجزيرة العربية، ثم إلى كلم على ساحل مليبار، ثم مر بمضيق تالك بشمال جزيرة سيلان وعبر خليج البنغال فوصل إلى جزيرة لنجبا لوس ، " إحدى جزر نيكوبار" ، ثم تقدم إلى كله بره على ساحل الملايو الغربي، ومن هناك إلى جزيرة تيومن الواقعة إلى الجنوب الغربي من معلقا، ومنها إلى رأس القديس يعقوب قرب سايجون، ومن هناك إلى جزيرة هاينان فعبر المضيق الذي يفصلها من الصين ليصل إلى ميناء خانفوا أو كانتون الحديثة بالصين، ولم يكتف سليمان بذكر المسافات والطرق، بل خلف لنا وصفا حيا للسواحل والجزر والبحار وما فيها من الحيوان والنبات والسكان والمحاصيل والمنتجات. (1)

وتمتاز هذه الرحلة بالوصف الصادق للطرق التجارية ولبعض العادات والنظم الاجتماعية مع قلة الأساطير والخرافات. (2)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 99.

(2) مدخل إلى أدب الرحلات في عمان، ص/ 21.

وقد قال فيه المستشرق كراتشكوفسكي بأنه من الدقة في وصفه للطرق فهو بدقة الخرائط الحديثة. (1)

نماذج من رحلة سليمان التاجر

"يبدأ سليمان رحلته بوصف بحر لاروي، ويذكر أن به سمكة اصطادوها، فكان طولها عشرين ذراعاً وهي سمكة " الوال" ، ويقص أن به سمكة يحكي وجهها وجه الإنسان وتطير فوق الماء، وسمكة أخرى كبيرة تبتلع صغار السمك، وتسقط في جوفها وكأنما تسقط في بئر عميق " (2)

وذكروا أن بناحية البحر سمكا يخرج حتى يصعد على النارجيل فيشرب ما في النارجيل من الماء ثم يعود إلى البحر، وذكروا أن في البحر حيواناً يشبه السرطان، فإذا خرج من البحر صار حجراً، قال ويتخذ منه كحل لبعض علل العين.

وقال سليمان إنه رأى :

" سمكا مثل الشراع ربما رفع رأسه فتراه كالشيء العظيم، وربما نفخ الماء من فيه فيكون كالمنارة العظيمة، فإذا سكن البحر اجتمع السمك فحواه بذنبه، ثم فتح فاه فيرى السمك في جوفه يفيض كأنه يفيض في بئر. والمراكب التي تكون في البحر تخافه، فهم يضربون بالليل بنواقيس مثل نواقيس النصارى مخافة أن يتكئ على المراكب فيغرقه " . (3)

" البحر الثالث بحر هركند ، وبينه وبين بحر لاروي جزائر كبيرة يقال إنها ألف وتسعمائة جزيرة، وهي فرق ما بين هذين البحرين. وهذه الجزائر تملكها امرأة، ويقع في عنبر عظيم القدر. وهو ينبت في قعر البحر نباتاً، فإذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره، والجزائر عامرة بنخل النارجيل، وبعد ما بين الجزيرة والجزيرة فرسخان وثلثة (ثلاثة) وأربعة ، وكلها عامرة بالناس والنارجيل، ..... وآخر هذه الجزائر سرنديب في بحر هركند، وهي رأس هذه الجزائر كلها وهم يدعونها الديبجات(4) ، وبسرنديب منها مغاص اللؤلؤ، وفي أرضها جبل يدعى

(1) تاريخ الأدب الجغرافي ، ج/1، ص/ 141 ، وانظر الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية، للمهندس أزهر ، حسين رزوقي، مجلة سعدي، المجلد /6 ، ع/19 ، نيسان 2010 .

(2) الرحلات ، شوقي ضيف، ص/ 30.

(3) حديث السندباد القديم. ص/ 24-29.

(4) هذه الجزر زارها ابن بطوطة ، وسماها ذيبة المهل وتعرف اليوم بجزر مالديف.

الرهون وعليه هبط آدم V ، وقدمه في صفا رأس هذا الجبل قدم واحدة. وحول هذا الجبل معدن الجوهر الياقوت الأحمر والأصفر ". [1]

" ثم تسير المراكب إلى موضع يقال له تِيُومَة، وبها ماء عذب لمن أراده والمسافة إليها عشرة أيام . "

" ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كُنْدرَنجْ، المسافة إليه عشرة أيام، وفيه ماء عذب لمن أراده، وكذلك جزائر الهند إذا احتفرت فيها الآبار وجد بها الماء العذب.

ثم تسير المراكب إلى موضع يقال له صَنَفُ مسيرة عشرة أيام، وبها ماء عذب ، ومنه يؤتي بالعود الصنفي، وبها ملك ، وهم قوم سمر يلبس كل واحد منهم فوطتين. فإذا استعذبوا منها، خطفوا إلى موضع يقال له صنُدرفُولات وهي جزيرة في البحر، والمسافة إليه عشرة أيام، وفيها ماء عذب، ثم تخطف المراكب إلى بحر يقال له صنخَى، ثم إلى أبواب الصين، وهي جبال في البحر بين كل جلين فرجة تمر فيها المراكب، فإذا سلم الله من صندرفولات خطفت المراكب إلى الصين في شهر. " [2]

ويقول سليمان عن أهل الصين والهند :

" أهل الهند والصين مجمعون على أن ملوك الدنيا المعدودين أربعة فأول من يغدون من الأربعة، ملك العرب وهو عندهم إجماع لا اختلاف بينهم فيه، إنه ملك من أعظم الملوك وأكثرهم مالاً وأبهاهم جمالاً، وأنه ملك الدين الكبير الذي ليس فوقه شيء ثم بعد ذلك ملك العرب ملك الصين، ثم ملك الروم، فملك الهند الملقب، بلهرا، بلهراى، ملك المخرمي الآذان وهو عند اليهود أشرفهم، وبقية ملوك الهند منقادون إليه. وهو كثير المال يعطي العطاء كما تفعل العرب، وملوكهم يعمرون وربما ملك أحدهم خمسين سنة، وهم يتفانون في حبهم للعرب لذلك تطول أعمارهم على حد زعمهم" .[3]

وبعد ذكر هذه النماذج يمكن لي أن أقول بأن مذكرات التاجر سليمان تحتل مكانة رفيعة بين نصوص أدب الرحلة العربية، ولم يغفل عن ذلك الباحثون والعلماء

(**1**) أدب الرحلة، ص/ 100

(**2**) نفس المرجع، ص/ 105.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 107.

تقديراً لها، بوصفها وثيقة على درجة عالية من الأهمية، من وجهة النظر التاريخية والأدبية والجغرافية.

ولا يفوتنا أن نشيد بعبارات هذا النص، التي جاءت بسيطة متدفقة ومركزة، دلت على التزام صاحبها بموضوعه دون حشو أو زيادة، ودون حشد الأشعار والأخبار والحكايات التي تتداعي إلى الذاكرة بلا توقف، ولعل سبب ذلك قلة ثقافة التاجر وافتقاده إلى الحرفية الأدبية، ومع ذلك فلا يملك المرء إلا أن يدهش لهذه اللغة التي تفوق كثيرا لغة تاجر، ولعله أملاها على أحد من المثقفين أو ممن يفوقونه خبرة في مجال الكتابة والتحرير.

وإذا كان هناك من يتشكك في الرحلة من المستشرقين، فليس ذلك من قبيل التقليل من شأن العرب، ولكنها الحاسة العلمية الدقيقة التي لا تقبل إلا ما كان موثقا وثتبت الأدلة صحته فاتخذوا هذا الموقف، ومع ذلك فقد أعلن صحتها كل من " فران " و " وغوستاف لوبون" وغيرهما، وتمكن " فران " فيما يقول "كراتشكوفسكي " من أن يتبع الطريق الذي وصفه سليمان بدقة الخرائط الحديثة. [1]

ابن فضلان

"هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان"[2]، كما وجد في المصادر الكثيرة، ولكن محمد شفيق غربان في " الموسوعة العربية المسيرة" يخالف آراء تلك المصادر العظيمة، فهو يدعي بأن اسمه : " ابن فضلان أحمد بن عباس بن رشيد " [3]، ولا أدري مصدره في ذلك.

ويقول فؤاد قنديل : " لم نعثر فيما رجعنا إليه من المصادر على تاريخ ميلاده أو وفاته. " [4]ولم تذكر من سيرة حياته إلا اليسير.

---

(1) تاريخ الأدب الجغرافي ، ص/ 148.

(2) معجم البلدان، الحموي، مادة خوارزم، ج/2، ص/ 398، وانظر دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني، دارة المعرفة، بيروت، ص/ 580 ،

(3) الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار الجيل بيروت، 1995م ، ج/1، ص/ 24.

(4) أدب الرحلة، ص/ 164

وهو مصنف رسالة الوفد الذي أرسله الخليفة المقتدر العباسي ، إلى ملك البلغار الذين يقطنون ضفاف الفولجا. لم يكن عربي الأصل، بل كان من موالي الخليفة كما تذكر دائرة المعارف الإسلامية[1] ، أرسله ليفقه الناس في الدين ضمن وفد برئاسة سوسن الرسّي.

ويقول كراتشكوفسكي : " على الرغم من عدم وجود أية معلومات عنه . ابن فضلان . إلا أنه يحاول دائما في الرسالة أن ينسب إلى نفسه الدور الرئيسي" [2] . وما قوله : " فندبت أنا القراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدي إليه والإشراف على الفقهاء والمعلمين" [3] إلا دليلا على ذلك.

ويحتل ابن فضلان مكانة مرموقة بين الرحالة العرب بفضل ما كتبه عن رحلته إلى بلاد البلغار، والتي قام بها في عامي 309 -310 هـ " 921-922 م " ، وبلاد البلغار كانت دولة قوية بشرق روسيا الأوربية بمحاذاة الفولجا الأوسط، وعاصمتها بلغاري بالقرب من قازان، أخضعها المغول عام 1236م، وانتقل فرع منها للغرب واندمج بصقالبة بلغاريا.

وقد ذكر ابن فضلان في كتابات كثير من المؤرخين خاصة المستشرقين منها كراتشكوفسكي، وتوقفوا طويلا لتحليل دروس رحلته التي سجلها في رسالة إضافية، تؤكد موهبته القصصية، وتكشف براعة قلمه وحسن بيانه وسلامة أسلوبه ودقته في التعبير والوصف، وحرصه على نقل مشاعره في حالت الفرح والغبطة أو الخوف والجزع، وهو ما يخلع على الرسالة سمات إنسانية عذبة، تجعل منها نموذجا رائداً و رائعاً من نماذج الكتابة في أدب الرحلات، على أننا لا نستطيع أن نفصلها عن عصرها المزهر، فهي ولا شك إحدى أزاهير القرن الرابع الهجري الذي علا فيه نجم الحضارة العربية، وقطعت فيه العلوم والفنون العربية والإسلامية شوطاً كبيراً في بناء منظومة الوعي الإنساني.

وخير ما كتب في الشبكة العنكبوتية في موقع ويكي بيديا عنه حيث تقول:

(**1**) دائرة المعارف الإسلامية ، ج/1، ص/ 255

(**2**) تاريخ الأدب الجغرافي، لكراتشكوفسكي، ج/1، ص/ 187

(**3**) رحلة ابن فضلان، تحقيق شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003، ص/ 39-40.

" فلم يكن ابن فضلان رجلا موهوبا أو صاحب رؤية سياسية فحسب؛ بل كان قد درب عينيه الثاقبتين على رؤية ما وراء المشاهد المفردة، وشاغل عقله بالتحليل دون الرصد. وحينما عمل لعقد من الزمان الساعد الأيمن للقائد العسكري محمد بن سليمان –الذي قاد في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين حملات عسكرية امتدت من مصر في الغرب إلى حدود الصين في الشرق– تعلم ابن فضلان الكثير، وأهلته معارفه المتراكمة وثقافته بالشعوب التي خالطها إلى الوصول إلى بلاط الخليفة المقتدر بالله كرجل دولة وفقيه عالم. " [1]

رحلة ابن فضلان

قام ابن فضلان برحلة إلى بلاد البلغار ألمش بن يلطوار في 11 من صفر عام 309 هـ / 21 يونيو 921 م ، استجابة لدعوة من ملك البلغار، الذي أسلم وأرسل إلى الخليفة المقتدر بالله [2] يطلب منه "أن يبعث إليه من يفقهه في الدين، ويعرفه شرائع الإسلام، ويبني له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة في جميع بلده وأقطار مملكته، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه الملوك المخالفين له " [3]

وقد أجابه الخليفة إلى طلبه، وأرسل إليه هذه السفارة، التي كان ابن فضلان الخبير الديني فيها، والتي كان على رأسها مندوب من الخليفة لبحث الأمور السياسية والحربية، وغادر المندوبون بغداد في 11 من صفر سنة 309 هـ ، متجهين إلى بخارى فخوارزم فبلاد البلغار، حيث وصلوا في 12 من محرم سنة 310 هـ .

سجل ابن فضلان رحلته في رسالته قدمها إلى الخليفة المقتدر بالله بعد عودته، وعرض خلال فقراتها صورة صادقة للظروف السياسية في الدول الإسلامية وخاصة في المناطق التي تقع شمالاً، وتمثل في تلك الفترة أطراف العالم المتحضر مثل حوض نهر الفولجا.

---

(1) www.wikipidia.org

(2) المقتدر بالله : هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد تولي الخلافة، وهو ابن ثلاثة عشر سنة 295 هـ ، وكان مبذرا واتسم عهده بكثرة المنازعات حتى أن أعداءه أنزلوه عن الخلافة مرتين، ثم عاد إليها لثالث مرة، لينتهي عهده بالموت قتلاً عام 320 هـ ، ولم من العمر 38 عاماً.

(3) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 27.

وقد نقل عنها المؤلفون المسلمون منذ القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، كالاصطخري والمسعودي. ونقل ياقوت الحموي أجزاء كبيرة منها فيما كتبه عن مادة " أتل" و " باشغرد" و " بلغار" و " خزر" و " خوارزم" .

وأشار الدكتور زكي محمد حسن إلى نشر هذه الرسالة حيث قال : " وقد نشرت هذه الرسالة لأول مرة بعناية المستشرق فرهن Fraehn في سنت بطرسبورج سنة 1823 ومعها مقتطفات أخرى مما كتبه المسلمون عن الروس " (1) .

إن ابن فضلان ترك لنا صورة واضحة للبلغار وحضارتهم وعاداتهم وتجارتهم. ويشهد ما كتبه في هذا الصدد بأنهم كانوا لا يزالون دون ما وصل إليه المسلمون في مدنيتهم، وإن بدت بعض عاداتهم طريفة ، كأن يأكل كل واحد من مائدته لا يشاركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً، وكلبسهم القلانس يرفعونها عن الرأس ويجعلونها تحت الإبط للتحية وإظهار ا لاحترام.

وسوف نعرف قيمة هذه الرسالة الأدبية والفنية بعد قراءة والفكر في نماذج من رحلته .

نماذج من رحلة ابن فضلان

يصف ابن فضلان مدينة الجرجانية بهذه التراكيب المتينة :

" فأقمنا بالجرجانية أياماً وجمد نهر جيحون من أوله إلى آخره، وكان سُمك الجمد سبعة عشر شبراً، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجول تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل، فأقام على ذلك ثلاثة أشهر فرأينا بلداً ما ظننا إلا أن بابا من الزمهرير قد فتح علينا منه ، ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه وأراد بره، قال له : تعالى إليّ حتى نتحدث فإن عندي ناراً طيبة، هذا إذا بالغ في بره وصلته إلا أن الله قد لطف بهم في الحطب وأرخصه عليهم، حمل عجلة من حطب بدرهمين من دراهمهم وهي تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل " . (2)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 28

(2) رحلة ابن فضلان، ص/ 5.

إذا دققنا في السطر الأول " من أوله إلى آخره، وكان سُمك الجمد سبعة عشر شبراً " فتظهر لنا أدبيته " بابا من الزمهرير قد فتح علينا " وهي عبارة دالة جداً على شدة البرد، وتبدو لنا أيضاً عمق نظرته الإنسانية والدينية وإشفاقه على سكان هذه البلاد وما يعانونه من البرد ، لكنه يكتشف رحمة الله بهم فيقول : " وصلته إلا أن الله قد لطف بهم في الخطب وأرخصه عليهم، حمل عجلة من حطب بدرهمين " . (1)

ويستمر ابن فضلان في وصف المدينة :

" وتطاول مقامنا بالجرجانية، وذاك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال، وكان طول مقامنا من البرد وشدته ، ولقد بلغني أن رجلين ساقا اثنا عشر جملاً ليحملا عليها حطبا، من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحراقة، وإنما باتا بغير نار، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد، ولقد رأيت . لبرودة هوائها . أن السوق بها والشوارع تخلو، حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق فلا يجد أحداً ولا يستقبله إنسان، وقد كنت أخرج من الحمام، فإذا دخلت البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة من الثلج حتى كنت أدنيها إلى النار، ولقد كنت أنام في بيت جوف بيت، وفيه لبود تركية مدثر بالأكسية والفرى " الفراء" وربما التصق خدي على المخدة، ولقد رأيت الأرض تتشقق فيها أودية عظام لشدة البرد. " (2)

وابن فضلان يصف أحوال الناس وحيواتهم وعاداتهم حينما يتنقل في بلاد الترك فيقول عنهم :

" إنهم لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك، وليس بينهم وبين الماء عمل، خاصة في الشتاء، ولا يتستر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، وكذلك لا تستر المرأة شيئا من بدنها عن أحد من الناس ولقد نزلنا يوماً على رجل منهم فجلسنا وامرأة الرجل معنا، فبينما هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكته، ونحن ننظر إليه فسترنا وجوهنا ، وقلنا : استغفر الله،

(**1**) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 166.

(**2**) رحلة ابن فضلان ، ص/ 5

فضحك زوجها وقال للترجمان: قل لهم : تكشفه بحضرتكم فترونه وتصونه فلا يوصل إليه هو خير من أن تغطيه وتمكن منه " . [1]

وكان ابن فضلان يصف الحوار مع الملك يلطوار ملك البلغار حيث يقول:

" كان يُخطب له على منبره قبل قدومي ، اللهم أصلح الملك يلطوار ملك البلغار، فقلت أنا له : إن الله هو الملك، ولا يسمى على المنبر بهذا الاسم غيره β ، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يقال على منابره في الشرق والغرب اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين ، وكذا من كان قبله من آبائه الخلفاء، فقال لي :

فكيف يجوز أن يخطب، قلت : باسم واسم أبيك

قال : إن أبي كان كافراً ، ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر، وأنا أيضاً فما أحب أن يذكر اسمي إذا كان الذي سماني به كافراً، ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين ، فقلت : جعفر .

قال: فيجوز أن أتسمى به.

قلت: نعم .

قال: قد جعلت اسمي جعفراً واسم أبي عبدالله ، فتقدم إلى الخطيب بذلك ففعلت، فكان يخطب له: اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبدالله أمير البلغار مولى أمير المؤمنين." [2]

يقول دكتور زكي حسن : " والغريب أن ابن فضلان لم يكتب في رسالته شيئاً عن نتائج هذه الرحلة من الوجهتين السياسية والحربية، فلسنا ندرى هل ساعد المسلمون البلغار في تشييد الحصون المطلوبة أم لا. وأكبر الظن أن ملك البلغار كان يريد بناء تلك الحصون ليحتمي فيها من ملك الخزر بوجه خاص، وكان ملوك الخزر من أصل يشبه البلغار وكانت مملكتهم عند مصب نهر الفولجا ولكنهم كانوا من أتباع الديانة اليهودية وكانوا يعدون ملوك البلغار تبعاً لهم. "[3]

(**1**) نفس المرجع، ص/ 6.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 11

(**3**) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 30.

على كل حال فإن رحلة ابن فضلان من أقد ما وصل إلينا عن بلاد الروسيا. وتزداد قيمة هذه الرسالة ليس فقط بفضل معلوماتها الجغرافية ووصفها الدقيق لملامح الحياة في هذا العالم الجديد، ولكن بفضل السرد التحليلي للسمات الإثنوجرافية والأنثروبولوجية لهذه المناطق، الأمر الذي كان مجهولا تقريباً لمعظم شعوب العالم الإسلامي، ومن هنا كان اهتمام المستشرقين وعلماء الروس بهذه الرسالة المتميزة ، وتوالى العناية بطبعها وإلقاء الضوء عليها.

المقدسي

هو شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري. [1]، وذكر عدد من الأدباء والمؤرخين اسمه "عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر "[2] .

ونسبة " البناء "[3] تنتمي إلى والده وقيل إلى جد لأبيه الذي عدّ من أشهر البنائين وأمهر المهندسين ، والذي شارك في بناء ميناء عكا في عهد أحمد بن طولون[4] ، ولكنه اشتهر بلقب بالمقدسي ، وهو نسبة إلى بيت المقدس، وكان أول من سماه بالمقدسي هو دي خويه ناشر الكتاب.

ولد المقدسي في عام 335 هـ [5] وهناك من يزعم أنه ولد في عام 336 هـ[6]، ونشأ في طرقات مدينة القدس، وتربى في أسرة البناء ، وأما أمه تنتمي إلى آل

---

(1) أحسن التقاسيم، شمس الدين أبي عبدالله المقدسي، ص/ غلاف الكتاب ، وانظر أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/269

(2) الرحلات ، شوقي ضيف، ص/ 15.، وانظر الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، د. زكي حسن ، ص/42، وانظر تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ج/7، ص/253.

(3) معجم البلدان ، لياقوت، ج/5، ص/ 168

(4) أحمد بن طولون: ولد سنة 220 هـ ببغداد وتفقه على مذهب أبي حنيفة، تولى ثغور الشام ودمشق ثم مصر سنة 254، وتوفي 270.، (سير الأعلام، للذهبي، ج/13، ص/ 94.)

(5) الأعلام لخير الدين الزركلي، ج/5، ص/ 312. وانظر التاريخ والمؤرخون لمصطفى شاكر، ج/2، ص/70. وانظر تاريخ الأدب الجغرافي، لكراتشكوفسكي، ج/1 ، ص/ 209.

(6) معجم المؤلفين لعمر كحالة، ج/8، ص/ 239.

الشوا[1] الذين تعود جذورهم إلى مدينة بيار من أعمال قومس بقرب حدود خراسان. [2]

تعلم في بيت المقدس القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم ، ثم سافر إلى عراق ودرس علوم الفقه الحنفية على يد محمد السيرافي[3] ، وأبي الحسن القزويني[4]. [5]

وعمل المقدسي إماماً ومؤذناً وخطيباً ومذكراً ، وفقيهاً وشيخاً ، ومجلداً للكتب والمصاحف، وتاجراً. ويبدو أنه عمل في كل هذه المهن لتوفير الأموال اللازمة لإتمام رحلاته، وربما بسبب رغبته في التقرب من الولاة والحكام الذين قابلهم في أثناء تجواله. [6]

وفاته

أشار جرجي زيدان إن المقدسي توفي في عام 375 هـ الموافق 985 م[7] ، وذكر عبدالعزيز سالم تاريخ وفاته سنة 380 هـ [8] ، وأشار كراتشكوفسكي إلى تاريخ وفاته سنة 385 هـ [9] .

رحلاته

---

(1) آل الشوا: عرفوا باسمهم نسبة إلى أحد أجدادهم الذي عمل في شواء اللحم وبيعه، وانتقل إلى غزة واستقر في محلة التفاح، وعمل في تجارة الأغنام، وتفرعت عائلته، وكثرت ذريته، وانتقل فرع من آل الشوا إلى منطقة الشجاعية في أوائل القرن الثالث الهجري، وظهر منهم أعيان وعلماء وتجار ونبلاء، (اتحاف السادة المقين بشرح أسرار أحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي، ص/250.)

(2) أحسن التقاسيم، ص/ 267.

(3) السيرافي : هو أبو سعيد الحسن بن علي المرزبان النحوي ، عاش في مدينة بغداد وعمل بها قاضياً، اشتهر بكثرة علمه ، وتعلم على يده الناس ، علم الفقه والفرائض والحساب. (معجم الأدباء ، ياقوت، ج/8،ص/145)

(4) القزويني : هو أبو الحسن علي بن عمر بن محمد الحربي، ولد ببغداد، سنة 163 هـ ، تفقه على المذهب الشافعي ، ولقب بشيخ العراق، لكثرة زهده وورعه، توفي سنة 442 ، (سير الأعلام، لذهبي، ج/17، ص/ 609)

(5) أحسن التقاسيم، ص/ 116.

(6) المقدسي البشاري دراسة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، لأمل أنصار، ص/ 14. وانظر الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 42.

(7) المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية، ص/ 199. وانظر معجم المؤلفين لعمر كحالة، ج/8،ص/239.

(8) التاريخ والمؤرخون العرب ، عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997، ص/ 191.

(9) تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي، جامعة الدول العربية، 1957، ج/1، ص/210.

بدأ المقدسي رحلته من القدس عام 356 هـ ، ويبدوا أنه انتهى منها في عام 375 هـ ، استناداً إلى معلوماته الشخصية التي أشارت إلى أنه انتهى في هذه الفترة من تأليف كتابه . [1]

زار المقدسي جزيرة العرب حاجاً في عام 356 هـ ، ثم في عام 367 ، ثم في 377 هـ ، ورحل إلى أقاليم العراق، واقور ، ومصر ، والمغرب، والشام، والديلم ، والجبال، وخورستان ، وكرمان وفارس، والرحاب وغيره من الأقاليم .

رحلته "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"

وقد وصف رحلاته إلى تلك الأقاليم المذكورة في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " وأكمل هذا الكتاب في عام 375 هـ في إقليم فارس بمدينة شيراز ، وقال عن هذا الكتاب : " إنه لم يظهر كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " حتى بلغ الأربعين " [2] .

وقد وضع كتابه في مسودتين إحداهما سنة 375 هـ وقدمها لآل سامان، في عهد الأمير نوح بن منصور، وثانيهما بعد ثلاثة أعوام وقدمها إلى الفاطميين. [3]

سعى المقدسي من وراء تأليف هذا الكتاب إلى هدف علمي ، ويريد منه خدمة الناس على اختلاف طبقاتهم وأغراضهم وتقديم الفائدة والنفع لهم، أثناء معلومات جديدة ومميزة.

ويستفيد منه المسافرون والتجار، ولا يستغني عنه الصالحين والأخيار، وأن علم الرحلات من أهم العلوم يرغب فيه الملوك والكبراء، ويطلبه القضاة ، وينتفع به كل مسافر وتاجر.

وهدف من كتابه أيضاً توفير معلومات للدارسين الذين سيستفيدون منه في فتاواهم وتدريسهم وشروحهم ، وتقديم تفاصيل وافية عن العالم الإسلامي، وأقاليمه

---

(1) نفس المرجع

(2) أحسن التقاسيم ، ص/ 15 ، وانظر الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 42.

(3) أدب الرحلة، ص/ 272

وأقسامه وحدوده ووحداته الإدارية، ومعلومات دقيقة عن الموازين والمكاييل، والنقود المستعملة في كل إقليم والمسافات بين مدنه وقراه . (1)

وكتاب المقدسي عدَّ من أكثر المؤلفات الجغرافية من حيث الأهمية والدقة، ومرآة واضحة للعالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، ومصدراً أساسياً لكل من يبحث في أحوال هذا العلم وجوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمذهبية. (2)

وقد ذكر فؤاد قنديل أن أول من نشر هذا الكتاب هو " دي خويه " في 8 مارس 1906 م ، وأخر طبعاته نشرتها مكتبة مدبولي المصرية دون تحقيق. (3)

نماذج من رحلته

تبدأ فصول الكتاب بذكر البحار والأنهار في مملكة الإسلام حيث يقول:

" لم نر في الإسلام إلا بحرين حسب، أحدهما يخرج من نحو مشارق الشتاء بين بلاد فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه وله خلجان كثيرة وشعب عدة، وقد اختلف الناس في وصفه والمصورون في تمثيله، فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبشة وطرف بالقلزم وطرف بعبادان، وأبو زيد جعله شبه طير منقار بالقلزم، ولم يذكر شعبة ذيله، وعنقه بالعراق وذنبه بين حبشة والصين، ورأيته ممثلاً على ورقة في خزانة أمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم ابن الأنماطي بنيسابور وفي خزانة عضد الدولة والصاحب، وإذا كل مثال يخلف الآخر وإذا في بعضهن خلجان وشعب لا أعرفها، وأما أنا فسرت فيه نحو ألفي فرسخ ودرت على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادان، سوى ما توهت بنا المراكب إلى جزائره ولججه وصاحب مشايخ فيه ولدوا ونشأوا من ربانيين وأشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار ورأيتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرباحه وجزائره فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها... " (4)

---

(1) المقدسي لفلاح أسود، ص/ 14.

(2) تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي ، ج/1، ص/ 208.

(3) أدب الرحلة، ص/ 271

(4) أحسن التقاسيم، ص/ 10.

ويتابع المقدسي رحلته مع مختلف الملامح الجغرافية الطبيعية والبشرية للعالم الإسلامي، فيذكر خصائص الأقاليم ومميزات كل إقليم عن غيره، ثم يذكر المذاهب التي لها خاص وعام ودعاة وأتباع ومناهج فيعددها، ويذكر فرقها وما وقف كل فرقة، ويتعرض لأهل الذمة أصحاب الأديان الأخرى غير الإسلام وهم اليهود والنصارى والمجوس والصابئون.

ولا يفوته عند ما يذكر المسافات أن يعرفنا المقاييس التي اعتمد عليها، فيقول:

" فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون أصبعاً، والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض، والميل ثلث الفرسخ " . (1)

يبدأ المقدسي بجزيرة العرب، لأن بها بيت الله الحرام ومدينة النبي γ ومنها انتشر دين الإسلام، وفيها كان الخلفاء الراشدون والأنصار والمهاجرون ويمضي فيعدد أنحاءها ويذكر كورها وقراها ومدنها وصحاريها، وأهم المعالم وأوجه العمران.

يصف المقدسي مدينة الطائف حيث يقول:

" مدينة صغيرة شامية الهواء باردة الماء أكثر فواكه مكة منها موضع الرمان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة وهي على ظهر جبل غزوان ربما يجلد بها الماء عامتها مدابغ إذا تأذى ملوك مكة وبالحر خرجوا إليها " (2)

ويصف مدينة النبي γ :

"هي مدينة النبي γ وقد جعلناها ناحية لما قد أحاط بها من المدن الخطيرة والسواحل المذكورة تكون اقل من نصف مكة يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى ولهم مزارع قليلة ومياه عذبية وفيها حياض تقلب فيها قني عند أبواب البلد ينحدر إليها في درج وقد جر عمر رضي الله عنه إلى باب الجامع قناة قد اختلت والأسواق عند الجامع لها نور وبهاء أكثرهم بنو الحسين ابن علي رضي الله عنهما بنيانهم مدر ملحة الأرض قليلة الأهل والمسجد في ثلثيها مما يلي بقيع الغرقد " (3)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 65.

(2) نفس المرجع، ص/ 79.

(3) نفس المرجع، ص/ 80

ونلاحظ في المقدسي صفة حسنة هي رغبته في البوح والاعتراف، فها هو يقول:

" وغربي والله ما غر القوم، وعملت إلى الذهاب إلى ناحية الزنج وأتيت ما ينبغي أن يشتري " .[1]

وهذا الضعف الإنساني الذي استشعره، عندما سمع عن المكاسب الكبيرة من التجارة في عدن فأحب أن يحذو حذو التجار ، لكنه بعد حادث موت شريكه يحجم عن إتمام التجربة، عائدا إلى هدفه الذي انتوى وقصد، متعففا عن المضى في سلك التجارة المغرية، خاتما تلك الفقرة بحكمة من مستودع أعماقه الديني ، فهو إلى جانب تميزه بحس قصصي ورغم حرصه على الموضوعية، فإنه يحمل قلبا نقياً ورعاً.[2]

وختاماً تعرفنا منهج المقدسي وأسلوبه في العرض والبيان، وأدركنا مدى اتساع أفقه وشمولية نظرته وسلامة لغته الأدبية ووصفه الجيد لما يرى بما ينبئ عن دقة ملاحظاته وحرصه على الموضوعية وجمعه في وصف شامل متكامل للطبيعة والبيئة والبشر وألسنتهم، تقاليدهم وعاداتهم، وملابسهم ومساكنهم ومساجدهم، وألوان الطعام والشراب والمسافات التي تفصل بينه وبين غيره.

فالكتاب أحسن التقاسيم إحدى العلامات في تاريخ أدب الرحلة والجغرافية الوصفية في القرون الوسطى، وقد اهتم الكثيرون على تحقيقه.

الإدريسي

هو محمد بن محمد بن عبدالله بن عمر بن إدريس بن يحيى بن علي ابن حمود بن ميمون بن أحمد بن عبدالله بن عمر بن إدريس بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وهو من أبرز جغرافيي العرب ورحاليهم. [3]

والإدريسي نسبة إلى جده الأعلى ، . إدريس الأول بن عبدالله بن الحسن . الذي أسس دولة الأدارسة بالمغرب في سنة 172 هـ ، ومات مسموماً سنة 177هـ،

(**1**) نفس المرجع، ص/ 81

(**2**) أدب الرحلة، ص/ 279.

(**3**) أدب الرحلة، ص/ 340 ، وانظر الشريف الإدريسي لمحمد عبدالغني حسن، الهيئة العامة للتأليف والنشر،ص/7.

ولقب بـ " الشريف " أيضاً لأنه من آل حسن وعلي K . [1] ، وفي مقدمة ابن خلدون نسبه إلى " الحمودي " وبهذه النسبة ما نسبه أحد غير ابن خلدون ، ويقول ابن خلدون إن هذه نسبة إلى جده " حمود" الذي تنسب إليه دولة بني حمود بالأندلس.

ولد الإدريسي في مدينة سبتة المغربية عام 493 هـ ، 1100 م ، ثم سافر إلى قرطبة عروس المدن الأندلسية آنذاك. [2]

ولا ندري شيء عن صبوبته ونشأته وتربيه وتعليمه، وما ذكر أحد من المؤرخين عن أساتذته ومشايخه عدا أنه تلقى تعليمه في جامعة قرطبة حيث كانت من أكبر مراكز الثقافة العربية الإسلامية . [3]

رحلاته

بدأ الإدريسي رحلاته وأسفاره مبكراً ، فزار بلاد المغرب ولشبونة وسواحل فرنسا وزار إنجلترا وصقلية كما زار آسيا الصغرى عام 510 هـ ، ولم نعثر على ما يدلنا أنه زار باقي إفريقيا وآسيا .[4]

وقد شك عبدالغني حسن في رحلات الإدريسي إلى غير المغرب وصقلية والأندلس حيث يقول: " ورحلات الإدريسي إلى غير المغرب والأندلس وصقلية تحتاج إلى كثير من التحقيق " [5]

وقد أشار كراتسكوفسكي إلى رحلته إلى آسيا الصغرى وذكر أنه رحل إلى آسيا الصغرى عام 510 هـ. 1116 م ، وكان عمره أقل من ستة عشرة سنة . [6]

(**1**) الشريف الإدريسي ، ص/ 8

(**2**) المرجع السابق، ، الرحلات ، شوقي ضيف، ص/ 19 ، وانظر الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/64.

(**3**) نفس المرجع. وانظر الشريف الإدريسي ، ص/ 9.

(**4**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ج/1، ص/ 281 ، أدب الرحلة، ص/ 240.

(**5**) الشريف الإدريسي، ص/ 10

(**6**) المرجع السابق، ، ج/1، ص/ 282

ويقول كراتشكوفسكي : " وفي عام 1138 عبر البحر في ظروف يشوبها الغموض إلى جزيرة صقلية حيث كان يوجد بلاط روجر الثاني ببالرمو، وقد ظل الإدريسي وثيق الصلة بروجر إلى وفاة الأخير في فبراير من عام 1154م " [1]

وأشار عبدالغني إلى أنه زار الصقلية بدعوة من الملك روجر الثاني وقد عرض ظروف وأسباب لهذه الدعوة وكيفيتها في فصل من كتابه . وذكر أيضاً أنه شجع العلماء والعلم أثناء إقامته في بلاط الملك روجر الثاني . وصنع الكرة الأرضية الفضية، والخرائط والمصورات.[2]

وقد وصف البلاد غير آسيا وأفريقية والبلاد التي لم يزرها ولكنه وصفها بعد التطلع وقراءة الكتب ، و قد ذكر بعضها في مقدمة كتابه " نزهة المشتاق " .

وقد قال قنديل إنه من أحد رحالي وجغرافي العرب في القرون الوسطى، وبخاصة في القرن السادس الهجري ، والثاني عشر الميلادي ، كما كان الإدريسي عالماً بالصيدلية والنباتات والطب ونظم الشعر . [3] وقد روي له صلاح الدين الصفدي[4] بعض نماذج من شعره ، وعلق عليها بقوله في نهاية روايته لها " هذا شعر جيد " وهذه الشهادة من أديب شاعر متذوق نقادة كالصفدي ، لها قيمتها في تقدير الإدريسي في ناحية الأدب والشعر الذي كنا نود لو تسعفنا الحظوظ بالاطلاع على قدر كبير منه لو كان له في الوجود وجود. ومن تلك الأشعار الذي ذكر الصفدي ، حيث يقول الإدريسي في إحدى قصائده:

دعني أجل ما بدت لي سفينة أو مطية
لا بد يقطع سيرى أمينة أو منية[5]

ومن شعره

إن عيبا على المشارق أن أر جع عنها إلى ذيول المغارب

---

(1) نفس المرجع

(2) الشريف الإدريسي ، ص/ 10.

(3) أدب الرحلة، ص/ 241

(4) صلاح الدين الصفدي : المؤرخ الأديب المشهور توفي سنة 764 هـ (الشريف الإدريسي، ص/ 13)

(5) http://mouradfawzy.yoo7.com/t20212p10-topic

وعجيب يضيع فيها غريب   بعدما جاء فكره بالغرايب
ويقاس الظما خلال أناس   قسموا بينهم هدايا السحايب[1]

وقد ترك الإدريسي مصنفات عديدة ومهمة منها :

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
- روض الفرج نزهة المهج ، وهو تلخيص لكتاب روض الأنس . وقيل إنه مختصر لكتابه " نزهة المشتاق " .
- الجامع لصفات أشتات النباتات. ، ونسخة مصورة لهذا الكتاب في معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوطة في مكتبة الفاتح باسطنبول.
- روض الأندلس ونزهة النفس . هذا الكتاب يعرف باسم " الممالك والمسالك " .
- "الأدوية المفردة " ذكره صاحب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ويبدو أنه مفقود. [2]

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

ألف كتابه الكبير " نزهة المشتاق " بتكليف من روجر الثاني ، ويقول أنه سمى " الكتاب الرجاوي " أو "كتاب روجار " نسبة إلى الملك روجر .

وقد ذكر شوقي ضيف أنه كتب هذا الكتاب بعد طلب الأمير روجر بتأليفه، حيث يقول :

" وقد عرف فيه روجر قدرته البارعة على رسم الخرائط ومهارته في علم الجغرافية ، فطلب إليه أن يؤلف فيها كتاباً له ، فلم يهجم على التأليف مباشرة، بل أنقذ طائفة من الرحالة إلى بلدان متفرقة ليأتوه بالمعلومات، فكتبوا له تقارير بما شاهدوه، أضافها إلى ما شاهده بنفسه في البلدان، وجمع أكثر ما كتب في هذا

---

(1) http://www.elaphblog.com/posts.aspx?u=8188&A=126599

(2) الشريف الإدريسي ، ص/ 13

العلم، واتخذ من كل ذلك مادة لتأليف كتابه الذي سماه " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" . [1]

ويقول د. زكي حسن أنه " وقد تم تأليف هذا الكتاب المسمى " نزهة المشتاق" قبل وفاة رجار سنة 548 هـ ، وظل الكتاب ينسب إلى أمير البلاد. [2]

ويقول عبدالغني : " وقد انتهى الإدريسي من تأليف كتابه هذا في سنة 548هـ ، ومعنى هذا أنه أنجزه في خمسة عشر عاماً ، وهي فترة غير كثيرة على كتاب جمعت مادته الوافرة عن الأقطار والأصقاع بوساطة رسل أرسلهم روجر والإدريسي لتحصيل المعلومات ، وجمع البيانات" [3]

وقد ترجم إلى اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي . ثم ترجم إلى عدد من اللغات الأجنبية ، ومنذ تلك الفترة يهتم المستشرقون بنزهة المشتاق .

وقد ظل " نزهة المشتاق " دليل أوروبا الأول في علم البلدان لعدة قرون، واعتمدت عليه مئات الأبحاث والرحلات الاستكشافية والبعثات العلمية .

وطريقة ترتيب كتاب الإدريسي بسيطة ، فإنها لا تخلو من آثار الصنعة، فهو يقدم لنا في أول الأمر وصفاً موجزاً للأرض التي يتصورها على شكل كرة، طول محيطها اثنا وعشرون ألفاً وتسعمائة ميل ومعلقة في الفضاء .

وبعد وصف قصير للأقاليم والبحار والخلجان، ينتقل إلى وصف سطح الأرض بالتفصيل، وهو يتبع في هذا مذهب بطليموس المعروف لنا بتقسيمه للأرض إلى سبعة أقاليم. أي أحزمة عريضة فوق خط الاستواء، غير أن الإدريسي أدخل على ذلك تجديداً بتقسيمه لكل إقليم من هذه الأقاليم السبعة إلى عشرة أقسام رأسية.

(**1**) الرحلات ، ص/ 19.

(**2**) الرحالة المسلمون في عصور الوسطى، ص/ 65.

(**3**) الشريف الإدريسي، ص/ 11.

وكل وصف لقسم من هذه الأقسام يرتبط بخارطة علمية، بحيث إذا ضمت هذه الخرائط السبعون الصغيرة إلى بعضها البعض لتكون من ذلك خارطة عامة لكل العالم على شكل مستطيل.

نماذج من كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

يصف الإدريسي مدينة شنت ماريا حيث يقول :

" ومدينة شنت مارية على معظم البحر الأعظم والسور منها يصعد ماء البحر فيه إذا كان المد وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الرتيب لها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة وهي كثيرة الأعناب والتين ومن مدينة شنت مارية إلى مدينة شلب ثمانية وعشرون ميلاً. " . (1)

ويبدو جليا إجادته لوصف المدن وحرصه على حشد المعلومات المختلفة والمتنوعة عن كافة جوانبها في أقل عدد من الأسطر. كما يصف مدينة الجزيرة الخضراء الأندلسية فيقول :

" مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجيار ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة ويشقها نهر يسمى نهر العسل وهو حلو عذب ومنه شرب أهل المدينة ولهم على هذا النهر بساتين وجنات بكلتي ضفتيه معاً وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإقلاع وحط وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر وعرضه هنالك ثمانية عشر ميلاً وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة أم حكيم وبها أمر عجيب وهو أن فيها بئراً عميقة كثيرة الماء حلوة والجزيرة في ذاتها صغيرة مستوية السطح يكاد البحر يركبها." (2)

ولما يصف الإدريسي المسجد الجامع بالقرطبة ، فيتعجب الإنسان بأسلوبه الجيد والدقيق ، ونلاحظ ما قال في وصف المسجد الجامع بالقرطبة: .

" وفيها المسجد الجامع الذي ليس بمساجد المسلمين مثله بنية وتنميقاً وطولاً وعرضاً، وطول هذا الجامع مائة باع مرسلة وعرضه ثمانون باعاً ونصفه مسقف ونصفه صحن للهواء وعدد قسي مسقفة تسع عشرة قوساً، وفيه من السواري، أعني سواري سقفه بين أعمدته وسواري قبلته صغاراً وكباراً مع سواري

(1) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي ، ج/1، ص/ 172

(2) نفس المرجع.

القبة الكبيرة وما فيها ألف سارية وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد، أكبرها واحدة منها تحمل ألف مصباح وأقلها تحمل اثني عشر مصباحاً، وسقفه كله سماوات خشب مسمرة في جوائز سقفه وجميع خشب هذا المسجد الجامع من عيدان الصنوبر الطرطوشي ارتفاع خد الجائزة منه شبر وإفر في عرض شبر إلا ثلاثة أصابع في طول كل جائزة منها سبعة وثلاثون شبرا".ً[1]

ويستمر الكلام ثم يقول :

"ولهذا المسجد الجامع قبلة تعجز الواصفين أوصافها وفيها إتقان يبهر العقول تنميقها، وكل ذلك من الفسيفساء المذهب والملون مما بعث به صاحب القسطنطينية العظمى إلى عبد الرحمن المعروف بالناصر لدين الله الأموي وعلى هذا الوجه أعني وجه المحراب سبع قسي قائمة على عمد وطول كل قوس منها أشف من قامة وكل هذه القسي مزججة صنعة القرط قد أعيت الروم والمسلمين بغريب أعمالها ودقيق تكوينها ووضعها وعلى أعلى الكل كتابان مسجونان بين بحرين من الفص المذهب في أرض الزجاج اللازوردي." [2]

وهكذا يبدو عمل الإدريسي مختلفا ومتميزا وجامعاً إلى حد كبير، أفاد به الجغرافيين والرحالة، وأضاف للعرب صفحات من المجد والفخار بفضل ما أنجز وبفضل ما فهم ووعي، وبفضل إرادة قوية وشهوة للعلم ودقة في الملاحظة، وسفر طويل التهم جل العمر الذي لم يضع سدى.

رفاعة الطهطاوي

هو رفاعة بن بدوي بن علي بن رافع الطهطاوي، والطهطاوي نسبة إلى مسقط رأسه طهطا، ويرفع المؤرخون نسبه من ناحية أبيه إلى الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول γ ، ومن ناحية أمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي إلى الأنصار الخزرجية.

ولد الطهطاوي بتاريخ 15 أكتوبر عام 1801 م (7 جمادي الثانية 1216هـ) في طهطا وهي من مدن صعيد مصر وإليها ينسب، وفيها تلقى علومه الأولى ، كانت أسرته ميسورة الحال لكنها على قدر متواضع من العلم، لكن خاليه .

(**1**) نفس المرجع

(**2**) نفس المرجع، ج/1، ص/ 186.

فراج الأنصاري ومحمد الأنصاري .كانا من علما الأزهر، وحددا له وجهته الثقافية، إذ انكب منذ نعمة أظفاره على حفظ القرآن الكريم، وقراءة المتون المتداولة، بالإضافة إلى كتب تراثية أخرى في اللغة والنحو والفقه وغيره، وتكون لديه طموح بأن يكون من علماء الأزهر تشبها بخاليه، وتم له ما أراد إذ التحقق بالأزهر عام 1817 م ودرس فيه خمس سنوات حتى أصبح أهلا للتدريس فيه . (1)

لقد كانت علوم الأزهر في ذلك الوقت علوما تقليدية يتلقى فيه الطالب علوم العربية والفقه والتفسير والحديث من حيث توقفت عندما ضعفت الدولة الإسلامية في أواخر العصر العباسي . وفي الأزهر تشكلت مرجعيته الإسلامية، وتثقف بالثقافة التقليدية التي كانت سائدة في ذلك الوقت التي كان يتيحها الأزهر لرواده.

وفي سنة 1821 م تخرج رفاعة من جامعة الأزهر وكان عمره واحد وعشرين سنة، فبدأت التدريس في الأزهر ، وكان يدرس الحديث والمنطق والعروض والبديع وغير ذلك . واستمر الطهطاوي في الأزهر التدريس لمدة سنتين، وعرف من خلال تدريسه بجودة قريحته وسلامة ذوقه، وكان مدرسا ممتازاً ، فأقبل عليه الطلاب، وقال عنه تلميذه صالح مجدي: "كان حسن الأسلوب ، سهل التعبير، مدققا محققا، قادراً على الإفصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بحيث يفهم درسه الصغير والكبير، بلا مشقة ولا تعب ، وكد ولا نصب" . (2)

قررت الحكومة المصرية إرسال البعثات إلى فرنسا في عام 1826 م ، وكان الطهطاوي لم يكن في البداية من ضمن الطلاب البعثة ، بل رشحه أستاذه الشيخ حسن العطار أتيحت له فرصة الإطلاق على الثقافة العربية بعامة والفرنسية بخاصة من خلال قيامه في باريس إماما للبعثة التي أرسلها محمد علي عام 1826 م وحتى عام 1831 م. وهناك كانت مقومات ثقافية أخرى تنتمي للعصر، ولا نعرف حدودا للطموح والتقدم ، كانت هذه تشكل عقلية وتنتج مكونا ثقافيا جديداً نشأ عن امتزاج الثقافتين في نفسه.

---

(1) رفاعة الطهطاوي رائد التحديث الأوروبي في مصر ، دار الكتاب العلمي ، بيروت ، ص/30

(2) حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، سيرة رفاعة رافع الطهطاوي ، لمجدي صالح، القاهرة ، ص/ 25

بدأ تعلم اللغة الفرنسية في باريس ، وكان أفراد البعثة أولا ممنوعين من الاختلاط بالفرنسيين حتى لا يفسدوا، ولكن أيقن القائمون على البعثة أن تعلم اللغة بحاجة إلى الاختلاط. ولسد هذا النقص سمحوا لأفراد البعثة بالتفرق مع أولاد الفرنساوية أو بتلقي اللغة في بيت مخصوص عند معلم مخصوص بقدر معلوم الدراهم في نظير الأكل والشرب والسكنى والتعليم .

إن الطهطاوي لم يكن قارئاً فقط بل كان يراقب ويدقق فيما يدور حوله من أحداث سياسية واجتماعية وعلمية، وكان يمعن النظر في تكون المجتمع الفرنسي وتقاليده وأشيائه الحضارية وعادته السياسية والفكرية.

لقد اشتغل الطهطاوي بالتدريس وهو يدرس في الأزهر، ثم بعد تخرجه منه عام 1821 م وبعد أن عاد من بعثته إلى باريس عام 1831 م ، اشتغل مترجما في مدرسة الطب ، ويبدو أنه كان مصححا ومحررا أكر منه مترجماً ، ثم نقل مترجما بمدرسة الطوبجية، بطرة، وحين أنشئت مدرسة للترجمة عام 1835 م وسميت فيما بعد بمدرسة الألسن عهد إلى رفاعة بإدارتها، وقد أنشئت المدرسة أصلا برغبة من الطهطاوي كما يقول علي مبارك ، إذ عرض رفاعة للجناب العالي أن في إمكانه أن يؤسس مدرسة ألسن يمكن أن ينتفع بها الوطن، ويستغني عن الدخيل، فأجابه إلى ذلك، ووجهه إلى الأقاليم لينتخب منها من التلامذة ما يتم به المشروع ، فأسس المدرسة. [1]

وفي عام 1854 تولى الحكم الخديوي سعيد، فعاد رفاعة إلى مصر، وكان سعيد مشغولاً بالجيش فأنشأ مدرسة حربية عام 1855 م لإعداد الضباط وعين رفاعة ناظرا لها ، فصبغ المدرسة الجديدة بصبغة مدنية، فجعل دراسة اللغة العربية واجبة، والحق بها قلما للترجمة فكأنه أراد إحياء عهد مدرسته القديمة الحبيبة إلى نفسه وهي مدرسة الألسن.

عاش الطهطاوي في ظل الخديو إسماعيل عشر سنوات من 1863-1873 م ، وعادت له حيوية، وازدهرت أنشطته، وفتحت أمامه مرة أخرى أبواب العمل في

---

(1) رفاعة رافع الطهطاوي ، لجمال الدين الشيال، ص/ 20

التربية والتعليم والترجمة، فاقترب مستوى نشاطه مما كان عليه أيام محمد علي. فأنشأ إسماعيل " ديوان المدارس" وعين رفاعة رئيسا له.

وفي عام 1870 م قرر ديوان المدارس إصدار مجلة فكرية وثقافية وأدبية وهي " روضة المدارس" وقرر الديوان إسناد رئاسة تحريرها إلى رفاعة الطهطاوي، وظل رئيس التحرير إلى أن جاء نداء ربه ، عام 1873 م . [1]

ومن مؤلفاته وترجماته

كان الطهطاوي بمثابة موسوعيا في الترجمة ، لأنه ترجم عددا كبيرا من كتب التاريخ والجغرافية والعلوم والهندسة والشعر والأدب والطب ، وقد بلغت ترجماته 27 ترجمة منها :

- التخليص الإبريز في تلخيص باريز
- القانون المدني الفرنسي ، في عام 1866
- رسالة المعادن ، في عام 1867
- المنطق ، في عام 1838
- نبذة في علم سياسيات الصحة
- الدستور الفرنسي
- أطلس جغرافي، في عام 1834.

رحلة رفاعة إلى باريس

هي رحلة سجلها رفاعة رافع الطهطاوي في كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " ، وكان رفاعة الطهطاوي قد زار باريس ومكث فيها خمس سنوات ، لما أرسله محمد علي حاكم مصر مع بعثة علمية .

وسبب تدوين رحلته هو الرغبة في التنبيه على ما يقع في سفرته وعلى ما يراه ويصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة، ليكون نافعاً في كشف القناع عن عرائس الأقطار، وليبقى دليلاً يهتدي به إلى السفر إليها طلاب الأسفار، خصوصا

---

(1) دور الفكر التربوي للشوكاني ورفاعة الطهطاوي للتأسيس للنهضة والتطوير خلال القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه ، عبدالكريم عبدالرحمن علي ، الجامعة الأردنية، ص/ 86-89.

وأنه لم يظهر حتى ذلك الوقت شيء باللغة العربية في تاريخ مدينة باريس ولا في تعريف أحوالها وأحوال أهلها. وكانت هذه هي أيضاً رغبة وتوصية بعض أقارب الشيخ ومحبيه، ولاسيما شيخه حسن العطار الذي كان مولعاً بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار. [1]

والسبب الثاني لتدوين رحلته هو رغبته في " حث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنايع " ، التي رأى من كمالها والانتفاع بها في بلاد الإفرنج ما أبقاه طوال مدة إقامته في حسرة على تمتعها بذلك دون ممالك الإسلام لخلوها من ذلك كله.

لذلك لم تقتصر رحلة الطهطاوي على ذكر السفر ووقائعه ، وإنما اشتملت أيضاً على ثمرته وغرضه، وعلى إيجاز العلوم والصنايع المطلوبة. وكان أثناء السفر لا يبخل علينا بوصف حياة الإفرنج. ويذكر مرورهم على جزيرتي كريت وصقلية وعلى مدينتي مسينة ونابولي ثم جزيرة " قرسفة " حتى وصلهم إلى مرسيليا، وبعدها إلى باريس عن طريق البر بالعربات.

وكان الشيخ يصف أهل باريس وطباعهم وعادة سكناهم، وبيوتهم ونظافتها وترتبها ولطائفها، وأغذيتهم وعاداتهم في المأكل والمشرب.

نماذج من رحلته

يصف رفاعة الطهطاوي عادات أهل باريس في الأكل والشراب حيث يقول:

> " وعادة الفرنساوية الأكل في طباق كالطباق العجمية أو الصينية لا في آنية النحاس أبداً. ويضعون على السفرة دائماً قدام كل إنسان شوكة وسكينا، وملعقة ، والشوكة والملعقة من الفضة. وكل إنسان له طبق قدامه بل وكل طعام له طبق وقدام الإنسان قدح يصب فيها ما يشربه من (قزازة) عظيمة موضوعة على السفرة، ثم يشرب فلا يتعدى أحد على قدح الآخر، فأواني الشرب دائماً من البلور والزجاج وعلى السفرة عدة أواني صغيرة من الزجاج أحدها فيه ملح

---

(1) تخليص الإبريز في تخليص باريز، لرفاعة رافع الطهطاوي، ص/ 4

والآخر فيه فلفل وفي الثالث خردل إلى آخره. وبالجملة فآداب سفرتهم وترتيبها عظيم جداً، وابتداء المائدة عنهم الشوربة واختتامها الحلويات والفواكه ..." (1)

والشيخ طهطاوي يرى الرجال في فرنسا عبيداً للنساء مع عدم غيرة علينهن، برغم قلة عفاف كثير من نسائهم ، وصور حياة النساء في باريس في قوله:

"ونساء الفرنساوية بارعات الجمال واللطافة حسان المسايرة والملاطفة، يتبرجن دائماً بالزينة ويختلطن مع الرجال في المنتزهات وربما حدث التعارف بينهن وبين بعض الرجال في تلك المحال سواء الأحرار وغيرهن خصوصاً يوم الأحد الذي هو عيد النصارى ويوم بطالتهم وليلة الاثنين في البارات والمراقص.... وكما قيل إن باريس جنة النساء .. وذلك أن النساء بها منعمات سواء بمالهن أو بجمالهن، وملابس النساء ببلاد الفرنسيين لطيفة بها نوع من الخلاعة خصوصاً إذا تزين بأغلا ما عليهن.... إن نساء الفرنسيين يجمعن الشعور في وسط رؤوسهن ويضعن فيه دائماً مشطاً ونحوه .. ولا يمكن لهن أبداً كشف شيء من الرجلين بل هن دائماً لابسات للجرابات السائرة للساقين خصوصاً في الخروج إلى الطرق " (2)

والشيخ الطهطاوي يتحدث عن اللغة الفرنساوية فيقول :

ثم إن اللغة الفرنساوية كغيرها من اللغات الأفرنجة لها اصطلاح خاص بها، وعليه ينبني نحوها، وصرفها وعروضها، وقوافيها، وبيانها ، وخطها ، و إنشاؤها ، ومعانيها، وهذا ما يسمى اغراماتيقي ، فحينئذ سائر اللغات ذات القواعد لها فمن يجمع قواعدها، سواء كانت لدفع الخطأ في القراءة أو الكتابة فيها أو لتحسينها، فحينئذ ليست اللغة العربية هي المقصورة على ذلك. بل كل لغة من اللغات يوجد فيها ذلك، نعم اللغة العربية أفصح اللغات ، وأعظمها ، وأوسعها، وأحلاها على السمع ، فحينئذ العالم باللغة اللاتينية يعرف سائر ما يتعلق بها، فله إدراك في النحو في حد ذاته وفي غيره كالصرف، .... " (3)

(1) نفس المرجع، ج/2، ص/ 202.

(2) نفس المرجع، ص/ 66-77 ، 106-107

(3) نفس المرجع، ص/ 159.

اسمه : "هو محمد بن ناصر بن عبدالرحمن بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمد بن عبود" [1]

ولد الشيخ ناصر العبودي في 30 ربيع الثاني عام 1345 هـ ، في عائلة مشهورة في مدينة " بريدة " في المملكة العربية السعودية .

وأسرة الشيخ قديمة وعمرها حوالي 400 سنة ، وأسرة الشيخ قاطنة في منطقة بريدة منذ القرن التاسع الهجري، ولهم أملاك وضياع في المنطقة .

وأسرته تعرف بالعبود، ثم أضيفت الياء في جده عبدالرحمن. أما والده ناصر فكان رجلاً شهماً ، يحفظ أحاديث العرب وأخبار الناس، وكان عالماً بالأسر والأنساب على الرغم من أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب .

وأما والدة الشيخ محمد فكانت هي نورة بنت موسى بن عبدالله العضيب، قارئة القرآن والكتب.

التحق الشيخ محمد في مدرسة الشيخ سليمان بن عبدالله العمري ، وكانت هذه المدرسة من إحدى المدارس الأهلية لتعليم الصغار القرآن والقراءة والحساب.

ويقول الشيخ عبودي : " أنه دخل هذا الكتّاب (المدرسة) وعمره لا يتجاوز خمس سنوات وذلك لسببين : أحدهما رغبة والده في التعليم المبكر لابنه ، وثانيهما قرب مدرسة الشيخ سليمان بن عبدالله العمري من بيتهم، حيث كان جاراً لهم، وتربطه به صلة مصاهرة وقربى، فلا يحتاج إلى من يوصله إلى المدرسة." [2]

ثم التحق بالمدرسة الحكومية في بريدة سنة 1356 هـ وتخرج منها.

بدأ العمل في المدرسة ، وأصبح مديرا للمدرسة المنصورية في مدينة "بريدة". ثم سنة 1372 هـ، صار مديراً للمعهد العلمي في نفس المدينة. ولما اختير مديراً للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام 1380 هـ فانتقل إلى المدينة المنورة. وبعد ذلك اختير أمين العام للدعوة الإسلامية. وعمل في الرابطة العالم الإسلامي كأمين العام المساعد .

---

(1) www.alobody.net

(2) نفس المرجع

والشيخ محمد يقول عن تلك الأعمال : " وفي عام ١٣٨٠ أي بعد أن أمضيت في المعهد العلمي ببريدة حوالي سبع سنوات ونصف عينت مديرًا للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكانت الجامعة الإسلامية في ذلك الوقت تحت الإنشاء ومضت أشهر حتى افتتحت عام ١٣٨١ فأصبحت وظيفتي فيها الأمين العام للجامعة الإسلامية. " (1)

وقد أتاح له عمله في رابطة العالم الإسلامي فرصة التجوال الذي شمل أنحاء الكرة الأرضية تقريباً، بيد أن ذلك أوقعه في مآزق الرسمية التي حدت بدورها حريته بما تفرضه من جولات رسمية، ولذلك لم يحظ بما حظي به غيره من الرحالة في التجوال، والانتقائية في تحديد المعالم والأماكن المزارة.

إذا قلنا إن هواية الشيخ هي السفر، والكتابة، وكان يحب أن يقوم بالرحلات وتدوينها ، وفعل ذلك لأنه قام بعدة رحلات إلى أنحاء العالم لأجل الدعوة الإسلامية.

وقد كتب على الشيخ محمد عدة مقالات في الجرائد المختلفة من قبل الأدباء والعلماء ، منها " أدب الرحلة عند العبودي " للدكتور حسن بن فهد الهويمل، نشرت في جريدة "الجزيرة بتاريخ 2004/2/3 ، 2004/2/4 ، و " قبل أن نفقدهم .. الرحالة العبودي (أنموذجاً) " لعلي بن زيد القرون ، نشرت في الجريدة " الجزيرة بتاريخ 2009/5/17 " و " كتاب العبودي مخطوط ويتناول أسر منطقة القصيم بكافة شؤونها" لدكتور محمد بن عبدالله المشوح ، جريدة عكاظ بتاريخ 2003/12/14 ، و " الشيخ محمد العبودي يستحق التقدير" لعبدالرحمن المعمر، جريدة المدينة ملحق الأربعاء، بتاريخ 2003/12/17 ، وهناك عدد كثير من المقالات ، وجميعها موجودة على موقع الشيخ محمد ناصر العبودي، www.alobody.net .

وعدد مؤلفاته حوالي 300 كتاب ، في أدب الرحلة ، والدعوة الإسلامية وفي الأدب واللغة ، والإخباريات ، والجغرافيا.

ومن أهم ما ألف في أدب الرحلات

---

(1) الأثنينية ،حفل التكريم للشيخ محمد ناصر العبودي، بتاريخ 1986/3/31 .

- كنت في بلغاريا رحلة وحديث عن أحوال المسلمين
- كنت في ألبانيا رحلة وحديث عن الإسلام بعد سقوط الشيوعية
- في نيبال بلاد الجبال
- الرحلات البرازيلية ، في جنوب البرازيل
- رحلات في جنوب روسيا الإتحادية إقليم أورنبوغ
- أيام في النيجر
- سياحة في كشمير
- رحلة إلى سيلان وحديث في أحوال المسلمين
- نظرة في وسط إفريقية

وأما مؤلفاته المطبوعة في غير فن الرحلات منها :

- معجم بلاد القصيم . في ستة مجلدات .
- الأمثال العامية في نجد . خمسة مجلدات .
- نفخات من السكينة القرآنية
- مأثورات شعبية
- سوانح أدبية
- مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين وبخاصة الأقليات المسلمة.
- المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر .
- رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين.
- الدعاة إلى الله، شرف مهمتهم، وطرق دعمهم.
- الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة.

فهذه بعض الكتب المطبوعة ، وأما الكتب المخطوط والمنتظرة للطباعة فعددها أكثر من مائة كتاب .

وقد أقيمت له حفل التكريم بتاريخ 1406/7/21 – 1976/3/31 ، وشارك في هذا الحفل عدد من الأدباء والعلماء ، ولقب في هذا الحفل الكريم بـ " عميد الرحالين " .

رحلات الشيخ ناصر العبودي ونماذجها

إن العبودي يصنف كتبه ضمن أدب الرحلة ذي الاتجاه الديني ، وهو محق في ذلك فأهداف رحلاته أهداف دينية، تهدف إلى دراسة أوضاع الأقليات المسلمة، واحتياجاتها، وهو عمل ضخم، وجهد مبارك، زاد من قيمته، وأعلى من شأنه هذا التسجيل الواقعي المفصل لأحوال الأقليات المسلمة، مما يعد خطوة رائعة، تسجل للعبودي في عصر، نحن فيه في أمس الحاجة إلى مثل هذه الدراسات المهمة، في سبيل وضع " استراتيجيات" ناجحة للتعامل الإيجابي مع قضايا هذه الأقليات من جهة، ومعرفة ظروفها السياسية والفكرية التي تحيط بها من جهة أخرى.

ولما كان الغرض الديني هو الهدف من هذه الرحلات، فقد لاءم الرحلة كتاباته مع هذا الغرض، وظهر الحس الإسلام مسيطرا على كتاباته، حتى إن الكتاتب ليخاطر بنفسه أحياناً من أجل ا لوصول إلى المسلمين، مهما كلف الأمر، كما فعل حين زار منطقة شمال شرق بولندا القريب من حدود الإتحاد السوفيتي، رغم قربه من المفاعل النووي السوفيتي تشرنوبل، وهو في أثناء رحلاته يحمل الهم الإسلامي، ولذلك فكثيرا من تستوقفه حال بعض المسلمين. وما وصلت إليه قلة ذات اليد عند بعضهم مثلاً ، وينحي باللائمة على إخوانهم المسلمين المنوط بهم مساعدتهم ، ومد يد العون لهم، فبعد زيارته لإحدى مدارس وسط أفريقية يقول :

" والمهم هنا أن أذكر أنني شعرت بحزن عظيم، بل بحياء مزعج من الله تعالى، ومن هؤلاء المسلمين، لأن المدرسة مبنية من الطين بشكل رث، بل مزر، وإن كان ذلك ليس بالنسبة إليهم، لأن هذه هي طاقتهم واستطاعتهم و (❖❖ ☞✧❍⍂▦⧫☼ ✦✏☞✄ ←✄♑✆◘⬧▤⬉③

﴿ ♋⍌♑⍌➔⬄♋⬉❐ ∙∙◆ ﴾ [1]، وإنما هو لنا نحن
إخوانهم القادرين في البلدان الإسلامية " [2] .

إن العبودي ينقل أحياناً صوراً محزنة لبعض المواقف التي تمر به في هذا الميدان، فأثناء زيارته للعهد الإسلامي في " صوفيا" يلحظ أن غداء الطلاب خبز قراح . وقد حاولوا ستر طعامهم لئلا يراه الوفد عند وصوله . فيقول :

" لكنني كشفته لغرض أردته، وقلت للمفتي وهم يسمعون " إنني لم أر لحماً في طعام الطلاب، ولذلك أرجوهم أن يقبلوا دعوتي لهم على أكلة لحم تشبعهم، ثم أعطيته وهم يرونني مائة دولار أمريكي ليشتري بها لحماً لهم، وهذا مبلغ مجز في هذه البلاد" [3]

ويرتفع الأسلوب لديه أحياناً ، قائلا عن أحد احتفالات المسلمين في روسيا:

" ولم يكدر هذا الاحتفال الجميل إلا كون الجو غائماً ، والمطر يسقط رذاذاً وكأنما هو ينفث رقيته على هذه الأرض المسلمة لئلا تصيبها العين، لأنها حصلت، لأول مرة منذ 73 سنة، على شيء من حريتها في أمر دينها لم تحصل عليه من قبل"[4]

والشيخ محمد يصف الريف في كشمير المحتلة حيث يقول :

" وقد حف به صف من الأشجار العالية بل الباسقة في تناسق عجيب حتى إنك لا ترى امتداده على مدى البصر وكأنما هذه الأشجار الباسقة جداران عاليان لحصن حجري هام إلا أنها جداران أخضران جميلان رشيقان رشاقة فتيات كشمير الجميلات وهذه الأشجار هي ناضرة كما أن وجوه فتيات أهل هذه البلاد ناضرة وعلى جانبي الطريق يرى المرء حقول الأرز وأحواضه الغارقة في المياه. " [5]

والشيخ يكتب عن فندق الأرض الخضراء حيث يقول:

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 286

(2) نظرة في وسط أفريقية، رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين، ص/ 88.

(3) مع المسلمين البولنديين للشيخ ناصر، ص/ 7

(4) الرحلة الروسية، مشاهدات في جمهورية روسيا الإتحادية وأحاديث في شئون المسلمين، ص/ 102.

(5) سياحة في كشمير ، للعبودي، ص/ 83.

" ربما لا أر تسمية لمكان أصدق من تسمية فندق بهذا الاسم رأيناه في ضاحية بلدة بهلقام مع أنها كلها أشبه بالضاحية منها بالمدينة وقد كتبوا اسمه عليه (قرين لند هوتيل / Greenland Hotel) أي فندق الأرض الخضراء.

وهذه تسمية صحيحة كل الصحة فهذه الأرض لا يمكن أن توصف بأصف من هذا الوصف.

وقد وقف المطر قليلاً ولكن جريان النهر الرقراق المياه لم يقف والطريق جيد ويمكن السيارة أن تسير بسرعة ... فهو مخالف للطرق في بعض ولايات الهند كولاية بيهار على سبيل المثال" . [1]

وأحسب أن في هذه النصوص تأكيداً على قدرة العبودي على العرض الأدبي والتميز فيه لو وجد وقتاً كافياً ولا يعني ذلك أنني أبحث عن مبررات لهذه الرحلة، بقدر ما هو الحرص على بيان الحقيقة، وفي ذات الوقت فإني أشيد بدورها الاستطلاعي الموثق الذي قامت به، والذي اختصر زمناً وجهداً، وجدير بالباحثين في العمل الإسلامي أن يولوا وجوههم قبل هذه الرحلات إذ إنها ستعطيهم بلا شك كثيراً مما يحتاجونه، ويتطلعون إليه.

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★
★★★★★★
★★★★★
★★★★★
★★★★
★★
★

---

(1) نفس المرجع، ص/ 153.

التعريف بأهم الرحالة العرب إلى الحجاز

المسعودي

هو أبو الحسن علي ابن الحسين بن علي بن عبدالله الهزلي المسعودي يتصل نسبه بعبدالله بن مسعود الصحابي الجليل .

وما وجدت شيئا عن تاريخ ميلاده في جلّ المصادر ، إلا أنه عاش في القرن الرابع الهجري كما يقول الدكتور زكي حسن :

" عاش المسعودي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري " العاشر الميلادي" .[1]

وقد أشار فؤاد قنديل إلى تاريخ ولادته حيث يقول : " أن المسعودي قد ذكر أنه بدأ الارتحال عام 301 هـ ، فإننا نرجح أن يكون قد ولد قبل ذلك. على الأقل. بنحو ربع قرن . " [2]

وقال ابن النديم : " هذا الرجل من أهل المغرب ، يعرف بأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، من ولد عبدالله بن مسعود، مصنف لكتب التواريخ وأخبار الملوك" [3]

وقال جورجي زيدان : " هو علي بن الحسين بن علي ، من ذرية عبدالله بن مسعود، ولذلك قيل له المسعودي، نشأ في بغداد وجاء مصر، ورحل في طلب العلم إلى أقصى البلاد. " [4]

وأما مكان ولادته فهو إقليم بابل وفي هذا الصدد يقول المسعودي في مروج الذهب :

" وأوسط الأقاليم الإقليم الذي ولدنا به وإن كانت الأيام أنأت بيننا وبينه، وساحقت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين إليه، إذ كان وطننا ومسقطنا وهو إقليم بابل، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً وقدره عظيماً " [1]

(**1**) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 36.

(**2**) أدب الرحلة ، ص/ 212.

(**3**) الفهرست لابن النديم، ط/ مصر، ص/ 219.

(**4**) تاريخ اللغة العربية، ج/2، ص/ 313.

ثم انتقل إلى بغداد حيث نشأ وقضى سني صباه وشبابه، وتلقى العلوم الشرعية والأدبية لكنه غادرها سنة 301 هـ عازماً على التجوال في البحر الشرقي الكبير، بعد أن خلبت لبه حكايات التجار والملاحين عن سحر هذا البحر وروعة ما فيه من عجائب .

ويقول فؤاد قنديل عنه : إنه " مؤرخ وجغرافي وفلكي وفقيه وراوية ورحالة عربي شهير سماه بعض المستشرقين " هيردوت العرب " ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب بفضل كتبه الموسوعية الحافلة بالمعارف والعلوم وأهمها " مروج الذهب ومعادن الجوهر " . [2]

قام منذ بداية القرن بعدة رحلات إلى الشرق والغرب، شغلت نحو نصف قرن من الزمان وما يزيده عن ثلاثة أرباع عمره، طوف خلالها عديدا من الأقطار، وركب البر والبحر وجمع ثروة جغرافية وتاريخية عن شعوب هذه البلاد صبها في تصانيفه الكثيرة، التي لفتت إليه أنظار العلماء العرب والإفرنج لما احتوت عليه من الأخبار والمعلومات الفقهية والتاريخية والفلكية والأدبية والجغرافية، فضلا عن الغرائب والأساطير، ولا تزال هذه الكتب تستحوذ على الألباب، خاصة الذين يعشقون التجوال في بحار هذه العصور للاطلاع على مادة تاريخية واجتماعية شائقة، وقد مكنته من تحصيلها إجادته لعدد من اللغات كالفارسية والهندية والعربية والسريانية واليونانية.

ومن أهم تصانيفه الأخرى :

1. أخبار الزمان وما أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، وهو أول ما ألف من كتب ، ويقع في نحو ثلاثين مجلداً.
2. الكتاب الأوسط : هو وسط بين الكتابين " المروج الذهب و أخبار الزمان " وقد ضاع ولكن في مكتبة أكسفورد نسخة يظنون أنها هو ،

---

(1) مروج الذهب للمسعودي، ت/ محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر بيروت، ج/2، ص/ 65

(2) أدب الرحلة ، ص/ 211.

ويظن بعض الباحثين أنه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق.

3. التنبيه والإشراف: أودعه لمعا من ذكر الأفلاك وهيئاتها، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها والرياح ومهابها والأرض وشكلها ومساحتها، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان، وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب الأنهار، وذكر جوامع تواريخ العالم والأنبياء، وفيه أشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتاب التاريخ، وقد طبع في لندن سنة 1894 في جملة المكتبة الجغرافية في 500 صفحة .

ذكر فؤاد قنديل عدة كتب للمسعودي حيث يقول: "وقد أشار المسعودي نفسه في كتابيه " مروج الذهب " و " التنبيه والإشراف" إلى نحو ثلاثين مؤلفاً وضعها وأحال القارئ إليها، لكنها غير متوافرة ولم يعثر لها على أثر، منها على سبيل المثال: " طب النفوس ، أخبار الأمم من العرب والعجم ، الرؤيا والكمال، المسائل والعلل في المذاهب والملل، الإبانة عن أصول الديانة، سر الحياة، البيان في أسماء الأئمة، الرسائل، الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار، ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور" [1] .

وقال ابن شاكر في فوات الوفيات عن وفاته : " مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة (346 هـ) " [2]

رحلته

بدأ المسعودي رحلته في عام 301 هـ الموافق 915 هـ ، لما غادر إلى بغداد عازماً على بدء رحلاته في مختلف ممالك الإسلام مبتدئاً ببلاد فارس وكرمان سنة 309 هـ ، واستقر في إصطخر ، وفي السنة التالية قصد الهند إلى ملتان والمنصورة، ومكث في بومباي حوالي سنة كاملا، ثم سافر إلى سيلان (سرنديب) وبلاد سيمور ، ثم رافق جماعة من التجار في رحلة إلى بحار الصين، وزار جزيرة مداغسكر وزنجبار

(**1**) نفس المرجع، ص/212.

(**2**) فوات الوفيات، ج/2، ص/ 94.

وسواحل أفريقية الشرقية والسودان، ورحل رحلة أخرى سنة 314 إلى إقليم بحر قزوين وآسيا الصغرى والشام والعراق وبلاد العرب الجنوبية ومصر، وفي سنة 332 سافر إلى أنطاكية والثغور الشامية إلى دمشق واستقر أخير بمصر، ونزل الفسطاط سنة 345 هـ. فجمع خلال هذه الرحلات مادة معرفية غزيرة، أضافها إلى حصيلته من الإطلاع على كتب التاريخ والسير والفقه والأدب، فعكف على وضع أول مؤلفاته وهو أخبار الزمان الذي ورد ذكره في التنبيه والإشراف.

وقد قال المسعودي عن رحلته : " وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والقلزم واليمن، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة، فلم أشاهد أهول من بحر الزنج وفيه السمك المعروف بالاوال ، طول السمكة نحو من أربعمائة ذراع بالذراع العمرية، وهي ذراع ذلك البحر، والأغلب من هذا السمك طوله مائة ذراع. وربما بدأ بهذا البحر فيظهر طرفاً من جناحيه فيكون كالقلاع العظيم وهو الشراع، وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم. والمراكب تفزع منه بالليل والنهار... " [1] .

نماذج من رحلاته

يصف المسعودي الحجاز حيث قال:

> " وأما الحجاز فحاجز بين الشام واليمن والتهائم، هواؤه حَرور، وليله بهفور، ينحف الأجسام، ويُجفَف الأدمغة، ويشجع القلوب، ويبسط الهم، ويبعث على الإحن وهو بلد مَحْل قَحْط جَدب ضَنْك." [2]

وهاهو المسعودي الذي يذكر مكة المكرمة ويربطها بمسكن إبراهيمv وولده إسماعيل v حيث قال:

> "ولما أسكن إبراهيم ولده إسماعيل مكة مع أمه هَاجَر، واستودعهما خالقَهُ على حسب ما أخبر الله عنه أنه أسكنه بواد غير في زرعٍ، وكان

---

(1) مروج الذهب، ج/1، ص/ 40.

(2) نفس المرجع، ج/1، ص/ 194.

موضع البيت رَبْوَةٌ حمراء – أمر إبراهيم هاجر أن تتخذ عليها عريشا يكون لها مسكناً، وكان من ظمأ إسماعيل وخبر هاجر ما كان إلى أن أنبع الله لهما زمزم، وأقحط الشحر واليمن، فتفرق العماليقُ وجرهم في البلاد وَمَنْ مناك من بقايا عاد."[1]

ويذكر المسعودي تاريخ مكة ونزول قبيلة جرهم حيث قال:

" وتسامعت جرهم ببني كركر ونزولهم الوادي، وما هم فيه من الخصب وإدرار الضّرع، وهم في حال القَحْطِ، فبادروا نحو مكة، وعليهم الحارث بن مُضَاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هيني بن نبت بن جُرْهم، حتى أتوا الواعي، ونزلوا مكة، واستوطنوها مع إسماعيل ومن تقدمهم من العماليقه من بني كركر، وقد قيل في بني كركر: إنهم من العماليق، وقيل: إنهم من جرهم، والأشهر أنهم من العماليق، وتزوج إسماعيل زوجته الثانية، وهي سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت."[2]

ويصف المسعودي بناء الكعبة في زمن إبراهيم v و أشار إلى تاريخ بناءه حيث قال:

" وقد كان إبراهيم قدم إلى مكة ولإسماعيل ثلاثون سنة، حين أمره الله تعالى ببناء البيت، فبناه، وكان إسماعيل يأتي بالحجر من عدة جبال ذكرت، وطوله ثلاثون ذراعا، والحجر فيه وهو سبعة أفرع، وعرضه اثنان وعشرون ذراعا، وسمكه سبعة أفرع، وجعل له باباً، ولم يسقف، ووضعِ الركن موضعه، وألصق المقام بالبيت، وذلك قوله β: (وَإِذْ يَرْفعُ إبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وإسماعِيلُ) [3]، وأمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذِّنَ في الناس بالحج. ولما قُبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل، ثم قام من بعده أناس من جُرْهم، لغلبة جرهم على ولد إسماعيل، وكان ملك جُرْهم يومئذ الحارث بن مُضَاض، وهو أول من ولي البيت، وكان ينزل هناك في الموضع المعروف بقُعَيْقعَان في هذا الوقت، وكان كل من دخل مكة بتجارة عَشَّرَها عليه وذلك في أعلى مكة،

---

(1) نفس المرجع، ج/1، ص/ 187.

(2) نفس المرجع.

(3) سورة البقرة، رقم الآية/127

وملك العماليق السَّمَيْدَع بن هو بن لاوى بن قبطور بن كركر بن حيد وكان ينزل أجيادا من أسفل مكة، وكان يُعَشَرُ من دخل مكة من ناحيته "[1]

يصف المسعودي ليلة الغطاس في مصر حيث يقول :

" ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي ليلة إحدى عشرة تمضي من طوبة وستة من كانون الثاني. ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة ليلة الغطاس بمصر، والإخشيد محمد بن طغج في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها، وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع، وقد حضر النيل في تلك الليلة مئو آلاف من الناس من المسلمين والنصارى، منهم في الزوارق، ومنهم في الدور الدانية من النيل، ومنهم على الشطوط، لا يتناكرون الحضور، ويُحْضِرون كل ما يمكنهم إظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف، وهي أحسن ليلة تكون بمصر، وأشملها سروراً، ولا تغلق فيها الدروب، ويغطس أكثرهم في النيل، ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ومبرئ للداء." [2]

وفي الأخير أذكر قول فؤاد قنديل واصفاً رحلته : " أحسب أنه غنى عن البيان تأثير كتابات المسعودي التي يختلط فيها الواقع بالأسطورة، والحقيقة بالعجيبة والغريبة على الأدب القصصي السائد في تلك الفترة وما بعدها وبلوغ أصدائه أشكال الرواية والأدب الشعبي، بما يستحق أن يرصده الباحثون على نحو دقيق. [3]

ابن خلدون

هو الفقيه الأديب الفيلسوف المؤرخ الرحالة العربية الشهير ابن خلدون وقد ذكر ابن النديم في الفهرست اسمه : " عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحيم ولي الدين أبو زيد

(**1**) مروج الذهب، ج/1، ص/ 187

(**2**) نفس المرجع، ، ج/1، ص/ 344.

(**3**) أدب الرحلة، ص/ 228.

الحضرمي من ولد ابن حجر الأشبيلي ، تونسي الأصل ثم القاهري المالكي ويعرف بابن خلدون " (1)

ولد ابن خلدون بتونس، في بداية رمضان سنة 732 هـ ، 27 مايو عام 1332 م ، وهو ينتمي لأسر من أصل خضرمي انتقلت إلى الأندلس والمغرب مع الفتح العربي لهذه البلدان. (2)

يقول ابن خلدون عن نسبه قائلا: " عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحيم بن خلدون، ويغلب على الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عدداً، لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس،فإن كان أول الفتح فامتداده إلى هذا العهد سبعمائة سنة،فيكون هاء العشرين، ثلاثة لكل مائة، ونسبنا حضر موت، من عرب اليمن، إلى وائل بن حجر الصحابي الجليل، من قبائل العرب ، معروف وله صحبة " (3)

فيقول عبدالواحد معلقاً على هذا : " فاسم ابن خلدون هو : عبدالرحمن ، وكنيته أبو زيد ، ولقبه ولي الدين ، وشهرته ابن خلدون" (4)

وقد اكتسب كنيته من ابنه الأكبر فقد لقب به بعد توليه وظيفة القضاء في مصر سنة 786 هـ بتفويض من السلطان الظاهر بيبرس وخلع عليه لقب ولي الدين.

وأما خلدون نسبة إلى جده " خالد بن عثمان " وهو الذي دخل من هذه الأسرة في الأندلس ، ثم اشتهر بعد ذلك بـ " خلدون " حسب الطريقة عند الأندلسيين ، وهم يضيفون إلى الأعلام واواً، ونوناً للدلالة على تعظيم من يحمل هذا الاسم مثل حمدون زيدون محمدون وخلدون .

وقد أشار ابن حزم (1) إلى أسرة ابن خلدون فهو يقول : " إن أسرة ابن خلدون ترجع إلى أصل يمني حضرمي، وأن نسبها في الإسلام يرجع إلى وائل بن

(**1**) الفهرست لابن النديم ، ج/3، ص/ 330

(**2**) المرجع السابق، ، ص/ 530

(**3**) التعريف بابن خلدون لابن خلدون في آخر كتاب العبر، دار الكتاب العليمة، بيروت لبنان، ج/1، ص/451.

(**4**) عبقريات ابن خلدون، لدكتور علي عبدالواحد ، مكتبات عكاظ جدة، ، ص/ 19.

حُجر وهو صحابي جليل روي عن النبي γ نحو 70 حديثاً، وبعثه γ مع معاوية بن أبي سفيان إلى أهل اليمن يعلمهم القرآن والإسلام " [2]

قال ابن حيان : " وبيت بني خلدون إلى الآن في أشبيلية نهاية في النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية أو رياسةٍ علمية " [3] .

وقد ظهر نجم بني خلدون في أيام الأمير عبدالرحمن الأموي عام 274 هـ ، ثم ظهر نجمهم في أشبيلية في عهد الطوائف حيث اشتركوا في موقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون.

وأما والد ابن خلدون أبو عبدالله محمد عزف عن السياسة وآثر الدرس والعلم وكان مقدماً في صناعة العربية والشعر وفنونه وتوفي سنة 749 هـ عن خمسة أبناء هم عبدالرحمن وعمر وموسى ويحيى ومحمد . [4]

نشأ ابن خلدون في ظل والده ، وهو الذي رباه تربية حسنة ، فأحب الإسلام وتعلم تعاليم مبادئ الدين منذ صغر سنه، وحفظ القرآن الكريم على أيد والده ، وتعلم مبادئ اللغة العربية.

يقول ابن خلدون : " ولدت بتونس وربيتُ في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتّب أبي عبدالله محمد بن سعد بن بُرَّال الأنصاري، وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي ، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفراداً وجمعاً في إحدى وعشرين ختمه، .... ودارست عليه كتباً جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه ولم أكملها حفظاً، وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي". [5]

(**1**) ابن حزم : هو علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد بن حزم إماماً في الحديث والفقه والفرق، ومن أشهر علماء الأندلس، ولد بقرطبة، سنة 383 هـ وتوفي سنة 457 هـ (الأعلام للزركلي)

(**2**) هو وائل بن حجر الحضرمي القحطاني من حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، صحابي جليل ، شارك في الفتوحات، (الأعلام ، ج/8، ص/601)

(**3**) تاريخ ابن خلدون ، ج/7، ص/ 453

(**4**) نفس المرجع، ص/ 457.

(**5**) نفس المرجع، ج/7، ص/ 457-462.

وكان ابن خلدون حريصا على طلب العلم مقتديا في ذلك بسير سلفه من العلماء والفقهاء، فقد كان يقطع الأميال والمسافات، ويسافر من بلد إلى بلد لأجل العلم.

يصف فؤاد قنديل ابن خلدون بهذه الكلمات : " هو الفقيه الأديب الفيلسوف المؤرخ الرحالة العربي الشهير ابن خلدون ، الذي وضع الأسس الأولى لعلم الاجتماع قبل أوجست كونت بعدة قرون، وكان نموذجاً فذاً للعالم الجاد الطموح، له إسهامات بارزة في كافة ألوان الفكر والمعرفة، وفي مجالات عدة من الفنون والعلوم، حتى لقد كتب في الطب والتنجيم والصناعات كالبناء والتجارة والحياكة." (1)

وقد أخذ ابن خلدون دروساً على أيدي مشايخ الآخرين في تونس ، ودرس كتب الحديث كصحيح البخاري وصحيح المسلم وغيرهما ، ودرس الفقه المالكي، وكتب العربية والشعر.

توفي ابن خلدون عام 808 هـ في مصر في يوم الأربعاء من رمضان عن عمر يناهز ست وسبعين سنة، قضاها متنقلاً في أنحاء العالم الإسلامي متقلدا بوظائف عديدة وآخرها القضاء في مصر، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر.

ومن أهم مؤلفاته ، مقدمته ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، والتعريف بابن خلدون، ورحلته غرباً وشرقاً، و شرح الرجز في أصول الفقه، الحساب، ووصف بلاد المغرب لتيمور لنك، وتذكير السهوان.

رحلاته

في أوائل عام 753 هـ سار ابن خلدون مع رئيسه ابن تافراكين لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي حيث انهزم ابن تافراكين، ففر ابن خلدون خفية من المعسكر المهزوم

(1) أدب الرحلة، ص/ 529

ناجيا بنفسه، وسار مطوفا في البلاد حتى وصل إلى بلاد الجزائر وتزوج هناك من بلدة قسطنطينة في عام 754 هـ . (1)

وفي عام 764 هـ سافر ابن خلدون إلى الأندلس، ودخل غرناطة ونزل عند سلطانها محمد بن يوسف بن إسماعيل وكان وزيره الأديب الشهير ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبدالله، وقد اهتم السلطان والوزير بمقدمه واحتفيا به وأكرما مثواه، ونظمه السلطان في مجلسه.

ثم سافر إلى إشبيلية الموطن الأصلي لبني خلدون، وفي سنة 766 هـ وصل إلى بجاية واستقبله أميرها وأهلها استقبالا حاراً، وولاه الحجابة وكان منصب الحجابة أعلى منصب في الدولة عنهم. (2)

ثم في عام 776 هـ رجع مرة أخرى إلى الأندلس حيث ترك أسرته بفاس وجاز المغرب ووصل إلى غرناطة فنزل في ضيافة سلطانها ابن الأحمر ومكث عنده مدة وجيزة.

ثم رجع إلى المغرب وبدأ تأليف كتابه في التاريخ بـ "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر " حتى أكمله ، وكان ذلك من سنة 776 هـ حتى سنة 480 هـ.

سافر إلى الاسكندرية في يوم العيد سنة 784 هـ وقد أقام بها شهراً ثم انتقل إلى القاهرة في أول ذي القعدة ووصفها وصفاً رائعاً قائلاً :

> " انتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة ، فرأيت حاضرة الدنيا، وبستان العالم ، ومحشر الأمم ، ومدرج الذر من البشر، وإيوان الإسلام، وكرسي الملك الملك تلوح القصور والدواوين في أجوائه وتزدان الخوانق والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه فأقمت بها أياماً ... " (3)

وسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج ، ووصل إلى مكة في يوم الثاني من ذي الحجة، وبعد أداء الحج ذهب إلى ينبع وبقي بها خمسين ليلة . ثم عاد إلى القاهرة سنة 790 هـ .

---

(1) عبقريات ابن خلدون لعلي عبدالواحد، ص/43

(2) تاريخ ابن خلدون ، ج/7، ص/ 500.

(3) نفس المرجع

وسافر إلى فلسطين في عام 802 هـ، وزار بيت المقدس ومدينة الخليل ثم زار بيت لحم، ثم رجع إلى مصر في أواخر رمضان سنة 802 هـ .

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا

يعتبر هذا الكتاب نموذجاً جيداً لنمط الترجمة الذاتية، حيث يترجم المؤلف لسيرة حياته بقلمه، وليس ابن خلدون أول من مؤلفي العرب والمسلمين الذين ترجموا لأنفسهم ، فقد سبقه ياقوت الحموي عندما ترجم لنفسه في معجمه عن الأدباء ، ولسان الدين بن الخطيب في كتابه " الإحاطة في أخبار غرناطة "، والحافظ بن حجر في كتابه " رفع الأصر عن قضاة مصر " ، وفرق ابن خلدون عن هؤلاء أنه لم يقنع مثلهم بترجمة موجزة مقتضبة عن أنفسهم، فقد أفاض في التعريف بذاته، وفي تقديم نفسه إفاضة دقيقة وشاملة، إذ غطى أخبار سيرته وأهم أحداث حياته بشيء من التفصيل إلى ما قبل رحيله عن الدنيا ببضعة أشهر.

وهو حينما وضع كتابه ، جعله بعنوان " التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب " وذيل به كتابه " العبر " ، ثم أدخل عليه كثيرا من التعديلات والتنقيحات والزيادات في المراحل التي عرض لتأريخها في وضعه الأول وأضاف إليه تاريخ المراحل الأخيرة من حياته، فعظم بذلك حجم الكتاب مما دعاه إلى أن يستبدل بعنوانه القديم عنواناً آخر يدل على سعة ما عرض له، وشموله لجميع مراحل حياته، فسماه التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غرباً وشرقاً. [1] .

وقد لا يبدو الكتاب على غرار كتب الرحلات المعروفة لابن جبير وابن بطوطة مثلاً، فهو يختلف عهما في نمطه، إذ يقتصر مؤلفه على تسجيل ظواهر خاصة من الحياة يعرضها في خدمة هدفه الأساسي، الترجمة لنفسه والتعريف بحياته.

أما بالنسبة لأسلوبه في هذا الكتاب ، فلم يخرج إلا نادراً عما هو معروف عن ابن خلدون من أنه من كبار أئمة الأدب وأعلام البيان العربي ومن أبرز المجددين في أسلوب الكتابة العربية. فقد تمرد على أسلوب الكتابة النثرية الذي كان سائداً في عصره، وكانت تكبله قيود السجع والمحسنات البديعية، وأحيا أسلوب العربية الأصيل

---

(1) عبدالرحمن بن خلدون، سلسلة أعلام العرب ، د. علي عبدالواحد وافي، ص/ 124

في عهودها الذهبية السابقة، كما وصل علي يد عبدالحميد الكاتب في عصر الأمويين وعلى يد الجاحظ في العصر العباسي، هذا الأسلوب الذي يتميز بالسهولة والوضوح، ودقة التعبير، وقوة التدليل والترابط، وحسن الأداء والتناسق، إذ يعني بتوضيح المعنى أكثر من عنايته بتزويق اللفظ. ويشير ابن خلدون نفسه إلى هذا الأسلوب وتفرده فيه بين سائر كتاب عهده فيقول في كتابته للرسائل " ... وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل ... فانفردت به يومئذ، وكان مستغرباً عندهم بين أهل الصناعة " (1) .

وقد طغى هذا الأسلوب على المؤلف في هذا الكتاب كما في سائر كتبه إلا في مواطن قليلة جارى فيها مكرهاً الأسلوب المسجع الركيك في بعض قطع قصيرة من رسائله إلى صديقه لسان الدين بن الخطيب مجاملة له في أسلوبه مع اعترافه بقصوره عنه في ذلك ، يقول فيه : " وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر، والمعارف والأدب، لا يساجل مداه، ولا يهتدي فيها بمثل هداه" . (2)

نماذج من رحلته

يصف ابن خلدون سفره لقضاء فريضة الحج والذهاب إلى مكة المكرمة ووقت دخولها حيث قال:

> " واعتزمت على قضاء الفريضة، فودعت السلطان والأمراء، وزودوا وأعانوا فوق الكفاية. وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين، إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس، وركبت البحر من هنالك، عاشر الفطر، ووصلنا إلى الينبع لشهر، فوافينا المحمل، ورافقتهم من هنالك إلى مكة، ودخلتها ثاني ذي الحجة، فقضيت الفريضة في هذه السنة، ثم عدت إلى الينبع، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر"(3)

---

(1) التعريف بابن خلدون، ص/70

(2) نماذج سجع ابن خلدون ، ص/ 91.

(3) رحلة ابن خلدون، ص/209.

وتحدث ابن خلدون عن المدينة المنورة وتاريخها منذ هجرة النبي γ حيث قال :

" وأما المدينة وهي المسماة بيثرب فهي من بناء يثرب بن مهلائيل من العمالقة وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها. ثم أمر النبي γ بالهجرة إليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر إليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها و بني مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد أعده لذلك وشرفه في سابق أزله وأواه أبناء قيلة ونصروه فلذلك سموا الأنصار وتمت كلمة الإسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الأنصار أنه يتحول عنهم إلى بلده فأهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله γ وأخبرهم أنه غير متحول حتى إذا قبض γ كان مُلحَدُه الشريف بها وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا خفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة "(1)

وفي أوائل سنة 802 هـ أرق ابن خلدون الحنين إلى التجوال، فسافر إلى فلسطين وزار بيت المقدس والمسجد الأقصى أولى القبلتين ، ويقول عن هذه الرحلة :

" وصلت إلى القدس ودخلت المسجد، وتبركت بزيارته والصلاة فيه وتعففت عن الدخول إلى القماة "كنيسة القيامة" لما فيها من الإشادة بتكذيب القرآن، إذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم، فنكرته نفسي ونكرت الدخول إليه وقضيت من سنن الزيارة ونافلتها ما يجب، وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام، ومررت في طريقي إليه بيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح، شيدت القياصرة عله بناء بسماطين من العمد الصخور، منجدة مصطفة، مرقوما على رؤوسها صور ملوك القياصرة وتواريخ دولهم ميسرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها... " (2)

شكيب أرسلان

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ج/1، ص/ 356.

(2) التعريف بابن خلدون ، ص/ 349-350.

هو شكيب أرسلان بن الأمير حمود بن الأمير حسن بن الأمير يونس بن الأمير فخر الدين بن الأمير حيدر بن الأمير سلمان. [1] ، ويرجع نسبه إلى أرسلان بن مالك بن الملك ابن المنذر بن ماء السماء.

وأما اسمه " شكيب " فهي كلمة فارسية معناها الصابر[2] ، ومادة " الشكيب " في اللغة العربية تدل على العطاء والجزاء. [3] و " أرسلان " في اللغة التركية والفارسية معناها الأسد[4] .

ولادته

ولد شكيب أرسلان في ليلة الاثنين الأول من رمضان 1286 هـ الموافق 25 من شهر ديسمبر عامة 1869 م في " حارة الأمراء " بحي أرسلان بقرية " الشويفات[5] " قرب بيروت . [6]

والده

والد شكيب أرسلان هو الأمير " حمود بن حسن الأرسلاني " توفي في عام 1305 هـ الموافق سنة 1887م ، وكان والده يعرف بالذكاء والكرم والشجاعة، وبإجادته للغة العربية، ومعرفته للغة التركية، وكان يهتم بالأدب والشعر . [7]

وأما والدته فهي سيدة شركسية ذات أصول قديمة عاشت أكثر من مائة عام، كان شكيب يعبر عنها في أغلب الأحيان بـ : السيدة الوالدة، أنجبت خمسة أولاد. [8]

(**1**) بنو معروف أهل العروبة والإسلام ، شكيب أرسلان إعداد وتقديم سعيد المولى، ط/1، دار العودة بيروت،ص/ 49.

(**2**) دائرة المعارف، بطرس البستاني، بيروت 1882م ج/3، ص/ 82.

(**3**) لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ص/ 460.

(**4**) خواطر حول الوهابية ، محمد إسماعيل المقدم، دار التوحيد الإسكندرية ، مصر، ص/ 105. شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، أحمد الشرباصي، ص/ 15.

(**5**) الشويفات ، مفردها شويفة، ومعنى التلة .

(**6**) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، أحمد الشرباصي، ص/ 15.

(**7**) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، أحمد الشرباصي، ص/16.

(**8**) شكيب أرسلان حياته وآثاره، سامي الدهان، ط /2، دار المعارف، مصر، 1976م ، ص/ 63.

وكان شكيب أرسلان فخوراً بنسبه العربي، وأثر ذلك تأثيراً واضحاً في بناء شخصيته وثقافته طوال حياته لينفى عن نفسه أي اشتباه قد يلقيه لقب أرسلان عليه من ظلال التركية.

نشأته

نشأ شكيب أرسلان في بيئة مثقفة ، لأن والده حمود يجيد الإنشاء ويهوي الشعر، ومارس نشاطه السياسي . فتلقى شكيب دروسه الابتدائية وكان عمره خمسة سنوات فقط، وكان يأخذ دروسه الابتدائية مع أخيه " نسيب " من الشيخ مرعي شاهين سلمان في البيت ، وكان الشيخ يعلمهما القراءة والكتابة.

ثم من الشيخ أسعد أفندي فيصل حفظا بعض من القرآن الكريم، ثم التحق شكيب بالمدرسة الأمريكية فتعلم اللغة الإنجليزية ودرس الحساب والجغرافية وغير ذلك.

ثم في سنة 1879 م التحق بمدرسة " الحكمة " في بيروت، فدرس في هذه المدرسة من الأساتذة النبلاء منهم " الشيخ عبدالله البستاني[1] " [2] . وأبدع شكيب في كتابة الإنشاء والشعر وصقلت مواهبه وأفكاره واتجاهاته، وصار ينظم الشعر وفي في الثانية عشرة من العمر. ولما بلغ الرابعة عشر من عمره تفتقت قريحته الشعرية بقصائد جميلة [3] .

وبعد سنتين كتب أول مقالة له وهو طالب في مدرسة الحكمة لمجلة الصفا البيروتية . [4] ، وتعلم اللغة الفرنسية على يد الأستاذ شاكر عون والتركية على يد المعلم عبدالسلام بك. وبالإضافة إلى لغته العربية الأم ، والإنجليزية وكان يكتب باللغات الأربع ، وكان لديه معرفة محدودة باللغة الألمانية. [5]

---

(1) الشيخ عبدالله البستاني، أستاذ جليل، اشتهر بحبه للمفردات اللغوية وسعة معارفه، وله مؤلفات في النحو والتاريخ والمعاجم، (شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص/ 66) .

(2) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص/ 24 ،

(3) سيرة ذاتية ، شكيب أرسلان، مجلة الزهراء، ج/4، ذو الحجة 1946م ، ص/ 24.

(4) نهضة العرب العلمية، في القرن الأخير شكيب أرسلان ، مجلة المجمع العلمي العربي ،كانون الأول 1937م ، مجلد /16، ج/11، ص/ 423 .

(5) الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية، لأنيس المقدسي، دار الكاتب العربي ، بيروت 1963 ، ص/ 58

وفي سنة 1886 م التحق بمدرسة السلطانية في بيروت، وكان عمره ثمانية عشر سنة، تلقى فيها مزيداً من دروس تعلم التركية والفقه، وكان يدرس مع الشيخ " محمد عبده" ، ولما غادر الشيخ محمد عبده بيروت فسافر شكيب إلى سوريا للاتصال بأستاذه محمد عبده والأعلام المعاصرين في الأدب والعلم والسياسة.

وفي العام 1887 م أصدر شكيب مجموعته الشعرية الأولى باسم " الباكورة " وأهداها إلى الشيخ محمد عبده. وضمنها مدائح عديدة له، يظهر منها عمق التأثير الذي تركه محمد عبده فيه ، ومن مدائح شكيب لمحمد عبده قوله : (1)

سلامٌ على وجهِ الإمام محمد   محباً به ماء الحيا يترقرق

إذا قام من فوق المنابر فاصلاً   فأي ضلال ليس يمحى ويمحق(2)

وثقافة شكيب أرسلان كانت من الاتساع، بحيث وجد له في كل ميدان من ميادين العلوم سهم كبير، فكتب في اللغة والجغرافيا والتاريخ والأدب، وكان دائرة معارف حية ضالعاً في السياسة وقد عُرف عند الشرقيين والغربيين على حدّ سواء . وانطلاقاً من ثقافته الواسعة، شدد شكيب أرسلان على ضرورة البحث عن معاني الكلمات العربية التي لا معنى لها في القاموس، واهتم بدراسة علاقة التاريخ باللهجات العربية، ودراسة النقد التاريخي، فهو يرفض قبول أي رأي يطلع عليه دون تمحيص ، وبهذا الخصوص قال : " حسن جداً أن يدقق المرء في كل رأي يطلع عليه وأن لا يقبله بالغاً ما بلغ من الشهرة إلا بعد تمحيص تطمئن به نفسه وتحقيق ليصل به إلى بر اليقين" (3) .

واهتم شكيب بدراسة التراث العربي، فقرأ رسائل أبي بكر الخوارزمي، وبديع الزمان الهمداني، وحفظ كثيراً منها، وقرأ تاريخ ابن خلدون ومقدمته وأعجب بأسلوبه في كتابة التاريخ وتحليل الأحداث وتقرير طبائع العمران، ويظهر أسلوب ابن خلدون واضحاً لديه من خلال كتابه " الارتسامات اللطاف" ، وحقق مخطوطة الدرة اليتيمة

---

(1) سيرة الذاتية شكيب أرسلان ص/ 30.

(2) ديوان شكيب أرسلان، مطبعة المنار، القاهرة، 1935 م ، ص/ 157.

(3) علاقة التاريخ باللهجات، شكيب أرسلان، جريدة المقتطف، مجلد/8، ج/3، ص/ 122-123.

لابن المقفع التي نسخها من خزائن الأستانة وطبعها عام 1893 م ، وترجم بعض الكتب عن الفرنسية مثل قصة " آخر بني سراج " للكاتب الفرنسي دوتشاتوبريان De Chateaubriand ، وطبع هذا الكتاب عام 1897 في الإسكندرية[1] .

تميزت كتاباته بالأسلوب العلمي، فقد راعي التسلسل التاريخي والمنطقي في عرض أفكاره، ولكنه كثيراً ما ينحو إلى الإسهاب والاستطراد. [2] .

شكيب في السياسية

في أواخر عام 1913 م خاض شكيب الانتخابات لعضوية مجلس المبعوثان العثماني وانتخب نائباً في المجلس عن منطقة حوران وسافر إلى الأستانة للممارسة نشاطه البرلماني. [3]

ركز شكيب جهوده أثناء فتره عضويته في مجلس المبعوثان 1913-1918 م على أمور عدة أهمها، وحدة الدولة العثمانية وتقويتها من خلال التركيز على المؤسسات التعليمية المنتشرة في أرجاء الدولة العثمانية ، وطالب بزيادة عدد المنح الدراسية الممنوحة إلى الولايات العثمانية في مدرسة دار الخلافة لتصبح ثلاثمائة طالب سنوياً بدلاً من مئة . وطالب بتأسيس مدارس دينية في بيروت ودمشق، وتأسيس مدرسة للحقوق في دمشق.[4]

آثاره

كتب شكيب أرسلان 176 مقالةً في الجرائد المختلفة، ومن تصانيفه : " غزوات العرب في فرنسة وشمالي إيطالية وفي سويسرة " و "لماذا تأخر المسلمون " و " الحلل السندسية في الرحلة الأندلسية " طبعت ثلاثة مجلدات من عشرة، و "الارتسامات اللطاف" رحلة إلى الحجاز سنة 1354 هـ 1935 م، [5]

رحلات شكيب أرسلان

(**1**) صوت عربي يدافع عن مدية العرب، شكيب أرسلان، جريدة الجامعة العربية، العدد 1098، القدس، 12 حزيران، 1923، ص/ 8.

(**2**) النقد التاريخ، شكيب أرسلان، مجلة المجمع العلمي ، دمشق، 1929، ص/ 449-450.

(**3**) نفس المرجع.

(**4**) شكيب أرسلان دراسة في فكره السياسي ، محمد سالم أحمد عمايرة، رسالة دكتوراه، عام 2000م ، ص/18.

(**5**) الأعلام للزركلي، ج/3، ص/ 173.

كان الترحال والسفر جزء لا يتجزأ من شخصية الأمير، لا يستطيع أن يمكث في مكان ما إلا مدة وجيزة، حتى وإن كانت ظروف ميسورة وجيدة، فقد فضل مغادرة لبنان مرة ثانية على أن يبقى فيه، رغم المناصب الإدارية التي منحت له، والتي كان الجميع يسعى وبكل الوسائل والطرق لتقلدها، لما توفره لأصاحبها من سلطة ونفوذ ومكانة اجتماعية مرموقة، وقد أعرب صراحة عن كرهه لتلك المناصب بقوله : " أكره المناصب وأعاف خدمة الحكومة " اعتقاداً منه أن المنصب الإداري والسياسي، يحد من حريته ويكبح طموحاته التي رسمها لنفسه، وهي خدمة قضايا أمته: " الذي يريد أن يهتم باستقلال الأمم عليه قبل ذلك أن يطالب باستقلال نفسه حتى لا يقال فيه طبيب يداوي الناس وهو عليل " [1] .

ولأجل خدمة قضايا الأمة العربية والإسلامية سافر إلى ليبيا مختفيا وكان قصده الجهاد، ومعه جماعة من المتدينين والمتطوعين العرب ، وقد سافروا كلهم بقيادة أنور باشا [2] ، حيث اختاروا فلسطين أولا ثم إلى مصر للوصول إلى مدينة " بنغازي" الليبية " ، ورجع من ليبيا في عام 1912م .[3]

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى فضل الأمير المنفى ، فأولاً اختار بلدة " مرسين" التركية بحدود السورية للاستقرار ، ثم سافر إلى سويسرا ، وكانت سويسرا أول محطة أوروبية يقيم فيها شكيب أرسلان وبعد ذلك توجه إلى " برلين " الألمانية ، واشترى في ألمانيا بيتاً لتكون مقر إقامته الدائم. وسافر أرسلان إلى موسكو في عام 1921م بغرض الاطلاع عن قرب على الأوضاع الروسية، وفي عام 1928 م زار شكيب الولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في مؤتمر عرب المهجر . وفي سنة 1929 م عزم مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، مرورا بمدينة " بور سعيد " المصرية، وأستقبل استقبالا رسمياً من قبل الملك السعودي " عبدالعزيز آل سعود" . وقد ألف

(**1**) من أمير البيان شكيب أرسلان إلى كبار رجال العصر، نجيب البعين، ط/1، دار المناهل، بيروت، ص/ 380.

(**2**) أنور باشا : (1882-1922م) قائد تركي ، وله دور كبير في خلع عبدالحميد سنة 1909م ، وعين وزير الدفاع في عام 1914م ، (المنجد في اللغة والأعلام)

(**3**) شوقي وصداقة أربعين سنة، شكيب أرسلان، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرية، 1936م ، ص/35.

شكيب أرسلان رحلته إلى مكة بعنوان " الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف" (1)

خلاصة القول إن شكيب أرسلان قضى حوالي ثمانية وثلاثين سنة مترحلاً ومسافراً زار خلالها الكثير من البلدان والدول في قارات آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا، بغرض القيام بمهام رسمية كالوساطات والمفاوضافت والمؤتمرات واللقاءات مع الأدباء وكبار رجال العصر . (2)

وأكتفي بهذا القدر وسأوصل الكلام في الفصل الرابع من هذا الباب ، وسنتحدث عن رحلته إلى الحجاز " ارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف" إن شاء الله تعالى . (3)

محمد حسين هيكل

اسمه وولادته وأسرته

محمد حسين هيكل كما عرف ، وذكر الزركلي اسمه " محمد بن حسين بن سالم هيكل " (4)

ولد محمد حسين هيكل في قرية " كفر غنام " تابعة لمحافظة الدقهلية في العشرين من شهر أغسطس عام 1888 م ، لأسرة مصرية ريفية تملك شيئاً من الوجاهة والثراء. (5)

وكان أبوه حسين أفندي سالم هيكل سيد قومه وعشيرته، أحد أفراد هذه الطبقة المصرية التي أخذت تسود الريف المصر وترث ما كان للطبقة التركية القديمة الغالبة من ثراء ونفوذ يعززهما جاه العشيرة وعصبية الأسر الريفية الكبيرة. (1)

---

(1) قضايا العرب والمسلمين في آثار البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، رسالة دكتوراه ، أعدها بشير فايد ، وقدمها في جامعة منتوري قسنطينة، ص/123-134 ، وانظر الأعلام للزركلي، ج/3، ص/ 173.

(2) قضايا العرب والمسلمين في آثار البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان ص/ 123-134.

(3) انظر ص / 278 من هذه الرسالة.

(4) الأعلام للزركلي، ج/6، ص/ 107 .

(5) الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، الدكتور سالم أحمد حمداني، والدكتور فائق مصطفى أحمد، جامعة موصل، ص/ 356.

نشأته

كانت نشأة هيكل في الريف المصري وفي أسرة لها العصبية والسيادة في القرية من أهم المؤثرات في حياته، فالطفل حين ينشأ في مثل تلك الأسر الريفية الكبيرة يحس بعصبية الأسرة إحساساً تاماً وحين يكون الابن الأكبر لسيد العشيرة ورب الأسرة يرى من رعاية الأب ما يؤهله لزعامتها بعد أبيه فتتكون شخصيته وتنمو من الصغر وتتفتح رجولته واعتباره لذاته قبل الأوان.

كان هيكل أكبر أخوته وابن سيد عشيرته وأدخل أبوه في كتّاب القرية ، وكان هذا المكتب للشيخ إبراهيم جاد ، وقد حفظ القرآن الكريم ،وتعلم الكتابة والقراءة ثم التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية بالقاهرة في عام 1895 وكان عمره سبع سنوات ، بعد ذلك التحق بمدرسة الخديوية ليتم بها دراسته الثانوية أو التجهيزية. ثم التحق بمدرسة الحقوق الخديوية بتوجيه من أستاذه لطفي السيد وتخرج منها سنة 1905 م .[(2)]

كان حسين هيكل يقضي عطلته الصيفية كل عام بقريته " كفر غنام" ، وكان له مزاجه الخاص، كما يروي أحد أقربائه ، لم يكن يقبل على العمل في الحقل كما كان يحلو لبعض التلاميذ من أبناء الريف حين يمضون أوقات فراغهم في الحقل فيجدون متعة وتسلية في مزاولة بعض أعمال الفلاحة، فقد كانت ملكات الذهنية تفوق ملكاته اليدوية، فكان يقضي وقته في القراءة أو الكتابة أو في النظر إلى طبيعة الريف أكثر مما يقضيه في أي عمل آخر. [(3)]

بدأ محمد حسين هيكل في هذه المرحلة يتذوق الأدب حيث قرأ الآثار العربية القديمة وحديثة فقرأ : أمالي القالي، والبيان والتبيين للجاحظ، والإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده، وأغاني للأصفهاني، وأخذ ينشر في الصحف بتشجيع من لطفي السيد الذي أعجب به هيكل وتأثر بآرائه ودروسه في السياسة والاجتماع والأخلاق، لاسيما في الدعوة إلى الأخذ من الفكر والحضارة الغربية .

---

(1) محمد حسين هيكل و الفكر القومي المصري، الدكتور عبدالعزيز شرف، دار الجيل بيروت، ص/ 54.

(2) مذكرات ، هيكل، ج/1، ص/ 32.

(3) المرجع السابق، ص/ 56

سافر هيكل بعد تخرجه في الحقوق إلى باريس لدراسة الاقتصاد السياسي، وفي الأيام الأولى من إقامته بباريس نجد هيكل يشكو الوحدة والوحشة والحنين إلى مصر ، فقد كتب في السابع عشر من يوليو سنة 1909 م بعد ثلاثة أيام منذ وصوله إلى باريس : " ثلاثة أيام في عالم الوحدة والوحشة والأحزان طوال، أرى كل يوم مصريين فأتعزى بهم بعض الشيء عن ألمي وأجد فيهم ذكر بلادي البعيدة النائية، ولكن هيهات القلب الذي يحس معي أو يألم لما أنا فيه" [1] وحصل فيه على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في عام 1912 م ، وكتب هناك روايته المعروفة " زينب " .

ولما عاد محمد حسين هيكل في عام 1913 إلى وطنه مصر أخذ يعمل في المحاماة ويدرس في الجامعة المصرية ، وقيل إنه عمل في المحاماة 10 سنين . وقول آخر أنه ترك عمل المحاماة لما بدأ التدريس في الجامعة سنة 1917 [2] ، وخلال هذه السنوات كان يعمل في الصحافة ، ويكتب المقالات الاجتماعية والسياسية في الجرائد.

وفي العشرينات أعجبته السياسة فترك التدريس في الجامعة واستقال من الجامعة في عام 1922 ، ثم انضم إلى حزب الأحرار الدستوريين وتولى تحرير جريدة " السياسة " سنة 1922 م.

وفي عام 1938 أصبح وزير المعارف وبعد سنة استقالت من وزارته ، ثم اختير مرة ثانية وزير المعارف في عام 1940 وظل وزيراً حتى عام 1942، وفي عام 1944 تولى منصب وزارة التعليم مرة أخرى بالإضافة إليها وزارة الشئون الاجتماعية.

وفي عام 1945 عين رئيساً لمجلس الشيوخ وظل رئيسا حتى عام 1950م، وظل عاملاً في حقول السياسة والأدب والصحافة حتى موته في عام 1956 .

مؤلفاته

(**1**) مذاكرات الشباب، محمد حسين هيكل، المجلس الأعلى للثقافة، 1996م، ص/ 23

www.almesryoon.com/permalink/**21626**.html (**2**)

أصدر حسين هيكل في حياته عددا كبيراً من المؤلفات في القصة والنقد الأدبي والتاريخ والسياسة، ففي القصة صدرت له " زينب " في عام 1914 ، وقصص قصيرة استلهم فيها التاريخ الفرعوني مثل " ايزيس " و " راعية هاتور " و" افروديت " .

كما صدرت له رواية ثانية في عام 1955 م هي " هكذا خلقت " .أما في النقد الأدبي فقد صدر له " في أوقات الفراغ " عام 1925 ، و " ثورة الأدب " في عام 1933 م ، وصدرت له كتب في التاريخ الإسلامي عن الرسول γ وأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وأما في السياسة فاهم ما صدر له كتاب " مذاكرات في السياسة المصرية . وظهر الروح الإيمانية لما كتب رحلته " في منزل الوحي " في عام 1937 م بعد رجوعه من أداء فريضة الحج.

رحلاته

فيما نعرف أن حسين هيكل كتب أربعة رحلات كاملة هي : " عشرة أيام في السودان " في عام 1927 م ، و " ولدي " في عام 1931م ، وفي " في منزل الوحي" في عام 1935م ، و " شرق وغرب " في عام 1994 م ، بالإضافة إليها المقالات الموجودة في كتابيه " في أوقات الفراغ" في عام 1925 م ، و " الشرق الجديد " في عام 1963 .

وقد زار الدكتور حسين هيكل كثيرا من بلاد العالم في أفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا، وإن لم يكتب عنها كلها، إذ قال في مقدمة كتابه " عشرة أيام في السودان" : " لقد سافر قبل اليوم إلى غير السودان من بلاد مجاورة لنا يعنينا أمرها عناية كبرى وفكرت في أن أكتب شيئا عنها ثم ترددت وانتهى بي التردد إلى الإحجام " [1] .

وقد كان حسين هيكل يستمتع بالارتحال أيما استمتاع، ويظهر ذلك في كتاباته عن أسفاره، إذ نرى عينيه وأذنيه وعقله مفتوحة على آخرها لكل ما يقع عليه الحسّ والإدراك بحيث لم يكن يفوته شيء دون أن يلتقطه ويتذوقه ويسجله بقلمه السيال وأسلوبه الرصين الفخم.

---

(1) عشرة أيام في السودان، حسين هيكل، 1949، ص/ 6 .

لقد كان الدكتور هيكل في كثير مما كتبه عن رحلاته حالة أشبه بحالة الوجد الصوفي تُعدى بقوتها بل بعنفوانها من يقرأ هذه الكتابات.

وأدب الرحلة عنده لا يهتم بشيء دون شيء، إنه يصف الشوارع ووسائل المواصلات، والمتاجر والمتاحف، والمساجد والكنائس وسائر المباني الهامة وفن العمارة بوجه عام ، وكذلك المسارح أبنيةً وفناً، والحدائق والمناظر الطبيعية، من حقول ووديان وتلال وجبال، والأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية.[1] .

وهناك وسيلة أخرى في رحلات هيكل تزيد الدفء والحميمة التي تربط القارئ بالمؤلف إلى توحّد بينهما. وتتلخص هذه الوسيلة في أن الدكتور هيكل بينما يكون ماضياً في وصف ما شاهد وقصَّ ما وقع له من أحداث إذا به فجأة وبدون مقدمات يترك ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب، وبدلا من أن يقول : " لقد فعلتُ " نسمعه يقول : " ها أنت ذا تفعل " ، مستبدلاً ، كما ترى ، المضارع بالماضي، وبهذا يتحول القارئ من متابع لما يقول الكاتب عن الشيء الذي يتحدث عنه إلى متابع لذلك الشيء ذاته، إنه لم يعد يقرأ بل يشاهد ويسمع ويمشي ويدخل المسرح ويتجول في الحدائق ويحادث هذا وذاك من شخصيات الرحلة، وبهذا الإيهام تزداد متعته، إذ لم يعد بينه وبين الأشياء حجاب من المؤلف وكلامه، بل أصبح يتصل بها اتصالاً مباشراً، وبذلك يصبح هو نفسه الرحالة، لكنه ليس رحالةً عادياً بل رحالة له عقل الدكتور هيكل وشعوره وحواسه المثقفة المصقولة المصفاة.

واكتفي بحياته ورحلاته العامة وأما رحلته إلى الحجاز " في منزل الوحي " فسأتحدث في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله . [2]

إبراهيم عبدالقادر المازني

اسمه وأسرته

هو إبراهيم بن محمد بن عبدالقادر المازني[3]

---

(1) محمد حسين هيكل أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، إبراهيم عوض، ص/ 128

(2) انظر ص/ 281 من هذه الرسالة .

(3) الأعلام للزركلي، ج/1، ص/ 72 ، وانظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ج/1، ص/ 99.

وكان المازني ينتمي إلى أسرة دينية ومثقفة ، و أبوه تخرج من الأزهر، وعمل محامياً شرعياً، وأما والدته فهي مكية كما أشار المازني في قوله : " إن جدتي لأمي مكية زوجوها ــ وهي بنت عشرين سنة ــ رجلاً من أهل المدينة فنشزت فطلقوها منه ثم احتملوها إلى مصر بعد وفاة أبيها وخراب بيته وتجارته فتزوجت جدي، ثم إن أبي مازني مثلي" (1) .

ولادته ووفاته

ذكر الدكتور فايز تاريخ ولادته سنة 1889 م ، على أصح الأقوال كما يؤيد رأيه الدكتور أحمد السيد عوضين ويقول إن "إبراهيم عبدالقادر المازني ولد في التاسع من شهر أغسطس من سنة تسع وثمانين بعد الألف والثمانمائة" (2) ويزيد في كلامه " وإن كانت هناك مقولات عديدة بأن ميلاده كان في عام 1890 م " (3) . وكان ولادته في قرية "كوم مازن " بمحاذاة القاهرة وإليها ينتمي في لقبه " المازني " .

وقد أشار أحمد السيد عوضين إلى أنه ولد في مطلع العقد الأخير من القرن الماضي، وشهد بداية القرن العشرين وهو في العاشرة من عمره.

ويقول أحمد السيد عن وفاة المازني : " وداع المازني لهذا العالم في العاشر من أغسطس من سنة تسع وأربعين بع الألف وتسعمائة(1949م) ، أي أن الوجود بيننا لم يكمل ستين عاماً ليودعنا، ويترك لنا دنيانا" (4)

طفولة المازني

إن الطفل إبراهيم عبدالقادر المازني ليس سعيداً مثل الأطفال وزملاءه في الطفولة، لأنه ذاق مرارة اليتم بما يطويه من ظلام، وقد تحدث كثيراً عن طفولته فنجد كتبه مليء بواقعات طفولته ، ففي " صندوق الدنيا " ، وفي " قصة حياة " ، وفي الكثير من الفصول الأخرى نجد الحديث عن طفولته مفصلاً ومطولاً.

---

(1) رحلة إلى الحجاز، للمازني، ص/ 78.

(2) المازني ساخر العصر الحديث، لدكتور أحمد السيد عوضين، الدار المصرية اللبناية، ص/ 11.

(3) نفس المرجع.

(4 المرجع السابق، ص/12.

وإذا نظرنا إلى قصته " عودٌ بل بدء " فهي تدور حول حياة الكاتب، فإنها ترسم صورة رجل مكتمل الرجولة إلى مرحلة الطفولة .

والمازني يذكر صغر سنه فيقول: " فعرفت في التاسعة من عمري . وهي سن غضة جداً . أن هناك واجبات تؤدّى لذاتها، وحقوقاً تقضى لأنها حقوق، لا لأن فيها متعة ولذة، وأحسست من صغري أن شأني غير شأن الناس، وأني فقير ، وإن كنتُ مستور الحال، ولكن الستر لا ينفى الشعور بالفقر، وغضاضته ومضضه، فأرهف ذلك إحساسي " (1)

والذين كتبوا عن المازني فاهتموا بطفولته اهتماماً بالغاً ، ونرى محمود عباس العقاد أنه يشير إلى هذه الطفولة " أن ملامح وسمات هذه الطفولة قد لازمت المازني طوال حياته" . وقد تحدث العقاد عن طفولته أكثر من مرة. حيث يقول العقاد :

" إن الآية التي تبدو في جانب واحد من الشخصية المازنية أنه كان خليقاً بالمزيد من التوكيد والإسهاب، وهو جانب الخصلة العبقرية التي قيل عنها إنها طفولة خالدة. " (2)

أبواه

يقول المازني عن أبيه : " كان أبي مشغولاً عنا بزوجة جديدة، وكان عمله يضطره إلى السفر إلى استنبول، فكان يقضي هناك ما شاء الله أن يقضي، . شهوراً أو عاماً أو قرابة ذلك . ثم يعود ومعه زوجه، وأحسبه كان يضطر إلى الزواج اتقاء من الإثم، ولكن الغريب أنه كان إذا احتاج إلى السفر مرة أخرى يحمل مع الزوجة ويسرَّحها هناك ، ويجيء بغيرها، وأظنه كان يحب التركيات ويؤثرهن على سواهن، وعسى أن يكون قد راقه منهن بياضهن، وحسن التدبير ، والنظافة ، والطاعة والأدب ، فإن يكن ذاك فما ورثت عنه إلا نقيضه... " (3)

(**1**) قصة حياة ، للمازني، ص/ 4.

(**2**) إبراهيم عبدالقادر المازني د. نعمات أحمد فؤاد، سلسلة أعلام العرب، المقدمة بقلم عباس محمود العقاد، الهيئة العامة للكتاب، ص/ 10.

(**3**) قصة حياة ، للمازني، ص/ 14.

ولا أقول عن والده سوا ذاك ما قال المازني بنفسه ، وأما أمه فكان المازني أحبّها حباً جماً ، وكتب المازني عن أمه الكثير من الصفحات ، فيقول المازني فيها:

" لا أعرف الأمهات كيف يكنَّ ، ولكني أعرف أمي كيف كانت، وأجمل التعريف بها وأوجز الوصف فأقول : إنما كانت (رجلاً) ، وأحسب أن النساء لا يرضيهن ثناء كهذا يسلبهن أنوثتهن، وإن سرَّهن ما فيه من معنى الإكبار، ... فقد مات أبي وهي في الثلاثين من عمرها، وأذاقها في حياته ما سوّد الدنيا في عينيها، وأنساها أنها امرأة كالنساء... " [1]

" وكانت أمي ـ على صغر سنها ـ زعيمة الأسرة ، وكان أهلي جميعاً يلجأون إليها يطلبون رأيها فيما يعرض لهم، وفصلها فيما بينهم من المشاكل" [2]

وكان يقول في أمه : "كانت أمي وأبي وصديقي ، وليس هذا لأنه لم يكن لي أب، فقد كان لي أب كغيري من الناس، لكنه آثر أن يموت في حداثتي، فصارت أمي هي الأب والأم، ثم صارت على الأيام هي الصديق والروح الملهم، قد استنفدت أمي عاطفتي الحب والإجلال، فلم تبقِ لي حباً أستطيع أن أفيضه على إنسان آخر، أو إجلالاً لسواها " [3]

وبعد وفاة الوالدة هجر إبراهيم مهد طفولته وهو يقول :

يا أمُّ لا تجزعني مما يحيق بنا	من الخطوب ولا تأسي لما فاتا
تمضي المقادير الحكم فينا عادلةٌ	ويقسمُ الله أرزاقاً وأقواتاً
وكل ضائقةٍ تعرو إلى فرجٍ	وإن لليُسر مثل العُسر ميقاتا
ضلّ الذي يرتجي تأخير قسمته	قد مات كالكبش إسماعيلُ قد ماتا[4]

تعليمه وأدبه

تعهدت تلك الوالدة ابنها إبراهيم المازني بعنايتها وتربيتها، فأرسلته إلى المدرسة الإعدادية، فالثانوية، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية ، صمم على الالتحاق بمدرسة

---

(1) سبيل الحياة ، المازني، الدار القومية للطباعة والنشر، ص/ 17.

(2) نفس المرجع ، وانظر المازني ساحر العصر الحديث، أحمد السيد عوضين ، ص/ 16-17.

(3) إبراهيم المازني، مجلة الرسالة، ع/304، السنة السابعة، تاريخ، 1939/5/1، ص/ 85.

(4) ديوان المازني، ص/ 213.

الطب، لكنه لم يكد يدخل غرفة التشريح حتى سقط مغشياً عليه، فانصرف عن الطب إلى الحقوق، لكنه لم يقو على دفع تكاليفه، فانتهى به الأمر إلى مدرسة المعلمين التي كانت تمنح طلبتها مكافآت تشجيعية. [1]

في مدرسة المعلمين أخذت ملكة المازني تتفتح، فانكب على دراسة الأدب العربي في أعلامه الكبار، ولم يقف به تلهفه للعلم والمطالعة عند هذا الحد، بل عكف على دراسة الأدب الأوروبي وتحديداً الإنكليزي، بعد أن أتقن اللغة الإنكليزية كأبنائها.

تخرج المازني من مدرسة المعلمين سنة 1909 م ، فيقول بمناسبة تخرجه:

> " ومضت الأيام . أعني الأعوام . وصرت معلماً، وتسلمت من الوزارة الشهادة لي بذلك، ولكني لم أفرح بها، لأن ذلك كان بكُرهي ، كما صار من لا أذكر اسمه في رواية موليير طبيباً رغم أنفه.. فعينتني الوزارة مدرسا للترجمة بالمدرسة السعيدية الثانية، وكنت صغير السن، ولم تكن لي لحيةً ولا شارب " [2]

ثم نقل من مدرسة السعيدية إلى المدرسة الخديوية ليدرس التاريخ والترجمة، وفي تلك المرحلة من حياته تعرف إلى كل من عباس محمود العقاد وعبدالرحمن شكري اللذين كان متأثرين أيضاً بالفكر الأوروبي. وكوّن الثلاثة ما يسمى بـ " الجيل الجديد"، متطلعين في نتائجهم الشعري إلى نتاج الشعراء الغربيين.

ثم نقل المازني إلى مدرسة دار العلوم، ثم عمل في المدرسة الإعدادية الثانوية فمدرسة وادي النيل، فمدرسة المصرية الثانوية، وفي هذه الأثناء أصدر الجزء الأول من ديوانه سنة 1914 ، والجزء الثاني سنة 1917 م .

والمازني في ديوانه لا يتطرق إلى السياسة ، ولا يدعو إلى التحرر الوطني أو إلى الإصلاح الاجتماعي، بل جاء شعره معبراً عن تجربته النفسية التي تفيض ألماً وكآبة وتبرماً بالحياة.

وكان المازني يحس في نفسه هوىً تجاه الصحافة منذ مطلع حياته،ففي سنة 1907 كتب في صحيفة الدستور ، كما كتب ما بين سنوات 1911-1914،

(**1**) خيوط العنكبوت، للمازني، سنة 1935 ، ص/ 392.

(**2**) الشعر غاية ووسائطه، ص/ 8.

في صحف الأخبار والبلاغ والاتحاد والسياسة، وبعد أن ترك التدريس في عام 1918م.

وكان يحب الكتاب وفيه يقول المازني : "كانت عادتي ألا أبرح بيتي إلا وفي يدي كتاب، وكنت لا أكاد أستقر في " الترام " حتى أفتح الكتاب، كنت أتخيّر الطرق المهجورة فأميل إليها، ليتسنى لي أن أقرأ في كتابي وأنا آمنٌ... فكان علمي بالدنيا ومعرفتي بالحياة قاصرين على ما يفيده، المرء من الكتب." (1)

كما يقول في مكان آخر : " أنا زوجُ الحياة الذي لا يستريح من تكاليفها، أقوم من النوم لأكتب، وآكل وأنا أفكر فيما أكتب، فألتهم لقمةً وأخطّ سطراً وبعض السطر، وأنا فأحلم أني اهتديت إلى موضوع.. وأشتاق إلى أن ألاعب أولادي، فيصدّني أن الوقت لا ينفسح للعب والعبث وأنّ علي أن أكتب. "(2) .

تمثل هذه العبارات حب المازني بالقراءة والمطالعة والانشغال على الكتب إنشغالاً لا يكاد يزاحمه فيه أحداً. ومن طريق القراءة حصّل المازني ثقافة موسوعية وموجهة في آن.

وكان هذه الثقافة الموسوعية والعادة القرائية لم تشبع نهم المازني العلمي، فاهتم بعلم الأديان المقارن، درس التوراة والإنجيل بالإنكليزية، فنجد المازني في كتابه " إبراهيم الكاتب" يقتبس من الكتاب المقدس التوراة " أي العهد القديم "، والإنجيل " أي العهد الجديد" .

والمازني لم يكن شاعراً فحسب بل كان أديباً ، فقد كتب في المقالة والقصة والنقد الأدبي والترجمة بالإضافة إليها في أدب الرحلة كتب رحلته إلى الحجاز بعنوان " رحلة إلى الحجاز " وسيأتي الكلام عن رحلته فيما بعد .

اتخذ المازني المقالة الصحفية سبيلاً ، فحملها أفكاره الجديدة التي تنم عن سخرية مرة ، وظرف وخفة روح، فأنتج لنا أدباً عربياً جديداً مليئاً بالأفكار الشخصية، والشعور المرهف، والسخرية الحادة اللاذعة. فهو لا يباري في مقالاته التي

(**1**) في طريق الحياة للمازني، ص/ 34.

(**2**) صندوق الدنيا للمازني، ص/ 6

يصف فيها مشاعره، وخواجه التي تفيض إحساساً مرهفاً وخواطر جياشةً، وكأنها تفيض من نبع لا ينض مدده.

وكتب المازني المقالات متنوعة ، وشارك في كل لون منها ، فملأ صحف الأحزاب بالمقالات السياسية والثقافية والأدبية. ونشر المازني أول مجموعة من مقالاته سنة 1924 م بعنوان " حصاد الهشيم " تحدث فيه عن شكسبير وروايته تاجر البندقية التي نقلها الشاعر خليل مطران.

وفي سنة 1927م نشر المازني مجموعة ثانية من مقالاته تحت عنوان " قبض الروح " ، تعرض فيها بالنقد الساخر لكثير من آراء طه حسين في العربي عموماً والجاهلي خصوصاً.

وفي سنة 1929 نشر مجموعة الثالثة تحت عنوان : " صندوق الدنيا" اتجه فيه إلى المقالة الساخرة المليئة بروح الدعابة والفكاهة .

وفي سنة 1935 م نشر مجموعة أخرى من مقالاته تحت عنوان : " خيوط العنكبوت " صوّر فيها بأسلوبه الفكِهِ معايب حياتنا الاجتماعية .

وللمازني في نثره وشعره أسلوب مميز ، وليس لي يمكن أن أفصل أسلوبه النثر أو لغته النثرية عن أسلوبه ولغته في الشعر ، ولكن أكتفي أن أقول إن أسلوب المازني الأدبي ، يمتاز بالسهولة والاستطراد والسُّخرية، والطلاقة في التعبير إذ " كانت لغته صورةٌ من روحه ... وألفاظه ملئ بمعانيه هو ، ومثقلة بخواجه هو " [1] كما يمتاز بالتفصيل في التصوير والتعبير، مع بصر بالأوصاف المتنوعة، وفهم كامل للترادف والتضاد، ويمتاز أيضاً بالبساطة، فالمازني يكتب كما يتكلم، لذلك يغلب على أسلوبه ضمير المتكلم الفرد، والجمل الاعتراضية، ويمتاز أسلوبه كذلك بالطبيعة والتآلف والانسجام.

مؤلفاته

ترك المازني عدد من الأعمال النثرية والشعرية والقصصية ومن أهمها : حصاد الهشيم ، خيوط العنكبوت، إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني، ورحلة الحجاز، قصة

(**1**) إبراهيم الكاتب، للمازني، ص/300.

حياة ، صندوق الدنيا، قبض الريح، من النافذة، الديوان في الأدب والنقد ، بالاشتراك مع العقاد.

رحلته إلى الحجاز

تعتبر رحلته من أروع الرحلات إلى الحجاز، وأسلوبه فيها سهل، ويجذب القارئ بحيث لا يشعر إلا وقد ينتهي من قراءتها. وسوف أتحدث عن هذه الرحلة بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى .[1]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★
★★★★★★
★★★★★
★★★★★
★★★★
★★
★

(1) انظر ص / 281 من هذه الرسالة.

التعريف بأهم الرحالة غير العرب إلى الحجاز

الإصطخري

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارس الإصطخري، ويعرف باسم الكرخي، ولا نعرف عن نشأته الأولى.

ينتمي أبو إسحاق الإصطخري إلى إصطخر وهي مدينة برسيبوليس القديمة في بلاد الفرس . [1]

وقد ذكر فؤاد قنديل إلى أنه " ولد وعاش نشأته الأولى حتى مطالع الشباب بمدينة إصطخر الفارسية، لكنه كغيره من أبناء الفرس ارتحل إلى بغداد، الذي هو بلد العلم والأدب والفقه والفن والإسلام" [2]

ولد الرحالة الإصطخري في السبعينات من القرن الثالث الهجري، وفي هذا يقول فؤاد قنديل: " لا نعرف تاريخ مولده وإن كنا نرجح أنه ولد أوائل الربع الأخير من القرن الثالث الهجري" [3] ، وهو يدل بهذا بداية رحلاته حيث يقول : " لأنه بدأ رحلاته أوائل القرن الرابع الهجري، ويمكن أن تكون سنه عندما بدأ تجواله بين العشرين والخامسة والعشرين" [4]

أما تاريخ وفاته فقد ذكر الدكتور علي عبدالله الدفاع فهو يقول : " لا نعرف الكثير عن نشأته الأولى ، لكنه توفي سنة 346 هجرية " [5] .

وقد أشار فؤاد قنديل إلى تاريخ وفاته فيقول : " لا نعرف سنة وفاته ، ولما كان التقى بابن حوقل عام 340 إذاً ، فلن تكون وفته إلا بعد هذا التاريخ ، ويذهب د. الحيني محقق كتاب " المسالك والممالك " إلى أنه توفي في نحو منتصف القرن الرابع الهجري " [6]

(**1**) الأعلام للزركلي، ح/2، ص/ 60، . رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، للدكتور علي بن عبدالله الدفاع، مكتبة التوبة، ص/ 102

(**2**) أدب الرحلة ، ص/178

(**3**) نفس المرجع.

(**4**) نفس المرجع.

(**5**) رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية ، ص/ 103.

(**6**) أدب الرحلة ، ص/ 178.

تلقى العم وتفقه في الدين لكنه عشق السفر وأسرف فيه، لأنه كان السبيل الأول لنهل المعارف وتحصيل العلوم وهو السياحة والرياضة وتجديد العقل والوجدان.

وقد وصفه الدكتور علي عبدالله الدفاع حيث يقول : " اشتهر أبو إسحاق الإصطخري بالإنصاف لمن سبقه من علماء الجغرافية، كما اتصف بالصدق والأمانة العلمية وتقوى الله، في قول كلمة الحق، فهو العالم الذي لا يخاف في الحق لومة لائم" (1)

رحلته

زار الإصطخري بلاد ما وراء النهر وإيران وجزيرة العرب وبخاصة الحجاز والشام مصر، لكنه كغيره من جغرافيي المدرسة الكلاسيكية وصف العالم الإسلامي وحده مقسما إياه إلى عشرين إقليماً، كما وصف جزيرة العرب والأندلس وصقلية ومصر والشام وبحر الروم والجزيرة والعراق وجنوب إيران والهند وإيران الوسطى والشمالية وآرمينيا وآذربيجان وبحر الخزر.

وكتب الإصطخري كتابين وهما "صورة الإقليم" و الثاني " المسالك والممالك".

"وقد ذكر شاكر خصباك " أن أبا إسحاق الإصطخري ساح العالم الإسلامي، لذا استفاد من رحلاته في تصنيف كتابه " المسالك والممالك " الذي يكتسب أهمية بالغة إذ يعتبر رائداً للكتب الإقليمية التي ألفت بعده في منهجه ومعلوماته وتبويبه." (2)

وقد اعتبر الإصطخري الخارطة أساساً للبحث، فقسم بلاد الإسلام إلى عشرين إقليماً ، رسم خارطة جيدة لكل من هذه الأقاليم، كما يحتوي هذا الكتاب على معلومات تاريخية ضرورية للدارسين في ميدان علم الجغرافية.

ركز الإصطخري تركيزاً بالغاً في كتابيه ، وشمل حدود كل قطر والمدن وطرق المواصلات والمسافات ، كما يذكر في بعض الأحيان تفاصيل متفرقة في غير منهج عن الحاصلات والتجارة والصناعة وعن الأجناس.

(**1**) المرجع السابق، ، ص/ 104.

(**2**) http://islamstory.com/ar/

وكتاب " المسالك والممالك " للإصطخري نشر أولاً في عصر الحديث مختصراً في نسخة بالزنكوغراف عن نسخة مخطوطة سنة 690 هـ نقلها د. مولر سنة 1839 م، ثم نشره دي خويه من خمس مخطوطات سنة 1870م . وفي عام 1961 م قام محمد جابر عبدالعال بتحقيقه ونشر بمساعدة وزارة الثقافة المصرية بالقاهرة. [1]

ويقول فؤاد قنديل نقلا من الدكتور الحيني قائلاً :

" والقارئ لكتاب الإصطخري يلاحظ في وضوح أن منهجه في التأليف يقوم على أسس ثلاثة: أولاً المشاهدة والوصف وفق الرؤية، وتجد ذلك واضحاً في حديثه عن إقليم ما وراء النهر وديار ثمود وغيرهما، وثانيا تحرى الدقة جهد الطاقة مخالفاً غيره تارة ومتفقاً تارة أخرى، وثالثاً سماع الأخبار والاقتصاد في روايتها" . [2]

نماذج من رحلته

يقول الإصطخري عن تقسيم بلاد الإسلام وبداية كتابه بالتعريف عن الحجاز قائلا:

> " ففصلت بلاد الإسلام عشرين إقليما، وابتدأت بديار العرب فجعلتها إقليما، لأن فيها الكعبة ومكة أم القرى وهي واسطة هذه الأقاليم، ثم أتبعت ديار العرب ببحر فارس لأنه يكتنف أكثر ديار العرب، ثم ذكرت المغرب حتى انتهيت إلى مصر فذكرتها، ثم ذكرت الشام ثم بحر الروم ثم الجزيرة ثم العراق ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم المنصورة وما يتصل بها من بلاد السند والهند والإسلام، ثم آذر بيجان وما ينصل بها، ثم كور الجبال ثم الديلم ثم بحر الخزر ثم المفازة التي بين فارس وخراسان ثم سجستان وما يتصل بها ثم خراسان ثم ما وراء النهر" [3]

(**1**) أدب الرحلة، ص/ 180 ، نفس المرجع

(**2**) نفس المرجع، ص/ 184.

(**3**) المسالك والمماليك للأصطخري، ص/ 2

والأصطخري خص فصلاً من كتابه لديار العرب وتحدث فيه مبتدئاً بمكة المكرمة ثم المدينة المنورة ثم الطائف وتبوك وغيرها من المدن ، وقد بين أن ديار العرب هي الحجاز ، حيث يقول :

" وديار العرب هي الحجاز، الذي يشتمل على مكة والمدينة واليمامة ومخالفيها ونجد الحجاز، المتصل بأرض البحرين وبادية العراق وبادية الجزيرة وبادية الشام، واليمن المشتملة على تهامة" (1)

وقد بدأ الكتاب بوصف ديار العرب حيث يقول الإصطخري :

" وبدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى، وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم" (2)

وقد يصف حدود مكة المكرمة قائلاً :

" ونبتدأ من مدن ديار العرب بمكة شرفها الله، وهي مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطول مكة من العلاة إلى المسفلة نحو ميلين، وهو من حد الجنوب إلى الشمال، ومن أسفل جياد إلى ظهر قعيقعان نحو الثلاثين من هذا، وأبنيتها حجارة، والمسجد في نحو الوسط منها، والكعبة في وسط المسجد، وباب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة وهو مصراع واحد، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب، والباب بحذاء قبة زمزم، والمقام بقرى زمزم على خط محاذ للباب " (3)

ويصف الإصطخري المدينة المنورة قائلاً:

" وأما المدينة فهي أقل من نصف مكة، وهي في حرة سبخة الأرض، ولها نخيل كثيرة ، ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار، يستقون منها العبيد، وعليها سور، والمسجد في نحو من وسطها، وقبر النبي γ من المسجد في شرقية قريبا من القبلة، وهو الجدار الشرقي من المسجد، وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلا فرجة، وهو مسدود لا باب له، وفي قبر رسول الله γ وقبر أبي بكر وعمر K، والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله γ غشي بمنبر آخر، والروضة

(1) نفس المرجع ، ص/ 8 .

(2) نفس المرجع ، ص/ 7

(3) نفس المرجع ، ص/ 8

أمام المنبر بينه وبين القبر، ومصلى رسول الله لاذي كان يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب، وبقيع الغرقد خارج باب البقيع في شرقي المدينة" [1]

ويتحدث عن مدينة الطائف قائلاً:

" والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى، إلا أن ثمارها الزبيب، وهي طيبة الهواء وأكثر فواكه مكة منها ، وهي على ظهر جبل غزوان، وبغزوان ديار بني سد قبائل هذيل، وليس بالحجاز " فيما علمته " مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل، ولذلك اعتدل هواء الطائف، وبلغني أنه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضوع فيما علمته" [2]

وقد تحدث عن مدينة تبوك قائلاً :

" وتبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخيل ، وحائط ينسب إلى رسول الله γ ، ويقال أن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا بها، ولم يكن شعيب منهم"[3]

ابن جبير

هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي [4]

وقد ذكر التجيبي – الذي هو يعد من أوائل الرجال الذي كتبوا ترجمة لابن زبير — اسمه الكامل فيقول هو " أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبدالسلام بن مروان بن عبدالسلام بن جبير الكناني" [5]

وكان جده عبدالسلام من أوائل الداخلين إليها مع بلج بن بشر بن القشيري في سنة 123 هـ ، فهو أندلسي شاطبي بلنسي . [6]

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 10

(2) نفس المرجع ، ص/ 11.

(3) نفس المرجع ، ص/ 11.

(4) ا الأعلام للزركلي، ج/1، ص/ 274، وانظر الرحلات ، شوقي ضيف، ص/ 70

(5) مستفاد الرحلة والإغتراب، للتجيبي، ص/ 243. وانظر الأعلام للزركلي، ج/1، ص/ 274.

(6) الإحاطة لابن الخطيب، ج/2، ص/ 239

ولد ابن جبير ليلة السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة 540هـ الموافق 1145 م ، ببلنسية "**Valence** " من شرق الأندلس. [1]

وقيل إنه ولد عام 539 هـ الموافق 1144 م في قرية شاطبة أو بلنسية. [2]

وسبب نسبته لبلنسية لمولدها بها على الأرجح الأقوال، أما نسبته إلى شاطبة فعائد لإقامته بها فترة من الزمن، ويعد والده من أعيانها وأبرز كتابها وسلك ابن جبير نهج والده في ذلك ثم سكن غرناطة . [3]

وقد ذكر علي عبدالله الدفاع لقبه وكنيته حيث يقول : " ويكني بأبي الحسن، ويلقب بالبلنسي وفي بعض الأحيان يعرف بالشاطبي ، لقب ابن جبير بالبلنسي لأنه ولد في مدينة بلنسية سنة 540 هـ ، أما لقبه الشاطبي لأنه تلقى تعليمه الإبتدائي في مدينة شاطبة الأندلسية" [4]

توفي رحمه الله بالإسكندرية ليلة الأربعاء 29 من شهر شعبان عام 614 هـ الموافق 1217 م [5] ، وقد بلغ من العمر أربعة وسبعين عاماً .

وذكر علي عبدالله الدفاع تاريخ وفاته بعد سنتين من تاريخ الذي ذكرناه آنفا في قول لابن الخطيب، فهو يقول : " توفي رحمه الله في مدينة الإسكندرية عن عمر يناهز 76 سنة ، أي سنة 616 هجرية " [6]

ينتمي ابن جبير إلى أسرة عربية أصلية وعريقة هاجرت من المشرق العربي إلى بلاد الأندلس ضمن أعداد كبيرة من العائلات العربية سنة 123 هجرية، كان والده من طلاب العلم المتميزين، ولذا احتل مكانة مرموقة في حكومة الموحدين، مما ساعده على تعليم ابنه محمد، فقد تولى تعليم الابن كبار المفكرين في مدينة غرناطة ، ومن هنا نبغ ابن جبير في الأدب والعلوم الشرعية والجغرافية والتاريخ .

(**1**) الأعلام للزركلي، ج/5، ص/ 319 ، الإحاطة لابن الخطيب، ج/2، ص/ 239 ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج/5، ص/ 60، الرحلات، 70 ، أدب الرحلة، ص/ 384 ، الرحالة المسلمون والعصور الوسطى، ص/ 70.

(**2**) المرجع السابق، ، ج/2، ص/ 239 ، جذوة الاقتباس، لابن القاضي، ج/1، ص/ 280.

(**3**) نفخ الطيب للمقري، ج/2، ص/ 384-387 . الرحلات المغربية والأندلسية، رسالة علمية ص/ 98

(**4**) رواد علم الجغرافيا، لدكتور علي عبدالله الدفاع، ص/ 170.

(**5**) الإحاطة لابن الخطيب، ج/2، ص/ 239.

(**6**) المرجع السابق.

أشار المقري إلى نشأته وتربيته وتعليمه حيث يقول : " نشأ ابن جبير تحت تربية أبيه الذي جهزه لتقلد المراتب والمناصب السامية، فتلقى العلم عن أبيه وعلماء عصره بمنطقة شاطبة وعني بالأدب فبرع فيه وبرز في صناعة الكتابة" [1].

وأضاف شوقي ضيف إلى أنه " درس العلوم الدينية واللغوية ، ولم يلبث أن تيقظت فيه مواهبه الأدبية، فأخذ في قرض الشعر " [2] .

وقد ذكر فؤاد قنديل عن كتابة نثره في سن مبكر ، حيث يقول : " وما أن بلغ سن الصبا حتى تيقظت مواهبه الأدبية، وأقبل على القراءة وخاصة أشعار القدماء من العرب وسرعان ما استهواه الشعر ونظمه، وتناقل الناس قصائده، كما كتب نثراً جميلاً يفيض بالحكمة" [3]

وقد تميز في الأدب العربي، فهو بلا شك صاحب موهبة ويقظة، كما أنه كان يعتني بالدقة والملاحظة وسلاسة الأسلوب. لذا ألف كتابه " تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار" المعروف باسم " رحلة ابن جبير" سهل المنال لكل من المثقف والإنسان العادي وهذه الخاصية تميزت به ما أنتجته قريحته المتوقدة.

وتنقل ابن جبير في مطلع حياته في عدد من المدن الأندلسية والأفريقية، فقطن بلنسية وشاطبة وغرناطة وسبتة[4] وفاس[5]، وتقلب في المناصب الكتابية، ويعد أحد كتاب الدولة الموحدية حكام الأندلس والمغرب، وتمتع بمكانة عالية لديهم لسعة علمه وقدرته على نظم الشعر والنثر . [6]

ويقول لسان الدين بن الخطيب إنه كان وابن جبير شاعراً من أفضل الشعراء وأديباً من أبلغ الأدباء، وهو صاحب أخلاق كريمة وحسنة، ويمتلك المهارة في فن الخط، ومحاسنه عديدة، ذائع الصيت، مشهوراً بالخير والصلاح، فأهلته صفاته لتقلد

(**1**) نفخ الطيب للمقري، ج/2، ص/ 382.

(**2**) الرحلات شوقي ضيف، ص/ 70

(**3**) أدب الرحلة ، فؤاد، ص/ 384.

(**4**) سبتة : مدينة مشهورة في بلاد المغرب. (معجم البلدان، ج/3، ص/182).

(**5**) فاس : مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر ، (معجم البلدان، ج/4، ص/ 23)

(**6**) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، لحسين مؤنس، ص/ 429.

أرفع المناصب في الدولة، وهو الكتابة ، وأتاح له ذلك المنصب الإطلاع على العديد من الأمور المهمة والتي لا يتاح للمؤرخين العاديين معرفتها[1].

ونلاحظ أن ما تميز به ابن جبير من صفات جعلت المقري يصفه بالمروءة والسعي في قضاء حوائج الناس والسعي لأداء واجب إخوانه عليه، فقال: " إن صاحب كتاب الملتمس كان أحرص الناس على مصاهرة قاضي غرناطة أبي محمد عبدالمنعم بن الفرس[2] فجعل ابن جبير الواسطة في إتمام زواجه ولكن لم يوفق الله بينه وبينها، فأتاه وشكى له ذلك، فقال له: "إنما ما كان القصد لي في اجتماعكما ... وها أنا أسعى أيضاً في افتراقكما إذ هو من غرضك وخرج من حينه وفصل القضية ..." [3]

عاش أبو الحسن بن جبير حياة عادية بسيطة في جوهرها، نذر حياته للعلم والتعليم فانقطع آخر أيام حياته لتدريس طلاب العلم كلا من الفقه والحديث والجغرافية والتاريخ والأدب العربي، فكان الطلاب يأتون إليه من كل حدب وصوب للتتلمذ على يده، لذا احتل مكانة مرموقة في المجتمع ليس فقط لأنه أستاذ ناجح ولكن لحكمته وعلمه أيضاً.

لقد حصل ابن جبير على رتبة وعزة بسبب أدبيته وكتابته، وبدأ العمل عند حاكم غرناطة وكان رتبته كاتب، يقول كراتشكوفسكي عن عمله " التحق مبكراً بأعمال الدواوين والكتابة كأبيه، وعمل مدة طويلة كاتباً لحاكم غرناطة من لموحدين، ولم يلبث أن كسب الشهرة ككاتب وشاعر "[4]

واشتهر ابن جبير بسبب رحلته التي دونها بعد أن زار عدداً من البلدان والأماكن وبخاصة الحجاز المقدس، وسجل فيها مشاهداته بأسلوب بديع ورائع.

---

(1) الإحاطة لابن الخطيب، ج/2، ص/ 231.

(2) عبدالمنعم بن محمد بن عبدالرحيم الخزرجي المعروف بابن الفرس ولي القضاء بجزيرة شقر وبمدينة وادي آشى ، وكان له النظر في الحسبة والشرطة، له عدة مؤلفات منها كتاب الأحكام، توفي سنة 597 هـ . (تاريخ قضاة الأندلس ، للنباهي، ص/ 100) .

(3) نفخ الطيب ، للمقري، ج/3، ص/ 295-296.

(4) تاريخ الأدب الجغرافي، ج/1 ، ص/ 290.

ولقد زار ابن جبير المشرق ثلاث مرات ، ولهذه الرحلات أسباب التي سأتحدث عنها في الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله ، ولكن هنا أود أن أشير إلى تلك الرحلات وهي:

الرحلة الأولى : قام ابن جبير بهذه الرحلة لأداء فريضة الحج في عام 578 هـ الموافق 1182 م . [1]

الرحلة الثانية : قام برحلة ثانية إلى بيت المقدس والحج في عام 585 هـ الموافق 1189 م .

الرحلة الثالثة : وهذه الرحلة هي آخر رحلته ، حيث جاور بمكة طويلاً ثم سافر إلى بيت المقدس ، وتجول في مصر .[2]

مؤلفاته

لم يدون سوى رحلته الأولى ، إذ ليس بأيدينا معلومات كافية عن رحلتيه الأخيرتين إلا النزر اليسير المبعثر في طيات الكتب المترجمة له، كما أن كل من ترجم له ذكر أسماء مختلفة لرحلته وهي : " تذكرة بالأخبار عن اتفاق الأسفار" و"رحلة الكناني" [3]، و"كتاب اعتبار الناس في ذكر الآثار الكريم والمناسك"[4]

ويبدو أن هذا الاسم الأخير ليس اسماً لرحلته التي اشتهر بها، وإنما هي رسالة مستقلة، فقد أشار إلى ذلك ابن عبدالملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة حيث قال : " وله مقالة سماها رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك كتب بها إلى وليه أبي الحسن بن مقصير من علماء فاس عند عودته إلى المشرق في ذي القعدة سنة 593 هـ الموافق 1196 م ". [5]

(**1**) المرجع السابق، ج/2، ص/ 385-386.

(**2**) الإحاطة لابن الخطيب، ح/2، ص/ 232.

(**3**) تاريخ الأدب الجغرافي، ج/1، ص/ 290

(**4**) تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، محمد عبدالله عنان، ص/ 336.

(**5**) الذيل والتكملة، للمراكشي، ج/5، ص/ 604.

وقد كان ابن جبير ناظما للشعر والنثر، وله أشعار كثيرة منها: ديوان شعر يعرف بنظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان [1] ، وله جزء آخر سماه نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح، في رثاء زوجته أم المجد. [2]

وأكتفي بهذا القدر من ترجمة حياته ، وسنفصل الكلام عن رحلته في الفصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله وانظر الصفحة رقم 252.

العبدري

هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري[3]، وقد ذكر اسمه محقق رحلته الدكتور علي إبراهيم كردي " أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري [4] .

أما عن نسبه فهو يرجع إلى بني عبد الدار ، وفي نسبه يقول كراتشكوفسكي: " وتشير النسبة إلى أنه ينحدر من صلب بني عبدالدار من بني قصى وهذا الأخير هو الذي تنسب إليه الأسطورة توحيد قبيلة قريش" [5]

وقد ذكر الدكتور إبراهيم عن الأنساب السمعاني " وينتهي نسبه إلى عبدالدار بن قصيّ بن كلاب وإليه نسبته" [6]

وقد وجد الاختلاف عند المؤرخين في أصله، فبعضهم اعتبروه أندلسياً ، وهاجر من الأندلس إلى " حاحة " على شاطئ المحيط الأطلسي. [7] ، وأما البعض

(**1**) جذوة الاقتباس لابن القاضي، ج/1 ، ص/ 278.

(**2**) الحلل السندسية، لشكيب أرسلان، ج/3، ص/ 118. وأم المجد : هي زوجته عاتكة بن الوزير أحمد بن عبدالرحمن الوقشي كانت وفاتها يوم السب عشر من شعبان سنة 601 هـ ،(نفخ الطيب، ج/2، ص/ 489) .

(**3**) الأعلام للزركلي، ج/7، ص/ 32 ، تاريخ الأدب الجغرافي لكراتشكوفسكي، ج/1، ص/ 367، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج/1، ص/ 482، جذوة الإقتباس ، ج/1، ص/ 286 .

(**4**) رحلة العبدري ، تحقيق دكتور علي إبراهيم الكردي، ط/ دار سعد الدين للطباعة والنشر ، ص/7. وقد أوضح الدكتور في الحاشية أن في إحدى النسخ اسم جده " مسعود" .

(**5**) تاريخ الأدب الجغرافي ، ج/1، ص/ 367.

(**6**) الأنساب للسمعاني، ج/8، ص/ 349 ، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، ج/2، ص/ 312.

(**7**) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج/1، ص/ 428، تاريخ الأدب العربي للفروخ ، ج/6، ص/ 401.

يرون أن عائلة العبدري ساكنة في بلنسية ، ثم هاجرت إلى المغرب، وسكنت هناك، وفيها وُلِد العبدري. [1]

وليس بين أيدينا ما يرجح أحد القولين، وإن كنا لا نلمس في رحلته ولا في شعره ذكراً للأندلس يدل على تعلق العبدري بها، على حين أنه كان يذكر مراكش على أنها موطنه. [2]

وبالعكس إذا أمعنا النظر في التراجم والمصادر فوجدنا موطنه بلنسية، ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعضهم إلى نسبته إلى الأندلس، فمن المحتمل أن يكون أصل قومه أقاموا في الأندلس، وأهله رحلوا إلى المغرب وأقاموا في " حاحة" [3].

وكنية العبدري "أبو عبدالله"[4] أما لقبه فهو " ابن الحاج " كما أشار إليه كراتشكوفسكي حيث يقول: " وهناك احتمال في أن يكون محمد العبدري الذي لقب احتراماً باسم ابن الحاج " [5] .

والعبدري من أعظم رحالي المغرب ولكن من سوء الحظ لم نعرف شيء من تاريخ ولادته وتاريخ وفاته ، ولكن الدكتور إبراهيم الكردي افترض أنه من مواليد 643 هـ الموافق 1245 م حيث يقول :

" فإذا افترضنا أنه كان آنذاك في الخامسة والأربعين بدليل قوله عن ابن خميس التلمساني الذي كان . حين لقيه في تلمسان . في الثامنة والثلاثين من عمره بأنه " فتيّ السن " [6] فتكون ولادته حوالي سنة (643 هـ / 1245 م) وأغلب الظن أن وفاته كانت بعد سنة سبع مئة للهجرة" [7]

(**1**) تاريخ الأدب الجغرفي، لكراتشكوفسكي، ج/1، ص/367، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، لزكي محمد حسن، ص/ 132.

(**2**) الرحلة العبدري، ص/ 302.

(**3**) نفخ الطيب، ج/2، ص/ 219.

(**4**) أدب الرحلة ، ص/ 465

(**5**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص/ 368.

(**6**) الرحلة للعبدري، ص/ 53.

(**7**) رحلة العبدري ، ت الدكتور علي إبراهيم كردي، ص/ 8.

وقد ذكر الدكتور عمر فرّوخ تاريخ وفاته 720 م الموافق 1320 م [1] . وقد أشار الكراتشكوفسكي إلى أنه توفي بالقاهرة . [2]

لا نعرف الكثير عن نشأة العبدري الأولى، إلا أنه من الثابت أنه عاش هو وأسرته فترة من حياته على الصويرة[3] في المغرب الأقصى. وتلقى تعليمه بمراكش لأنه ارتبط فيها بصلة قوية مع عدد من علمائها ومنهم ابن عبدالملك المراكشي [4].

وقد ذكر محقق رحلته الدكتور إبراهيم كردي عن تعليمه وثقافته حيث يقول : " ولا يستبعد أنه تتلمذ على والده، ـ المعلم ـ ودخل الكتّاب ـ كما كانت العادة ـ في بلدته " حاحة " فحفظ القرآن، وتعلّم على الطريقة المتّبعة حينئذ من التّدرّج في حفظ المتون، وتعلم العمليات الحسابية، ثم ارتقى إلى أن أصبح من الطلاب، عندها انتقل إلى مراكش التي كانت مركزاً علمياً مرموقاً آنذاك، فأخذ عن جلّة من علمائها أمثال محمد بن علي بن يحيى الشريف الذي كان شيخه وشيخ صاحبه ابن عبدالملك المراكشي" . [5]

وقد أفاد العبدري من كثرة العلماء، وأخذ منهم العلوم والفنون وأتقن فيها، وكان عالما بالقرآن والحديث وأيام العرب ، ومطلعاً على الأدب العربي نثراً وشعراً .

والعبدري كان رجلا متمسكا بدينه متضلعا في الفقه، مطلعا على كتب الحديث المختلفة صحيحه وضعيفه، عارفا بعلله وأحكامه، لذلك لم يكن يؤمن إلا بما يطابق تعاليم القرآن، وما صح على النبي γ، ونراه يحارب الخرافات وندد بمن يعتقدها، ويخضع كثيراً من الأمور إلى منطق العقل والعلم.

كما قلنا أنه كان شاعرا جيداً وقد أورد البلوي في رحلته قصيدة العبدري التائية نقلا من القاضي أبي الفضل عياض في كتابه الشفاء أبيات من قصيدته التائية:

(**1**) تاريخ الأدب العربي ، ج/6، ص/ 401.

(**2**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج/1، ص/ 368.

(**3**) الصويرة على مقربة من مدينة مغادور (**Mogador**) بمراكش، (الرحلة والرحالة المسلمون ، د. أحمد رمضان أحمد، ص/ 247).

(**4**) الرحلة المغربية، ص/ ح المقدمة، 140 ، 275.

(**5**) نفس المرجع، ص/302.

"يا ساكني دار الحبيب عليكم   مني سلام طيب النفحات
يهنيكم قرب الأحبة فارحموا   صبا بكم قد صد بالنزلات
كم ذا أعلل بالوصول إليكم   قلبا شجيا مضرم الجنبات[1] "

مؤلفاته

جماعة من المترجمين له الحوا بعدم مصنفاته غير رحلته ، ولكن فؤاد قنديل أسند إليه ثلاث كتب حيث يقول : "كان الرجل قليل التأليف ، وتنحصر مؤلفاته في ثلاثة، هي :

- " مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة" مطبوع في ثلاثة أجزاء.
- رحلة العبدري أو الرحلة المغربية.
- شموس الأنوار وكنوز الأسرار في علم الحروف وروحانيته. "[2]

رحلته

وقد أشار كراتشكوفسكي إلى رحلته حيث يقول : " وقد خرج في رحلته يصحبه ابنه في ديسمبر من عام 688 هـ الموافق 1289 ووجهته مكة ، وفي البداية سارت الرحلة ببطء في شمال أفريقيا وتوقف الرحالة خلالها وقفات طويلة بالمدن الكبرى، ومن مصر رافق قافلة الحج لأداء الفريضة ، ثم رجع إلى مصر عن طريق فلسطين فأمضى بعض الوقت بالقاهرة والإسكندرية وغادرها إلى وطنه ماراً في طريقه بتلمسان وفاس ومكناس حتى بلغ أزمور على المحيط وهناك أقام لبعض الوقت حتى تلحق به أسرته "[3]

وأكتفي عن ترجمة العبدري بهذا القدر وسأتحدث عن رحلته وكتابه " الرحلة المغربية " في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

ابن بطوطة

اسمه

---

(1) تاج المفرق للبلوي، ج/2، ص/109.

(2) أدب الرحلة، ص/ 465.

(3) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج/1، ص/ 367.

هو "محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي ، من أهل طنجة ، يكني أبا عبدالله ، ويعرف بابن بطوطة" [1] .

أما الزبيدي ذكره بشمس الدين أبو عبدالله محمد بن علي اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة. [2]

وقد ذكر الدكتور حسين مؤنس محقق رحلته اسم والده " عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي" [3]

كان يعرف في البلاد الشرقية بشمس الدين [4] ويعرف في الهند بـ بدر الدين[5]، و لقبه "اللواتي " نسبة إلى قبيلة لواته، إحدى قبائل البربر التي انتشرت بطونها على طول ساحل أفريقيا حتى مصر.[6] ، وأما لقبه الطنجي نسبة على مولده في مدينة طنجة.

ولادته

ولد ابن بطوطة يوم الاثنين السابع من رجب عام 703 هـ الموافق 24 فبراير عام 1304 م [7]، وفي هذا ذكر ابن جزي[8] : " أخبرني أبو عبدالله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة[9] في يوم الاثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة" [10] .

---

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج/3، ص/273 ، أدب الرحلة، ص/ 488 ، رحلة ابن بطوطة، ص/12.

(2) تاج العروس، ج/5، ص/109.

(3) ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ، دكتور حسين مؤنس، دار المعارف، ص/ 16.

(4) رحلة ابن بطوطة ، مقدمة ابن جزي ، ص/ 12.

(5) نفس المرجع، ص/ 509.

(6) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج/1، ص/ 422. المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص/ 375.

(7) www.wikipedia.org

(8) هو محمد بن محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، من غرناطة، ولد سنة 721هـ ، وتوفي سنة 757 هـ (الإحاطة لابن الخطيب، ج/2، ص/ 256)

(9) بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهي مدينة قديمة آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر وهي على ظهر جبل وماؤها من قناة يجري إليهم من موضع لا يعرفون متبعة على الحقيقة وهي خصبة وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد هي آخر حدود أفريقيا. (معجم البلدان، ج/5،ص/43.)

(10) رحلة ابن بطوطة: ص/ 14.

وعرفت أسرته بالتدين والعلم والإفتاء، فمنها نبغ العلماء والقضاة ، وهو ما ذكره لملك الهند عندما خيره بين الوظائف التي يرغبها، فقال : " أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي " [1] .

وقد أشار إلى توليه قضاء الركب الحجازي عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز، وممن تولى القضاء من عائلته ابن عم له يقال له أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة قاضي إحدى المدن الأندلسية. [2]

وليس عندنا معلومات شافية من سيرة حياته الأولى فإن ابن بطوطة لم يعطنا شيئاً من حياته مفصلة أو موجزة، إلا ما ذكره عن نفسه في سياق رحلته، وهكذا نجد ابن جزي الكلبي أيضاً بأنه ما ذكر سيرة حياته بالتفصيل سوى ما قال في مقدمته حيث قال:

"الشيخ الفقيه السائح الثقة الصدوق، جوال الأرض، ومخترق الأقاليم بالطول والعرض، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة المعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين، وهو الذي طاف الأرض معتبراً، وطوى الأمصار مختبراً، وباحث فرق الأمم، وسبر سير العرب والعجم، ثم ألقى عصا التسيار بهذه الحضرة العليا، لما علم أن لها مزية الفضل دون شرط ولا ثنيا، وطوى المشارق إلى مطلع بدرها بالغرب، وآثرها على الأقطار إيثار التبر على الترب، اختياراً بعد طول اختبار البلاد والخلق، ورغبة اللحاق بالطائفة المثلى، التي على الحق فغمره من إحسانه الجزيل، وامتنانه الحفي الحفيل، ما أنساه الماضي بالحال، وأغناه عن طول الترحال، وحقر عنده ما كان من سواه يستعظمه، وحقق لديه ما كان من فضله يتوهمه، فنسي ما كان ألفه من جولان البلاد، وظفر بالمرعى الخصب بعد طول الإرتياد، ونفذت الإشارة الكريمة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الأمصار، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار، وعلمائها الأخيار، وأوليائها الأبرار،

(**1**) نفس المرجع، ص/ 511.

(**2**) أدب الرحلة، ص/ 488.

فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة المسامع والنواظر، من كل غريبة أفاد باجتلائها، وعجيبة أطرف بانتحائها."[1]

وقد نقل ابن الخطيب ما كتبه شيخ أبو البركات في التعريف عن حال ابن بطوطة قائلاً: " حاله من خط شيخنا أبي البركات ، قال: هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب، رحل من بلاده إلى بلاد المشرق يوم الخميس الثاني من رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فدخل بلاد مصر والشام والعراق، وعراق العجم، وبلاد الهند والسند والصين..." [2]

وقد ذكر الدكتور حسين مؤنس عن تعليمه حيث يقول : " قد درس على طريقة أمثاله من الشبان في ذلك العصر حفظ القرآن ، وبدأ يدرس على الشيوخ لكي يكون فقيهاً كأبيه وبقية النابهين من أهل بيته، ولكنه لم يتم دراسته، لأن سن الحادية والعشرين التي خرج فيها للرحلة تدل على أنه لم ينتظر حتى يستكمل دراسة الفقه، وكانت هذه الدراسة وقتها تطول فلا يفرغ الشاب من دراسته إلا في حدود الثلاثين" . [3]

أما عن أخلاقه وصفاته يقول ابن حجر: " فابن بطوطة شديد الحرص على التمسك بتعاليم الدين الإسلامي، فلا يكاد يسمع برجل صالح أو عالم إلا وسارع إلى لقائه والتبرك بدعائه وهو كثير الزواج ففي كل بلد يحط رحاله بها يتزوج عازماً على أن تكون معه ولكن نراه لا يلبث أن يفارقها لعدم قبول الزوجة مفارقة وطنها."[4]

مؤلفاته

لا توجد له مؤلفات غير رحلته " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" التي صاغها له ابن جزي .

(**1**) رحلة ابن بطوطة، مقدمة ابن جزي ، ص/12.
(**2**) الإحاطة، لابن الخطيب، ج/3، ص/ 273.
(**3**) ابن بطوطة ورحلاته، لحسين مؤنس، ص/ 17.
(**4**) الدرر الكامنة لابن حجر، ج/3، ص/480.

وأكتفي بحياة ابن بطوطة في هذا الفصل وسأتحدث عن رحلته وكتابه بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله.[1]

جوهان لودفيج بوركهات

اسمه

هو المستشرق الرحالة يُعرف باسم " جون لويس بوركهات " أو " يوهن لودفيك بركهات " وكان اسمه يكتب بالإنجليزية " Johann Ludwig Burckhart " [2]

وقد ذكر الدكتور صالح عبدالله العثمين في ترجمة كتابه عرب اسمه من الانجليزية " جوهان لودفيج بوركهات " مع أنه لم يذكر صيغة الإنجليزية لاسمه . [3]

أما حمد الجاسر في كتابه رحالة غربيون في بلادنا ذكر اسمان المذكوران أعلاه مع صيغة الإنجليزية نقلاً من الأعلام للزركلي . [4]

وقد سمي نفسه بعد اعتناق إسلامه بـ " الشيخ حاج إبراهيم المهدي بن عبدالله بركهرت اللوزاني" [5]

ولادته

ولد بوركهات في شهر المحرم سنة 1199 هـ الموافق 1784 م، في بلدة لوزان السويسرية [6] من أب سويسري وأم إنجليزية .

وقد كتب الدكتور صالح عبدالله العثيمين عن والده بأنه يعمل في الجيش حيث يقول : "وكان أبوه عقيداً في الجيش ، فاضطر إلى مغادرة بلاده حينما احتلتها القوات الفرنسية، واستقر في ألمانيا"[7] .

(**1**) انظر ص / 269 من هذه الرسالة.

(**2**) الأعلام للزركلي ، ج/8، ص/ 264.

(**3**) مواد لتاريخ الوهابيين ، لبوركهات، ترجمة الدكتور صالح عبدالله العثمين، ص/ 3، مقدمة المترجم.

(**4**) رحالة غربيون في بلادنا ، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1417هـ، ص/ 8

(**5**) رحالة غربيون في بلادنا، ص/ 8

(**6**) نفس المرجع، المواد لتاريخ الوهابيين ، ص/3

(**7**) مواد لتاريخ الوهابيين، ص/ 3.

بعد مغادرة والده إلى ألمانيا فتقلى بوركهات تعليمه في "لايبزك" ثم في " جامعة توبنجن " ، وتطلع أن يصبح من رواد المعرفة المعروفين ، فانتقل إلى "بريطانيا" في عام 1806 [1] .

وبدأ التدريس في جامعتي " لندن" و " كمبردج" ، وتجنس بالجنسية الإنجليزية، وقويت صلاته بالجمعيات التي تعنى بمختلف الدراسات، من اجتماعية وجغرافية وغيرها ، ومن بينها " الجمعية الإفريقية" ، التي دابت على بعث الرواد للتغلغل في وسط " قارة إفريقية " لمعرفة بعض مجاهلها، واتصل بوركهات بأحد أعضاء الجمعية التي كانت قد أرسلت عدة بعثات إلى منطقة النيجر ولكنها كلها انتهت كلها بهلاك أفرادها، وعرض بوركهات على الجمعية المذكورة خدماته للقيام برحلة إلى "تمبكتو" مع قافلة الحج العائدة إلى هذه البلدة من مكة. فرحبت الجمعية بطلبه. [2]

وقد بدأ بوركهات دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي والطب والكيمياء في بريطانيا ، ودرب نفسه على الحياة الشاقة .

وفي الخامسة والعشرين من عمره غادر "بريطانيا" في شهر مارس من عام 1809 إلى جزيرة "مالطة" ، وقد أشار حمد الجاسر إلى أنه ادعى أنه طبيب هندي وتسمى بإبراهيم، حيث يقول حمد الجاسر " بمظهر طبيب هندي يدعى إبراهيم" [3]، ثم اتجه إلى الشام، فأقام بمدينة "حلب" ومكث هناك سنتين، وتعلم اللغة العربية وأتقنها، وقرأ القرآن الكريم وتفقه بالدين الإسلامي ، وتجول بين قبائل المنطقة الرحل، وبخاصة قبيلة عنزة .

وقد بدأ تسجيل مشاهداته في رحلاته ، وكتب عن تلك القبائل ، بل كتب كل ما لاحظه في رحلاته .

ولما شعر بوركهارت أنه قد أصبح جاهزاً ليقوم برحلته إلى أنحاء النيجر، فقام برحلته في شهر فبراير عام 1812 م من سوريا ووصل في شهر سبتمبر من نفس

---

(1) الأعلام للزركلي، ج/8، ص/ 264.

(2) المرجع السابق، ص/ 4

(3) رحالة غربيون في بلادنا، ص/ 9.

العام إلى القاهرة وكان عمره الثامنة والعشرين. لكنه عرف أنه لم يستطع أن يرافق مع القافلة إلى غرب أفريقيا إلى في شهر يونيو من العام القادم. فقرر أن يسافر بمحاذاة نهر النيل لعله يجد طريقاً من بلاد النوبة إلى هدف. فإن لم يجد عاد إلى القاهرة في الوقت المناسب لمرافقة القافلة. [1]

وفي شهر يوليو عام 1814 م أبحر بوركهات مع مملوكه من مينا سواكن في السودان، فوصل إلى جدة في منتصف شهر يوليو، وفي الثامن من سبتمبر عام 1814 م دخل بوركهات مكة ، وأدى الحج واستقر فيها بضعة أشهر .

ثم سافر إلى المدينة المنورة يوم 28 من يناير سنة 1815 م وبقي فيها ثلاثة شهور ، ثم رحل منها على مدينة ينبع وبعد ثلاثة أسابيع اتجه إلى مصر. ووصل إلى القاهرة في الرابع والعشرين من شهر يونيو عام 1815 م .

بسبب الأمراض التي تعرّض لها بوركهات خلال رحلته إلى الحجاز قد أضرّت بصحته كثيراً إلا أنه كان مشتاقاً إلى الحصول على قافلة يسافر معها إلى "تمبكتو" لكنه لم يدرك أي قافلة .

وفي تلك الأيام انتشر الطاعون في القاهرة فغادرها إلى صحراء سيناء حيث بقي شهرين بين قبائل الرّحل، ثم عاد إلى العاصمة المصرية ليكمل تدوين ملاحظاته في رحلاته.

وفاته

توفي بوركهات في من شهر ذي الحجة سنة 1272 هـ الموافق شهر يوليو سنة 1815 م في القاهرة وكان بوركهات في ريعان الشباب ، وكان عمره فقط 32 سنة ، ودفن في مقبرة المسلمين. [2] وأما الزركلي ذكر في الأعلام تاريخ وفاته سنة 1817م[3] .

مؤلفاته

(1) مواد لتاريخ الوهابيين ، ص/ 5

(2) رحالة الغربيون في بلادنا ص/ 8.

(3) الأعلام للزركلي، ج/8 ، ص/ 264.

وأشار الزركلي إلى مؤلفاته حيث يقول : "كتاباته كلها تدور حول رحلاته، "كرحلة للشام والأراضي المقدسة"، و" رحلة لجزيرة العرب " و " معلومات عن البدو والوهابيين " و " رحلة للجزيرة مع مذكرات عن حياة البدو " وله بالعربية " أمثال عربية مع ترجمتها إلى الانجليزية" (1) ، وأما كتابه "Notes on Beduins and Wahabys" ، معلومات عن البدو والوهابيين " فقام الدكتور عبدالله الصالح العثيمين بترجمته بعنوان " مواد لتاريخ الوهابيين " ونشر في عام 1405 هـ ، وقد اعتمدت على هذا الكتاب في كتابة ترجمته .

وكتابه "Travels in Arabia" " رحلات في بلاد العرب " فقام الأستاذان من جامعة الملك سعود . الدكتور عبدالعزيز بن صالح الهلابي وعبدالرحمن عبدالله الشيخ . بتعريبه في عام 1413هـ .

رحلته إلى الحجاز

إن بوركهات من أبرز الرحالة الأوربيين إلى البلاد العربية وأكثرهم دقة وإنصافاً. وكما عرفنا أنه زار المدينتين الكريمتين، مكة المكرمة والمدينة المنورة والإقامة فيهما ، بالإضافة إليهما زار جدة والطائف وينبع، وتجول في تلك البقاع حوالي عشرة شهور.

وسجل مشاهداته وأحوال هذه البلاد وطباع سكانها وطرق تعايشهم، وجميع أنماط حياتهم من اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية، وكتب كل ذلك في كتابيه "Travels in Arabia" المترجم بعنوان" رحلات في بلاد العرب " و " Notes on Beduins and Whabys" وترجم بعنوان " مواد لتاريخ الوهابيين "

وأود أن أذكر بعض مختارات من رحلته إلى الحجاز معتمداً على كتاب " رحالة غربيون في بلادنا لحمد الجاسر " وأشير ما كتب بوركهات عن الحجاز .

يبين بوركهات الطمأنينة والراحة التي تشعر في مكة حيث يقول:

---

(1) نفس المرجع،

"" خلال رحلتي في الشرق فإنني لم اشعر بمثل الراحة التي أحسست بها في مكة ، ولسوف أظل دائما أتذكر فترة إقامتي فيها" " [1]

ويصف تخيط مكة المكرمة وتنسيق شوارعها وكان مما رأى من نظافتها ، وفخامة دورها ، حيث يقول :

" فالدور مبنية بالحجارة ، ونوافذها العديدة مطلة على الشوارع، تعطي المنازل المكية أكثر حيوية وأكثر شبهًا بالدور الأوربية " [2]

وتحدث عن أحياء مكة المكرمة في تلك الفترة، ووضع مصوَّراً جغرافياً لها، وقد لاحظ قلة المياه وتحدث عن مصادرها ، ووصف المسجد الحرام وما فيه وموظفيه وبعض الأمكنة التي تزار بمكة.

وخصص فصلاً لملاحظاته عن سكان "مكة " و " جدة " ومظاهرهم وأعمالهم وأخلاقهم، وقد تحدث عن المطوفين، والحياة الاقتصادية ، وشكا من عدم وجود المكتبات ودكاكين لبعض الكتب. [3]

وقد سجل مشاهداته عن مكة المكرمة بفصل مطول عن الحج ، وذكرياته في الحج ، ووضع مخططاً للموضع، ووصف المزدلفة والمنى إلى أن رجع مكة .

وقد تحدث بوركهات المدينة المنورة بعد وصوله إليها، ورسم للمدينة المنورة مخططاً ، وتحدث عن شوارعها ومحلاتها وما فيها من مساجد وأماكن للزيارة، وخصص فصلاً للمسجد النبوي الشريف ، وعند خدمه " الأغوات " والفراشين . وتحدث عن طبيعة أرض المدينة وبساتينها وحاصلاتها. [4]

نواب صديق حسن خان

(**1**) http://www.almadina55.com/vb/t55772

(**2**) رحالة غربيون في بلدنا، ص/ 18.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 20 ، نقلا من أصل الكتاب "رحلات في شبه جزيرة العرب ، ص/195 "

(**4**) رحالة غربيون في بلادنا، ص/ 21.

هو "السيد محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي أبو الطيب"[1]

أما عن نسبه فذكر محمد منير الدمشقي ρ " أن سلسلة الشريف تتصل إلى زين العابدين علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه " [2]

مولده:

وقد ذكر الدكتور محمد لقمان السلفي تاريخ ولادته حيث يقول : " ولد في بلدة " بانس بريلي " موطن جده لأمه في يوم الأحد الموافق 1248/5/19 هـ "[3]، ثم انتقلت أسرته الكريمة إلى بلدة " قنّوج " موطن آبائه . [4]

وقد ذكر صديق حسن القنوجي ولادته بهذه الكلمات :

" أولاني الله تعالى خلعة العناصر والوجود، وأراني بعين عنايته عالم المظاهر في مناظر الشهود، يومَ الأحد وقت الضحى التاسع عشر من جمادي الأولى سنة ثمانٍ وأربعين بعد ألف ومائتين من هجرة سيد ولد آدم ببلدة باس بريلي موطن جدي القريب من جهة الأم " [5]

وقد نقل بروفيسور محمد اجتباء ندوي في مقالته " نواب سيد صديق حسن خان ورحلته إلى الحج " باللغة الأردية من "سيد عبدالحئ حسن " حيث يقول :

" إن سيد نواب صديق من أولاد شيخ جلال الدين حسيني بخاري ، ولد في عام 1210 هـ في بلدة " قنوج[6] " .

أبواه

---

(1) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، لمحمد صديق حسن خان ، تحقيق الدكتور مصطفى سعيد الخن ، مؤسسة الرسالة، ص/ 9

(2) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، ص/ 9

(3) فتاوى الإمام الشريف صديق حسن القنوجي ، تحقيق الدكتور محمد لقمان السلفي، ص/ أ مقدمة الناشر.

(4) الحطة في ذكر الصحاح السنة ، لصديق حسن القنوجي، ص/ 19

(5) الحطة في ذكر الصحاح السنة، ص/ 471.

(6) قنوج : بفتح أوله وتشديد ثانيه ، موضع في بلاد الهند (معجم البلدان ، ج/4، ص/ 409) مقالة " نواب سيد صديق حسن خان ورحلته إلى الحج" نشرت في كتاب قافلة أدب إسلامي لاهور، ط/ عالمي رابطة أدب إسلامي باكستان، ص/ 175.

يقول الدكتور لقمان : " من أبوين كريمين وهما العلامة أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي صاحب الطاعات والعبادات وأمه المرأة الصالحة التي عرفت بالتقوى والورع والعلم والفهم والحرص على تربية الأولاد تربية يضرب بها المثل "[1]

ولما بلغ السادسة من عمره انتقل والده إلى رحمة الله تعالى فتربى يتيماً، ونشأ عفيفاً طاهراً محباً للعلم والعلماء.

وقد ذكر في ترجمة نفسه :

"" فلما طعنتُ في السنة السادسة من عمري لبى والدي الأجل داعي الأجل وكان ربيع شبابه خضراً، وريحان حياته نضراً فـ(إِنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ[2])، (وإِنَّا إِلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون[3]) وبقيت إذ ذاك في حجر والدتي يتيماً فقيرا، غفر الله لي ولوالدي ولمن توالد، ورحمهما كما ربياني صغيراً"" [4]

كما ذكرتُ أنه تربى يتيماً ونشأ محباً للعلم والعلماء ، وربت أمه تربيةً صالحة وكان يقول عن هذه التربية الصالحة :

" لما بلغت السابعة من عمري وكان المسجد قريباً من البيت وأنا في نوم هادئ فكانت أمي توقظني وتوضئني وتبعثني إلى المسجد ولم تسمح أبداً أن أصلي في البيت "[5]

نشأته

ذكر الدكتور لقمان : " أخذ علومه الأولية في بلدته " قنوج " ثم في بلدة " فرخ آباد " ثم في مدينة " كانفور " واستفاد من علمائها ومشائخها "[6] .

وفي علومه الابتدائية يقول صديق حسن خان :

(**1**) فتاوى الإمام الشريف صديق حسن القنوجي، ص/ أ ، مقدمة الناشر

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/ 156

(**3**) سورة الزخرف، رقم الآية/ 14

(**4**) الحطة في ذكر الصحاح السنة ، ص/ 473.

(**5**) www.shakwmakw.com/vb/showthread.php?p=**2844558**

(**6**) فتاوى الإمام الشريف صديق حسن القنوجي، ص/ أ ، مقدمة الناشر

" دخلتُ مسارح النشو والنّماء ، وقرأت من الفارسية والصرف والنحو بعض رسائلها، وأتقنتُ نبذة من مسائلها ميّزتُ بها في الغثّ والسمين، وفرقتُ بين السين والشين ثم نزلت ببلدة " كانبور " وتعتُ في مروج الشهودِ والحضور، وقرأت هناك ما تيسر لي من أوائل الفنون وجداولِ تلك العيون، " كالفوائد الضيائية في شرح الكافية" و " مختصر المعاني" وغيرها من كتب المعاني والمباني" (1)

ثم سافر إلى مدينة دهلي عاصمة الهند حالياً في سنة 1269 هـ ، لتحصيل على علوم القرآن والحديث ، وبالفعل اجتهد في تحصيل العلوم وتدوين علوم القرآن والسنة ، وكان يحب أن يجمع الكتب ويفهما في قراءتها، وتتلمذ على أئمة الفنون ، وبرع فيها ، وامتاز بين الأمثال والأقران ، وفاق عليهم في الحياء والرشد والصلاح وطيب النفس وصفاء الطينة وكل الشأن.

وكان يقول في سفره إلى دهلي : " وشددت الرحل إلى دهلي دار العلم لفض الختام عن هذا الرحيق المختوم" (2)

درس الكتاب والسنة دراسة متقنة، وتفقّه على المذاهب الأربعة، ولكنه سلك مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ورجح إتباع السنة في العمل والاعتقاد، من غير إساءة الأدب مع الأئمة الكرام بل رجح في كثير من المسائل قول أبي حنيفة ρ إذا وجد نصاً صريحاً مؤيداً له.

شيوخه

كان السيد حسن صديق تتلمذ من عدة أساتذة الكرام منهم الشيخ القاضي حسين الأنصاري، والشيخ عبدالحق بن فضل الهندي، والشيخ محمد يعقوب وغيرهم من الشيوخ الكرام .

زواجه

---

(1) الحطة في ذكر الصحاح السنة، ص/ 473 .

(2) نفس المرجع

سافر إلى مدينة " بهوبال[1] " طلباً للعمل والرزق ، فتزوج بملكة "بهوبال"، ولقب بـ "نواب عالي الجاه أمير الملك بهادر " وأصبح بعد هذه الزواج نائباً للملكة ويقول عن هذا المنصب : " وابتليت بتدبير مصالح العباد في مدينة بهوبال"[2] .

مؤلفاته

كان الشيخ حسن صديق محباً العلم والكتاب وكان يحب أن يدوّنَ طول الليل والنهار ، وعنده ملكة راسخة في الكتابة ، ويقال عنه أنه " يكتب عدة كراريس في يوم واحد ، ويصنف الكتب الفخمة في أيام قليلة " [3] .

وانتشرت كتبه في العالم الإسلامي وقد كتب 222 بالعربية والأردية والفارسية والهندية ومنها 56 كتاباً في اللغة العربية [4]، ومن كتبه :

- "رحلة الصديق إلى بيت العتيق " وسأتحدث بالتفصيل عن هذا الكتاب في فصل الأخير من هذا الباب إن شاء الله.
- أبجد العلوم
- مسك الختام شرح بلوغ المرام
- الروضة الندية شرح الدرر البهية
- منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول
- الخطة بذكر الصحاح الستة[5]

قالوا عنه

(1) مدينة قديمة في الهند، ومعناها " وسط البلاد" وسمي بهوبال لأن في وسط البلد. وهي عاصمة ماديا براديش، (http://ar.wikipedia.org)

(2) www.shakwmakw.com/vb/showthread.php?p=2844558

(3) الحطة في ذكر الصحاح السنة، ص/ 20.

(4) فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان، تحقيق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، ج/1، ص/7

(5) نفس المرجع

الدكتور لقمان ذكر بعض آراء العلماء الذين قالوا عن صديق حسن خان وأود أن أذكر بعض الآراء منها ، حيث يقول :

" وصفه عبدالحي الكتاني فقال: " هو من كبار من لهم اليد الطولى في إحياء كثير من كتب الحديث وعلومه بالهند وغيره " [1]

وذكره مفتي الحنابلة في الحرم المكي الشريف عام 1298 هـ فقال : " الإمام الكامل والهمام العامل زينة العلماء والملوك وملاذ الغني والفقير الصعلوك ناصر السنة السنية وقامع البدعة الدنية، وقال عن تفسيره " فتح البيان " : أبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يبعد ولا أظن يوجد له مثيل " [2]

وقال نعمان بن محمود الآلوسي فقال : "شيخنا العلامة الإمام الكبير الأمير البدر المنير البحر الحبر في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والأدب وغيرها"[3] .

وفاته

توفي السيد صديق حسن خان عام 1307 هـ الموافق 1889 م، وعمّر 59 سنة . [4]

وأما رحلته إلى الحجاز " رحلة الصديق إلى بلد العتيق " سأواصل الكلام عنها في الفصل الرابع من هذا الباب إن شاء الله تعالى .[5]

★★★★★
★★★★★
★★★★
★★
★

(1) فتاوى الإمام الشريف صديق حسن القنوجي، ص/ ج ،

(2) نفس المرجع، ص/ ب.

(3) نفس المرجع.

(4) حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة. ص/ 11.

(5) انظر ص / 277 من هذه الرسالة.

التعريف بأهم المؤلفات في أدب الرحلة إلى الحجاز

ابن جبير [1]

لقد كسب ابن جبير شهرة عظمة بين معاصريه لقدرته الفريدة على الكتابة، حيث تميزه في الأدب العربي، فهو بلا شك صاحب موهبة ويقظة ، كما أنه كان يعتني بالدقة والملاحظة وسلاسة الأسلوب، لذا خرج كتابه " تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار " والمعروف باسم " رحلة ابن جبير " سهل المنال لكل من المثقف والإنسان العادي وهذه الخاصية تميزت به ما أنتجته قريحته المتوقدة.

اختلف المؤرخون في تسمية رحلة ابن جبير ، فحاجي خليفة في كتابه [2] سماها " رحلة الكناني " والآخرون يستخدمون اسمها بـ " رحلة ابن جبير " والأرجح هو الاسم الأخير، كما أنه ثابت أن هذه الرحلة تبدأ بالعبارة " تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار " [3]

رحلات ابن جبير

قام ابن جبير بثلاث رحلات إلى المشرق وقد أدى الحج في كل مرة وذكر ابن الخطيب في كتابه الإحاطة سبب لكل رحلة التي قام بها ابن جبير .

السبب الرئيسي لرحلة ابن جبير الأولى إلى الحجاز

وقد ذكر المقري صاحب نفح الطيب إلى سبب رحلته حيث يقول :

"إنه كاتب السيد أبي سعيد[4] صاحب غرناطة فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فمد يده إليه بكأس فأظهر الانقباض وقال يا سيدي ما شربتها قط فقال والله لتشربن منها سبعا فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس فملأ له السيد الكأس من

---

(1) انظر حياة ابن جبير في صفحة رقم / 196 من هذه الرسالة.

(2) كشف الظنون ، حاجي خليفة، ج/1، ص/836، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كراتشكوفسكي، ج/1، ص/299.

(3) رواد علم الجغرافيا، ص/ 174

(4) أبو سعيد بن عبدالمؤمن حاكم غرناطة، سنة 561 هـ ، (ابن خلدون : العبر ، ج/6، ص/ 229)

دنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره فحمله إلى منزله وأضمر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير " [1]

سبب رحلة ابن جبير الثانية

كان ابن جبير كما ظهر من نصوص رحلته معجباً بصلاح الدين في السلم والحرب، ولم نجد من لم يعجب به، وكان يتابع أخباره باهتمام ويرصد إنجازاته بغير قليل من الزهو والرضا، وعندما بلغه نبأ انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين 583 هـ ، وفي هذا يقول ابن الخطيب في الإحاطة : " ولما شاع الخبر المبهج بفتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، قوي عزمه على عمل الرحلة الثانية " [2] فقد خرج من غرناطة للمرة الثانية يوم الخميس التاسع من ربيع الأول سنة 585 هـ الموافق 1189 م وقد قام بتأدية الحج ورجع إلى غرناطة سنة 587 هـ الموافق 1191 م. [3]

سبب رحلة ابن جبير الثالثة

ويقول ابن الخطيب في رحلته الثالثة : " ثم رحل الثالثة من سبتة بعد موت زوجته عاتكة أم المجد بنت الوزير أبي جعفر الوقشي " [4] فمن الظاهر أنه تأثر بوفاة زوجته فرحل إلى الحجاز طلباً للراحة والسكون بعد دفنها بسبتة وقال فيها :

بسبتة لي سكن في الثرى وخل كريم إليها أتى
فلو أستطيع ركبت الهوى فزرت بها الحي والميتا[5]

فكانت هذه آخر رحلاته حيث جاور بمكة طويلاً ثم ببيت المقدس ثم تحول بمصر واستقر بالإسكندرية للتدريس حتى وفاته.

---

(1) نفخ الطيب ، ج/2، ص/ 385 – 386 ، وانظر أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 384-385، وانظر

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، ج/2، ص/232.

(3) نفس المرجع

(4) نفس المرجع

(5) نفح الطيب للمقري، ج/2، ص/ 489.

وكما أشرنا في ترجمة حياته أنه لم يدون سوى رحلته الأولى ، ولا يوجد معلومات وافية عن رحلتيه الأخيرتين لذا أكتفي بتفصيل رحلته الأولى وهي : "تذكرة الأخبار عن اتفاق الأسفار".

خلاصة الرحلة الأولى لابن جبير

بدأ ابن جبير رحلته إلى الأراضي الحجازية في شوال سنة 578 هـ الموافق فبراير سنة 1183 م مع صديقه أحمد بن حسان ، كان من رجال الطب والعلم والأدب، وعبر الصديقان البحر إلى مدينة سبتة حيث وجدا سفينة من سفن مدينة جنوه، تريد الإقلاع إلى الإسكندرية، فركبها يوم الخميس 29 من شوال الموافق 24 فبراير، وبدأ ابن جبير تقييد يومياته منذ اليوم التالي.[1]

ولما وصل إلى الإسكندرية نزل بها ومكث فيها بعض الوقت ووصف ابن جبير أول ما شاهد في الإسكندرية "إجراءات الجمرك" في الإسكندرية بدقة وطرافة. وتجول ابن جبير في مدن مصر كالقاهرة والفساط والقوص والعيذاب ، وقد وصف حياة هذه المدن بالتفصيل.

ومن عيذاب اتجه ابن جبير إلى جدة فمكة المكرمة وأدى فريضة الحج ، ومكث في مكة المكرمة ثمانية أشره وثلث شهر [2] وصل ابن جبير إلى المدينة المنورة قادماً من مكة المكرمة في يوم الاثنين الثالث من المحرم عام 580 هـ عقب أدائه مناسك الحج . وما أن دخل المدينة المنورة حتى سارع بالذهاب إلى الحرم النبوي الشريف للسلام على رسول الله γ وعلى صاحبيه أبي بكر η وعمر η ، ثم صلى صلاة المغرب ورجع إلى رحاله . ومكث في المدينة المنورة فقط خمسة أيام . [3]

ثم قصد إلى الكوفة فبغداد فالموصل ولم يمر مروراً عابراً بهذه البلاد بل كان يمكث بعض الوقت يدرس ويفحص، وانتقل إلى الشام وكان للصليبيين فيها مستعمرات كثيرة فمر بديارهم، وأخيراً ركب البحر راجعاً إلى بلاده على مركب

---

(1) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص/ 71

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 161

(3) المدينة المنورة في كتابات الرحالة العرب ، مقالة للأستاذة ليلى سعيد سويلم الجهني، ص/ 5

مسيحي ، وأرسى المركب بصقلية فنزل فيها وتجول فيها، ووصل إلى بلاده 15 من المحرم سنة 581 الموافق 25 من إبريل سنة 1185م [1]

تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار

نال كتاب " رحلة ابن جبير " إعجاب المتخصصين في علمي التاريخ والجغرافية لما يحتويه من معارف غزيرة في هذين الميدانين، وتُعدُّ رحلته هذا مصدراً رئيسياً للباحثين في كل من التاريخ والجغرافية والأدب والحضارة العربية، وقيل إنها أول رحلة أندلسية مدونة، بالإضافة إلى أوليتها أن ابن جبير ضمنها معلومات عن المدن والمسالك والمصانع والأحوال السياسية والاجتماعية والإنتاج الزراعي. فلذا استفاد الجغرافيون والرحالون الذين جاؤوا بعده على حد سواء .

ويذكر الدكتور علي بن عبد الله أن رحلة ابن جبير أشبه ما تكون بمذكرات شخصية ويوميات سفر ، بلغة سهلة بسيطة، عباراتها مفصلة على قد ما تحمل من معنى، لا ثرثرة فيها ولا استطرادات أو تكرار، وطريقته في السرد محببة إلى النفس، تتسم عبارته بجمال التركيب وحلاوة البيان، فكانت رحلته ذات صفة أدبية مع العناية بالرسم والوصف والاهتمام بالمعاهد الثقافية وبالمدارس الدينية ودراسة الأوضاع والعلاقات الاجتماعية، وهذا كله ينم عن موهبة أدبية أصلية، وكل هذا يضفي على الرحلة صفة التنوع والشمول. [2]

تميزت رحلة ابن جبير عن غيرها من الرحلات لأصلتها وسلامة أسلوبها ولقلة الانطباعات الذاتية التي تحمل بين دفتيها، فهي تحتوي على نمط علمي فريد من نوعه، لذا يعتبرها الجغرافيون نموذجا يجب أن يحتذي به عند الكتابة عن الرحلات ، فقد كان ابن يوجز عندما يتحدث عن المدن والقرى ويسهب عندما يتكلم عن الحياة الاجتماعية والزراعية والطرق والبحار والأنهار.

(**1**) رحلة ابن جبير إلى الحرمين الشريفين ، مقال للدكتور خالق داد ملك ، نشرت في "قافلة أدب إسلامي ، عالمي رابطة أدب إسلامي باكستان، ص/97.

(**2**) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 389 ، رواد علم الجغرافيا، ص/ 174.

وقد وصف نقولا زيادة رحلته حيث يقول: " وقد عني كاتبها بالرسوم الدينية والنواحي الاجتماعية عناية فائقة، فمشاعر الحج كلها مدونة وصعوبات السفر ومواكب الأمراء وتجارة مكة كلها موصوفة بارعاً دقيقاً ... على أنه من المؤسف أننا لا نجد في رحلته شيئاً يدلنا على عدد السكان في أي من البلدان التي زارها" (1)

ويلمح شاكر خصباك في كتابه " في الجغرافية العربية " أن رحلة ابن جبير تعتبر بحق سجلا أمينا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلدان التي مر بها فضلا عما تميزت به من وصف حي للمدن وعن إشارات تاريخية وطبوغرافية ومناخية.(2)

وهذا الكتاب يحتوي على آداب الرحلات الجغرافية بكل دقة وإتقان، حيث عرض ابن جبير في هذا الكتاب للقارئ وللباحث مادة ذات أهمية عظيمة في ميدان كل من التاريخ الاقتصادي والجغرافية الوصفية وآداب الرحلات الجغرافية، فعندما نقرأ وصفه للطريق الذي يربط مكة المكرمة بالمدينة المنورة وبالكوفة لا يسعنا إلا أن نقول إن هذا العالم الجغرافي متمكن وله با ع طويل في هذا الحقل الحيوي.

لقد اهتم ابن جبير في هذا الكتاب اهتماماً بالغاً في وصف المدن التي مكث فيها، لأنه تكلم عن العمائر والمساجد والمدارس والمستشفيات والتجارة والزراعة والمناخ وغيرها من الظواهر الطبيعية، فهو بلاد أدنى شك علامة عصره فكتابه هذا يصور تماما الحياة الاجتماعية والسياسية للأمة العربية والإسلامية في القرن السادس الهجري أي مرآة هذا العصر. (3)

والجدير بالذكر أن هذه الرحلة ذاعت شهرتها بين المتأدبين، واقتبس منها العديد من الرحالة والجغرافيين منهم : العبدري والمقري والبلوي والمقريزي، وابن بطوطة نقل منها المعلومات الخاصة في كل من حلب ودمشق وبغداد.

وأما المستشرقون اهتموا بهذا الكتاب وترجموه الجزء الذي يختص بصقلية إلى اللغة الفرنسية ، وطبع في عام 1846 م ، والذين ساهموا في ترجمة رحلة ابن جبير

---

(1) الجغرافية والرحلات عند العرب، ص/ 168.

(2) الجغرافية عند العرب، د. شاكر خصباك ، ص/ 54

(3) رواد علم الجغرافيا، ص/ 174

منهم : وليم رايت في لندن في عام 1852 م، ثم صحح جماعة من كبار المستشرقين وهم دي غويه ودوزي وسميث ، ونشرها مرة ثانية في عام 1907، وأما الإيطاليون ترجموا النص كله ونشره في سنة 1906 م . [1]

نماذج من رحلة ابن جبير

يصف المسجد الحرام وصفاً مسهباً ، ومما يقول فيه :

" البيت المكرم له أربعة أركان، وهو قريب من التربيع ... وأخبرني زعيم الشيبيين الذين إليهم سدانة البيت، وهو محمد بن إسماعيل .... من ذرية طلحة بن عبدالدر صاحب رسول الله γ ، وصاحب حجابة البيت : أن ارتفاعه في الهواء من الصفح[2] الذي يقابل باب الصفا، وهو من الحجر الأسود إلى الركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً، وسائر الجوانب ثمان وعشرون، بسبب انضباب السطح إلى الميزاب. فأول أركانه الركن الذي فيه الحجر الأسود ، ومنه ابتداء الطواف ... وأول ما يُلقى بعده الركن العراقي، وهو ناظر إلى جهة الشمال، ثم الركن الشمالي ، وهو ناظر إلى جهة الغرب، ثم الركن اليماني، وهو ناظر إلى جهة الجنوب ثم تعود إلى الركن الأسود وهو ناظر إلى جهة الشرق."[3]

يصف ابن مشاهدة الغيث في المسجد الحرام حيث يقول :

" أن في يوم الجمعة التاسع عشر من جمادي الأولى ، وهو التاسع من شتنبر، أنشأ الله بحرية [4] ، فتشاءمت فانهلت عيناً غديقة، كما قال رسول الله γ وذلك إثر صلاة العصر ومع العشي من اليوم المذكور، فجاءت بمطر جود، وتبادر الناس إلى الحجر فوقفوا تحت الميزاب برؤوسهم وأيديهم وأفواههم، مزدحمين عليه ازدحاماً عظيماً، أحدث ضوضاء عظيمة، كل يحرص على أن ينال جسمه من رحمة الله نصيباً، ودعاؤهم قد علا، ودموع أهل الخشوع منهم تسيل، فلا تسمع إلا ضجيج دعاء، أو نشيج بكاء، والنساء قد وقفن خارج الحجر ينظرن بعيون دوامع، وقلوب خواشع، يتمنين ذلك الموقف لو ظفرن به.

---

(1) موسوعة عباقرة الإسلام، د. رحاب خضر عكاوي، ج/2، ص/166.

(2) الصفح: الجانب والوجه

(3) رحلة ابن جبير، ص/ 60.

(4) بحرية : الهواء من جهة البحر

وكان بعض الحجاج المتأجرين المشفقين يبل ثوبه بذلك الماء المبارك ويخرج إليهن ويعصره في أيدي البعض منهن، فيتلقينه شرباً ومسحاً على الوجوه والأبدان."[1]

ويستمر ابن جبير في وصف المسجد، ويعرض علينا وصفاً دقيقاً للكعبة وكسوتها ولكل ما بداخل المسجد من أجزاء، ويطيل في وصف فتحه للناس والرسوم المتخذة لذلك كما يطيل في وصف المنبر وهيئة خطيبه وما يقول في خطبة الجمعة من أدعية، ولا يكاد يترك شيئاً في المسجد ولا ظاهره وسطحه إلى ويصفه وصفاً دقيقاً ، ثم يصف مكة وآثارها وجبالها ومشاهدها وأبوابها ومطاعمها وحماماتها واحتفال الناس فيها بليلة نصف شعبان وبرمضان ويوم العبيد .

وابن جبير يتحدث عن مكة المكرمة :

" هذه البلدة المباركة سبقت لها ولأهلها الدعوة الجليلة الإبراهيمية، وذلك أن الله χ يقول حاكياً عن خليله ν :

) ❻▪✉✸☪◆✍✐ ☑❼⍉❑❄⍉◗
📖❒♌⬄▤⬧☪✹❸➔ ♊⍉✌ ❶➔❻♒③▪☹✍✍⌀
✉⍉❑◆✃⑩☼ ➘☒❷⬀❸⍉ ❶⍉❽ ♐⌧❻⬀➙✍
⬉⍉✡⑨⌧ ✉◆❹⬃☞⍉⌨⌧ ✃✍♐♏⬂☺⬅⬧⌧❷▪⚐⬉
❻◆✉✸☪◆✍ ♏⍉⓿⬉◗✍⓿☺⬅❑✃☎
✃✍♐♏🕐❍⬛⬜▤⬜■⬧✍✍ ♉⇳➔⌧✍⬀
📖❒▫⬂★⍉⑨⌧❑☪ ✌♓⍉⬀☙ ✃✍♐♏☪❑✍❑⬄
☜⬧✌⬂❑⬀❽✓ ◗⍉♏⬧❸⬀✌⍉☠⬀
❒◆✃✍❻⬀♐⬉🔔⬂♑⬅☠ ✌♓⍉♊⌘
✃✍♐♏⌖❑☺⌧❷◆❑☠⍉ ♏⬧➔⌧⬛✽♑⬅⚐⬄
④❑⌖⇳▤➚❷⬉❒♌♦ ⬀⌀⌘⬚) [2]

وقال χ : (📖❑❑◆♏⬧☠⬀ ☼⬅☺⌧▤ℯ⬁♊
▭⌖●⬅☠⬀ ❍⌧❷◆✌🕐✍ ➚◆✃✌⍉☪✡✍
⑥➚♑⬂⬜◆⌀✃ ◗⍉♏⬧⓿⬂❍⍉ ⚐❑☺⌧❷◆❑☠⬅
⬃➚⌧♏⬀ ★⌧⌀⬄➚📖 ❻♒⌀♐⬂🔔☸✍ ✌♓⍉♊
✐⅄✍➔☼✽✍ ❑◆♏⬧🕐▤⬁♊⬤
📖❑▤⇩✡■❸◆♎➔☠⬀ ♦♦ ③◆➔⬀⬛■☺⬅❑♍☙
⬀⌀⍉⬚) [3]

(1) رحلة ابن جبير، ص/ 95-97.

(2) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37

(3) سورة القصص، رقم الآية/ 57

فبرهان ذلك فيها ظاهر متصل إلى يوم القيامة، وذلك أن أفئدة الناس تهوي إليها من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة، فالطريق إليها مُلتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة، والثمرات تجبي إليها من كل مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر. ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أوان الموسم، ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب فيباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب : كالمسك ، الكافور، والعنب، والعود." (1)

ويصف ابن جبير كسوة الأمير العراقي للكعبة:

" وفي يوم السبت، يوم النحر المذكور، سيقت كسوة الكعبة المقدسة من محلة الأمير العراقي على مكة على أربعة جمال، تقدمها القاضي الجديد بكسوة الخليفة السوادية، والرايات على رأسه، ... فوضعت الكسوة في السطح المكرمة أعلى الكعبة، فلما كان يوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المذكور اشتغل الشيبيون بإسبالها خضراء يانعة تقيد الأبصار حُسناً" (2)

وقال في المسجد النبوي الشريف :

" المسجد المبارك مستطيل، وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستدير به ، ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ، والجهة القبلية منه لها خمسة بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق ، والجهة الجوفية لها أيضاً خمسة بلاطات على الصفة المذكورة، والروضة المقدسة " قبر الرسول وصاحبيه أبي بكر وعمر " مع آخر الجهة القبلية مما يلي الشرق " (3)

رحلة العبدري (4)

رحلة العبدري لا تقل أهمية عن رحلة ابن جبير وابن بطوطة ، إن لم تكن تفوقهما في بعض الجوانب، ولاسيما في جانبها الأدبي، لأن العبدري صاحب الرحلة كان أديباً عالماً من علماء المغرب في القرن السابع الهجري، وقد بدا اهتمام الرحالة بالعلماء الذي التقى بهم أو تتلمذ على أيديهم، فقد كان فقيهاً معنياً بدراسة العلوم

---

(1) رحلة ابن جبير، ص/ 97

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 157.

(3) نفس المرجع، ص/ 168.

(4) انظر ترجمة حياته في ص / 201 من هذه الرسالة

الشرعية عامة، حريصاً على رصدها في مختلف البلاد التي زارها. وذكر العبدري كثيراً من طبائع العلماء، وعاداتهم وأخبارهم وأشعارهم التي لم نقف على كثير منها في غير هذه الرحلة.[1]

وأشار الدكتور زكي رمضان إلى رحلته حيث يقول: " وعني العبدري في رحلته ببيان المواقع الجغرافية، وذكر المعالم الأثرية ودراسة العادات في البلاد التي مر بها، فضلا عن الكلام على أعلام الفقهاء المسلمين في عصره" [2] .

أسباب الرحلة ومدتها

كان وراء رحلة العبدري سببان :

أحدهما سبب ديني وهو القيام بفريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة، والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مراراً بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها، وبأنه قد اكترى المنزل وجهزّ لوازمه، وصرف الركب إلى المغرب، لولا حدوث فتنة هناك أرغمته على الرحيل عن مكة. [3]

وثانيهما: رغبة في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان العبدري حريصاً على البحث عن السنَد العالي فيما أخذه عن هؤلاء العلماء والمحدثين، ورأينا العبدري في سؤال دائم عن الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي مرّ بها، فإذا صادف مجموعة من العلماء في بلد من البلاد طرب لذلك وانشرحت نفسه فانطلق لسانه ثناءً وحمداً كما حدث معه في تونس ، وإذا لم يجد هذا النوع من العلماء هجَا بلسانه الذرب هذه البلاد وأهلها كصنيعه في قابس وطرابلس.

مدة الرحلة العبدرية

يبدو من رحلته أنها استمرت أكثر من سنتين، ويذكر حسن حسني عبدالوهاب أن العبدري زار تونس مرتين في طريق ذهابه إلى الحج سنة 688 هـ الموافق 1289 م ، وعند رجوعه سنة 691 هـ الموافق 1292م ، [4] فعلى هذا

---

(1) أدب الرحلة لفؤاد قنديل، ص/ 466.

(2) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص/ 133.

(3) الرحلة العبدري، ص/ 391.

(4) مقدمة رحلة التجاني، ص/ ي .

يكون العبدري قد أمضى ثلاث سنوات في رحلته ويؤكد هذا البلوى حين أورد أبياتاً للعبدري في رحلته، فقال : " أنشدها في تونس في رجب الفرد سنة 690 هـ الموافق 1291 م ، " [1] ،

ويقول الدكتور إبراهيم الكردي : " فمن المحتمل إذا أن يكون العبدري قد عاد في هذه السنة من الحجاز وأقام في تونس سنة أخرى" [2] .

ويؤكد هذا الاحتمال ما ذكره العبدري عن أهل تونس، وكياستهم وعلمهم، فقد أعجب بعلمائها ومجالسهم العلمية، ودليل على ذلك قوله عند دخوله تونس بعد عودته من الحجاز.

" وقد أوقعت بها مدة حتى شفيت الحشا العليل، ونقعت بوردها الغليل، وقطعت فيها الغدو والأصيل، بمجالسة كل فاضل جليل، فما أنفصل عن عالم يوضح الحلك مهما أجاب، إلا إلى صالح يحتلب به درّ السحاب، ولا أغدو عن مجلس أدب كقطع الرياض، إلا إلى محفل وعظٍ يسقي الخدود بالدمع الفياض، فقطعتها أياماً من غفلات الدهر مختلسات، وانتظم لي شمل أنس طالما مُني بالشتات، فلم يبق بها شيخ مذكور إلا رأيته، ولا علم مشهور إلا أتيته" [3]

فالرحلة إذا كانت ذات هدف مزدوج ككثير من الرحلات الحجازية التي كانت أصحابها يقصدون الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، ويغتنمون الرفصة ليلتقوا الشيوخ في المدن التي كانوا يمرون بها، ويأخذون عنهم ما يتيسر لهم من العلوم المختلفة.

رحلته

بدأ العبدري رحلته متجهاً إلى مكة المكرمة في ديسمبر من عام 688 هـ الموافق 1289 ، ففي البداية سارت الرحلة ببطء في شمال أفريقيا وتوقف الرحلة خلالها وقفات طويلة بالمدن الكبرى، ومن مصر رافق قافلة الحج لأداء الفريضة، ثم رجع إلى مصر عن طريق فلسطين فأمضى بعض الوقت بالقاهرة والإسكندرية

---

(1) تاج المفرق ، ج/2، ص/ 109.

(2) الرحلة العبدري، ص/ 11.

(3) نفس المرجع، ص/ 489.

وغادرها إلى وطنه ماراً في طريقه بتلمسان وفاس ومكناس حتى بلغ أزمور على المحيط وهناك أقام لبعض الوقت حتى تلحق به أسرته. [1]

منهجية الرحلة

أوضح العبدري المنهج الذي سيختار في تدوين لرحلته ، وفي منهجه يقول: "وبعد فإني قاصد بعد استخارة الله سبحانه وتعالى إلى تقييد ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده .... " [2]

أي إنه سيقيد ما أمكنه تقييده بطريقة تجعل الناظر إليه يسمو مطرقاً، كما أنه سيذكر وصفاً للبلدان التي زارها وأحوال ساكنيها بقدر ما يدركه ويعاينه بالمشاهدة من غير إخفاء القبيح أو تحسينه ولا تقبيح الحسن أو إخفائه. مظهراً ذلك كله بصورة واضحة بحيث يكون السامع كالناظر.

وأضاف العبدري قائلاً : " إنه سيورد ما استفاده من أخبار وقصائد ونكات وغيرها من الأمور التي تتم هدف الرحلة بحيث يكون مؤلفه هذا مغنياً غير غيره، وأكد على أنه سيؤيد أقواله بالأحاديث التي رواها والآثار التي شاهدها متبركاً بإثباتها وإثبات الفضلاء من رواتها. " [3]

وقد كان العبدري وفياً لهذا المنهج الذي ارتضاه لرحلته مطبقاً له فقد وصف البلدان وصفاً دقيقاً بمبانيها، وآثارها، وكثيراً ما كان يعرّج على أهلها فيصف عاداتهم وتقاليدهم، ولباسهم، ومستواهم العلمي، ولم يكن متساهلاً في نقد ما كان يراه غير طبيعي سواء في أخلاق الناس أو في عاداتهم، وخصوصا فيما يتعلق بالناحية العلمية للبلاد التي كان يدخلها.

وبهذا يصور حال البلاد الإسلامية السياسية التي مر بها أصدق تصوير، كما أصاب في التحقيقات الجغرافية الدقيقة، إضافة إلى وصفه المتقن للمدن فهو في هذه الناحية يضاهي أغلب الجغرافيين الذين اعتمدوا في مؤلفاتهم على النقل في حين أنه اعتمد على مشاهداته، فوصفه للمناظر والمراحل التي مر عليها كان وصفاً جميلاً

---

(1) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، كراتشكوفسكي، ج/1، ص/ 367.

(2) رحلة العبدري ، ص/ 12 .

(3) نفس المرجع، ص/ 12.

محكماً عاكفاً على تصحيح أخطاء شائعة وردت في مؤلفات سابقة، بشيء من التوسع، مع بيان الصحيح منها وإبداء رأيه بالاعتماد على المنطق المرتكز على الحجج العقلية والبراهين التاريخية، ويظهر لنا العبدري الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في محاربته للبدع المخالفة للقرآن الكريم والسنة المطهرة دلالة على فهمه الصحيح للدين. (1)

ويقول كراتشكوفسكي عن رحلته : " أما الرحلة نفسها فتمثل إلى حد ما لوناً جديداً عند مقارنتها بمن سبقوه في هذا المضمار وهي تحفل في واقع الأمر بكمية كبيرة من المعطيات الجغرافية إذ يقدم لنا المؤلف وصفاً دقيقاً وصحيحاً للمواضع والبقاع المختلفة مع تفاصيل وافية عن الآثار القديمة وأخلاق السكان المؤلف وصفاً دقيقاً للمواضع والبقاع المختلفة مع تفاصيل وافية عن الآثار القديمة وأخلاق السكان المحليين ". (2)

وقد أشار كراتشكوفسكي إلى أحد العلماء الأسبان بأن عرضه يتميز " بالصدق والدقة في الرواية والحيوية والرشاقة في الأسلوب " وقد تمكن العالم في أثناء رحلة قام بها في الجزائر تونس من أن يتحقق بنفسه من دقة ملاحظات العبدري التي تتميز أحياناً بلون محلي خاص. (3)

وانضمت الرحلة بالكثير من الأبيات الشعرية سواء لأدباء وعلماء لقيهم أو ما كان يخصه، فالعبدري اهتم بعلم التاريخ وخاصة تراجم العلماء وكان صائباً في الحكم على بعض علماء عصره إصابة أثبت التاريخ صحتها في مدحه لهم وإعلاء شأنهم: مثل ابن خميس شاعر تلمسان، والدبا غ القيرواني صاحب كتاب معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان، وابن دقيق العيد. (4)

(**1**) الرحلات المغربية والأندلسية ، ص/ 119.

(**2**) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج/1،ص / 367.

(**3**) نفس المرجع

(**4**) رحلة العبدري، ص/ 13، 66-67 ، 132-138 ، وانظر الرحلة المغربية والأندلسية.

ومن مميزات الرحلة أيضاً اهتمامه بالتدقيق في الآثار القديمة والتصوير الدقيق للحالة الاجتماعية والدينية، التي كانت عليها البلاد الإسلامية في ذلك الوقت، "فهو يدرك بالنظرة الواحدة ما لا يدركه غيره بالتأمل الطويل" [1] .

وأشار الدكتور إبراهيم إلى تقسيم الكتاب حيث يقول : " أما تقسيم الكتاب فلا نكاد نلمح تقسيماً واضحاً له ، ولكننا نجد فيه بعض الفصول التي كان كثيراً ما يلجأ إلى عقدها عندما يريد الوقوف على ظاهرة ، والتفصيل فيها تفصيلاً يبعد قليلاً عن غرض الرحلة ومنهجها، مستطرداً في حديثه عن بلد وما يختص به، أو عن تاريخه، كما صنع في الحديث عن عجائب مصر ونيلها[2] ، والحديث عن بناء المسجد الحرام[3]، والكعبة وأسمائها[4]." [5]

موضوعات الرحلة

تحدث العبدري في رحلته على الموضوعات المختلفة ، اشتملت فيها الموضوعات الجغرافية والموضوعات الاجتماعية والأدبية .

الموضوعات الجغرافية : رحلة العبدري مليئة بشكل عام عن معلومات جغرافية مهمة ، كوصف الطريق والمدن والبلدان والآثار المختلفة ، وقد رسم لنا بدقة الطريق التي كانت تسلكها قوافل الحجاج من المغرب الأقصى إلى الحجاز .

الموضوعات الاجتماعية : نجد في رحلته ملامح اجتماعية مهمة ، فهو لم يحدد فقط لقاءه مع العلماء بل يعرض لنا لقاءاته بأفراد المجتمعات في البلدان التي كان يمر بها ، ويصف لنا مجالسهم وأحوال الاجتماعية كعاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم. وكما أشار العبدري في رحلته إلى ملامح اجتماعية كإيماء الحجاز للغريب وحمايتهم للجار ، والبخل عند أهل تلمسان.

(**1**) الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، حسين مؤنس، ص/ 523.

(**2**) رحلة العبدري، ص/ 311.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 384.

(**4**) نفس المرجع، ص/ 376

(**5**) نفس المرجع، ص/ 13.

الموضوعات الأدبية : نرى الظواهر الأدبية في رحلته كثيرة، وكثرت في رحلته الأشعار ونصوص النثر ، وهذه الأشعار والنصوص يجعل الرحلة مصدراً من المصادر الأدبية في القرن السابع الهجري. [1]

أهمية رحلة العبدري

لم تنل رحلة العبدري مكانتها بين الرحلات، وأول من تنبه إلى شأنها علماء المستشرقين، الذين انشغلوا في دراسة الرحلة وترجمتها، ويقول الدكتور إبراهيم محقق الرحلة " وكان أول من اشتغل بها المستشرق الفرنسي " مانسان " في مقال نشره بالجريدة الآسيوية، ثم نشر المستشرق " شربونو" بالجريدة الآسيوية كذلك سنة 1854 م مقالاً عنها، أتبعه بترجمة بعض فصولها" [2]

وظلت الرحلة إلى أن وصل الأستاذ أحمد بن جدو وحاول أن يخرجها للناس، فطبعها منقوصة غير تامة، ثم طبعت في المغرب بعناية الدكتور محمد الفاسي، إلا أن هذه الطبعة أيضاً لم تفِ بحق الرحلة، ولم تقدمها للناس على شكلها الصحيح.

ويدل على أهمية هذه الرحلة انتشار نسخها المخطوطة في كثير من مكتبات العالم . واحتفال المؤرخين بها إذ نقل كثير منهم عنها كالتنبكتي صاحب " نيل الابتهاج" الذي أفاد منها أيما إفادة ونقل كثيراً من التراجم عنها، وعدّها مصدراً من مصادر كتابه [3] ونقل عها الوزير السراج في كتاب " الحلل السندسية في الأخبار التونسية" فقرات طويلة في الأوصاف والتراجم، وعدها أيضاً من مصادره في تأليف كتابه. [4]

وقد استفاد بها عدد من الرحالين والجغرافيين ونقلوا عنها، فقد نقل عنها ابن بطوطة فقرات كثيرة، والرحالة ابن عبدالسلام الناصري، وعبدالقادر الجيلاني الإسحاقي.

(**1**) http://adab-sy.com/forums/showthread.php?t=**35854**

(**2**) رحلة العبدري، ص/ 14 ، نقلاً من مقدمة طبعة الرباطة صفحة 1 ج .

(**3**) نيل الابتهاج، ص/ 28، 103، 152 ، 222.

(**4**) انظر الحلل السندسية، ج/1، ص/ 245-246-256-499-688.

وكذلك هذه الرحلة تفيد علماء الجغرافية والتاريخ في دراسة الظواهر التي كانت سائدة آنذاك، كما تفيد مؤرخي الأدب في التاريخ الأدبي للأقطار التي مرّ بها العبدري، فهي تضم نصوصاً أدبية، ـ شعرية ونثرية ونقدية ـ مهمة تتفرد الرحلة في بعضها، بما يزيد في أهمية الرحلة ويضعها في مكانها الصحيح بين كتب الرحلات المختلفة.

نسخ الكتاب

للرحلة نسخ متعددة في المكتبات العامة والخاصة وقد ذكرها الأستاذ محمد الفاسي في مقدمة طبعته ونقل منه الدكتور إبراهيم محقق الرحلة حوالي 18 مخطوطات وخمس نسخة مطبوعة ، ومن هذه النسخ :

1. مخطوطة خزانة جامع القرويين بفاس ورقمه ، ج ل 567/40.
2. مخطوط الخزانة العامة بالرباط ورقمه د 1012 .
3. مخطوط الخزانية الملكية بالرباط، ورقمه، 2810.
4. مخطوط المكتبة الوطنية بتونس، ورقمه 15952.
5. مخطوط مكتبة جامعة ليدن بهولاندا، ورقمه 801.

وأما النسخ المطبوعة فمنها :

1. نسخة باريس : وهي محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم 2283 .
2. نسخة تونس: وهي من رصيد المكتبة الأحمدية بتونس التي آلت مخطوطاتها إلى المكتبة الوطنية وحفظت فيها تحق رقم 15952.
3. نسخة ليدن : وهي محفوظة بمكتبة جامعتها تحت رقم 727 . وفيها يقول الدكتور إبراهيم ، " وكاتب النسخة جاهل بأصول الكتابة وقواعدها، إذ كان يسقط الكلمات التي لا يعرف قراءتها لذا فهي ملئ بالتحريف، وكثيرة السقط والاضطراب."[1]

نماذج من رحلة العبدري

(**1**) رحلة العبدري، ص/ 21.

وقد يصف العبدري في رحلته مدينة ينبع حيث يقول :

" ومنها إلى ينبع يومان جادّان، وينبُعُ من بلاد الحجاز المعروفة وهي بُليدةً في أصل جبلٍ، ضعيفة البناء قليلةُ الساكن، والخرابُ بها كثير، وغربيُّها بسيط متَّسع، وهو محط الركب، ولكنه سبخةٌ لا تنبت، وفيه نخيلٌ وماء معين طيب. وصاحب ينبع مستبدٌ بها كاستبداد صاحب مليانةَ" (1)

ويصف سوق ينبع حيث يقول:

"وللركب في ينبع سوق كبير، والتمر فيه كثير، ومنه يتجهزُ من نقصه شيء من زاده إلى مكة، وبه يحطُّ أهل مصرَ أثقالهم وما لا يحتاجون إليه من زادهم حتى يرجعوا، وأهله في خدمة صاحب مصرَ، وهو يميرهم بالزرع، ويمدهم بالتحف ليجدهم الحجاج ركناً، ويأمن المنقطع لديهم، ولا يعترض في ماله" (2)

وقد ذكر العبدري " بدر " بهذه الكلمات :

" ومنها إلى بدر مسيرة يومين وهو وادٍ به ماءً معين، ونخلٌ وعمارة ليست بالكثيرة، وماؤه طيب، وبه مسجد مختصر مليحٌ، ذكروا أنه بُني في موضع العريش الذي كان فيه رسول الله γ يوم بدر، وأكثر سكان بدر ضعفاءُ وهم رفضة، وكذلك أكثر أهل المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وفي غربي المسجد مقبرة كبيرةٌ ، وفيها قبور شهداء بدر φ ، ويقوم في بدرٍ سوقٌ كبير أيضاً، لأن أهلها ومن جاورهم إلى المدينة يتحينون وصول الركب فيستعدون لذلك، ويحضرون ما يبايعونهم به من تمر وعلف وجمال وغير ذلك. " (3)

كما أشرت أن العبدري يؤيد كلامه بآيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوي والأقوال المختلفة فمن أمثلته على ذلك حينما يتصف " بطن ذي طوي " فيقول :

" ووراءها إلى مكة بطن ذي طوى وهو وادٍ يهبط على قبور المهاجرين التي بالحصحاص(4)، وهو دون ثنية كداء(1)، والطريق من هنالك متياسرة عن

(**1**) نفس المرجع، ص/ 345.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 345-346.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 346.

(**4**) الحصحاص : الجبل المشرف على ظهر ذي طوى إلى بطن مكة مما يلي بيوت أحمد المخزومي عند البرود، (أخبار مكة ، ج/2، ص/ 299.) .

الثنية المذكورة، آخذة على ثنية الحصحاص، وذو طوى بينهما وبين المقبرة التي بأعلى مكة وتسمى كُدى على ما ذكروا، وأما أبو الوليد الأزرقي فلم يسمها إلا بما تقدم وفي الموطأ والبخاري : [أن عبد الله بن عمر η كان يبيت بذى طوى بين الثنيتين ويغتسل فيه،ثم يغدوا منه إذا أصبح إلى مكة] وزاد البخاري : [ويذكر أن رسول الله γ كان يفعل ذلك] [2]

ولما يدخل مكة المكرمة فيقول :

"وفي يوم التروية دخلتُ إلى البلد الأمين، مقرِ المجدِ الصميم، والشرف المكين، فخر بقاع الأرضِ كلِّها على مرّ السّنين، فأقسم بالله أعظم يمين، قسماً لا يكذب ولا يمين، ما حُرِم سكناه إلا ذو حظًّ غبين:

بلدٌ نحوهُ يحِنُّ الرسولُ وبهِ علقتْ قديماً عقولُ
بلدٌ إن رأهُ يوماً مشوقٌ قال : لُمْني ، أو لا تلُمْ يا عدولُ[3]"

ويتحدث عن مسجد الحرام مزيناً كلامه بأقوال الأزرقي حيث يقول :

وأما المسجد الحرام . زاده الله تشريفاً . فهو وسط البلد، كبيرٌ متّسعٌ، يكون طوله " أزيد من أربع مئة ذراع " كما ذكر الأزرقي ρ وطوله من الشرق إلى الغرب[4]وهو قريب من التربيع، يخيِّل للناظر إليه أنه مربع، مفروش برملٍ أبيض جميل المنظر جداً، محكمُ العمل، عجيبُ الصنعة، كثير الإشراف، مرتفع الحيطان نحو عشرين ذراعاً، ودورُه كله مسقف على أعمدة عالية، ثلاثة صفوف بأتقنِ ما يكونُ من العمل، وفي كل جهة أبواب جملتها تسعةُ وثلاثون " [5]

ويصف بئر زمزم متصفاً بكلامه الجميل بالإضافة إلى أشعاره وأقوال الآخرين في عمق البئر حيث يقول :

وفي شرقي الكعبة بإزاء الباب قبَّةُ زمزَم على البئر، كبيرة متسعة مربعة وفي دورها حياض متقنة العمل، دائرة مع القبة، تُملأ بالماء للوضوء وعلى البئر

---

(1) كداء : بأعلى مكة وهي التي دخل منها النبي γ ، وهي العقبة الصغرى التي بأعلى مكة وهي التي تهبط مها إلى الأبطح والمقبرة على يسارك، (معجم البلدان، ج/4، ص/ 439) .

(2) صحيح البخاري، في كتاب الحج، رقم الحديث/ 1767، وفي الموطأ ، رقم الحديث/ 221.

(3) رحلة العبدري، ص/ 358 .

(4) أخبار مكة، ج/2، ص/ 82.

(5) المرجع السابق، ، ص/ 367.

تنور من رخام، وعمق البئر من أعلاه إلى سطح الماء كما ذكروا نحو من ثلاثين ذراعاً ، ومن سطح الماء إلى قعر البئر نحو من أربعين ذراعاً. ويقال : إنّ عمقه من أعلاه إلى أسفله اثنان وسبعون ذراعاً ، وسعته قريبٌ من أربعة أذرع، وماؤه دفيء ، وليس بتلك العذوبة :

ولكن لهُ في النفسِ موقِعُ فرحةٍ   تفاجئ بعد اليأسِ قلبَ كئيبِ
تُري صُوَرَ الأحبابِ مِرآةُ صفوِهِ   فيطفي منَ الأحشاءِ لفْحَ لهِيبِ[1]"

وقد تحدث العبدري عن في رحلته عن شروط الحج وفقهه ، وفي شروط الحج يقول قائلاً :

" وأما الحج فشروط وجوبه : العقل ، والبلوغ والحرية والاستطاعة واختلف قوله : هل هو على الفور أو على التراخي ما لم يخش الفوت؟ وعليه يأتي الخلاف في اعتبار رضا الأبوين [2] ، وقول ابن بشير : إنّ اعتبار رضا الأبوين لا يدل على التراخي، وإنما هو من باب تزاحم الفروضِ خطأ ، إذ " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " [3] كما لا حقَّ لهما في سائر الفروض " [4]

رحلة ابن بطوطة [5]

أسباب رحلته

يخبرنا ابن بطوطة عن أسباب رحلته في مطلع رحلته فيقول :

"وكان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم ، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم، فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والدي بقيد الحياة،

---

(1) نفس المرجع، ص/ 369. .
(2) بداية المجتهد، ج/1، ص/ 235.
(3) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، ج/1، ص/ 409، وفيض القدير، ج/6، ص/ 432.
(4) رحلة العبدري، ص/ 394.
(5) أنظر حياة ابن بطوطة في فصل الثالث من هذه الرسالة ، ص/ 205

فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصباً، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة " [1]

وقد بين حسين مؤنس أن دافعه إلى ذلك هو الشوق إلى رؤية الدنيا والناس، فقد ولد هذا الرجل رحالة بطبعه، ومع أنه يقول ـ إن دافعه للرحلة هو الحج ـ فإننا نضيف إلى ذلك أنه كان وراء هذا الدافع شوقٌ آخر شديد إلى المعرفة، وهذه الظاهرة، ظاهرة الشوق إلى رؤية الدنيا والناس نجدها عند كبار الرحالة في أدبنا الجغرافي الفني.

ولأجل ذلك كان ابن بطوطة خرج مع ناس لا يعرفهم، ولم يخرج في ركب الحاج ، ولكنه خرج في رفقة أي جماعة مسافرين ، ولقد التحق وهو في الطريق بركب الحاج التونسي، وبدّل رفقته مرة بعد مرة، لأن اهتمامه برؤية الناس والغرائب كان يضطره إلى التخلف عن ركبه أو رفقته، ليقضي، مأربه ثم يلحق بأي رفقة أخرى ويمضي في سبيله.

وفي بعض الأحيان نجده يغير اتجاهه تمامًا، ويتجه إلى ناحية أخرى غير التي كان يقصد إليها، لأن الهدف الرئيسي عند كان الرحلة في ذاتها، وكل البلاد عنده سواء: فإذا كان قاصداً مصر مثلاً اتجه به المسير إلى الشام ـ لم يأسف لذلك أو يفقد دافعه إلى المسير ، بل نجده سعيداً بهذا التغير مقبلاً على رؤية معاهد الشام دون أن يفارقه الشوق أو الابتهاج.

رحلته

ابن بطوطة هو أعظم الرحالة المسلمين قاطبة وأوسعهم شهرة، حتى سمي بحق شيخ الرحالين [2]، فهو أكثرهم طوافاً في الآفاق، فقد قضى ثمان وعشرين سنة من حياته في أسفار متصلة ورحلات متعاقبة، ومع ذلك فهو أوفرهم نشاطاً واستيعاباً للأخبار وأشهرهم عناية بالحديث عن الحالة الاجتماعية في البلاد التي تجول فيها. [3]

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ص/ 18.

(2) الجغرافيا والرحلات عند العرب، نقولا زيادة، ص/ 180.

(3) الرحلة والرحالة المسلمون ، لدكتور رمضان، ص/369.

لما بلغ ابن بطوطة الثانية وعشرين من عمره ، خرج من طنجة مسقط رأسه ومهد نشأته ، مرتحلاً لتأدية فريضة الحج وكان ذلك في عام 725 هـ الموافق 1325م، وسار راكبا الجمال دون شك، مخترقاً بلاد الساحل والشمال الإفريقي كلها، المغرب والجزائر وتونس وليبيا حتى وصل مصر فزارها وطاف مدنها، ثم اتجه إلى بلاد الشام فالحجاز حيث أدى فريضة الحج، سنة 725 هـ الموافق 1324 م ، ولم يصحبه أحد من أقاربه أو أصدقائه على عادة الرحالة المغاربة والأندلسيين.

وقد أدى ابن بطوطة فريضة الحج سبع مرات وهو ما لم يشر إليه كل من تناول دراسة رحلة ابن بطوطة وقد كانت الأول سنة 726 هـ والثانية سنة 727 هـ ، والثالثة سنة 728 هـ والرابعة سنة 729، والخامسة سنة 730 هـ والسادسة سنة 732 هـ والسابعة سنة 749 هـ . [(1)]

وذكر الدكتور شاكر خصباك أن ابن بطوطة أدى فريضة الحج للمرة الرابعة بعد عودته إلى الوطن من رحلته الأسيوية الكبرى، وكذلك كراتشكوفسكي ، أما زكي حسن ذكر أنه حج خمسة حجات. [(2)]

وهكذا استمرت رحلته ما يقرب من تسعة وعشرين عاماً زار فيها جميع الأقطار التي تسنى له الوصول إليها في ذلك الوقت.

ويمكننا أن نقسم رحلته إلى ثلاث رحلات :

- الأولى وهي الأطول وشملت المشرق كله بالإضافة إلى جزء من شمال آسيا.
- أما الرحلة الثانية فكانت إلى بلاد الأندلس.
- والثالثة إلى بلاد السودان.

وعندما عاد ابن بطوطة إلى فاس قيض الله له السلطان أبا عنان المريني [(3)] سلطان مراكش الذي اتصل به. فكان نتيجة هذا الاتصال ظهور كتاب رحلة ابن

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 14 ، 170 ، 240-242 ، 280 ، 654 .

(**2**) نفس المرجع، ص/ 25، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج/1، ص/ 324، والرحالة المسلمون ص/ 136 ،.

(**3**) فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبدالحميد المريني أبو عنان بن أبي الحسن ملك المغرب ولي السلطنة خمس سنوات ومات سنة 759 هـ (الدرر الكامنة ، لابن حجر ، ج/3، ص/ 219) .

بطوطة الذي أسماه " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" [1] ، والذي تصدر لكتابته ابن جزي حيث انتهى من كتابته في عام 757 هـ الموافق 1356 م . [2]

وسافر منها إلى العراق وجاس خلال دياره ودخل إيران، لكنه لم يتم الطواف بأعمال إيران وعاد ليحج مرة ثانية ثم قصد اليمن والصومال وعاد إلى ظفار وعمان والبحرين .

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار

تدوين رحلته

بعد أن استقر ابن بطوطة في بلاد السلطان أبي عنان المريني بمدينة فاس في نهاية سنة 754 هـ " استدعاء السلطان فلحق ببابه وأمره بتدوين رحلته " [3] وأمر السلطان أبو عنان كاتبه ابن جزي الكلبي بكتابة ما يمليه عليه ابن بطوطة مما علق بذاكرته من أسفاره ورحلاته ، قال ابن جزي : " ونفذت الإشارة الكريمة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الأمصار، وما علق بحفظه من نوادر الأخبار، ويذكر من لقيه من ملوك الأقطار، وعلمائها الأخيار، وأوليائها الأبرار، فأملى من ذلك ما فيه نزهة الخواطر، وبهجة السامع، والنواظر، من كل غريبة ، أفاد باجتلائها ، وعجيبة أطرفه بانتمائها" [4] .

والمؤرخون الذين كتبوا عن ابن بطوطة اتفقوا بأنه أملى رحلته من الذاكرة، والتي اعتمد عليها اعتماداً مطلقاً، فقد كان يتمتع حقاً بذاكرة ممتازة.

وأشار ابن بطوطة إلى فقدان معلوماته المكتوبة حيث يقول : " وكنت قد قيدت من ذلك كثيراً وضاع مني في جملة ما ضاع لي لما سلبني كفار الهند في البحر"

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ص/ 700.

(2) نفس المرجع، ص/ 701

(3) الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب، ج/3، ص/ 274.

(4) رحلة ابن بطوطة، ص/ 2.

[1] والجدير بالذكر أن ابن بطوطة تعرض عدة مرات للسلب من قبل الكفار الهنود، ودون ذلك قائلاً : " خرج علينا الكفار في يوم اثني عشر مركباً حربياً ، وقاتلوها قتالاً شديداً، وتغلبوا علينا، فأخذوا جميع ما عندي مما كنت أدخره للشدائد، وأخذوا الجواهر واليواقيت التي أعطانيها ملك سيلان، وأخذوا ثيابي والزرادات التي كانت عندي مما أعطانيه الصالحون والأولياء، ولم يتركوا ساتراً خلا السراويل" [2]

وقد استفاد ابن بطوطة بكتب المؤلفين السابقين له كابن جبير وغيره من الرحالين ، وفي هذا يقول كاتب رحلته ابن جزي : " على أنه سلك في إسناد صحاحها أقوم المسالك، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ بذلك ، وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط، ليكون أنفع في التصحيح والضبط" [3]

فعند حديثه عن الحجاز وبلاد الشام وبغداد استفاد برحلة ابن جبير، وكان يشير إلى ذلك ففي وصفه لمدينة دمشق قال: " وكل وصف ، وإن طال، فهو قاصر عن محاسنها، ولا أبدع مما قاله أبو الحسين ابن جبير ρ في ذكرها " [4]

واستفاد بكتب أخرى كما يشير أثنا حديثه عن فضائل الجامع الأموي بدمشق حيث يقول : " وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة" [5] .

وأما دور ابن جزي الكلبي في تدوين رحلة ابن بطوطة جلياً ظاهراً ، ويظهر دوره من قوله هذا : " ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبدالله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمناحي التي اعتمدها، وربما أوردت لفظه على وضعه، فلم أخل بأصله ولا فرعه، وأوردت جمع ما أورده من الحكايات والأخبار، ولم أتعرض لبحث عن حقيقة ذلك ولا اختبار، وخرج عن عهدة سائرها بما يشعر من الألفاظ

(**1**) نفس المرجع، ص/ 182.
(**2**) نفس المرجع، ص/ 306.
(**3**) نفس المرجع، ص/ 2.
(**4**) نفس المرجع، ص/ 37.
(**5**) نفس المرجع، ص/ 41،

بذلك وقيدت المشكل من أسماء المواضع والرجال بالشكل والنقط، ليكون أنفع في التصحيح والضبط، وشرحت ما أمكنني شرحه من الأسماء العجمية، لأنها تلتبس بعجمتها على الناس، ويخطئ في فك معماها معهود القياس" (1)

فمن هذا النص يحدد دوره الذي كان واضحاً تماماً في كتابة الرحلة، ويقول حسين مؤنس " فهو لم يتدخل في سياق الحديث إلا بقدر محدود لا يضر بصلب الرحلة، وقد حرص في كل مرة أن يبدأ أضافة بقوله : " قال ابن جزي " (2) .

ونرى هذا الشيء منذ بداية كتابة الرحلة عندما كان ابن بطوطة يتحدث عن عمره ، فينقل لنا : قال ابن جزي : " أخبرني أبو عبدالله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة ... " (3)

وقد انتهى ابن جزي تدوين الرحلة في ثلاثة شهور بعد أن فرغ من تقييدها في ثالث من ذي الحجة سنة 756 هـ وفرغ من كتابتها في شهر صفر سنة 757 هـ، (4) ، وختمها بقوله : " انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبدالله محمد بن بطوطة أكرمه الله، ولا يخفى على ذي عقل أن هذا الشيخ هو رحال العصر، ومن قال رحال هذه الملة لم يبعد، ولم يجعل بلاد الدنيا للرحلة، واتخذ حضرة فاس قراراً ومستوطناً بعد طول جولاته، إلا لما تحقق أن مولانا أيده الله أعظم ملوكها شأناً، وأعمهم فضائل وأكثرهم إحساناً، وأشدهم بالواردين عليه عناية، واتهم بما ينتمي إلى طلب العلم حماية، فيجب على مثلي أن يحمد الله تعالى. " (5)

قد طبعت رحلة ابن بطوطة في باريس مع ترجمة فرنسية في منتصف القرن التاسع عشر على يد المستشرق ديفريمري "Defremery" وسانجنتي "Sanguinetti" وطبعت في القاهرة طبعتين عربيتين ونشر الأستاذ جب "Gibb"

---

(1) نفس المرجع، ص/ 2،

(2) ابن بطوطة رحالة الإسلام، حسين مؤنس، مجلة العربي، ع/ 213، ص/ 32.

(3) رحلة ابن بطوطة، ج/1، ص/ 3.

(4) بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية مقالة، لمحمد يوسف عمر عابد، ص/ 62.

(5) المرجع السابق، ، ص/ 352،

ملخصاً لها بالإنجليزية في سلسلة Broadway Travellers سنة 1929 قدم له بتصدير طيب تحدث فيه عن الرحالة وعصره. (1)

مميزات رحلته

امتازت رحلة ابن بطوطة بطولها، وحفلت بتنوع حوادثها فجمعت الكثير من الغرائب والعجائب التي أثارت الشك لدى الكثير من الكتاب، وحوت الكثير من المعلومات عن أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واستغرقت رحلته فترة تزيد على ثمانية وعشرين عاماً سلك فيها طريق البر والبحر.

وكان ابن بطوطة حريصاً على الاتصال بالملوك لينال أعطياتهم ويتمكن من مواصلة رحلته مما يدل على علو مكانته الاجتماعية. ويلاحظ أن ابن بطوطة لم يدون في رحلته طلبة للعلم، والتقاءه بالعلماء، والكتب المتداولة، وأماكن التدريس.

وكان الاهتمام لابن بطوطة بالجانب الاجتماعي من حيث حالة العلماء والملوك وعادات الناس في البلاد التي زارها، ويبدو أن ابن بطوطة قام بنقل الوصف الجغرافي من الرحالة السابقين وهذا مرده تدوين رحلته من الذاكرة فكان من الطبيعي أنه لا يستطيع وصف ما شاهده وأغلب الظن أن ابن جزي أكمل هذه الناحية من الرحلات السابقة.

وتمتع ابن بطوطة بذاكرة قوية خاصة في سرد بعض المعلومات الخاصة بوصف المساجد وأبعادها.

ووصف ابن بطوطة الحرمين الشريفين بأوصاف دقيقة مع اهتمامه بذكر القصص الغريبة والنادرة في رحلته . (2)

نماذج من رحلاته

وصف ابن بطوطة أهل مكة وفضائلهم حيث يقول:

> " ولأهل مكة الأفعال الجميلة ، والمكارم التامة، والأخلاق الحسنة، والإيثار للضعفاء والمنقطعين، وحسن الجوار للغرباء، ومن مكارمهم أنهم إذا صنع أحدهم وليمة، يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بلطف

---

(1) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، لزكي حسن ، ص/ 140.

(2) الرحالات المغربية والأندلسية، ص/ 136.

ورفق وحسن خلق، ثم يطعمهم، وأكثر المساكين المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بلطف ورفق وحسن خلق، ثم يطعمهم. وأكثر المساكين المنقطعين يكون بالأفران حيث يطبخ الناس أخبازهم، فإذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى مسكنه اتبعه المساكين، فيعطى كل واحد منهم ما قسم له ولا يردهم خائبين، ولو كانت له خبزة واحدة، فإنه يعطي ثلثها أو نصفها، طيب النفس بذلك من غير ضجر. " (1).

ويذكر ابن بطوطة أبواب البلد التي يذكرها ثلاثة :

" باب المعلى بأعلاها ، وباب الشبيكة من أسفلها، ويعرف أيضاً بباب العمرة، وهو إلى جهة الغرب، وعليه طريق المدينة الشريفة ومصر والشام وجدة، ومنه يتوجه إلى التنغيم، وباب المسفل (المسفلة) وهو من جهة الجنوب، ومنه دخل خالد بن الوليد η يوم الفتح" (2)

ويمتدح ابن بطوطة نظافة أهل مكة ونصاعة بياض ملابسهم وكثرة استعمالهم للطيب والكحل، ويصف :

" ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف، وهن يكثرن التطيب حتى إن إحداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيباً ، وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة، فيأتين في أحسن زي، وتغلب على الحرم رائحة طيبهن، وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقاً" (3)

ويتحدث ابن بطوطة دخولها بالمسجد النبي γ فيقول قائلاً :

"وفي عشي ذلك اليوم دخلنا الحرم الشريف، وانتهينا إلى المسجد الكريم، فوقفنا بباب السلام مسلمين، وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم، واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذي حن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبل القبلة، وأدينا حق السلام على سيد الأولين والآخرين، وشفيع العصاة والمذنبين، والرسول النبي الهاشمي الأبطحي محمد γ، وشرف وكرم وحق السلام على

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 67.

(**2**) نفس المرجع ، ص/ 59.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 67.

ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله عنهما. وانصرفنا إلى رحلنا مسرورين بهذه النعمة العظمى."[1]

وقد تحدث ابن بطوطة في رحلته عن مقبرة المدينة ويصور لنا قبورها في بقيع الغرقد فيقول :

"فمنها بقيع الغرقد، وهو بشرقي المدينة المكرمة، ويخرج إليه على باب يعرف بباب البقيع. فأول ما يلقى الخارج إليه على يساره عند خروجه من الباب قبر صفية بنت عبد المطلب κ، وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، وأم الزبير بن العوام η، وأمامها قبر إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس η، وعليه قبة صغيرة مختصرة البناء، وأمامه قبر السلالة الطاهرة المقدسة النبوية الكريم إبراهيم بن رسول الله γ وعليه قبة بيضاء، وعن يمينها تربة عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب φ وهو المعروف بأبي شحمة، وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب η ، وقبر عبد الله بن ذي الجناحين جعفر بن أبي طالب η ، وبإزائهم روضة فيها قبور أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ويليها روضة فيها قبر العباس بن عبد المطلب عم رسول الله γ ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وهي قبة ذاهبة في الهواء بديعة الإحكام، عن يمين الخارج من باب البقيع، ورأس الحسن إلى رجلي العباس عليهما السلام، وقبراهما مرتفعان عن الأرض، متسعان مغشيان بألواح بديعة الالتصاق، مرصعة بصفائح الصفر البديعة العمل." [2]

رحلة صديق حسن خان [3]

سبب رحلته إلى الحجاز

سبب رحلته الشوق والمحبة ورغبته في مشاهدة الأماكن المقدسة في الحجاز إكمالاً لمنامه وأحلامه المتعددة ، والقيام بأداء فريضة الحج . وقد رأى عدة مرات الحرمين الشريفين وما حولهما في المنام ، وفي حلمه يقول صديق حسن خان :

---

(1) نفس المرجع، ص/ 52.

(2) نفس المرجع، ص/ 56.

(3) انظر ترجمة حياته في فصل الثاني من هذا الباب ، ص / 213 من هذه الرسالة .

"رأيت البحر المحيط ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ـ زادهما الله تشريفاً وتعظيماً ـ مراراً في النوم، فرأيت ليلة كأني ركبت البحر، وقطعت المسافة، وبلغت مكة، ورأيتني كأني في مكان خال له أساطين فخامٌ وأعمدة عظما وأنا جالس فيه، والمسجد الحرام كذلك،... ورأيت المدينة المنورة كأنها بلدة قديمة، ورأيت جدرانها باليةَ البناء، وربوعها معمولة من الطين والماء ".

وفي خاتمة الكتاب يقول : " مغتنماً لكل فائدة وكرامة، مريداً لتأدية حج الإسلام إلى بيت الله الحرام " (1)

رحلته إلى الحجاز

بدأ سفره المبارك يوم الاثنين 27 من شهر شعبان عام 1285 هـ الموافق 14 من ديسمبر عام 1868م وفي اليوم التاسع وصل إلى ميناء "ممبي" وركب المركب في التاسع من شهر رمضان وبدأ سفره في ذلك اليوم .

ونزل صديق حسن خان في " الحديدة " ومكث فيها اثني عشر يوماً ، ويقول عن اشتغاله في الحديدة : " وأقمت هنا اثني عشر يوماً ، أراجع كتب الحديث، وأكتبها بيدي ما أستطيع، ولم أذهب إلى المساجد إلا للصلوات الخمس، لكثرة اشتغالي بطلب العلم " (2) .

ولما سار المركب من الحديدة ، سكن الهواء إلى ثلاثة أيام ولم يتحرك المركب خطوة من محل القيام. ويقول صديق حسن خان عن مشاكله في رحلته : " أن جدة من الحديدة مسير أسبوع لا غير لبطيء السير، ولكن وصل مركبنا إليها بعد نحو شهر حتى ضاقت علينا الأرض بما رحبت من طول الركوب، ومخالفة الهواء وقلة المطعوم والمشروب، حتى قنعت في اليوم والليلة بجرعة من الماء " (3)

وصل المركب يوم الأحد التاسع من شهر ذي القعدة ، وأقام صديق حسن خان في جدة لمدة ثلاثة أيام للاستراحة ، ثم بدا سفره بالجمال ، وهو قائلاً فيه :

(**1**) رحلة الصديق إلى البلد العتيق، صديق حسن خان، ص/ 160.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 162.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 165

" يوم الربوع ثاني عشر ذي القعدة ركبنا من جدة إلى حدة بعد صلاة المغرب ...... ودخلنا البلد الأمين بعد نصف الليل مع السيد أبي بكر المطوِّف ، ونزلنا عن الجمال ، ومشينا على الأقدام ، وتركنا الأحمال والأثقال مع الخدام ولم نعرج على شيء، وقصدنا المسجد الحرام، ودخلنا "باب السلام " ، وأدينا أعمال العمرة من الطواف والسعي والحلق على الترتيب" (1) .

وفي الخامس عشر من شهر صفر عام 1286 بدأ سفره من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة واستغرق سفره هذا عشرين يوماً. ومكث في المدينة المنورة أسبوعاً، ورجع إلى مكة المكرمة وبعد أداء العمرة في أوائل جمادي الأولى ركب المركب المسمى بـ فيض الباري ، ووصل إلى بهوبال في أوائل شهر جمادي الآخر.

ومكث في مكة حوالي أربعة أشهر كما يقول : " وكانت مدة إقامتي بمكة وجواره تعالى أولاً وأخرا نحوا من أربعة أشهر، وعندي أن حاصل عمري كان تلك الأيام " . (2)

وقد استغرق سفره هذا ثمانية أشهر كما يقول : " وكانت مدة الذهاب والإياب ثمانية أشهر ، والحمد لله على ذلكَ" (3)

رحلة الصديق إلى بلد العتيق

إن صديق حسن خان سجل مشاهداته وأحاسيسه عن تلك الأماكن المقدسة وسمها " رحلة الصديق إلى بلد العتيق" وقسم رحلته إلى خمسة أبواب فالباب الأول يتعلق بفضائل مكة ، والثاني في فضائل الحجاج والعمار والطوّاف وغيرها ، والثالث في مبادئ الحج والعمرة ، والرابع في مقاصد الحج ، وأما الباب الأخير يتعلق في زيارة سيدنا محمد γ .

وفي رأي أن رحلته هذا تتعلق بعلم الفقه وفضائل الحجاز، ولا يمكن لنا أن نعدها من رحلات الأدبية لأن كتابه مليئ بمسائل الحج والعمرة وزيارة النبي γ ، أما

---

(1) نفس المرجع، ص/ 162

(2) نفس المرجع، ص/ 167.

(3) نفس المرجع، ص/ 169.

سفره إلى الحجاز فقد ذكره في خاتمة الكتاب في بضعة صفحات ، وذكر فيها أحوال سفره وقيامه في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

نماذج من رحلته

يبين لنا صديق حسن خان أول نظرته على الكعبة قائلاً :

" ومن أول نظرة وقعت إلى جمال الكعبة المكرمة ذهلنا عن مصائب السفر ومشاقه كلها كأنها لم نُشك بشوكة في الطريق، وهكذا شأن كل مشوق وصديق، وكيف والكعبة الزهراء . زادها الله ضياء وسناء . ياقوته كحلية تجلو بصائر أعين الصلحاء، مجلوة للناظرين في حلة من الكرامة سوداء" (1)

ويصف المدينة المنورة والأماكن المقدسة فيها حيث يقول :

" واتفقت الإقامة بهذه البلدة المباركة إلى أسبوع، وتيسر لي حضور المسجد النبوي γ ، والسلام على المرقد المصطفى وأصحابه، وزيارة بقيعه ، وشهداء أحد، ... وغير ذلك من المساجد والآبار، خصوصاً مسجد قباء، على الوجه المأثور المسنون بلدة طيبة ملئت بأنواع البركات، وآثار من الرحمة وأنوار من التجليات، كيف والأنوار الإلهية والبركات النبوية تترشح من جدرانها، والسكينة والوقار تتنزل كل حين على بنيانها". (2)

ويتحدث عن جوه الحار قائلاً :

"وكان الزمان زمانَ حر شديد، وكان الريح سموماً، وماء البحر ناراً، فمرض أهل المركب إلا من عصمه الله، ومات بعض القوم من شدة الحر إلى أن طوى المركب تصف الطريق، ومر من عدن، فجاء البرد والمطر، وذهب المرض والحر. " (3)

رحلة شكيب أرسلان إلى الحجاز(4)

سبب رحلته

---

(1) نفس المرجع، ص/ 165

(2) نفس المرجع، ص/ 167

(3) نفس المرجع، ص/ 168.

(4) انظر حياة شكيب أرسلان في فصل الثالث من هذا الباب، ص/231 من هذه الرسالة.

سبب رحلة شكيب أرسلان هو الشوق والمحبة لزيارة الأماكن المقدسة ومن ثم القيام بأداء فريضة الحج ، وفي سبب رحلته يقول شكيب أرسلان :

" فقد مضت علي حجج كثيرة وأنا أهم بأداء فريضة الحج، والعوائق تعوق، والموانع من حول إلى حول تحول، إلى أن يسر الله بلطفه وحسن توفيقه لي أداء هذا الفرض في سنة 1348" [1]

رحلته إلى الحجاز

كان شكيب أرسلان قد خرج من مدينة لوزان بسويسرا ، ثم نابولي في إيطاليا، ثم ركب الباخرة إلى بور سعيد بمصر، ثم أبحر من مينا السويس متجهاً إلى جدة لأداء فريضة الحج، وكان ذلك سنة 1348 هـ ، فقال رحمه الله في الخروج من السويس إلى جدة، ووصف الإحرام والتلبية .

> " فصلنا من ميناء السويس في 8 مايو على باخرة نقل نحواً من 1300 حاج من إخواننا المصريين، وفيهم بعض المغاربة، فسارت بنا الباخرة، رهواً ورخاءً لم نشعر فيها إلى جدة بأدنى حركة للبحر تزعج الراكب، وإنما كان المزعج هو اكتظاظ السفينة بالراكبين حتى لا يقدر أحد أن يمر من شدة الزحام.
> وفي اليوم الثالث من مسيرنا ناوحنا ميناء رابغ، ولما كان الحجيج الوارد من الشمال في البحر الأحمر عليه أن يحرم من رابغ فقد أحرم جميع الحجاج الذين في الباخرة ، وارتفعت الأصوات من كل جهة : " لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيلك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك" فاستشعر الناس من الخشوع في أثناء ضجيج الحجيج هذا ما اتصل بأعماق القلوب، وتغلغل في سرائر النفوس، وأحس الجميع أن البيت الذي يخلع الناس تعظيماً له أثوابهم قبل الوقوف بعتبة بمسيرة يومين، ويشتملون في القصد إليه ما لبس فيه شيء من المخيط لبيت مقدس، لا يؤمه الناس كما يؤمون سائر البيوت، وأنه فوق بيوت الملوك، وفوق مقاصير القياصرة، وأواوين الأكاسرة، التي لا يحرم في الطريق إليها أحد لا من بعيد ولا من قريب" [2]

(**1**) ارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف، مقدمة المؤلف، ص/ 2

(**2**) الارتسامات اللطاف، لشكيب أرسلان، ص/ 6.

ارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف

تحدث شكيب أرسلان في هذه الرحلة المسمى " ارتسامات اللطاف" عن مكة المكرمة من حيث الجو ، والمياه ، وصفاتها في الجاهلية والإسلام، وتحدث فيها عن باقي المدن الحجازية متحدثاً عن عمرانها وبيئتها ومجتمعاتها.

وقد كتب أرسلان بأسلوب جزل ويجمل بين الدقة والملاحظة، ويقرن بين ذلك بالرجوع إلى كتب التراث ينقل منها ما يناسب موضوعه . ويورد حكايات لطيفة وتعليقات طريفة ، ويورد حديثاً شيقاً عن شعوره القومي في الحجاز ويقصد بذلك أن أجزاء الجزيرة العربية قد حماها الله من امتيازات الأجانب وسلطتهم السياسية.

ويصف الطريق من جدة إلى مكة كما يصف مكة ومكانتها المعنوية ، ويصف الكعبة البهية، كما يتحدث عن السكان في مكة والحالة المعيشية فيها، وتحدث عن عين زبيدة وأهمية المياه في المشاعر، ثم تحدث عن عرفة ومنى ومزدلفة والمشاعر المقدسة المتعلقة بالحج.

وقد تحدث عن الطائف وتاريخها وأعلامها وعن سوق عكاظ وتاريخه الأدبي كما تحدث عن قبائل الحجاز وأهمية الكتاب تكمن في كون المؤلف من المؤرخين المدققين في ملاحظاتهم وتحقيقاتهم.[1]

خلاصة القول أنه كتابه مليئٌ بالفرائد الأدبية والفوائد التاريخية والتحقيقات الاجتماعية .

وكان السيد محمد رشيد رضا ρ وقف على طبع الكتاب وتعليقه عليه ، ويشير محمد رشيد رضا إلى طبع الكتاب قائلاً : " وقد من علي ، بأن عهد بنشر هذه الارتسامات إلي، فأن أطبعها بمطبعة المنار، وأشرف على تصحيحها بنفسي ، لتعذر إرسال مُثُل الطبع إليه في أروبة ليتولى تصحيحها بنفسه، بل من علي بالإذن

---

(1) صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين، عبدالله بن حمد الحقيل، مكتبة التوبة، ص/ 48-49.

لي بتعليق بعض الحواشي على بعض المواضع التي أرى التعليق عليها مفيداً لقارئيها، ليكون اسمي مقروناً باسمه في هذا الأثر الخالد له في خدمة العرب والإسلام " [1]

نماذج من رحلة شكيب أرسلان

وقد يصف جدة وغرابة ألوان بحرها حيث يقول :

" ولقد طاب لي من ميناء جدة منظران لا يزالان إلى الآن منقوشين في لوح خاطري:

إحداهما : رؤية هذه البواخر الواقفة في الميناء ناطقة بلسان حالها: أنه وإن كانت هذه السواحل قفاراً لا تستحق أن ترفأ إليها البوارج ولا السفن، فإن وراءها من المعنوي أمراً عظيماً، ومقصداً كريماً هذه البواخر الكثيرة ماثلة أمام جدة من أجله.

وأما المنظر الثاني فهو منظر مياه هذا الميناء، فلقد طفت كثيراً من البحار وعرفت أكثر البحر المتوسط والبحر الأسود وبحر البلطيك ... ولم يقع بصري على شيء يشبه مياه بحر جدة في البهاء واللمعان، كنت كيفما نظرت يمنة أو يسرة أشاهد خطوطاً طويلة عريضة في البحر أشبه بقوس قزح في تعدد الألوان، وتألق الأنوار، من أحمر وأزرق وبنفسجي وعنابي وبرتقالي وأخضر." [2]

ويتحدث عن الملك ابن السعود ولقاءه فيقول :

" ثم شاهدت جلالة ملك هذه الديار وخادم الحرمين الشريفين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وكان في جدة ذلك اليوم، فوجدت فيه الملك الأشم الأصيد، الذي تلوح سيماء البطولة على وجهه، والعاهل الصنديد الأنجد الذي كأنما قدَّ ثوب استقلال العرب الحقيقي على قدِّه، فحمدت الله على أن عيني رأت فوق ما أذني سمعت، وتفاءلت خيراً في مستقبل هذه الأمة" . [3]

ولما وصل أرسلان إلى عرفات فيصور لنا منظر عرفات وبخاصة منظر الليل في عرفات ونلاحظ تلك الكلمات الممتازة التي قالها :

(**1**) الارتسامات اللطاف، مقدمة المحقق، ص/ 8.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 7.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 12.

"ما أنسى لا أنسى منظر عرفات ليلاً ، فهو من أبهج ما ارتسم في خاطري من مناظر هذه الدنيا الفانية مع كثيرة ما شاهدت في حياتي وما تقبلت في الأمصار والعواصم، فقد أقبلنا عليها غلساً آتين من منى، فكانت أشبه بسماء في كواكبها وطرائقها منها بسهول وهضاب في خيامها، وقبابها المضروبة، ومصابيحها المعلقة ونيرانها المشبوبة ، فكان منظراً قيد النواظر لا يشبع من الرائي تطلعاً، ولا يزداد به إلا ابتهاجاً. "[1]

رحلة حسين هيكل[2]

سبب رحلته

قام حسين هيكل برحلته إلى منزل الوحي في عام 1936 م بعد ما استشعر بحاجته إلى الذهاب منزل الوحي وبلاد الحجاز ليستكمل الفصول الخاصة بسيرة النبوي γ في كتابه " حياة محمد γ " ، حيث يقول هيكل " ... فلما كانت سنة 1931 وبدأت أكتب " حياة محمد " شعرت بعد التقدم فيها بالرغبة المِلِحّة في الذهاب إلى الحجاز" [3] وفي هذه الرحلة استحضرت نفسه مشهد المسلمين وهم مع رسول الله γ في حجة الوداع، فامتلأت نفسه رهباً وقلبه إيماناً، واشتد به الشوق إلى أداء الفريضة.

رحلته إلى الحجاز

بدأ حسين هيكل سفر الحجاز بالباخرة من قناة السويس في يوم الخامس وعشرين من شهر فبراير عام 1936 م الموافق 1355 هـ ، وقام بأداء فريضة الحج في نفس العام، وأثناء رحلته تجول في المملكة السعودية العربية وبخاصة مكة المكرمة وشاهد معالمها التاريخية والجغرافية .

ثم زار حسين هيكل المدينة المنورة وشاهد معالمها التاريخية والجغرافية المشهورة وآثارها الإسلامية، وفي 13 من إبريل عام 1936 م الموافق في 11 من محرم عام

(**1**) نفس المرجع، ص/ 42.

(**2**) انظر ترجمة حياته في ص / 237 من هذه الرسالة

(**3**) رحلة إلى الحجاز، ص/ 33 .

1356 هـ غادر المدينة المنورة إلى مدينة ينبع مروراً بمنطقة بدر، ومن ينبع رجع إلى السويس .

والجدير بالذكر أنه قابل أثناء رحلته الملك عبدالعزيز ρ ، بالإضافة إلى ذلك قابل عددا من الأمراء والمسؤولين في الدولة والأدباء والمفكرين وتحدث معهم في تاريخ المملكة العربية السعودية. (1)

في منـزل الوحي

كان حسين هيكل دونّ رحلته بأسلوب جميل رائع ، وسجل مشاهداته وأحاسيسه عن الحرمين الشريفين وسماه رحلته " في منزل الوحي " ويعد كتابه في أدب الرحلة إضافة رائعة.

وقد ذكر في كتابه معلومات عن تاريخ المملكة العربية وحاضرها وتطلعاتها للمستقبل، وبخاصة الحجاز وما حولها .

وصدر هذا الكتاب أولاً في عام 1937 م ، وطبعه إلى ثمانية مرات وآخر المرة طبعه الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة في عام 2010 م .

وقد قسم رحلته إلى ستة كتب " أي أبواب " فالكتاب الأول سماه "فرض الحج " وبين فيها عزم السفر ، والعمرة وعرفات وأيام التشريق ، والكتاب الثاني سماه البلد الحرام ، فعرض فيه مكة الحديثة وابن السعود بمكة وفي جوف الكعبة، وآثار مكة ، وغار حراء ، وغار ثور، وظاهر مكة . والكتاب الثالث وصف فيه الطائف وآثاره وأسواقه ، والكتاب الرابع بين الحرمين وتحدث فيه عن طواف الوداع وطريق المدينة ووحي المدينة. والكتاب الخامس عن مدينة الرسول γ ، فنراه واصفا المسجد النبوي الشريف والمدينة الحديثة وجنة البقيع وغيره من آثار المدينة ، وأخيرا الكتاب السادس باسم أوبة الرضا ، فيعرض لنا فيه " بدر وشهداؤها وأوبة الرضا، والخاتمة .

وفي كتابه " في منزل الوحي " نراه يعقد عدة مقارنات بين البساطة البدوية التي تسود علاقة الملك عبدالعزيز برعيته والديمقراطية، وبين صلاة المسلمين في مساجدهم وصلاة النصارى في كنائسهم من حيث أثرهما في النفس، وبين قبر الرسول

---

(1) www.darah.info/bohos/data/13/3-1.htm

γ وقبور الملوك والفراعين والأباطرة ، وسائر العظماء من جهة الجلال الروحي باعتبار البساطة والتعقيد والحسية والتجريد، وبين وقعة بدر ومعركة واترلو فيما خلفته كلتاهما من أثر في حياة الإنسانية. (1)

ومن مقارنته بين طريقة الأكل في السعودي وطريقته عندنا، فهو "هناك يأكلون بأيديهم من الأرز الموضوع فوقه الضأن المسلوق أو المشوي في قصعة ، بخلاف طريقتنا الحديثة التي تكثر فيها الأطباق وألوان الطعام وتستخدم فيها الملاعق والشوك والسكاكين. وقد أعرب عن سروره بتناول الطعام بيده على الطريقة العربية ، إذ تذكّر أيام صباه الأول حين كان يأكل بنفس الأسلوب في قريته" (2)

ويتميز أسلوب هيكل في رحلته بوجه عام بالفخامة والجلال والاحتفاء بالصياغة رغم أنه أسلوب عصري في وضوحه وبعده عن المحسنات والزخارف والتعقيدات والألفاظ الوعرة.

ولا نجد في رحلته أية كلمة بذيئة أو عارية أو مفحشة، وكذلك لن تجد له شيئا من التفاهات أو السخافات التي قد نقابلها عند بعض الكتاب. وهذا من شأنه أن يحافظ على جو الرصانة والفخامة. (3)

نماذج من رحلته " في منـزل الوحي "

يصف حسين هيكل وقفة عرفات حيث يقول :

" أصبحت يوم الاثنين الثامن من ذي الحجة ، يوم التروية ، أفكر في عرفات والذهاب إليها محرماً والمبيت بها، وقضاء ما يجب من شعائر الحج فيها والنزول عنها إلى المشعر الحرام بالمزدلفة، وإلى الصخرات بمنى لأتم بعد ذلك طواف الحج حول الكعبة وسعيه بين الصفا والمروة ... وشتان بين ما اشتملني أثناء التفكير في الإحرام لعرفات من نعيم وغبطة، وما كنت أخافه قبل مغادرة مصر من أثر الإحرام وقضاء المناسك على صحتي، لقد اشتملني من فجر ذلك اليوم رضا عن الحياة وعن نفسي، وشعرت بروحي فرحة وبقلبي مطمئناً" (4)

---

(1) في منزل الوحي ، ص/ 121، 180 ، 468، 490، 647.

(2) نفس المرجع، ص/ 135.

(3) محمد حسين هيكل أديبا وناقداً ومفكرا إسلاميا، لإبراهيم عوض، ص/ 176

(4) في منزل الوحي، ص/ 85.

وفي مكان آخر يصف مكة حديثاً فكان يقول :

" فمكة اليوم ليست بلداً عربياً ، ولم تكن بلداً عربياً منذ زمن طويل مضى، إنما هي كعبة المسلمين، فهي بلد الإسلام على اختلاف أجناس أهله ولغاتهم، وأنت تراها كذلك اليوم، وكذلك رآها " البتانوني " ورآها " بورخارت" قبله ، كما رآها كذلك كل الذين زاروها في حقب الزمن المختلفة.... وكانت مكة على حقب العصور ميدان صدام بين المذاهب الإسلامية التي تنازعت الملك ، وهي اليوم ميدان بين المذهب الوهابي وسائر السنيين من المسلمين"(1).

وقد يصف الانتظار ودخوله إلى جوف الكعبة فيقول :

" وذهب في الموعد فطفت بالبيت وصليت بمقام إبراهيم وبحجر إسماعيل، ثم عدت إلى المقام قبالة باب الكعبة، أنتظر فتحه، وكان مطوّفنا يتنطس أخبار السادن خيفة أن يطول بنا انتظاره. وأقبل الشيخ الشيبي بعد سويعة في لباسه الضافي وسار خدم الكعبة من ورائه، ورآهم الناس فتفرجوا عند الباب، ووضع الخدم السلم وصعدوا عليه وفتحوا باب البيت ودخلوا إليه، ولم يؤذن بالدخول لغيرهم، وسألت في ذلك فعلمت أنهم يكنسون الكعبة ويطلقون فيها البخور ، ولم أتم القوم واجبهم وقف السادن بالباب وأشار إلي، فتقدمت نحو هذا الدرج الذي يوضع كلما فتحت الكعبة ويرفع بعد تمام زيارتها. " (2)

وكان حسين هيكل يتحدث عن البقيع المرقد حيث يقول :

" فالبقيع أو بقيع المرقد كما تسميه كتب السيرة، هو مقبرة المدينة ، كان مقبرتها في الجاهلية وفي صدر الإسلام وما يزال مقبرتها إلى اليوم، ولم يعن التركي صاحب الشمسية هذا البقيع كله في جاهليته وإسلامه، وإنما عنى جزءاً منه هو الذي بقي موضع عناية الناس به وزيارتهم إياه، وهو موضع حديثي الآن. ففي هذا الجزء من البقيع مقابر أزواج النبي γ وقبر ابنه إبراهيم وقبور بناته ، وقبر عثمان بن عفان، وقبر جعفر الصادق، وقبر مالك بن أنس وقبور شهداء واقعة الحرة التي هاجمت فيها جيوش يزيد بن معاوية المدينة سنة ثلاث وستين

---

(1) نفس المرجع، ص/ 124

(2) نفس المرجع، ص/ 188.

من الهجرة ، هذا إلى كثير من صحابة رسول الله γ ذكرت المؤلفات القديمة عدداً كبيراً من أسمائهم، وأغفلت مع ذلك ذكر أسماء أكثرهم." [1]

يجد القارئ من هذه الصور المختلفة من إشراك الكاتب إياه معه والتوحيد بين نفسه وبينه الكثير في ما خطّته براعة الدكتور هيكل من أدب الرحلات.

والكتاب مليئ بالبحوث التاريخية منذ بداية بناء الكعبة وتاريخها ، وتاريخ المسجد الحرام، والآثار في مكة والمدينة كمسجد الجن ومسجد الراية، ومسجد الغمامة ومقابر البقيع .

رحلة إلى الحجاز لعبد القادر المازني [2]

سبب رحلته

سافر المازني إلى الحجاز مع عدد من الأدباء والشيوخ . منهم خير الدين الزركلي وأحمد زكي باشا ، وعبدالحميد حمدي عن جريدة البلاغ، ومحمد عبدالله عن كوكب الشرق وغيرهم من الصحفيين والأدباء . للمشاركة في الاحتفال الأول بذكرى جلوس الملك عبدالعزيز ρ ، وقد شارك المازني كمندوب عن جريدة السياسية المصرية .

رحلته إلى الحجاز

وقد بدأت هذه الرحلة في بداية شهر شعبان، من قناة السويس على الباخرة، ووصلوا إلى ميناء ينبع في أربع من يناير عام 1930 م الموافق ثلاثة من شهر شعبان عام 1348 هـ [3] حيث يقول المازني: " وفي الساعة السادسة من صباح السبت 4 يناير أيقظني أحد الزملاء وأبلغني أن الشاطئ قد ظهر " [4]

---

(1) نفس المرجع، ص/ 518.

(2) انظر سيرة حياته في ص / 241 من هذه الرسالة .

(3) التاريخ الهجري ما وجدت في أي مصدر وحولت التاريخ الميلادي من الشبكة .

(4) رحلة إلى الحجاز، ص/ 19.

وخلال قيامها في ينبع كتب " صندوق الدنيا " ويقول المازني : " وفي ينبع وجدت " صندوق الدنيا " [1] .

وقد ذكر تفاصيل مدينة جدة بالتفصيل حين ما زارها ، وتحدث عن العادات والتقاليد السائدة في الأكل واللباس ووصف شوارع جدة وسكانها ثم غادرها إلى مكة المكرمة حيث تحدث عن الإحرام وعن البيت الحرام وعن دخوله الكعبة كما أورد مقابلته مع الأمير فيصل.

ولقد سجل ما شاهده في طريقه والمناطق التي زارها وما تحفل به من دور وقصور وأودية ومساجد وآثار ومشاهد روحانية ، وقد سماها رحلته " الرحلة إلى الحجاز " .

أسلوب الرحلة

والمازني لم يجعل رحلته بالفصول والأبواب مثل الكتب العادية ، بل تحدث في رحلته تحت عناوين خاصة ، فبدأ رحلته بذكر أول مدينة في الحجاز التي نزل فيها أي مدينة " ينبع " فعنون " في الطريق إلى ينبع " ، ولما وصل إلى مدينة جدة، فتحدث تحت عنوان " في جدة " ، وهكذا " بين جدة ومكة " و " وفي مكة " و " بين مكة والكندرة " و " في وادي فاطمة " و " وفي بيت العويني " .

والمازني يمتاز في رحلته بإتيان الكلمات والجملة السهلة والدقيقة ، وأسلوبه النثري أدبي الذي يمتاز بالسهولة والسُّخرية، والطلاقة في التعبير كما يمتاز بالتفصيل في ذكر العادات والتقاليد الشائعة في اللباس والأكل في الحجاز وما وحولها ، وما ترك شيئا حتى تحدث عن الإحرام ومقابلته مع الأمير .

والمازني يتحدث في هذه الرحلة كالقصة المربوطة والمحبوكة وقد ظهرت فيها روح السخرية واللعب والمرح وقد تجاوز في بعض الأماكن التي لا تليق في الأماكن المقدسة. وكما قال الدكتور محمد الشريف تعليقاً على رحلة المازني أنها خالية من حرارة الإيمانيات والشوق للأماكن المقدسة.

نماذج من رحلته

---

(1) نفس المرجع، ص/ 24.

ونجد هذه السخرية والدعابة في قوله :

" ولم يكن في الدكاكين أحد لأنه كان وقت الصلاة، وكان الطريق غاصاً بالأطفال يمشون وراءنا، ويحفون بنا في خرق ممزقة ومراقع لا تكاد تستر شيئاً " (1)

" ولم أر امرأة ولا بنتا، إلا واحدة في نحو السابعة من عمرها ملفوفة في ملاءة قذرة وفي أحد أذنيها قرط من العقيق، وقيل لي إن النساء لا يخرجن من البيوت، والأهالي خليط من كل جنس وملة" (2)

ويتحدث المازني عن مدينة ينبع مفتخرا بأميرها وسلطانها، فيقول :

" وفي ينبع عشرة آلاف نسمة وأقل من مائة جندي، والحكومة كأبسط ما تكون، ولا حاجز هناك بين الأمير وأحقر الأهالي، وسلطان الحكومة ليس مستمدا من الخوف الذي تبعثه القوة، بل من الاحترام والحب والتعاون، وآية ذلك أن الناس صريحون مع حكامهم وأن الحكام لا يبدو عليهم تكلف، ولا تكون الصراحة مع الخوف والتقية، ولا الخوف مع البشر الذي ينضخ به الوجه ولا يخفى فيه صديق السريرة.. " (3)

ولما وصل إلى جدة فيصف مدينة جدة حيث يقول :

" وليس في جدة فنادق ينزل فيها القاصدون إليها، وإنما ينزل الناس في بيوتهم الأهالي، فمن شاء استأجر منزلاً بأسره، ومن كان لا يسمعه ذلك قنع بغرفة مؤثثة ، ... أما نحن فكنا ضيوفاً على الحكومة، وكان العزم أن ينزلونا جميعاً في بيت واحد ولكن الأعيان تزاحموا علينا فقسمونا ثلاث فرق "(4)

وقد يصف أحوال الطرق في جدة فيقول :

" وأحب أن أعين القارئ على تصور حالة جدة وعمل البلدية فيها، فأقول إن الطرق غير مرصوفة كما هي في مصر ولكنها نظيفة على الجملة.."(5)

وقد يصف الطريق إلى مكة فيقول :

(**1**) نفس المرجع، ص/ 14.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 14.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 26.

(**4**) نفس المرجع، ص/ 43.

(**5**) نفس المرجع، ص/ 53.

" والطريق إلى مكة طريقان واحد للسيارات وهو حسن ومكبوس بما نسميه " وابور الزلط " وقد رأينا " الوابور " يستريح عند سفح الجبل، والآخر للجمال والمشاة، على يميننا ويسارنا، " [1]

ويصف المازني المسجد الحرام وأبوابه فيقول:

" وللحرم عدة أبواب، ينحدر منها المرء إلى صحن رحيب جدا يدور بالكعبة، كصحن الأزهر إلا أنه أوسع كثيراً ، وأرضه رمل حصي، ولكنه حول الكعبة مبلط، وكذلك ما بين الأبواب وهذا المطاف، وقد تسلمنا شيخ المطوفين ومضى بنا إلى مقام إبراهيمν ووقف بنا وصفنا بين المقام وزمزم وقال صلوا ركعتين ففعلنا ثم نهضنا وبدأ الطواف" [2]

وقد يصف الحجر الأسود بطريقة جيدة حيث يقول:

" ووددت لو أتيح لي أن أتمهل عند الحجر الأسود فإنه عجيب، ولكن الزحام كان شديداً، ولسنا بأحق من سوانا بذاك، وهو أسود فاحم ووضاء مشرق، وحوله إطار بيضاوي من الفضة والمرء يحتاج حين يقبله أن يدخل وجهه فيه لأنه ـ أي الحجر ـ مجوف، وأحسب أن ألسنة مئات الملايين من الخلق قد لحسته وأكلته، أو ، لا أدري، لعله كان هكذا أبداً، وقد قلت وأنا أفعل ما فعلت الملايين قبلي وما ستفعل الملايين بعدي، كما قال عمر بن الخطاب : [اللهم إني أعلم أن هذا حجر لا يضر ولا ينفع ولولا أني رأيت رسول الله γ يقبله ما فعلت] [3].

وقول عمر η الذي نقله ما وجدته في كتب الحديث وأتأكد أنه كتب مفهوم قول عمر η ، لأن الحديث الذي وجدت في كتب الحديث هو : [وأخبره بأنه حجر لا يضر ولا ينفع يريد ما كان على هيئته حجراً وإنه إنما يقبله متابعة للسنة] [4]

---

(1) نفس المرجع، ص/ 70.

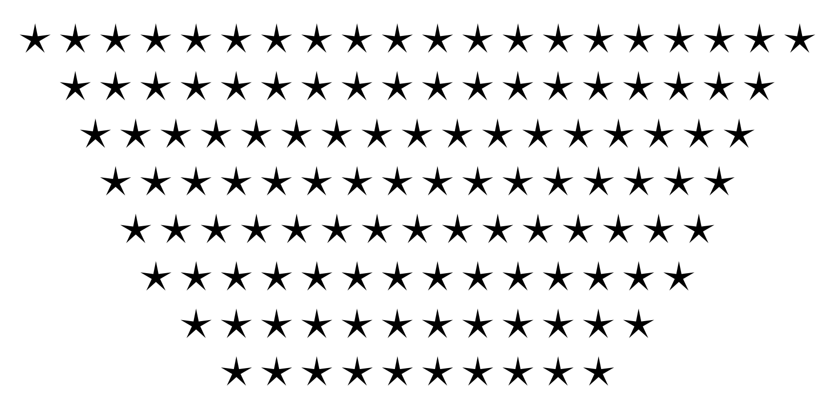
(2) نفس المرجع، ص/ 83

(3) رحلة إلى الحجاز، ص/ 84.

(4) شعب الإيمان للبيهقي، ج/5، ص/ 480.

وفي آخر الرحلة قدم خاتمة الرحلة وتحدث فيها عن مراحل التطور والنمو في بلاد الحجاز ، وعن الحكومة التي سلك طريق التقدم والتطور ، ويذكر الخدمات التي خدمت الحكومة للشعب السعودي والحجاز .

وفي الختام أقول إن الحق هو أن هذه الرحلة من أجود الرحلات في الأدب العربي ، وهي إضافة جيدة في المكتبة الأدب العربي. وأسلوبه في الرحلة سلسلة وسهلة ، وسلك طريق القصة المربوطة ، بالإضافة إلى الحوار والمحادثة زملائه في رحلته.



الباب الثالث

أهم الرحالة العرب وغيرها

- **الفصل الأول:** التعريف بأهم الرحالة العرب
- **الفصل الثاني:** التعريف بأهم الرحالة غير العرب إلى الحجاز.
- **الفصل الثالث:** التعريف بأهم الرحالة العرب إلى الحجاز.
- **الفصل الرابع:** التعريف بأهم المؤلفات في أدب الرحلة إلى الحجاز.

الحجاز لغة واصطلاحا وموقعه وحدوده

بلاد الحجاز ذات أهمية كبيرة في تاريخ الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول γ وطيلة العصور الإسلامية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، حيث احتوت أرضه الطاهرة على مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولأجل أرض المقدسة في بلاد الحجاز تركت أثراً عظيماً في نفوس المسلمين. وبلاد الحجاز جزاء من موضوع هذا البحث فمن الضروري علي أن أقدم المعلومات الضرورية والمفيدة بالتفصيل عنها، وأولاً أبدأ عن معنى الحجاز لغة واصطلاحاً.

الحجاز لغة واصطلاحاً

معنى الحجاز

حجاز على وزن فِعَال ، ومصدرها حَجْزٌ و معناه " الحاجز والمانع" وفي اللغة "حجزه يحجزه " إذا منعه وصده عن قصده " [1]

ويقول ابن منظور في لسان العرب : " الحَجْز الفصل بين الشيئين حَجَز بينهما يَحْجِزُ حَجْزاً وحِجازَةً فاحْتَجَز واسم ما فصل بينهما الحاجِزُ الأَزهري الحَجْز أَن يَحْجِز بين مقاتلين، والحِجَاز الاسم. وكذلك الحاجِزُ قال الله β (❒◆♉⌂➔⌂✍• 🖃♦✓⇗□☙ ✁✍⑥⑦⇗♦⇔❷◆③⇗♊⇨ ■♦🔔♉⇖❽🕒✁ 🗏) [2] أَي حِجازاً بين ماءٍ مِلْح وماءٍ عَذْبٍ لا يختلطان وذلك الحجاز قدرة الله وحَجَزَه يَحْجُزُه حَجْزاً منعه." [3]

ثم يقول: "والحِجاز البلد المعروف سميت بذلك من الحَجْز الفصل بين الشيئين لأنه فصل بين الغَوْر والشام والبادية وقيل لأَنه حَجَز بين نَجْدٍ والسَّراة وقيل لأَنه حَجَز بين تِهامة ونجد وقيل سميت بذلك لأَنها حَجَزَتْ بين نَجْد والغَوْر وقال الأَصمعي لأَنها احْتُجِزَتْ بالحِرَار الخمس منها حَرَّة بني سُلَيْم وحَرَّة واقِمٍ ، ويقال

(1) معجم ما استعجم ، لأبي عبيد البكري الأندلسي، ص/ 12

(2) سورة النحل، رقم الآية/61

(3) لسان العرب لابن منظور، ج/3 ، ص/ 63

للجبال أَيضاً حِجاز ومنه قوله ونحن أُناس لا حِجازَ بأَرْضِنا وأَحْجَزَ القومُ واحْتَجَزُوا وانْحَجَزُوا أَتَوا الحِجازَ وتَحاجَزُوا وانْحَجَزُوا واحْتَجَزُوا تَزايَلُوا " (1)

"والحِجاز حبل يلقى للبعير من قِبَل رجليه ثم يناخ عليه ثم يشدّ به رُسْغا رجليه إِلى حِقْوَيْه وعَجُزُه تقول منه حَجَزْت البعير أَحْجِزه حَجْزاً فهو مَحْجوز "(2)

قال ذو الرمة:

حتّى إذا كُنَّ محجوزاً بنافذةٍ وَزَاهِقــاً وَكِــلاَ رَوْقَيْــهِ مُخْتَضِــبُ(3)

"وقال الجوهري هو أَن تُنِيخ البعير ثم تشدّ حبلاً في أَصل خُفَّيْه جميعاً من رجليه ثم ترفع الحبل من تحته حتى تشدّه على حِقْوَيْه وذلك إِذا أَراد أَن يرتفع خفه وقيل الحِجاز حبل يشد بوسط يَدَي البعير ثم يخالَف فتُعْقد به رجلاه ثم يُشَدّ طرفاه إِلى حِقْويه ثم يلقى على جنبه شبه المِقْمُوط ثم تُداوَى دَبَرته فلا يستطيع أَن يمتنع إِلا أَن يجر جنبه على الأَرض وأَنشد كَوْسَ الهِبَلّ النَّطِفِ المحْجُوز " (4)

ويقول الفيروز آبادي: " حَجَزَهُ : يَحْجُزُهُ ويَحْجِزُهُ حَجْزَاً وحِجّيزَى وحِجَازَةً : منَعَهُ وكفَّهُ فانْحَجَزَ و بينهما : فَصَلَ ، والبعيرَ : أناخَهُ ثم شَدَّ حَبْلاً في أصلِ خُفَّيْهِ من رِجْلَيْهِ ثم رَفَعَ الحَبْلَ من تَحْتِهِ فَشَدَّهُ على حَقْوَيْهِ لِيُدَاوِيَ دَبَرَتَهُ . وذلك الحَبْلُ وكلُّ ما تَشُدُّ به وسَطَكَ لِتُشَمّرَ ثِيَابَكَ : حِجَازٌ . والحَجَزَةُ : الظَّلَمَةُ الذينَ يَمْنَعُونَ بعضَ الناسِ من بعضٍ ويَفْصِلونَ بينهم بالحقّ جمعُ حاجِزٍ . والحِجَازُ : مكةُ والمدينةُ والطائِفُ ومَخَالِيفُهَا لأنها حَجَزَت بينَ نَجْدٍ وتِهامَةَ أو بينَ نَجْدٍ والسَّراةِ أو لأَنَّها احْتُجِزَتْ بالحِرارِ الخَمْسِ حَرَّةِ بني سُلَيْمٍ وواقِمٍ ولَيْلَى وشَوْرَانَ والنارِ . " (5)

---

(1) نفس المرجع

(2) نفس المرجع

(3) ديوان ذو الرمة ، ج/1، ص/ 10

(4) لسان العرب لابن منظور، ج/3 ، ص/ 64

(5) قاموس المحيط، ج/1، ص/653

الحجاز : " هو الحاجز، و الحِجاز ما يُشَدُّ به الوسطُ لتشمّر الثياب. و الحِجاز عِقال الدابة. و الحِجاز من بلاد العرب : ما بين تِهامةَ ونجد. و الحِجاز نوعٌ من أَلحان الموسيقى "[1]

حاجِز ، فاصل بين شَيْئَيْن " أقام حِجازًا بين الحديقَتيْن " [2]

عرفنا من هذه المعاني أن كلمة " الحجاز " كلمة عربية ، ومعناها " الحد الفاصل " ولكن الخلاف هو على السبب الذي أطلق على هذه المنطقة اسم الحجاز وكذلك على الأقاليم التي يحجز بينها، وعلى حدوده الجغرافية ، وهذا الخلاف سنعرفه في المعنى الاصطلاحي.

وينقل الحموي عن الأنباري : " أن في الحجاز وجهين يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه إذا شده شداً يقيده به، ويقال للحبل حجازاً، ويجوز أن يكون سمي حجازاً يحتجز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت " [3]

يقول بكر بن عبدالله أبو زيد: " الحجاز" في اللغة : الحد الفاصل ، وفي سبب تسميته توجيهان:

الأول : سميت الحجاز حجازاً ، لأنها قد احتزمت واحتجزت بالجبال ، أو بالحرار، أو بهما، فسميت حجازا، فهو من الاحتجاز ، بمعنى شدِّ الوسطِ بالحُجزة، أو بالحجاز.

الثاني : لأن جبالها وحرارها قد حجزت بين نجد والسراة أو بين نجد واليمن ، أو بين نجد وبين إقليم تهامة، أو بين الشام والغور ، فسميت بذلك حجازاً. " [4]

الحجاز في الاصطلاح

---

(1) المعجم الوسيط، مادة / حجز، ص/ 157.

(2) قاموس اللغة العربية المعاصر.

(3) معجم البلدان، ج/2، ص/219

(4) خصائص جزيرة العرب ، لبكر بن عبدالله أبو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف. ص/25 .

" وفي حديث حارث بن حسان يا رسول الله [إِن رأَيْتَ أَنْ تَجْعَلَ الدِّهْناء حِجازاً بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِيْ تَمِيْم][1] أَي حدًّا فاصلاً يَحْجِزُ بيننا وبينهم قال وبه سمي الحِجازُ الصُّقْعُ المعروف من الأَرض. [2] "

قال الحسن : "إنما سمي الحجاز حجازاً لأنه حجز على الأنهار والأشجار"[3].

يقول الأزهري : " أن الحجاز سمي حجازاً لأن الحرار حالت بينه وبين عالية نجد " [4]

ويقول ياقوت : قال بعض أهل السير : " إنه لما تبلبلت الألسن ببابل وتفرقت العرب إلى مواطنها سار طسم بن أرم[5] في ولده وولد ولده ليقفوا آثار إخوته. وقد احتووا على بلدانهم فنزل دونهم بالحجاز فسموها حجازاً لأنها حجزتهم عن المسير في آثار القوم لطيبها وكثرة خيرها" [6] .

وقال الخليل بن أحمد : "سمي الحجاز حجازاً لأنه فصل بين الغور وبين الشام وبين تهامة ونجد والحجاز جبل ممتد حال بين الغور: غور تهامة ونجد فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجزاً بينهما" [7]

ويقول علي بن تاج الدين في كتابه قائلاً :"يسمى حجازاً لأنه حجز بين العراق ونجد . وقيل لأنه حجز بين الشام والبادية، وقيل لأنه حجز بين نجد والغور والإقليم فرسخ " [1]

(**1**) مسند إمام أحمد ، ح/15953

(**2**) لسان العرب، ج/ 7 ، ص/ 197، وانظر الحجاز في صدر الإسلام ، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، للدكتور صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ص/ 62

(**3**) معجم ما استعجم ، ص/ 11

(**4**) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق هارون وآخرون، القاهر، 1964 ، ج/4، ص/ 122.

(**5**) هو طسم بن لاود بن ارم طسم بن لاوذ بن سام أو طسم بن كاثر . ومواطن طسم كانت اليمامة وعند البعض الاحقاف والبحرين . وهناك من يقول، أن طسماً وجديساً سكنتا اليمامة معاً ، وهي إذ ذاك اخصب البلاد واعمرها. (المفصل لجواد علي ، ، ج1 ، ص335)

(**6**) معجم البلدان ، ج/2 ، ص/ 219

(**7**) نفس المرجع

وذكر الأصمعي فيما رواه عنه ابن الفقيه وياقوت أنه : " سمي الحجاز حجازاً لأنه يحجز بين تهامة ونجد " . [2]

موقعه وحدوده

وقد اختلف أقوال المؤرخون والجغرافيون في تعيين موقع الحجاز وتحديد حدوده ، رغم ذلك ا لاختلاف أن الحجاز هو إقليم مستطيل واختلف حدوده مع مرور العصور وباختلاف السياسة والدول ، وتبعاً تختلف الأقوال والآراء في تعيين حدوده الطبيعية ، وأعرض في هذا المبحث تلك الآراء والأقوال المتقدمين والمتأخرين .

آراء المتقدمين حول حدود الحجاز

التعريفات التي أوردنا أعلاه فهي تستند إلى أسس جغرافية، حيث أن تهامة وهي من الأراضي المتموجة بين سهول الغور الساحلية الضيقة الممتدة على طور البحر الأحمر، تختلف عن هضبة نجد المرتفعة. ومن المعروف أن جبال السراة تكون متقطعة ومنخفضة ومنفصلة عن نجد، وهذه الحقيقة الجغرافية لم تفت العلماء في الماضي ، فقد أدركوا العلاقة بين الحجاز والسراة، ولكنهم اختلفوا في تقدير هذه العلاقة، فقد ذكر ابن دريد فيما رواه عن البكري " سمي حجازاً " لأنه حجز بين نجد والسرة، وبذلك اعتبر الحجاز متميزاً عن السراة وواقعاً في شرقيها كما يفصلها عن نجد . [3]

وسلسلة جبال السراة تمتد من أقصى جنوب الجزيرة إلى شماليها، تاركه سهول تهامة الضيقة في الغرب، وهضبة نجد في الشرق ، وأن هذه السلسلة تكون مرتفعة متصلة في الجنوب ، ثم تنخفض وتنقطع في الوسط والشمال.

وعرف الهمداني السراة بقوله قائلاً: " جبل السراة الذي بين نجدها وتهامتها وسمي طوداً " [4]

---

(1) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ج/1، ص/ 205.

(2) الحجاز في صدر الإسلام، ص/ 64

(3) نفس المرجع

(4) صفة جزيرة العرب ،للهمداني، تحقيق محمد النجدي،1953، ص/ 108

وذكر نصر فيما نقله عنه ياقوت : " السراة وهي الجبال المتصلة بعضها ببعض الحاجزة بين تهامة واليمن " (1)

وذكر الحازمي فيما نقله عنه ياقوت : " السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سعة باليمن أخص " (2)

ويقول الهمداني في تعيين حدود الحجاز: " هو إقليم الجبال الممتدة من خلي العقبة حتى منطقة عسير جنوباً ويحده من الغرب منطقة تهامة ومن الشرق جبال السراة وطوله من الشمال إلى الجنوب سبعمائة ميل وعرضه من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة وخمسون ميلاً " (3)

ويقول الإمام الشافعيρ "أن الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها، ولا يحب دخول مشرك بلاد الحجاز، ولا يقيم الذمي أكثر من ثلاث ليال"(4)

ويناقش تقي الدين محمد بن أحمد الآراء عن حدود الحجاز وينكر القول بأن نجران من أقاليم مكة ويشير إلى أن نجران وبلاد بجيلة(5) ليست من الحجاز (6).

ويقول لبيب البتنوني في الرحلة الحجازية : " أما الحجاز فهو إقليم مستطيل يحده غربا البحر الأحمر، وشرقا البادية الكبرى، وجنوبا بلاد عسير ، وشمالاً بادية الشام ، وطوله من الشمال إلى الجنوب يبلغ 1500 كيلومتر، وعرضه من الغرب إلى الشرق يبلغ ثلاثمائة كيلومتر. ويقطعه من الشمال إلى الجنوب جبال السراة ويبلغ ارتفاع بعضها 8000 قدما ، وفيها مياه كثيرة وغابات وبساتين وقرى آهلة بالسكان من الأعراب ، ومنحدرات هذه الجبال يتصل بها سهل إلى البحر يسمونه تهامة، وأرضه رملية وبعضها صالح للزراعة، ويزرع فيها الحبوب وغيرها من الحضر" (7)

(**1**) معجم البلدان ، ج/3، ص/ 329

(**2**) نفس المرجع، ج/3، ص/65

(**3**) صفة جزيرة العرب، ص/ 48

(**4**) كتاب الأم للإمام الشافعي، ج4، ص178.177

(**5**) بلاد بجيلة : السراة الواقعة جنوب الطائف إلى تربة وتسمى ديار بني مالك ، (معجم قبائل الحجاز ، للبلادي، الطبعة الثانية، دار مكة، 1403هـ، ص35.)

(**6**) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، لتقي الدين محمد بن أحمد، مكتبة نزار الباز، ج/1، ص/ 69

(**7**) الرحلة الحجازية لبيب البتنوني، ص/ 37-38

وينقل ياقوت الحموي في معجم البلدان عن الأصمعي حدود الحجاز فقال : "الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازًا لأنه حجز بين تهامة ونجد؛ فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية".

وقال في موضع آخر: الحجاز اثنتا عشرة دارًا: المدينة وخيبر ومذك وذو المروة ودار بلي ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوازن وجُلُّ سليم وجُلُّ هلال وظهر حرة ليلى ومما يلي الشام شغب وبدا"[1].

ويقول ياقوت الحموي في حد الحجاز : " حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة، فنصف المدينة حجازي ونصفها تهامي، وبطن نخل حجازي وبحذائه جبل يقال له الأسود نصفه حجازي ونصفه نجدي، ذكر ابن أبي شبة أن المدينة حجازية."[2]

يقدر عمر فاروق سيد قائلاً: " مساحة الحجاز نحو 135 ألف ميل مربع"[3]

ويقول بكر بن عبدالله : " الحجاز حجازان :

1. حجاز المدينة : وهو ما حجزته الحرار، والحرارُ الحاجزة: هي خيط من حجارة سوداء، تمتد من الجنوب إلى الشمال في سلسل متتابعة، وفتتسع أحيناً، وتضيق أحياناً في مواضع. وهي من الجنوب مما يلي مكة إلى المدينة شمالاً فتبوك، حرَّة بين سليم، فحرة واقم ، فحرةُ ليلى، فحرَّة شوران، فحرّة النار، وهي أطولها مسافة.
2. الحجاز الأسود : وهو ما حجزته الجبال ، وهي: سرةُ شنوءة، وسلسل جبال السراة هذه هي أعظم جبال في بلاد العرب."[4]

---

(1) معجم البلدان ، ج/2، ص/ 219

(2) نفس المرجع

(3) دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية لعمر الفاروق سيد، ط/1، دار الشروق، حاشية ص/55

(4) خصائص جزيرة العرب لبكر بن عبدالله أبو زيد، ص/ 23

وقد أفتى العلماء في موقع إسلام ويب في جواب لسؤال : حدود الحجاز وهل مكة جزء منها؟ ونص تلك الفتوى هو :

"فبلاد الحجاز هي مكة والمدينة واليمامة وما والاها، وقد تحدث أهل العلم عن هذه الحدود عند شرحهم للأحاديث التي تأمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب، جاء في فتح الباري: لكن الذي يمنع المشركون من سكناه منها جزيرة العرب الحجاز خاصة وهو: مكة والمدينة واليمامة وما والاها. انتهى.

وفي مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: قال النووي: أوجب مالك والشافعي وغيرهما من العلماء إخراج الكافر من جزيرة العرب وقالوا لا يجوز تمكينهم من سكناها، ولكن الشافعي خص هذا الحكم بالحجاز وهو مكة والمدينة واليمامة وأعمالها دون اليمن وغيره.

من هنا يعلم أن بلاد الحجاز تشمل مكة.

وبعضهم لا يعتبر مكة حجازية، بل تهامية، ففي معجم البلدان: قال الأصمعي أيضا في كتاب جزيرة العرب الحجاز اثنتا عشرة دارا: المدينة وخيبر وفدك وذو المروة ودار بلي ودار أشجع ودار مزينة ودار جهينة ونفر من هوازن وجل سليم وجل هلال وظهر حرة ليلى . ومما يلي الشام شغب وبدا، وقال الأصمعي في موضع آخر من كتابه: الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتبالة إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازا، لأنه حجز بين تهامة ونجد فمكة تهامية والمدينة حجازية والطائف حجازية، وقال غيره حد الحجاز من معدن النقرة إلى المدينة فنصف المدينة حجازي ونصفها تهامي وبطن نخل حجازي وبحذائه جبل يقال له الأسود نصفه حجازي ونصفه نجدي. [1]"

آراء المتأخرين والمعاصرين حول حدود الحجاز

---

(1) **http://www.islamweb.net**, فتوى رقم : 151919 ،عنوان الفتوى: حدود الحجاز وهل مكة جزء منها ، تاريخ الفتوى: 17-3-2011

وقد اختلف المتأخرون والمعاصرون في تعيين حدود الحجاز واكتفي هنا ببعض الآراء :

يقول فؤاد حمزة : "إن جبال السراة هي التي تقسم جزيرة العرب إلى قسمين شرقي وغربي، وهي محاذية لساحل البحر الأحمر من شمال مدين إلى اليمن، وقد سميت حجازاً لأنها حجزت بين ساحل البحر الأحمر وهو هابط عن مستواها وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربي، وقد سمى القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة، وسمي القسم الشرقي منه نجداً" (1)

ويرى صالح العلي أن القول بأن السراة هي الحجاز غير وافٍ ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لا تسمى حجازاً وإن مسمى الحجاز يتركز في وسط السلسلة، وبعد عرض ونقاش لآراء المؤرخين والجغرافيين المتقدمين ينتهي إلى أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة ونجد غير أن التوسع في الجهة الشرقية كان متأثراً بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلف" (2)

ويقدم أحمد الشريف تحديدًا للحجاز لعله أكثر وضوحاً حيث يرى أن الحجاز في العرف لا يقتصر على الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير بل يشمل تهامة. ويقدر المسافة من الشمال إلى الجنوب بـ سبعمائة ميل طولاً، ومائتين وخمسين ميلاً عرضاً. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأطوال قد تتفاوت من موقع إلى آخر بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر، ويشمل القسم الشمالي من الحجاز في رأيه أرض مدين "وحسمي"، وهي الجبال الواقعة شمال تبوك مما يلي أيلة "العقبة"(3)

يقول حافظ وهبة في كتابه : " يقع الحجاز من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية، وهو يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث

(**1**) قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، 1388هـ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص/17

(**2**) الحجاز في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، 1410هـ - 1990م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص73.61.

(**3**) قبيل ظهور الإسلام، بحث في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدون، جامعة الملك سعود، 1989/1410، ج1، ص19.

والقُنفَذَة[1] على شاطئ البحر الأحمر . أما حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماماً ، بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأتراك والأشراف، ومبلغ سيطرتها على البلاد "

ثم يقول " وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف، فإذا قالوا: إن هذا البدوي حجازي، يعنون أنه من جنوبي الطائف ، وهذه التسمية لها وجه، فإن جبال السَّراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز، بمعنى أنها فاصلة بين الغَور وهو تهامة ونجد " [2]

يقول البستاني : " يحد الحجاز شمالاً البادية وشمر وشرقاً البادية ونجدو جنوباً اليمن وغرباً البحر الأحمر [3].

مناطق الحجاز الطبيعية

تتكون الحجاز من عدة مناطق طبيعية محاذية بعضها البعض وهي :

1. **المنطقة الساحلية** : وهي المنطقة الممتدة بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر (تهامة) ، وتحفها شعاب مرجانية .
2. **منطقة جبيلة عالية** : تأخذ في الانخفاض التدريجي حتى تصل إلى ما بين جدة ومكة إذ لا يزيد ارتفاعها هنالك عن ألفى قدم.
3. **منطقة نجدية**: (واقعة بين جبال) مرتفعة جداً في الشمال، ومغطاة بالحُمِ (السائل البركاني) من العويرض ، ولكنها تأخذ في الانخفاض في اتجاهها للجنوب، فيصل ارتفاعها في غربي مكة والطائف إلى نحو ألف قدم .

(**1**) في الحرب الحجازية الأخيرة ضمت العقبة ومعان إلى شرقي الأردن، ولكن الحكومة السعودية لم تعترف بهذا الضم، واتفقت مع الحكومة البريطانية صاحبة الأنتداب على شرقي الأردن على حل هذه المشكلة بالمفاوت السياسية، ولم تترك الحكومة العربية السعودية موضوع العقبة وعمان بعد إعلان استقلال الأردن فإن وجود إسرائيل كاف لإزالة أي خلاف بين العرب فإن خطر إسرائيل يهدد الجميع على السواء. (جزيرة العرب في القرن العشرين،حاشية ص/ 14)

(**2**) جزيرة العربي في القرن العشرين لحافظ وهبة، ط/3، 1375 هـ، دار الآفاق العربية ، قاهرة مصر، ص/14.

(**3**) دائرة المعارف، للبستاني، ج/6، ص/ 691

4. **الأخدود الرئيسي**: الأجزاء المرتفعة منه مغطاة بالحُمِ كما هو الحال في الخرمة العويرض ، خيبر ، ولكنه لا يزل محتفظاً بارتفاع لا يقل عن خمسة آلاف قدم خلف مكة .
5. **المنطقة الأخيرة** : هي أعلى حافة المنحدر الشرقي في اتجاه قلب الجزيرة ، ففي المنطقة الأولى والثالثة تقع المدن الآهلة بالسكان، [1]

فميناء العقبة والموَيلح والوجه، وأملُج ، وينبُع ، ورابغ ، وجدة، والليث واقعة في المنطقة الأولى. وميناء العلا ، والمدينة ومكة واقعة في المنطقة الثالثة . ويوجد في الحجاز واحات خصبة متفرقة هنا وهناك، وهي على الأغلب واقعة على خط بين المنطقة الرابعة والخامسة، ومنها الحائط، والحوَيط ، فدك ، خيبر والطائف وغيره. [2]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★
★★★★★★★
★★★★
★★
★

---

(1) المرجع السابق، .

(2) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 15.

مدن الحجاز

نظراً لأهمية بلاد الحجاز التاريخية التي امتدت إلى عهود قديمة وموقعها على طرق القوافل التجارية، فقد كان للحجاز كغيره من مناطق الجزيرة العربية أهمية كبيرة كونه مركزاً هاماً بين مراكز الحضارات القديمة في العراق ومصر والشام واليمن .

وبذلك فقد نشأت عدة مدن تجارية في الحجاز ، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وخيبر ووادي القرى من اجل تقديم الخدمات لتجار القوافل .

لقد أورد الجغرافيون العرب المسلمون عدة مدن للحجاز ، وذكروا أن من أهم المدن الرئيسة فيها ، مكة والمدينة [1].

بينما حدَّد المقدسي الحجاز بالمدن والقصبات التالية فقال : " فأما الحجاز فقصبته مكة ، ومن مدنها يثرب ، وينبع ، وقرح ، وخيبر ، والمروة ، والحوراء، وجدة ، والطائف ، والجار ، والسقيا ، والعوينة ، والجُحفة ، والعُشيرة ، هذه أمهات دونهن بدر ، خليص ، أمج ، بدأ ، الحجر ، يعقوب ، السوارقية ، الفرع، السيرة ، جبلة ، مهايع ، حاذة" [2]، ويظهر من هذا النص أن تقسيمات المقدسي هذه قائمة على أساس كبر المدن .

وهناك عدد من الدراسات ترى أن المدينة من نجد لقربها منها، وأنَّ مكة من تهامة اليمن لقربها منها، ويبدو أن السبب في هذا الخلاف هو أن حدود كل من نجد وتهامة ليست موضع أتفاق بين الجغرافيين العرب، لذا فقد ذهب بعضهم إلى أن تهامة هي الناحية الجنوبية من الحجاز[3]. غير أن أغلب الجغرافيين العرب يرون أن مكة والمدينة هما من مدن الحجاز .

وجدير بالذكر ، أنَّ الحجاز ينقسم على ثلاثة مناطق هي ، المنطقة الشمالية والوسطى والمنطقة الجنوبية . أما المنطقة الشمالية فتمتد من العقبة إلى يثرب وتشمل مدن الحجاز الشمالية وتليها المنطقة الوسطى وتمتد إلى الطائف ولهذه المنطقة أهمية

(**1**) المسالك والممالك للأصطخري، ص/ 21، صورة الأرض لابن حوقل، ص/ 19، تقويم البلدان، لأبي الفداء، ص/ 82.

(**2**) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ص/ 69

(**3**) الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام، للسوداني، ص/2، الحجاز في القرن الثالث الهجري، للجابري، ص/ 20

كبيرة لأنها تضم أهم مدن الحجاز ومنها ، المدينة المنورة الجار[1] ، ثم ينبع (ينبع البحر) ، ومكة وموانئها الشعيبة ثم جدة ، ثم المنطقة الجنوبية الممتدة من جنوب الطائف إلى الليث وتضم جبال الحجاز الأكثر إرتفاعاً[2].

وخلاصة القول ، أنَّ لبلاد الحجاز عدداً من المدن والقرى ذات العمق التاريخي ، ومن أهم المراكز الحضرية المهمة والتي أصبح لها كيان سياسي مستقل منذ عصور سحيقة فضلاً عن الدور الكبير والمهم في الحضارة العربية الإسلامية: (مكة والمدينة والطائف وجدة وينبع) فضلاً عن مدن أخرى إلى جانب هذه المدن وهي : المروة ، والحوراء ، والسقيا ، والعويند ، والجُحفة .

فهذه هي مدن الحجاز التي ذكرناها ولكن سأعرض بعض المدن منها مكة المكرمة والمدينة المنورة سأذكرهما بالتفصيل لأنهما من أهم مدن الحجاز وهما مدينتان كبيرة وكان الرحالون ذكروهما في رحلاتهم إلى الحجاز . أما المدن الأخرى التي سأذكرها هي مدينة جدة والطائف وينبع .

مكة المكرمة

مكة المكرمة من أشهر مدن الحجاز، بها بيت الله والمسجد الحرام، وتقع في واد ضيق عميق يتجه شمالاً مع ميل قليل إلى الشرق، والتلال المحيطة به ترتفع إلى مئات من الأقدام، وتحيط بالوادي إحاطة كاملة، أغنت السكان والأمراء عن بناء سور لحمايتها، وقد شدت عدة ضواحٍ شمالي مكة.

حدود مكة المكرمة

إن مكة المكرمة تقع في جنوب الحجاز على بعد 460 كم من المدينة المنورة، و 73 كم شرق جدة، 98 كم غرب الطائف، وترتفع مكة عن سطح البحر حوالي 330 متر ، ويحدها الشرق نجد ومن الغرب جدة ومن الشمال المدينة المنورة ومن الجنوب عسير اليمن. [3]

---

(1) الجار : مدينة بالحجاز على ساحل البحر الأحمر وهي اهلة عامرة كانت مدينة قريبة من جدة وتقصدها المراكب، (انظر الروض المعطار للحميري، ص/ 153)

(2) الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام للسوداني، ص/ 5 .

(3) تاريخ مكة لمحمد عبدالله المعبود، ص/ 30 ، http://forum.sedty.com/t368987.html

الموقع الفلكي

تقع منطقة مكة المكرمة بين دائرتي عرض 19ْ و 24ْ شمالاً ، وخطي طول 39ْ و 44ْ شرقاً بصفة عامة مع بعد التداخل مع المناطق الأخرى[1].

موقع مكة عند العلماء

يقول السنجاري عن مبدأ ومنتهى مكة : " بلدة عظيمة (مستطيلة ذات شعاب واسعة) ، ولها مبدأ ونهايات ، فمبدأها المعلاة وهي المقبرة الشريفة، ومنتهاها من جانب جدة الشبيكة[2]، ومن جانب اليمن رأس عين يقال لها بازان[3] "

وقال الفاسي:" " طول مكة من باب المعلاة إلى باب ماجن أربعة آلاف ذراع وأربعمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعًا على خط المسعى، ومن باب المعلاة إلى باب الشبيكة على خط الرّدم وتعدل إلى السويقة ثم إلى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعًا. وعرضها من جبل جِزَل إلى أكثر من نصف جبل أبي قبيس وهما أخشباها. "[4]

وقال الأزرقي في أخبار مكة عن موقع مكة: " هي مدينة في جزيرة العرب ترتفع عن سطح البحر بنحو 330 متراً"[5].

وقول الجمهور والقول الأصح هو قول السروجي : " حدُّ الحرم من جهة طريق المدينة دون التنعيم على ثلاثة أميال من مكة، ومن طريق اليمن على سبعة أميال من مكة، ومن طريق الطائف للمار على عرفات من بطن نمرة على ثلاثة أميال من مكة، ومن طريق العراق للمار على ثنية جبل بالمقطع سبعة أميال من مكة، ومن

---

(1) خصائص المناخ في منطقة مكة المكرمة، دراسة تعليمية ، قدمت أمينة بنت عطا الله بن عبد ربه الرحيلي ، في جامعة أم القرى مكة المكرمة عام 2005، ص/13، نفس المرجع

(2) الشبيكة : موضع بين الزاهر ومكة، (معجم البلدان ،ج/3، ص/324) وهي الآن من أحياء مكة المكرمة، تمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ريع الحفائر شمالاً إلى حارة الباب، (معجم معالم الحجاز، ج/5، ص/ 18) .

(3) منائح الكرم ، ج/1، ص/206

(4) نفس المرجع

(5) أخبار مكة، ج/1، ص/ 5.

طريق الجعرانة ومن شعب آل عبدالله بن خالد على تسعة أميال، ومن طريق جُدَّة على عشرة أميال" [1]

وقد نظمها بعضهم :

وللحرم التحديدُ من أرضِ طيبةٍ ثلاثةُ أميال، إذا رُمتَ إتقانه

وسبعة أميال، عراقٌ وطائفٌ وجُدّةُ عشرٌ، ثم تسعٌ جِعرانَه

ومن يمنٍ سبعٌ بتقديمِ سينه وقد كمُلت فاشكر لربك إحسانه[2]

قال الدكتور محمد عبدالفتاح عن حدود مكة : " تقع مكة في منتصف الطريق بين اليمن وبلاد الشام ، وتقوم في واد غير ذي ذرع تحيط به الجبال من كل جانب، إلا من ثلاثة منافذ، يتصل عن طريقها بكل من اليمن وساحل البحر الأحمر وفلسطين. " [3]

ويحدد محمد مصطفى حيث يقول: " تقع مكة في واد منبط، من أودية الحجاز ، وفي أرض قاحلة لا ذرع فيها ولا نبات إلا أنها تمتعت بمركز ديني، نظراً لوجود الكعبة فيها، بالإضافة إلى موقعها الجغرافي الهام، الذي جعلها تتوسط الطريق التجاري، وكان يربطه الشام باليمن" [4]

ويقول محمد إسماعيل في كتابه جغرافية الجزيرة العربية: "أنها تقع على ارتفاع 500 متراً فوق مستوى سطح البحر بين جبلين" [5]

مناخ مكة المكرمة

(1) رحلة الصديق إلى البلد العتيق ، لمحمد صديق حسن خان البخاري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، ص/ 12

(2) ما وجدت قائل الأبيات، ولكن ذكرها محمد صديق البخاري في كتابه رحلة الصديق ونسبها إلى البعض، ص/ 12.

(3) الدولة العربية الإسلامية وحضارتها، لدكتور محمد عبدالفتاح وزملائه، وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية، ص/ 9.

(4) التاريخ القديم للوطن العربي، لمحمد مصطفى فارس وزملائه، وزارة التعليم ليبيا، ص/ 122.

(5) جغرافية الجزيرة العربية، لمحمد إسماعيل وزملائه، ص/ 73

تتميز مكة المكرمة بمناخ جاف ، ودرجة حرارتها مرتفعة جدة في فصل الصيف حتى تصل إلى 49ْ مئوية، وفي الشتاء تختلف درجة حرارتها عن باقي مدن الحجاز ، وتتميز بمناخ دافئ وتتراوح حرارتها بين 25ْ مئوية نهاراً و 17ْ مئوية ليلاً.

أما الأمطار فهي قليلة جدا ، وينزلها عادة في شهور نوفمبر وديسمبر ويناير، ومعدل السنوي لنزول الأمطار في مكة بين 25 و 80 مليمترا ، أما الرياح فتهب من الاتجاهات الشمالية والشمالية الغربية والجنوبية الغربية ، وسرعة الرياح متوسطة بين 3 و 36 عقدة. (1)

أسماء مكة المكرمة

أسماء مكة المكرمة كثيرة بعضها في القرآن وهي الثمانية الأسماء الأولى ، وهي : " مكة ، وبكة ، وأم القرى ، والقرية، والبلد، والبلدة، مسجد الحرام ، والوادي" (2)

مكة : وذلك قوله β : (❒◆♎➔❑◆ ✂☙✎⅄🔔⍼❽
🖅⊠✂● ⬁⬃⬀⬁♑⬃⬀⬁⬃ ⇖◆✡▤➚☠⬁
❒◆🕮❒③⬂⑨⍼③◆▤➚☠⬁ ⇖◆☸⬂☙⬃☠
🖃⍼⌨⍼◆⇧♊⭠ ✋◆▤⅄❑⬩ ✋⍼♊🖅 🖃◆➔⬂⑨⍼
🕮❒⭠⬂⊞⊠❷◆🖅➚☠⬁ ⬂◆🖬■⑩⬂♑⍼⚐⬄ 🕮❒♌⬂
🗐 ❒◆🖅⊠🔔♌◆ ✂☙✎✦ 🖃⍼☺⌧☙
✍⬩➔⬂☺⌧🖬➔❑♌◆ 🖃◆🕗⬁❷❸☆✂ ⇫⍻⍆⭠) (3)

يقول الشيخ المالكي في سبب تسمية مكة :" لأنها يؤمها الناس من كل فج عميق فكأنها تجذبهم إليها، وقيل : لأنها تمك من ظلم فيها ـ أي : تهلكه ـ من قولهم: مككت الرجل إذا أردت أن تهلكه ، وقيل : لأنها تمك الذنوب ـ أي : تذهب بها ـ وقيل غير ذلك " (4)

بكة : قال β : (◑⍼♌□ 🕮❒❒□✌◆ 🖃◆⑩⬂💣▭
❒⬉⬀⬈➚⌧ ♍⍼🖬✡□☙□⬀ ♍⬩✂⅄🔔⍼❽

---

(1) http://ar.wikipedia.org/wiki/

(2) منائح الكرم، ج/1، ص/ 213.

(3) سورة الفتح، رقم الآية/ 24

(4) تحصيل المرام ، ج/1، ص/484

[illegible] ([illegible])[1]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: [**لِأَنَّهَا تَبُكُّ أَعَنَاقَ الجَبَابِرَة ــ أَي : تَدُقُّهَا ـ وَمَا قَصَدَهَا جَبَّار إِلَّا قَصَمَه الله تعَالَى**] [2] .

لأنها تضع من نخوة المتكبرين ، ولذا لا يدخل فيها متكبّر إلا ذلك واضعا رأسه .

قال ابن الجوزي : " اتفق العلماء أن مكة اسم لجميع البلد، واختلفوا في بكة، فقال جماعة من العلماء: إن بكة هي مكة ، وقيل: بكة اسم للبقعة التي فيها الكعبة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ومكة اسم لما وراء ذلك . وقيل بكة : اسم للكعبة والمسجد، ومكة اسم للحرم كله . " [3]

البلد : قوله β : ([illegible])[4].

قال القرطبي : " أجمعوا على أن البلد مكة، والبلد في اللغة : صدر القرية."[5]

أم القرى : ففي قوله β : ([illegible])[6]

البلدة : ففي قوله β :([illegible]

(**1**) سورة آل عمران، رقم الآية/ 96

(**2**) أخبار مكة للفاكهي، ج/2، ص/282.

(**3**) الصحاح للجوهري، ج/5، ص/ 1896.

(**4**) سورة البلد، رقم الآية/ 1

(**5**) تفسير القرطبي، ج/20، ص/ 60.

(**6**) سورة الشورى، رقم الآية/ 7

🕛⬉🕮⬩✏◆❒ 🙰⮹♑◆👌▪❷⌧❍ ❽🙵🔔⮝✏🙰✃
🖹🡪🙆❻★⌧🙼⬄⬀🕮 ☎)[1]، فيه إشارة إلى مكة المكرمة .

القرية : قوله β : (❒◆🙵⬩❸◆⯐⌘ ✃🙰✏✦ 👌◆⯑⬩⯑⌧⯑
🔔⬩❷⬀③◆❒🏵 🖹⬩🙰⬃◆💣⇳ ⬀◆✃👌🙵⯐⬩❒🏵
👌🙲➲⇳☺⮹⌑🙼🏵❒🏵 ③◆🕯🖎⬩🙵⓿♑⮹🙰
❻🙼🐶⬂🔔➔♑⮹🙰 ❻◆⬊⌧⑨⯐✃ 👌♓🙵♊
)[2] (🖅⬀🙚♏🗂👌◆⬚⬩🔔♌🖫

فيه إشارة إلى مكة، والقرية اسم لما يجتمع جماعة كثيرة من الناس ، من قولهم: قريت الماء في الحوض إذا جمعته فيه.

المسجد الحرام : ففي قوله تعالى : (🙭⬩🖖◆⑨⇳⌘⬀🖬➔♊❍
✃🙰🙭⬂☺⮹❍⬄⬈⬁⑨⮹ ✃🙰🙭⬂⬩⮹❷◆✃🏱◆
🕖🙚♌ 🔺⌧🙰✏⬀◆ ✦✏🙰✃ ⬀◆✃👌🙵🏵🙵✓▫🙥
👍➔◆◆🖬🙸🙵🕖⬁✓×◆ ❻⬇⬀⬇❒🙥⮹▤⬀☠⬁
) ☎ 🙥♍❑➔▫🙰⬩③❒👌 ⬥⬥ ⌘♊③🙞❸⬁♉⬅⬩🕖⬉👌◆❒ (
[3]، في هذه الآية إشارة إلى مكة المكرمة .

البلد الأمين: قوله β : (❒◆♎⮹🕛⓿⌧✃
[4] (⬅🕸⬀ ⬀×✓🙵👌☞🏵🙰✃ 🙵🙰⬩✃◆🖮⬂🙭🙰✃

وذكر العلامة جمال الدين محمد جار الله في كتابه حوالي 48 اسماً لمكة المكرمة وهي :

" والنساسة، والنّاسة، وكوثى، والحرم ، وبرّة، والمسجد الحرام، ومعطش، والرتاح، وأم رُحم، وأم زُحم ، وأم صبح ، وأم روح، وبساق، والحاطمة، وصلاحِ، والعَرْش، والعريش، والقادس، والقادسية، والبيت العتيق، والراس، وأم الرحمن ، وأم كوثى ، والسلام، والعذراء، ونادرة، والعُرُش، والعروش، والحرْمة ، وقرية الحمس، وأم

(**1**) سورة النمل، رقم الآية/91

(**2**) سورة النحل، رقم الآية/ 112

(**3**) سورة الفتح، رقم الآية/ 27

(**4**) سورة التين، رقم الآية/ 3

راحم، وقرية النمل، ونقرة الغراب، والبنية، وفاران، الرتاج، أم الرحمة، العذراء، مخرج صدق، نقرة الغراب. " [1]

ونظم القاضي أبو البقاء الحنفي أسماءها فقال :

لمكةَ أسماءٌ ثلاثونَ عدِّدتْ ومن بعدِ ذاكَ اثنان منها اسمُ مكةِ[2]

وصلاحٌ وكوثى والحرامُ وقادسٌ وحاطمةٌ البلدُ العريشُ بقرية

ومعطشةٌ أم القرى رحمٌ ناسَّةٌ ورأسٌ رتاحٌ أم كوثى كبرّةِ

سِبُوحَةٌ عرشٍ أمّ رُحْمٍ عريشُنا كذا حرمُ البلدِ الأمينِ كبلدةِ

كذا اسمها البلدُ الحرامُ لأمنها وبالمسجدِ الأسنى الحرامِ تسمَّتِ

وما كثرةُ الأسماءِ إلا لفضلِها حباها بها الرحمنُ من أجلِ كعبةِ[3]

مسجد الحرام

إن ساحة الكعبة هي المسجد والناس يصلون ويطوفون فيها حول الكعبة ، ولم يكن عليه جدران أيام النبي γ ، وأبي بكر η ، ثم كثر الناس فاشترى عمر دوراً هدمها وزادها في المسجد، وأدار عليها جداراً دون القامة، وفعل مثل ذلك عثمان بن عفان η، ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي وما زال المسجد موضع عناية الحكام والملوك والسلاطين من عباسيين ومماليك وأتراك إلى وقت خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله، يتولونه بالتعمير من وقت لآخر كلما مست الحاجة إلى ذلك، والمسجد الحرام من حيث السعة والبناء والجمال والفن المعماري لا يفوق غيره من المساجد الأخرى الموجودة في العالم. وقد بينتُ وتحدثت عن عمارة المسجد في الفصل الثاني من الباب الثاني بالتفصيل. [4]

(**1**) جامع اللطيف، للعلامة جمال الدين محمد جار الله ، ص/ 255، شفاء الغرام ، ج/1 ، ص/ 79. وانظر العقد الثمين ، ص/ 8

(**2**) الأبيات من البحر الطويل

(**3**) منائح الكرم، ج/1، ص/ 215.

(**4**) انظر الفصل الثاني من الباب الثاني في هذه الرسالة، ص/ 69، 97، 85.

وداخل المسجد تجد الكعبة، ومقام إبراهيم وبئر زمزم ، وسأفصل الكلام عنها:

الكعبة المشرفة

قال الله تبارك وتعالى : ([illegible])[1]

وقال β : ([illegible])[2]

وقوله β : ([illegible])[3]

تقع الكعبة في وسط المسجد الحرام بل وسط العالم، وهي أقدم المعابد ، والعرب في الجاهلية يعظمون الكعبة تعظيما كثيراً ويقيمون فيها أصنامهم فكانوا يحجون إلى مكة ويطوفون حول الكعبة.

ويقول حافظ وهبة عن شكل وعمارة الكعبة : "الكعبة بناء مربع تقريباً، بني في أوسع نقطة من الوادي والآن يحيط بها المسجد، يبلغ ارتفاع الكعبة 15 متراً، وطول جدارها الشمالي 9.92 ، والجنوبي 10.25 ، والغربي 12.25 ، والشرقي 11.88 متراً ، وفي الجدار الشرقي بابها، ويرتفع عن الأرض مقدار مترين وعتبة

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 127

(2) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 96

(3) سورة المائدة، رقم الآية/ 97

مصفحة بصفائح الفضة، وكذلك مصراعا الباب، إلا أن صفائحه الفضية مطلية بالذهب. [1]

وفي الركن الجنوبي الشرقي للكعبة من الخارج الحجر الأسود، وهو مبدأ الطوائف، ويرتفع عن الأرض متراً ونصفاً.

وللكعبة تاريخ قديم وأول من بناها الملائكة ثم آدم ν ، ثم شيث ν ، ثم إبراهيم ν الذي يتردد على مكة لزيارة زوجه وابنه ، وخلال ذلك أمر الله نبيه ν ببناء الكعبة المشرفة، وساعده في ذلك إسماعيل ν ، حيث يقول الله β : ([illegible]) [2]

ولما فرغ إبراهيمν من البناء أمره ربه أن يبلغ الناس بأن الله قد كتب عليه الحج إلى الكعبة ، وهو أول من جعلها حجاً على ملته ، حيث يقول الله β :([illegible]) [3]

ثم بناها العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب جد الرابع للنبي γ ، وهو أكثرهم عناية بها قبل الهجرة، ثم بناها قريش.

ثم عبدالله بن الزبير بناها إلى أوسع مما كانت عليه، فأقام جدرانها على الأساس القديم الذي ينسب إلى إبراهيم عليه السلام. ثم حجاج بن يوسف شاور عبدالملك فيما بناه ابن الزبير وما زاده في البيت أمر بهدمه ورد البيت إلى قواعد قريش ففعل ذلك ولا تزال كذلك إلى اليوم. [4]

(**1**) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 24.

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/ 127

(**3**) سورة آل عمران ، رقم الآية/ 96

(**4**) تذكار الحجاز ، للحاج عبدالعزيز صبري بك، المطبعة السلفية بمصر، ص/151-152.

وتغسل الكعبة من الداخل مرتين في السنة ، في رجب وذي الحجة ، "يقوم بهذا العمل الشيخ الشيبي سادن الكعبة"[1]، ويدعو لحضور هذا العمل الذي يعد من حفلات مكة الهامة حكام البلد وأعيانها، وبعض البارزين من الحجاج.

كسوة الكعبة

هي أستار الكعبة، وكان العرب في الجاهلية يكسونها بكساء ، أورد الحافظ ابن حجر العسقلاني روايات متعددة في أول من كسا الكعبة قبل الإسلام ، ومن هذه الروايات ما يقول: " إن أول من كساها إسماعيل ، وثانية الروايات تقول : أول من كساها عدنا ، وثالثتهن تقول : إن تبَّع " أسعد أبو كرب " ثم قال : " ويجمع بين الأقوال الثلاثة بأن إسماعيل أول من كساها مطلقاً ، وأما عدنان فلعله أول من كساها بعد إسماعيل " [2].

وقال أسعد أبو كرب في ذلك :

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلاءً وَمِعْضَدًا وَبُرُودَا

وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدَا

وَخَرَجْنَا مِنْهُ نَؤُمُّ سُهَيْلا قَدْ رَفَعْنَا لِوَاءَنَا مَعْقُودًا[3]

وكانوا يكسونها بالجلد أو القباطى أو نحوهما، واستمرت طريقة كسوة الكعبة التي عني بها الناس حتى جاء الإسلام فكانت العناية أجل وأعظم، وبدأ كسوتها في عهد الإسلام رسول الكريم γ فكساها خير كسوة في تاريخ الكعبة، وتأساه خلفاؤه الراشدون وكل من جاء بعدهم فاهتموا بالكسوة أعظم اهتمام، فكسوها من الداخل و الخارج. كسوة الداخلية لا تجدد حتى تبلى، ومادة نسيج الكسوة الداخلية كانت من الحرير الأحمر المذهب، وتكتب فيه بعض الآيات القرآنية. [4]

---

(1) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 27.

(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر ج/3، ص/ 459.

(3) التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام لعبدالقدوس الأنصاري، نادي مكة الثقافي الأدبي مكة المكرمة، ص/ 55. ، أخبار مكة ، ج/1، ص/ 165-167.

(4) شفا الغرام، ج/1، ص/ 201، إتحاف الورى لابن فهد، ج/3، ص/ 596.

وأما الكسوة الخارجية فهي من الحرير الأسود تكسو الكعبة من أعلى إلى أسفل، وتكتب عليه آيات قرآنية.

و في "شهر محرم 1346هـ، أصدر الملك عبد العزيز، أوامره بإنشاء دار خاصة بصناعة الكسوة، وأنشئت تلك الدار بمحلة أجياد أمام دار وزارة المالية العمومية بمكة المكرمة، تمت عمارتها في نحو الستة الأشهر الأولى من عام 1346هـ، فكانت هذه الدار أول مؤسسة خصصت لحياكة كسوة الكعبة المشرفة بالحجاز" [(1)]

مياه زمزم

تقع بئر زمزم التاريخية بجوار باب بني شيبة ، وبينها وبين الحجر الأسود 18 متراً. ونبغ ماؤها منذ زمن إسماعيلv حيث كانت أمه هاجر تبحث عن الماء الإرواء عطشه v بين الصفا والمروة، فنزل جبريلv وضرب الأرض بعقبه فنبغ الماء، ففرحت هاجر وأدارت حوله حوضاً وأخذت تزمه ولذا سميت " زمزم " ، ثم طمست البئر في عهد جرهم وزالت معالمها إلى أن شاهد عبدالمطلب جد الرسول γ رؤيا في المنام مكان البئر فحفرت وكان ذلك قبل ميلاد الرسول γ ، وبعد مئات السنين من حفرها قامت المملكة العربية السعودية بأضخم عملية تنظيف لبئر زمزم ووضعت خارطة دقيقة لأبعادها ومصادر تغذيتها بالمياه في عام 1399 هـ ، بواسطة اثنين من الغطاسين وتم خلال عملية التنظيم انتشال جميع المخلفات الطينية والسطول والجرادل التي كان ضيوف الرحمن يلقونها على مر السنين تيمناً وتبركاً، كما تم استخدام فرش السلك لتنظيف حوائط جدران البئر ، وتم الانتهاء من هذا العمل في نفس العام 1399 هـ. [(2)]

وحرصاً من الخادم الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز على توفير مياه الشرب النقية لضيوف الرحمن أمر بإنشاء مصنع للمياه المثلجة في أكياس بلاستيكية على نفقته الخاصة ليتم توزيعها على ضيوف الرحمن، وقد بدئ بتشغيل هذا المصنع في عام

---

(1) الموقع الرسمي للمصنع، http://factory.gph.gov.sa

(2) توحيد المملكة العربية السعودية، ص/ 200

1404 هـ . وتقوم مصلحة المياه في المنطقة الغربية بالإشراف على إدارة وتشغيل هذا المصنع.

خصائص وفضائل مكة المكرمة

وفي خصوص البلد الحرام، آيات القرآن الكريم وأحاديث نبيه γ كثيرة وقد ذكرها كتب المؤرخين وبخاصة في كتب تاريخ الحرمين الشريفين ، وخير ما يقول فيه ابن قيم الجوزية ρ في فاتحة كتابه الهدي النبوي γ : عند تفسير قول الله تعالى : (❒◆❻◆✉☙⌨⍓ ⑥⬧③⬂◘➔✉← ✌◆ ④❑⌖◆✍↗↓ ❒◆⑥⬧③⬂☞◆❻↓ ▤) [1]، فقال ρ :

" ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها، وهي البلد الحرام، فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه γ ، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كلّ فجٍّ عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين متخشِّعين متذلِّلينَ، كاشفي رُؤوسهم، متجردين عن لباس الدنيا، وجعله حرماً آمناً، لا يُسفكُ فيه دمٌ، ولا تعضد به شجرةٌ ولا ينَفَّر له صيدٌ، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليكِ، بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصدَه مكَفِّراً لما سلف من الذنوب، ما حياً للأوزار، خاطّاً للخطايا كما روي أبي هريرة η قال : قال سمعت النبي γ يقول : [مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ] [2]" . [3]

الآيات التي وردت في القرآن الكريم في فضل مكة كثيرة وأذكر بعضها:

قوله β: (❍♌⌧❑ 🕮❒❒❑✌◆ ✉⑩⬂💣▭ ❒↖➩⇗➚⌧ ⬀✞▣⬧❑⬂ ⬀⑩⬂✂⬆🔔❽ ✉⌧☹⬧▤⬆❑⬧ 0ز0✌↖⌨◆⬧❻◆✍☪🔔 ❒◆♎➔⑨✡❽ ⬀⑩⬂✋⬡◆⌧◆➔⌧⬛✡■☺⬀✓×◆ ⬀⬂⬀⬂⬂) [4]

وقوله β : (♉⌧➔⌧✍• ✂⬂✍✦ ✂⬂⬀⬂⌧➔◆⌧✍♦ ✂⬂⬀⬂⌨◆⑩⬂💣✽ ✂⬂⬀⬂•❷◆✂⚐◆ 🔔⬀⑩◆⬛☺✞⬂)

(1) سورة القصص، رقم الآية/ 68

(2) صحيح البخاري، ح/ 1521

(3) الهدي النبوي ، لابن القيم الجوزية، ج/1، ص/ 46-54.

(4) سورة آل عمران، رقم الآية/ 96

([illegible])[1]

وقوله β : ([illegible])[2]

قوله β : ([illegible])[3]

وقوله β : ([illegible])[4]

وقوله β : ([illegible])[5]

وقوله β : ([illegible])[6]

الأحاديث التي وردت في فضائل مكة والحرم

(**1**) سورة المائدة، رقم الآية/ 97

(**2**) سورة آل عمران، رقم الآية/ 97

(**3**) سورة الحج، رقم الآية/ 25

(**4**) سورة النمل، رقم الآية/ 91

(**5**) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 67

(**6**) سورة الفتح، رقم الآية/ 27

عن سليمان ابن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال : [سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّم يَقُوْلُ فِي حَجَّة الوِدَاع لِلنَّاسِ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ قَالُوا يَومَ الحَجّ الأَكْبر قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُم وَأَمْوَالَكُم وَأَعْرَاضَكُم بَيْنَكُم حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُم هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا أَلَا لَا يَجْنِي جَانٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِه إِلَّا لَا يَجْنِي جَانٍ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُوْدٍ عَنْ وَالِدَه أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ مِنْ أَنْ يَعْبُدَ فِي بِلَادِكُم هَذِهِ أَبَدًا وَلَكِن سَتَكُونُ لَهُ طَاعَة فِيْمَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُم فَسَيَرْضَى بِه] [1]

عن ابن عباس قال: [قَالَ رَسُولُ اللهِ γ يَوْمَ الفَتْحِ فَتْحَ مَكةَ (لَا هِجْرَة وَلَكِن جِهَاد وَنِيَّة وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُم فَانْفِرُوا) وقال يوم الفتح فتح مكة (إِنَّ هَذَا البَلَدَ حَرَمَهُ الله يَومَ خَلَقِ السَمَواتِ وَالأرضِ فَهُو حَرَام بِحُرْمَة اللهِ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ لَا يَعْضُدُ شَوْكَه وَلَا يَنْفِر صَيْدَه وَلَا يَلتَقِط لُقْطَته إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا وَلَا يَخْتَلَى خَلَاه قَال فقَالَ العَباسُ يَا رَسُولَ الله إِلَّا الإذخر فَإِنَّه لَقَيْنَهُم وَلِبُيُوتِهم قَال فَقَال إِلَّا الإِذْخَر][2]

عن أبي الزبير عن جابر قال سمعت النبي γ يقول : [لَا يَحِل لِأَحَدِكُم أَنْ يَحْمِل بِمَكة السَّلَاح][3]

عن ابن عباس قال : قال رسول الله γ [لِمَكَة مَا أَطْيَبك مِنْ بَلَد وَأُحبكَ إِلي وَلَولَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُوْنِي مِنْكَ مَا سَكَنْتَ غَيْركَ][4]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة η أن رسول الله γ قال: [العُمْرةُ إِلى العُمْرةِ كَفَّارةٌ لِمَا بِيْنَهُما، وَالحجُّ المَبْرُور لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ][5]

فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد لما جعل عرصاتها مناسك لعباده، فرض عليهم قصدها، وجعل ذلك من آكد فروضِ الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه ، فقال β : (❒◆♎⍓🕔⓿⊠✂ ✂✍♦⌨◆✂♦✍✂ ✂✍❀☞✌✓✗✐ ⊕⊠⊕) [6]، وقال β : (♦✋

---

(1) سنن الترمذي، ح/ 2159

(2) صحيح مسلم، ح/1353

(3) صحيح مسلم، ح/ 1355

(4) سنن الترمذي، ح/ 3926

(5) المرجع السابق، ح/ 1349.

(6) سورة التين ، رقم الآية/ 3

وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادرٍ السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها، غيرها، وليس على وجه الأرض موضعٌ يشرع تقبيله واستلامه، وتحطُّ الخطايا والأوزار فيه، غير الحجر الأسود، والركن اليماني.

وثبت عن النبي β أن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة ففي سنن النسائي عن أبي هريرة η عن النبي γ قال : [قَالَ مَا بَينَ بَيْتِي وَمِنْبَرِيْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة وَبِهَذَا الإِسْنَاد عَن النَبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّم قَالَ صَلَاةُ فِي مَسْجِدِيْ هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفَ صَلَاة فِي سَواه مِنَ المسَاجِد إِلَّا المسْجِدَ الحَرَام] [2]

وفي السنن النسائي والترمذي عن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته واقف بالجرول[3] يقول: [وَاللهِ إِنَّك لَخَير أَرَضِ اللهِ وَأَحب أَرض اللهِ إِلى اللهِ وَلَولَا أَنِّي أخْرجت مِنْك مَا خَرجْتُ] [4]

ومن خصائصها الأخرى:

- كونها قبلةً لأهل الأرض كلِّهم، فليس على وجه الأرضِ قبلةٌ غيرها.
- يحرم استقبالها واستدبارها عن قضاء الحاجة دون سائر بقاع الأرض.
- أن المسجد الحرام أول مسجدٍ في الأرض كما في الصحيحين عن أبي ذر قال : سألت رسول الله γ عن أول مسجد في الأرض؟ فقال: [المَسْجِدِ الحَرَام] قلت: ثم أي ؟ قال : [المَسْجِدِ الأَقْصَى] قلت : كم بينهما؟ قال: [أَرْبَعُونَ عَاماً]. [5]

(**1**) سورة البلد، رقم الآية/1

(**2**) سنن الترمذي، ح/ 39161

(**3**) حي في مكة بقرب الحرم

(**4**) المرجع السابق، ح/ 3925 ، سنن النسائي ، ح/ 4238

(**5**) الجمع بين البخاري ومسلم، ح/360.

- ومن خصائصها أنها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة إلا بإحرامٍ، وهذه خاصية لا يشاركها في شيءٌ من البلاد، وهذه المسألة تلقاها الناس عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد روي عن ابن عباس η أنه قال: [مَا يَدْخُلُ مَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا وَلاَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا إِلاَّ بِإِحْرَامٍ][1]

أنه يعاقَب فيه على الهمِّ بالسيئاتِ وإن لم يفعلها، قال β : ([illegible])[2]

وقال القائل من الأبيات الجميلة:

أرضٌ بها البيت المحرم قبلة   للعالمين له المساجدُ تَعْدل

حَرَمٌ حرام أرضُها وصيودُها   والصيدُ في كل البلاد محلل

وبها المشاعر والمناسك كلها   وإلى فضيلتها البرية ترحل

وبها المقام وحوض زمزم مترعا   والحجرُ والركن الذي لا يرحل

والمسجدُ العالي المحرم والصفا   والمشعران لمن يطوفُ ويرمل

وبمكة الحسنات ضُوعف أجرها   وبها المسيء عنه الخطايا تغتسل[3]

مقام إبراهيم ν

وهو الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم ν أثناء بناء الكعبة ، وقال الله β :

([illegible])

([1]) السنن الكبرى للبيهقي، ح/ 10124

([2]) سورة الحج، رقم الآية/ 25

([3]) رحلة الصديق إلى بلد العتيق، ص/ 11.

♌❒🕮 ✁◆❷✆♎♑⬧◖ ⌘✍☞☹⇘⓿♦✍
♦×✓✆▦✍★✎✍✍▲⮌▦✆♍◉
✍▫✓✆▦⇞▤◷⮹➔⇘♍◉✍✍✁◆❒
⇗➚·▤❾❷♍◉✍✍✁◆❒ ✆⑩❑➔➚❹○♍◉✍✍✁
⇳⇳✂✆⇳) [1]، وهو قبة أمام باب الكعبة وبينهما 12 متراً، وفي داخل المقام حجر يسمى " الحجر الأسعد" وعليه أثر قدمي إبراهيم ν . [2]

ويقول حافظ وهبة : " لا يعلم بالضبط هل موضع المقام الحالي هو موضعه الأصلي أو كان ملصقاً بجدار الكعبة ، ثم نقل إلى موضعه الحالي ." [3]

بعض الرواة يرجحون أن المقام كان ملصقاً بجدار الكعبة، ونقل من مكانه في خلافة عمر η .

وروي الأزرقي "أن موضعه الحالي هو موضعه في الجاهلية وفي عهد أبي بكر وعمر إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر، فجعل في وجه الكعبة، إلا أن عمر رده إلى موضعه بمحضر من الناس." [4]

غار حراء

وهو الغار الذي كان يتعبد فيه النبي γ لياليه الطوال قبل البعثة وفيه نزل عليه جبريل ν يحمل الوحي وبه نزلت سورة إقرأ ، ويقع على قمة جبل النور على ارتفاع 634 متر، ويبعد حوالي 4 كم عن المسجد الحرام . [5]

وباب غار حراء في جهة الشمال، وطول الغار أربعة أذرع وأما عرضها ذراع وثلاثة أرباع. ويستطيع الجلوس لخمسة أشخاص في آن واحد، والغار من الداخل متجه نحو الكعبة . [6]

يقول المباركفوري "ما تقاربت سنه صلى الله عليه وسلم الأربعين، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه، حبب إليه الخلاء، فكان

(**1**) سورة البقرة، رقم الآية/ 125

(**2**) تذكار الحج، ص/ 161

(**3**) جزيرة العربي في القرن العشرين ص/149

(**4**) أخبار مكة ، ج/2، ص/35

(**5**) البداية والنهاية لابن كثير، ج/3، ص/ 33

(**6**) الرحيق المختوم لمباركفوري، دار المؤيد، ص/ 65

يأخذ السَّوِيق والماء، ويذهب إلى غار حراء في جبل النور على مبعدة نحو ميلين من مكة . وهو غار لطيف طوله أربعة أذرع، وعرضه ذراع وثلاثة أرباع ذراع من ذراع الحديد . فيقيم فيه شهر رمضان، ويقضي وقته في العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وفيما وراءها من قدرة مبدعة" [1]

غار ثور

وهو الغار الذي لجأ إليه γ وصاحبه أبو بكر الصديق η يوم هاجراً من مكة واختبأ في حتى توقف طلب قريش لهما واقتفاؤهم لأثرهما فغادراه إلى المدينة وقد بين الله β واقعة غار ثور في القرآن الكريم حيث يقول الله β : ([illegible]) [2]

ويقع هذا الغار على بعد 4 كم عن مكة المكرمة في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، وارتفاعه حوالي 748 م من سطح البحر، وارتفاعها 1.25 م ، وبابه في جهة الغرب الذي دخل منه النبي γ وصاحبه η .

عرفة

هي بقعة من الأرض الفضاء في شرق مكة على بعد 20 كم سطحها مستوى ، ومساحتها نحو ألف متر مربع ، تقام فيه أهم مناسك الحج وقوف عرف

(**1**) نفس المرجع، ص/ 50

(**2**) سورة التوبة ، رقم الآية/ 40

في يوم التاسع من شهر ذي الحجة، وتنصب خيام الحجاج فيه ، وبجواره جبل صغير يسمى جبل الرحمة، طوله 300 متر ، وارتفاعه 30 متر يصعد إليه على حجر مدرج كالسلم، وأعلى هذا الجبل سطح مبلط بالحجر مساحته 20 متر مربعا وفي مصطبة طولها سبعة أمتار وارتفاعها متر ونصف في ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار وعرضه متران .

المزدلفة

أحد مشاعر الحج، بين منى وعرفة، يفيض الحاج إليها ليلة عشر من ذي الحجة فيصلي فيه المغرب والعشاء قصراً وجمعاً، وحدودها من الشمال جبل ثبير النصع وثبير الأحدب ومفجر مزدلفة، ومن الجنوب جبل مكسر وبعض ووادي ضب، ومن الغرب وادي محسر وعليه علامات تنص بنهاية مزدلفة، ومن الشرق المأزمان وريع المرار وقسم من ثبير النصع، وتسمى المزدلفة جمعاً لاجتماع الناس بها، وفيها المشعر الحرام المذكور في القرآن : ([illegible]) [1]، ومنها يسن للحجاج أن يلتقط الجمار. [2]

منى

أحد مشاعر الحج، وتقع في طريق مكة وهي بلدة مستطيلة، يأتيها الحجاج يوم الثامن من ذي الحجة ثم يأتونها بعد المبيت بمزدلفة، وفيه جمرات الثلاثة ، جمرة العقبة يرجم في صباح العيد ويليه بعد 150 متراً جمرة الثانية أو الوسطى ثم بعده

---

(1) سورة البقرة، رقم الآية/ 198

(2) معجم معالم مكة التاريخية والأثرية ، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، ص/266

الجمرة الثالثة أو الصغرى، وفيه مسجد الخيف ومسجد المرسلات، ومسجد الكبش.[1]

المدينة المنورة

تقع المدينة المنورة شمال مكة المكرمة وترتبط بها بطريق مزفت يمر بوادي الصفراء وطوله حوالي 460 كم ، كما أقيم طريق بستة مسارات يربط المدينة بمكة وطوله 418 كم وقد أراح الناس كثيراً وذلل لهم المصائب.

وكانت الطريق من مكة إلى المدينة إحدى عشرة مرحلة بالجمال قبل أن يعرف الناس السيارات ويمكثون في سيرها أحد عشر يوما بلياليها أما اليوم فلا تتجاوز المسافة أربع ساعات أو تزيد قليلاً.

ويقول صاحب كتاب المدينة تاريخ ومعالم: " وتبعد عن مكة المكرمة 430 كم شمالاً ، كما تبعد عن شاطئ البحر بخط مستقيم 150 كم، وأقرب الموائي إليها ميناء ينبع البحر الذي يقع في الجهة الغربية منها على بعد 220 كم . " [2]

يقول حافظ وهبة :" تبعد المدينة عن ينبع 130 ميلاً، وعن مكة 300 ميل تقطع بالإبل في عشرة أيام، وبالسيارة في نحو ثلاثين ساعة " [3].

قول حافظ وهبة يتعلق في القرن العشرين وهذه المسافة تقطع في أربع ساعات على الأكثر.

الموقع الفلكي

تقع المدينة على خط الطول 36 ْ – 39ْ درجة وخط العرض 24 ْ – 28ْ درجة ، وترتفع عن سطح البحر بحوالي 625 متراً .

يقول الدكتور مختار محمد بلول : " تقع المدينة المنور على خط طول 39ْ درجة ، و 36 دقيقة وثانية واحدة، وعلى خط عرض 24ْ و 28 دقيقة و 5 ثانوانٍ، وترتفع عن سطح البحر بين 597 و 639 متر " [4]

---

(1) معجم معالم مكة التاريخية والأثرية، ص/ 292، وتذكار الحجاز، ص/ 167.

(2) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ص/ 7.

(3) المدينة المنورة درة المدائن، ص/ 21

(4) نفس المرجع

حدود المدينة

يبين الدكتور مختار بلول حدود المدينة ، حيث يقول : " يحتضن المدينة جبلان ووديان، من الجنوب جبل عير ويحاذيه وادي العقيق لمسافة بسيطة، ثم ينحني هذا الوادي باتجاه الشمال ليصبح ممتداً غرب المدينة المنورة، ومن الشمال جبل أحد ووادي قناة الذي يمر بمحاذاة سيد الشهداء، ويخترق المدينة المنورة ماراً بوسطها وادي بطحان ممتداً من الجنوب إلى الشمال، ويسمى وادي أبي جيدة، ويلتقي مع وادي العقيق بأسفل المدينة في الجانب الشمال، أما شرق المدينة المنورة وغربها فيحدها الحرة الشرقية والحرة الغربية." (1)

أودية المدينة

يحيط المدينة اليوم ثلاثة أودية هي :

- **وادي العقيق** : ويسمى أعلاه النقيع ووسطه الحسا وآخره في ذي الحليفة عقيق المدينة، ويزيد طوله على 150 كم. وتنتشر البساتين على جانبيه وأخذ الناس يبنون المساكن بالطوب والأسمنت بدلا من اللبن والطين وقد أخذت المزارع تضمحل نظراً لقلة المياه في هذا الوادي بعد أن كان في يوم من الأيام حلة خضراء وقد حظي بتغني الشعراء والأدباء وصارت للعقيق شهرة في التاريخ خاصة في أيام الدولة الأموية والعباسية.
- **وادي بطحان**: وهذا الوادي يأتي من الحرة جنوبي المدينة ويشق المدينة مع وسطها وقد سمي " أبو جيده " وقد أسس في أعلاه سد بطحان لحجز المياه لتستفيد منها آبار ، وكان السيل يسير في هذا الوادي بين البساتين من النخيل في قباء وقربان والسيح ويجتمع بالعقيق في أسفل المدينة وبعد أن أقيم السيد عملت في الوادي صهاريج ضخمة ليسير منها الفائض من السيل عبر السد وتم دفن وادي " أبو جيدة" وأقيمت العمارات الضخمة به ولم يأت السيل منذ أكثر من خمسين عاماً.

(**1**) نفس المرجع

- **وادي قناة**: وهذا الوادي يأتي المدينة من جهة الشرق أي من جهة العاقول، وقد قامت الحكومة السعودية بإنشاء سد العاقول فحجزتت المياه لتكون بحيرة العاقول التي يمكث فيها الماء إذا أتي مدة تزيد على بضعة أشهر.

مناخ المدينة المنورة

مناخ المدينة المنورة صحراوي قاري جاف، وصيفها طويل حار، بينما شتاؤها قصيرة تتخلله بعض الأيام المطيرة.

وتهب على المدينة رياح شمالية غربية صيفاً، وجنوبية غربية شتاء وربيعاً، بينما تسود الرياح الشمالية بأنواعها المختلفة في فصل الخريف، ومتوسط سرعتها السنوي 10.4 كيلومتر في الساعة، وتعد رياحاً هادئةً.

ويتميز مناخ المدينة بدرجات حرارة عالية تتراوح بين 30 – 50 درجة مئوية في الصيف، وبين 10-25 درجة مئوية في الشتاء، وتصل الحرارة إلى أعلى معدلاتها في الفترة من يونيو إلى سبتمبر ، وتنزل معظم الأمطار من نوفمبر إلى إبريل.

وقد بين الدكتور مختار بلول درجات الحرارة بالتفصيل ، حيث يقول:" يختلف متوسط درجات الحرارة من فصل لآخر، وهي بحسب الشهور بالتقريب ما يلي: " [1]

الشهر	درجة	الشهر	درجة	الشهر	درجة
يناير	16 م	مايو	32 م	سبتمبر	35م
فبراير	21 م	يونيو	35 م	أكتوبر	28 م
مارس	25 م	يوليو	35 م	نوفمبر	22 م
إبريل	27	أغسطس	37	ديسمبر	19 م

سكان المدينة المنورة

يتفق المؤرخون على أن أول من سكن المدينة المنورة قوم يثرب بن عبيل بن عوض بن آدم بن سام بن نوح v ، وعرفت فيما بعد باسمهم (يثرب) ، وقد استقر

---

(1) نفس المرجع

قومه بها حيناً من الدهر، إلى أن قدم إليها العماليق العتاه الذين أرسل إليهم موسى جنداً من بني إسرائيل فقتلوهم . [1]

ونظراً للموقع الجغرافي للمدينة المنورة وكثرة مياهها الجوفية وخصوبة أرضها فقد جعلها ذلك محط أنظار القوافل التجارية التي تعبر أرض الجزيرة العربية في رحلة الشتاء والصيف. وكانت قوافل اليهود تمر وتحط بالمدينة المنورة فطاب لبعضهم المقام فيها لما لمسوه من طيب الحياة بها، فسكنها بعضهم ، وجعلها مقراً لعمله وتجارته، وأصبحت المدينة المنورة مركزاً تجارياً مهما لليهود بين الشمال والجنوب، ثم هاجر إليها بعض القبائل الأوس والخزرج ، الذين أصبحت لهم الغلبة فيها، بعد ما قتل أبو جبيلة من ولد جفنة بن عمرو بن عامر وجهاء ورؤساء اليهود بالمدينة المنورة. [2]

كانت المدينة المنورة في ذلك الوقت عبارات عن تجمعات سكانية صغيرة ليس بها ترابط، وتشير بعض المصادر التاريخية إلى نشوب العديد من الحروب بين تلك التجمعات ، ولاسيما بعد قدوم اليهود إليها، ومحاولة استقلالهم في تجمعات خاصة بهم، والهيمنة على النشاط التجاري.

ومن أهم القبائل اليهودية التي طابت لها الإقامة في المدينة قبائل بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، فضلاً عن عدة قبائل أخرى أصغر حجماً منها.

ويقدر عدد السكان قبيل الإسلام ما بين 12-15 ألف نسمة[3]، ولما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة فزادت عدد السكان ، فقد أسلم أهلها ووفد إليها مجموعات قبلية وأفراد من مكة والبادية وجزيرة العربية وخارج الجزيرة ، فقدرت عدد سكانها أما وفاة الرسول γ 30 ألفاً.

ثم في العهد الراشدي خرجت مجموعات كبيرة منها إلى حروب والفتوحات، فنقص عدد السكان عدة آلاف. ثم ازدادت في العهد الأموي مرة أخرى. [4] ، وفي سنة 1294 هـ قدر جون كين سكان المدينة المنورة بنحو 20.000 ألف نسمة " [1]

(**1**) تاريخ المدينة ، للشيخ قطب الدين، جامعة إدنيرة،1985 م ، ص/ 6-7.

(**2**) المدينة المنورة درة المدائن، ص/ 28

(**3**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم ، ص/ 9

(**4**) نفس المرجع.

يقول حافظ وهبة عن سكان المدينة في القرن العشرين: " تبلغ سكان المدينة عشرين ألفاً نسمة، وقد بلغ سكانها قبل الحرب العظمي بعد اتصال السكة الحديدية بها 80 ألفاً، ولكن مصائب الحروب أقفرت المدينة من السكان ومن العمران" [2]

وخالف هذا الرأي د. مختار بلول في كتابه، حيث يقول : " بلغ عدد سكان المدينة في بداية القرن العشرين، حوالي تسعين ألف نسمة" [3]

فخرج العمران عن السور القديم من جهة باب المجيدي ، وظهرت المباني العالية، ووصل العمران إلى جبل سلع حتى كاد يصل إلى جبل أحد . [4]

مع بداية العهد السعودي عام 1344 هـ بدأ عدد سكانها يزداد بشكل تدريجي ووصل العدد في عام 1971 إلى 137 ألف نسمة. [5]

وحالياً شهدت المدينة المنورة تطوراً وازدهاراً كبيرة، وتضاعف عدد سكانها عدة أضعاف، فبلغ حسب إحصاءات عام 1413 هـ -1992 م ستمائة وثمانية آلاف نسمة، ثم في عام 1999 م إلى تسعمائة ألف نسمة تقريباً. [6]

أسماء المدينة المنورة

للمدينة المنورة أسماء كثيرة تدل على مكانتها العالية، أوصلها بعضهم إلى مائة اسم غير أن الأسماء التي وردت في الآثار الصحيحة ستة هي :

1. **يثرب** : وهو اسمها في الجاهلية، وقد غيّر رسول الله γ هذا الاسم، ووجه المسلمين إلى عدم استخدامه بعد الإسلام. وقد نهى الرسول γ عن تسمية المدينة بيثرب ، لما فيه من التثريب وهو التعبير والاستقصاء في اللوم وثرب

(**1**) سكان المدينة المنورة، لمحمد شوقي مكي، ص/ 35.

(**2**) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 27

(**3**) درة المدائن، ص/ 154

(**4**) مجلة المنهل، حسن الصيرفي، مجلد، 54، عدد 499، 1413 هـ، ص/ 274. وانظر ذكريات طيبة بحث حول أسرار الحج والزيارة، مكتبة الفقية، ط/1، ص/ 1370هـ، ص/ 196.

(**5**) المدينة المنورة معالم وتاريخ، ص/ 9

(**6**) نفس المرجع

عليه تثريباً : قبح عليه فعله وربما أخذ من الثرب وهو الفساد أو لكراهة التثريب وهو المؤاخذة بالذنب[1].

2. **المدينة:** وهو الاسم الذي اشتهرت به بعد الهجرة، وقد ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف عدة مرة.
3. **طابة** : وهو الاسم الذي أطلق عليها رسول الله γ ، عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله γ يقول: [**إِنَّ الله تَعَالَى سُمِّيَ المَدِيْنَة طَابَة**] [2]
4. **طيبة** : وهو الاسم الذي أطلق عليها رسول الله γ . عن زيد بن ثابت η عن النبي γ قال : [**إِنَّهَا طَيِّبَة يَعْنِي المَدِيْنَة وَإِنَّمَا تَنْفِي الخُبُثَ كَمَا تَنْفِي النَّار خُبُث الفِضَّة**] [3] ، وعن ابنُ عُمَر: ما طَلَعَ النَّبِيّ γ عَلَى المدينَةِ قافِلاً مِن سَفَرٍ قَطّ إلّا قالَ: [**يا طَيبَةُ يا سَيّدَةَ البُلدانِ**] [4]
5. **الدار** : ورد في القرآن الكريم في قوله β : (
❒◆✂ ❒↓↗▪❑◆⌨⬧✍ ◆⬧×⇦⚲🕭⅄✏ ⌘♊🕔⌧☺③💣❝ ◆❻✂⊙ ♦♌❑♋⌨⚲◆⬈⑥ ⬃☹⚲♓⚲🖬⬀⌛⬧🕭 ♊⚲✌ ⬀☠⚲ⅇ⬀❸⬧♑⚲◗ ◆❷⌧♉⌧♎ ⇳♊◆✌) [5]
6. **الإيمان:** ورد في القرآن الكريم في قوله β : (
❒◆✂ ❒↓↗▪❑◆⌨⬧✍ ◆⬧×⇦⚲🕭⅄✏ ⌘♊🕔⌧☺③💣❝ ◆❻✂⊙ ♦♌❑♋⌨⚲◆⬈⑥ ⬃☹⚲♓⚲🖬⬀⌛⬧🕭 ♊⚲✌ ⬀☠⚲ⅇ⬀❸⬧♑⚲◗ ◆❷⌧♉⌧♎ ⇳♊◆✌) [6]
7. **أرض الله** ، قال γ :(🕭⬧♑❑↗✂☎ ✍☾❑ ✌⬉○⇔☝◆⚲⇳➔⌧▦⚲✓×◆ ❼⚲× ✂⚘☞❻⬀⍱⬗ 🗐 🕭⬧♑↗❑×✂☎ 📖❒❻⬀⍱❶ ⇳♊↗🗏⬧✍ ⬀☠⬧♑❒📖 ★✏✂

([1]) تاريخ العرب قبل الإسلام لعلي ،ج/4 ، ص/182 ؛ دراسات في تاريخ العرب لسالم، ص/536.

([2]) صحيح مسلم، ح/ 1385.

([3]) نفس المرجع، ح/2454

([4]) صحيح البخاريّ: 1773/662/2

([5]) سورة الحشر رقم الآية/ 9

([6]) نفس المرجع

☎✁❒⇖❷⬀♉✍□✍⇐☺⬩▫ ☪□⌧➔⬀♌□◆❒
▫⬦❸✍□✍ 🗐 [(1)])، والمراد به المدينة .[(2)]

ومن الأسماء الأخرى للمدينة المنورة : " البارة ، والحرم ، ومدخل صدق ، والناجية ، والهذراء ، والحبيبة ، ودار السنة ، وقرية الأنصار ، والفاضحة ، والعذراء ، والمباركة ، والحصينة ، والمقدَّسة ، والمختارة ، والمرزوقة وطيبة وطابة ، المسكينة المحبة، المحبورة المحببة"[(3)] وذكر بعض المؤرخين ان لها 94 اسماً...الخ[(4)] .

وعن زيد بن أسلم قال : قال النبي γ: [لِلمَدينَةِ عَشَرَةُ أسماءٍ، هِيَ: المَدينَةُ، وطَيبَةُ، وطابَةُ، ومِسكينَةُ، وجَبارٌ، ومَحبورَةٌ، ويَندَدُ، ويَثرِبُ] [(5)]

وذكر محمد عبدالمعبود أسماء كثيرة منها : " البارة ، البرة ، البحرة ، البلاط، بيت الرسول γ ، الجبارة، الحرم ، دار السنة، دار السلام، دار الفتح، دار الهجرة، سيدة البلدان، الشافية، مدخل صدق، مدينة الرسول γ " [(6)]

خصائص المدينة المنورة

اكتسب المدينة المنورة مكانة عظيمة في السنة المطهرة ومآثر عديدة بعد هجرة الرسول γ إليها، وترد في كتب الأحاديث والآثار وبعض المصادر التاريخية فضائل عديدة للمدينة المنورة وأهلها، ونذكر بعض منها بالإيجاز .

1. فيها المسجد النبوي الشريف الذي تفضل الصلاة فيه ألف صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام، كما روي ابن عباس K عن النبي γ يقول: [صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ] [(7)]

---

(1) سورة النساء، رقم الآية/ 97

(2) وفاء الوفا، للسمهودي، ج/1، ص/ 10

(3) أحسن التقاسيم ، ص/ 30، معجم البلدان، مادة يثرب، ج/5، ص/ 83.

(4) ياقوت ، معجم البلدان ، ج/5 ، ص/83 .

(5) تاريخ المدينة لابن شبّة: 103/1 ، جاء في الحديث ثمانية أسماء وذكر صاحب تاريخ المدينة، بعد هذا الحديث حديثاً آخر عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وفيه اسمان آخران للمدينة، هما : " الدار " و " الإيمان" .ثم قال بعده: " فالله أعلم أهما تمام العشرة الأسماء التي في الحديث الأول أم لا" . ج/1، ص/103.

(6) تاريخ المدينة المنورة (الأردية)، محمد عبدالمعبود، المكتبة الحبيب راولبندي، ص/ 47.

(7) صحيح مسلم، ج/2، ص/ 1014، ح/ 1396

2. فيها روضة من رياض الجنة، كما جاء في حديث أبي هريرة η : قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي] . (1)
3. ومن فضائل المدينة النبوية أن الله تعالى طهرها من الشرك، فلن يعود إليها أبداً بإذن الله تعالى، كما جاء في حديث عباس بن عبدالمطلب η [عَنْ العَبَّاس بنِ عَبْد المُطَّلِب قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ رَسُولَ اللهِ γ مِنَّ المَدِيْنَة ، فَالتَفت إِلَيْهَا فَقَالَ : إِنَّ اللهَ نَزَهَ هَذِه الجَزِيْرَة وَفِى لَفْظِ : لَقَدْ بَرأَ الله أَهْلَ هَذِهِ المَدِيْنَة مِن الشِرْك] . (2)
4. عن أنسη عن النبي γ قال: [المَدِيْنَة حَرَمٌ مِن كَذَا إِلَى كَذَا . لَا يَقْطَعُ شَجَرَهَا وَلَا يَحْدُثُ فِيْهَا حَدَثٌ مِنْ أَحْدَث فِيْهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْن](3)
5. تحريمها كان على لسان رسول الله γ ، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة، بعد غزوة خيبر، أما مكة ، فتحريمها على لسان نبي الله إبراهيم ν . كما جاء في حديث النبي γ ، عن أنس بن مالك η يقول : قال رسول γ: [اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا، مِثْلَ مَا حَرَّمَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ](4)
6. المدينة حرمٌ آمن، مثل مكة : عن سهل بن حنيف قال أهوى رسول الله γ بيده إلى المدينة فقال [إِنْهَا حَرَمٌ آمِنٌ] (5)، وحرمها ما بين لابتيها ، وهما الحرّتان ، شرقاً وغرباً، ويحدها شمالاً وجنوباً جبلان : جبل أحد شمالاً ، وجبل عيرٍ جنوباً، ويقال شمالً جبل ثورٍ، وهو جبل صغير خلف أحدٍ.

---

(1) صحيح البخاري، ج/9، ص/ 105، ح/ 7335.
(2). جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي، ج/35، ص/ 281، ح/38208 ،
(3) المرجع السابق، ح/ 1768
(4) نفس المرجع، ج/7، ص/ 76 ح/ 5425 .
(5) صحيح مسلم، ح/ 1374

7. دعاء النبي γ للمدينة بالبركة : عن أبي هريرة η أن النبي γ : [خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ المَدِيْنَة وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَة وَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى بِيَاض مَا تَحْتَ مَنْكَبِهِ]، ثَمَّ قَالَ : [اللهم إِنّ إِبْرَاهِيْمَ نَبِيُّك وَخَلِيْلُك دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَة وَأَنَا نَبِيُّكَ وَرَسُولُك أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المَدِيْنَة اللهم بَارِكْ لَهُم فِي مَدْهِم وَصَاعِهِم وَقَلِيْلِهِم وَكَثِيْرِهِم ضَعفِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكة اللهم ارْزُقْهُم مِن هَاهنا وهاهنا وَأَشَارَ إِلَى نَوَاحِي الأَرْضَ كُلِّهَا اللهم مَنْ أَرَادَهُم بِسُوءٍ فَأذبْهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْح فِي المَاء][1]

8. دعاء النبي γ بنقل الوباء عنها: عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه قال : لما قدم رسول الله γ المدينة وعك فيها أصحابه ، وقدم رجل فتزوج امرأة كانت مهاجرة ، فجلس رسول الله γ على المنبر ، فقال : يا أيها الناس إنما الأعمال بالنيات ثلاثا ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يطلبها أو امرأة يخطبها فإن هجرته إلى ما هاجر إليه ، ثم رفع يديه ، فقال : [اللهم انْقُل عَنَّا الوَبَاء ثَلَاثًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ : أَتَيْتَ هَذِهِ اللَيْلَة بِالحُمَى فَإِذَا عَجُوزَ سَوْدَاء مَلبَبة فِي يَدِ الذِي جَاءَ بِهَا ، فَقَال : هَذِهِ الحُمَى فَمَا تَرى فِيهَا فَقُلْتُ اجْعَلُوْهَا لخَم] [2]، عن عائشة قالت : قدمنا المدينة وهي وبيئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله γ شكوى أصحابه قال [اللهم حَبِّب إِلَيْنَا المَدِيْنَة كَمَا حَبَبْتَ مَكَّة أَوْ أَشَدَّ وَصَححهَا وَبَارِك لَنَا فِي صَاعِهَا وَمَدِّهَا وَحَوِّل حَمَاهَا إِلَى الجَحفَة][3]

9. الاستشفاء بتراب المدينة: في رواية لابن زبالة، : أقبل رسول الله γ من غزاة غزاها، فلما دخل المدينة أمسك بعض أصحابه على أنفه من ترابها، فقال γ : [وَالذِيْ نَفْسِي بِيَدِه إن تَرْبَتَها لمُؤْمِنة وَإِنَّها

(**1**) نفس المرجع، ح/1395

(**2**) جامع الأحاديث، مسند عمر بن الخطاب، ج/28، ص/ 379، ح/ 313303

(**3**) صحيح مسلم، ح/ 1003

لَشِفَاء مِن الجَذَام] و في رواية أخرى [غُبَارُ المَدِيْنَة يُطْفِئ الجَذَام][1].

10. حب النبي γ للمدينة: [عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا] [2]

11. الدجال لا يدخل في المدينة كما في حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده عن أبي بكرة η عن النبي صلى الله عليه و سلم قال:[لَا يَدْخُلُ المَدِيْنَة رَعبَ المَسِيح الدَّجَال لَها يَوْمَئِذْ سَبْعَة أَبْوَاب عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَان] [3]، و عن أبي هريرة η قال: قال رسول الله γ [عَلَى أَنْقَابِ الَمدِيْنَة مَلَائِكَة لَا يَدْخُلُها الطَّاعُون وَلَا الدَّجَال][4]

12. المدينة تنفي الخبث، كما في حديث عن جابر η قال : جاء أعرابي النبي صلى الله عليه و سلم فبايعه على الإسلام فجاء من الغد محموما فقال أقلني فأبى ثلاث مرات فقال [المَدِيْنَة كَالكِيْرِ تَنْفِي خُبْثِهَا وَيَنْصَع طِيْبِهَا][5]

13. فضل الموت في المدينة ، الموت في المدينة المنورة فضيلة ونعمة كبيرة ولذلك روي عن عمر بن الخطاب η أنه قال : [اللهم ارْزُقْنِي شَهَادَة فِي سَبِيْلِكَ وَاجْعَل مَوْتِي فِي بَلَد رَسُوْلِكَγ][6]

(**1**) فيض القدير، لعبدالرؤوف المناوي، ج/4،ص/ 400

(**2**) صحيح البخاري ، ح/ 1886

(**3**) نفس المرجع، ح/1780

(**4**) نفس المرجع، ح/ 1781

(**5**) نفس المرجع، ح/ 1784

(**6**) نفس المرجع، ح/ 1791

وعن ابن عمر η قال : قال رسول الله γ [مَنْ اِسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِيْنَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا فَإِنِي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوت بِهَا] [1].

14. المدينة حرم مثل مكة كما في حديث النبي γ عن عبد الله بن زيد η عن النبي γ [أَنَّ إِبْرَاهِيْم حَرَم مَكة وَدَعَا لَها وَحَرَمْتُ المَدِيْنَة كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيْمَ مَكَة وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَام لِمَكةَ] [2]

15. سمى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أهل المدينة المنورة بالأنصار حيث يقول الله β : (

❐◆✃✍✍♐○○🕓⌛✂◑→❑♍♒
✃✍✍❀☞❒□♐↗❑♌♦ ✌✂♊⌘
✃✍✍♐⬂☺←♑✉🕓➶⬀❷✂⇦×♦
❐◆✃✍✍❀☞☼🕓✿✍❻✂
❐◆✃✍✍✎⅄🔔✂⇦×♦
✃✍✍✍□⌨♦➔⇖❑♎➔☠
🖃✂⊠✉✂❍⇳❍✿🕓♊♐ ❻▪⌧⬀✂⌘
✃✍✍✎✦ ⇖♦☸✐✃☠⬀
❐◆❻◆⬂→❑✃☎ ⇖♦☪✐❍←
❐◆🕮❒⇖♦⑨⊙ 🖃❍●←☠⬀ ♉⊡☾□🕓💣🖃
✍♦⬀⇳❷✂❽ ✌❒♦⬂☞♦♑⊡✍✍
✃✍✍❀☞☼⬃♑⊡🕓❷⇖
⌘⊡🕓✃✂✍✍✂♦⇦×♦ ▫✂❸✃❑✍✍✎
🕮❒🖃⑨✡✃ 🗐 ❶♦□♐✂⌨⊡
✃✍✍♐⬂⊞⊠❑⬀♋⇖
✃✍✍♐⬂➔⊡→✂➚☹⇖ ⬀⬀⬀⬀⬀) [3] وكان

الرسول γ يحبهم ويدعو لهم، فعن زيد بن أرقم η قال : قال رسول الله γ : [اللهم اغْفِر لِلْأَنْصَارِ، وَلِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الأَنْصَار] [4] وكفى الأنصار شرفاً بأن وقفوا بجانب رسول الله

---

(1) سنن الترمذي ، ح/ 3917

(2) صحيح البخاري، ح/2022

(3) سورة التوبة ، رقم الآية/ 100

(4) المرجع السابق، ح/ 4623

ونصروه، وعزروه وأيّدوه ، ووقروه، وأحبوه، وأحبهم، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأصبحوا يعرفون بجيران رسول الله γ .

من كل ما سبق يتبين ما لهذه المدينة العظيمة من منزلة كبيرة في نفس رسول الله γ وما يكنه لها γ من حب وإيثار، ولذلك كانت قلوب المسلمين دائماً مرتبطة بمكة المكرمة وبهذه البلدة الطاهرة التي تضم جسد رسول البشرية وهادي الأنام والتي نصرته وآوته وكانت على امتداد عصور التاريخ الإسلامي مركزا عظيماً من مراكز القوة وكيف لا ؟ وهي مأزر الإيمان التي يأزر إليها كلما حفت به الأخطار وكثر خصومه ولذلك فما من مسلم على وجه الأرض أينما كان إلا وفي نفسه شوق وحنين إلى مدينة المصطفى γ بل وهناك أمنية في قلب كل مؤمن على امتداد عصور التاريخ تختلج في نفسه حيثما يعيش ألا وهي الإقامة والسكن بالمدينة في يوم من الأيام وهذه من أمنيات حياته. فسكينة المدينة وهدوؤها واستقرارها وروحانيتها تعظم عن الوصف ولا يعرف ذلك إلا من عاش بها واختلطت محبتها بدمه وروحه.

المدينة المنورة عبر العصور

تباينت الآراء والمصادر حول نشأة المدينة المنورة، حتى قرنت بعضها تاريخ هذه النشأة بالأساطير والخرافات، وسنورد هنا ما يكاد يكون موضع اتفاق فيما بينها، فلم تكن للمدينة المنورة قبل الهجرة النبوية صفة المدينة الحضرية المتكاملة سواء من حيث التركيبية السكانية، أو من حيث النسيج العمراني الذي افتقر للترابط المدني، وكانت المدينة المنورة عبارة عن مجموعة من الواحات التي تتخللها الينابيع والعيون المائية، وشكل وجود الماء الصالح للزراعة العنصر الأساسي لتشكيل مجتمع المدينة المنورة في شكل مجتمع زراعي، كان سبباً في الاستقرار السكاني والحضري، لذا كان وجود الماء من أهم العوامل التي جعلت الكثير من الأمم تهاجر إليها، وتقطنها وتعيش فيها قبل الهجرة.

أول من سكنها

اتفق المؤرخون بأن أول من سكن المدينة المنورة قوم يثرب بن عبيل بن عوض بن آدم بن سام بن نوح ν ، وعرفت فيما بعد باسمهم " يثرب" ، وقد استقر قومه

بها حيناً من الدهر، إلى أن قدم إليها العماليق العتاة الذين أرسل إليهم موسى جنداً من بني إسرائيل فقتلوهم. (1)

ونظراً للموقع الجغرافي للمدينة المنورة وكثرة المياه الجوفية فيها ، فقد جعلها محط أنظار القوافل التجارية التي كانت تعبر أرض الجزيرة العربية في رحلة الشتاء والصيف. وكان اليهود الذين يسكنون بلاد الشام واليمن، من أمهر الناس بالتجارة، فكانت قوافلهم تمر وتحط بالمدينة المنورة فطاب لبعضهم المقام فيها فسكنها بعضهم، وجعلها مقراً لعمله وتجارته، وأصبحت المدينة المنورة مركزاً تجارياً مهماً لليهود بين الشمال والجنوب.

ثم هاجر إليها بعض القبائل العربية حوالي عام 455 م ومن بينها بنو عمرو بن ثعلبة (الأوس والخزرج) الذين أصحبت لهم الغلبة فيها.

ومن أهم القبائل اليهودية التي سكنت في المدينة ، قبائل بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة.

المدينة المنورة في عهد الرسول γ

وصل رسول الله γ إلى المدينة المنورة في الثاني عشر من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة الموافق الرابع والعشرين من شهر سبتمبر سنة 622 م ، ومعه الصحابي الجليل أبوبكر الصديق η .

استقبل النبي γ وصاحبه η أفضل استقبال وأجمل ترحاب بالدعاء والتهليل والتكبير والأهازيج، وكان دخوله فرحاً وسعادة غمرت قلوب الجميع، وقد استقبله أهل المدينة المنورة من الأنصار وفي مقدمتهم بنات النجار بالنشيد الذي مطلعه:

طلع البدر علينا من ثنيّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (2)

---

(1) تاريخ المدينة، للشيخ قطب الدين، تحقيق عبدالله عبدالعزيز إدريس، جامعة إدنبرة، 1985 ، ص/ 6-8 ، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996، المدينة درة المدائن، ص/ 27.

(2) المدينة درة المدائن ، ص/ 34 ، نقلاً من بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار، عبدالله بن عبدالملك المرجاني، مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم 13 ، ورقة رقم 13. البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، ط / دار الفكر ، بيروت لبنان، 1418 هـ ، ج/2، ص/ 583.

تظل المدينة المنورة تنبض بالحياة وتشع بنور الحضارة الإسلامية، فبمجرد أن تذكر الحضارة الإسلامية يتبادر إلى الذهن المدينة، التي علت مكانتها بدءاً من هجرة الرسول γ من مكة المكرمة إليها، حتى إن تاريخها اقترن بتاريخ تلك الهجرة، وأصبحت مركزاً للإشعاع الحضاري، ولنشر مبادئ الإسلام.

وازدادت أهمية المدينة بعد الهجرة النبوية γ بأن شرفها الله لتكون مدينة الرسول γ في حياته وبعد مماته، أسس فيها أول مسجد في الإسلام، وفيها مسجده γ ثاني الحرمين الشريفين، وثاني المساجد التي تشد إليها الرحال من جميع أنحاء العالم بعد المسجد الحرام.

جاء الإسلام ليقضي على تلك الفتن والنزاعات التي كانت سائدة بين القبائل التي تقطن المدينة المنورة، وأصبح مجتمع المدينة مجتمع سلام، يعيش في أمان تحت راية الإسلام.

تحول المجتمع في المدينة المنورة من مجتمع قبلي قبل الإسلام ، على مجتمع مدني متحضر، تحكمه دولة المؤسسات، والأنظمة الشرعية، لذا كان معظم التنزيل في المدينة المنورة عبارة عن تشريع للحياة.

منذ قدوم الرسول الكريم γ وبناء مسجده الشريف، أصبح المسجد المحور الأساسي لمركز المدينة عاصمة الإسلام الأولى، وأقيمت الدور حول المسجد، وبذلك شكّل المسجد وحدة الكتلة العمرانية التي تخللتها بعض الشوارع والأزقة المتعرجة، التي كانت تفصل بين الحارات . (3)

ثم بعد وفاة الرسول γ تولى الخلافة أبو بكر الصديق η وبايع المسلمون وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب η، وقام أبوبكر الصديق η بإنجازات عظيمة وتمكنت الدولة الإسلامية في عهد خلافته. من ردع الذين حاولوا الخروج عليها ، وثبتت دعائم الدين .

ثم جاءت خلافة عمر بن الخطاب η وفي سنة 18 هـ أحدث القحط مجاعة في المنطقة ، وزحفت القبائل إلى أطراف المدينة تستغيث، فجمع عمر الناس وعلى

---

(3) مرآة الحرمين ، إبراهيم رفعت باشا، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة.

رأسهم العباس عم رسول الله γ وصلى بهم صلاة الاستسقاء ، فكشف الله الغمة، ونقذ عمر وصية رسول الله γ بإخراج غير المسلمين من جزيرة العرب، حتى صفت المدينة وبقية الجزيرة للمسلمين، وانتشر العدل والرخاء، واستمرت ولايته بالمدينة المنورة حتى شهر ذي الحجة من السنة 23 للهجرة.

ثم تابع عثمان بن عفان η في ولايته بالمدينة المنورة الأعمال التي بدأها عمر بن الخطاب η واتسعت الفتوحات الإسلامية، وأسس أول أسطول بحري عسكري للدولة الإسلامية غزا به بلاد الفرنجة في البحر المتوسط، ونقل ميناء مكة المكرمة من الشعبية إلى جدة . (4)

ثم تولى الخلافة في استشهاد عثمان بن عفان η علي بن أبي طالب η ، ولما خرج علي بن أبي طالب η للجهاد في السنة الثالثة من خلافته ، استخلف على المدينة المنورة أميراً يدير شؤون الدولة الإسلامية هو الصحابي سهل بن حنيف. وفي السنة أربعين من الهجرة عين أبا أيوب الأنصاري قبل استشهاده في رمضان في نفس السنة، وهو أول من عين نائباً للخليفة في الإسلام. (5)

المدينة المنورة في العصر الأموي

تولى معاوية η وزار المدينة، ووزع الأعطيات على وجوه أهلها يتألفهم بها، وأحسن إلى الهاشميين، وعين مروان بن الحكم أميراً عليها، فهدأت النفوس، واهتم مروان بأمورها ومرافقها، وأجرى فيها العين الزرقاء لسقاية أهلها ورِي بعض بساتينها وانتعشت الزراعة والتجارة.

وعندما توفي معاوية وتولى ابنه يزيد الخلافة انتهت مرحلة من الاستقرار والطمأنينة، وبدأت مرحلة من الاضطرابات، فقد وقعت فتنة دفعت بعض أهل المدينة إلى خلع طاعة الأمويين، فأرسل يزيد جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة اقتحم المدينة ، وقضى على المقاومين وأهان الكثيرين من أهلها. (6)

المدينة المنورة في العهد العباسي

(**4**) المدينة درة المدائن، ص/ 38.

(**5**) نفس المرجع، ص/ 38

(**6**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/ 17

عاشت المدينة المنورة خلال العهد العباسي بفترات متعاقبة من الهدوء والاضطراب السياسي، ومن ازدهار الحركة العلمية وتقلصها، وكان العامل المؤثر في ذلك هو قوة الدولة ، وشخصية أمير المدينة ومدى حكمته.

ثم عهد السلطان نور الدين زنكي اهتم بطرق الحج، وأرسل أموالاً وافرة إلى المدينة لإصلاح موارد المياه والشوارع ، وعندما زارها سنة 557 هـ أمر ببناء سور جديد يستوعب الامتداد العمراني الذي انتشر خارج السور القديم.

المدينة المنورة في العصر المملوكي

حولت المدينة ولاءها إلى المماليك في مصر بعد أن استولوا على الحكم من الأيوبيين من (652 هـ – 923 هـ) وعاشت في ظلهم فترات مختلفة من الاستقرار والاضطراب، وكانت الحياة فيها تسير في تيارين متضادين، تيار العلم والعبادة وأعمال الكسب اليومية، وتيار الصراع السياسي والعسكري بين أبناء الأسرة الواحدة من الأشراف الحسينيين ، حكام المدينة المنورة على الإمارة.

كما شهدت المدينة في هذا العهد عددا من الأحداث المقلقة، أهمها البركان الذي انفجر في أقصى حرة واقع في رجب سنة 654 هـ ، وتدفق من نهر من الحمم باتجاه أحيائها، ثم انعطف بقدرة الله شمالاً ونجاها الله من ويلاته.

العهد العثماني

بعد تحول ولاء الحجاز للعثمانيين أغدقوا عليها الأموال والمساعدات العينية، وبني السلطان سليمان القانوني في 939 هـ سوراً منيعاً يحمى المدينة من هجمات المعتدين، وشيد قلعة حصينة، وازدهر النشاط العلمي فيها .

وفي القرن الثاني عشر الهجري ضعفت الإدارة العثمانية في المدينة ، فكثرت التعديات على القوافل، ووصلت إلى أطراف المدينة، لكن الشريف سرور أمير مكة المكرمة استطاع في أواخر هذا القرن أن يقضي على الفتن، ويوفر الأمن للقوافل، فاستراحت المدينة وعاد إليها الهدوء والسكينة. (7)

---

(7) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/ 20 .

وعندما تولى عبد الحميد الثاني السلطة في الدولة العثمانية، خص المدينة بعدد من المنجزات ، أهمها: محطة الاتصالات اللاسلكية، ومحطة كهرباء للمسجد النبوي وما حوله، والخط البرقي بين استانبول والمدينة، والخط الحديدي الحجازي القادم من استانبول وبلاد الشام ، الذي أحدث تغييراً كبيراً فيها، فقد كثر الزائرون، ونشطت الحركة التجارية، وتوافد المهاجرون من أنحاء العالم الإسلامي، فتضاعف عدد السكان في عقد واحد عدة أضعاف، ووصل إلى ثمانين ألف نسمة.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وقعت تركيا معاهدة الصلح مع الحلفاء ، سلمت المدينة لقوات الشريف حسين في الخامس من ربيع الأول عام 1918 م .

المدينة المنورة في عهد السعودي الحالي

يعد تأسيس المملكة على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في العشرينيات من القرن الرابع عشر الهجري ، أهم حدث تاريخي في هذا القرن في شبه الجزيرة العربية، حيث يمثل وحدة بعد فرقة، ولم شمل بعد تشتت، وبناء بعد هدم، وكانت دعوته دعوة خير لأهل هذا البلد الأمين، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان عبدالعزيز ρ يعرف قدر وشأن المدينة المنورة وأهلها، فكان أول من قام به . بعد دخوله المدينة المنورة . أن أعطى الأمان لجميع السكان حتى من كان عدواً له بالأمس. فتجلت عظمة الرسالة التي حملها ، فقد كان يحارب من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا. ولم يحارب من أجل ملك أو مال. كان هدفه توحيد المسلمين جميعاً تحت راية التوحيد.

يعتبر تاريخ دخول الحكم السعودي إلى المدينة المنورة على يد الأمير محمد بن عبدالعزيز آل سعود، نقطة تحول في تاريخ المدينة المنورة وأهلها، وكان ذلك في السبت الموافق التاسع عشر من شهر جمادي الأولى سنة 1344 الهجرية، الموافق للخامس عشر من ديسمبر سنة 1925 الميلادية.

كان من أهم ما حرص عليه الملك عبدالعزيز ρ بالنسبة للمدينة المنورة وسكانها ، أن يطمئنهم ويؤمنهم على حياتهم، وأرواحهم ، وأموالهم وأعراضهم . وقد صدق ما وعد وعاهد الله عليه ، هو وأبناؤه من بعده، فلبست المدينة المنورة منذ

ذلك اليوم حتى يومنا هذا، حلة تليق بمقامها، ومكانتها الرفيع، فخلعت رداء الخوف والجوع، ولبست لباس الأمن والأمان فاستعادت مكانتها، وصدارتها التاريخية.

حظيت المدينة المنورة باهتمام الملك عبدالعزيز وأبنائه من بعده، فعمت مشاريع التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والإنسانية، جميع مرافق الحياة فيها حتى توج ذلك كله توسعة وعمارة المسجد النبوي الشريف، التي بدأها الملك عبدالعزيز، إلى التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وشملت جميع مساحة المدينة القديمة ، وازدهرت الحياة الاقتصادية، والاجتماعية فيها، نتيجة ما صاحب هذه التوسعة من عمران وتطوير للمناطق المحيطة بالمسجد النبوي الشريف.[1] وحالياً بدأت التوسعة الجديدة للمسجد النبوي γ بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ρ .

أمراء المدينة المنورة

بعد قيام الدولة الأموية في دمشق بقيادة معاوية بن أبي سفيان η سنة 40هـ ، انتقل مركز الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى دمشق ، ولكن المدينة المنورة احتفظت بأهميتها، ومركزها في وجدان المجتمع الإسلامي، كما قام الخلفاء والملوك والسلاطين ببذل ما في وسعهم ، لتعيين أمراء للمدينة المنورة للقيام بشؤونها، وإدارة أحوالها، واستمر الحال كذلك في ظروف مختلفة، ومتباينة، حتى العهد السعودي الحالي.

وأذكر هنا أهم أمراء المدينة المنورة منذ الدولة الأموية إلى عهد الشريف علي بن الحسين .

م	العهد/ الأمير	تاريخ
1	الصحابي الجليل أبو هريرة η	40 هـ
2	مروان بن الحكم	41 هـ
3	سعيد بن العاص	49 هـ
4	عبدالله بن الزبير	64 هـ

(1) المدينة درة المدائن، ص/ 67، وانظر مجلة الأمانة ، أمانة المدينة، العدد / 15، 1418 هـ.

5	مصعب بن الزبير	65 هـ
6	عمر بن عبدالعزيز	86 هـ
7	عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز	126
8	محمد بن عبدالملك بن مروان	130
9	داود علي بن العباس	133
10	الحسن بن سهل	198هـ
11	محمد بن عبدالله بن طاهر	348 هـ
12	اسماعيل بن يوسف	250 هـ
13	عطية بن المنصور	757 هـ
14	الشريف علي بن الحسين	1337 هـ
15	الشريف أحمد بن منصور	1344 هـ [2]

أهم مساجد المدينة المنورة

أكرم الله سبحانه وتعالى هذه البلدة الطيبة بالعديد من المكرمات، ويأتي في مقدمتها مساجد المدينة بالعامة، والمسجد النبوي بخاصة، فهو آخر مساجد الأنبياء، والمسجد الذي الصلاة في أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام. وتعدل الصلاة في بعض مساجد المدينة المنورة الأخرى عمرة كاملة [3] ، ويكفي هذه المساجد كلها شرفاً أن تفقدها الرسول γ وصلى بها.

المسجد النبوي γ

يقصد بالمسجد النبوي في المدينة المنورة المسجد الذي بناه الرسول γ في المكان الذي يشغله الآن. وهو ثاني المساجد التي تشد إليها الرحال بعد المسجد الحرام وقبل المسجد الأقصى، فعن أبي هريرة η قال : قال رسول الله γ : [لَا تَشُدُّ

(2) أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم، السيد أحمد ياسين الخياري، مكتبة المدينة المنورة، ط/1، 1962 ، ص/ 5 – 21 .

(3) يقصد بذلك مسجد قباء

الرِحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِد، مَسْجِدِيْ هَذَا ، وَالَمسْجِدِ الحَرَام، وَمَسْجِدِ بَيْتِ الَمقْدَس] [4] .

يمثل المسجد الساحة التي انطلق منها أوائل المسلمين للجهاد بقيادة النبي γ في الغزوات، استخدم مقراً للحكم والإدارة أيام الخلفاء الراشدين، وكان ملتقى أهل الرأي والمشورة من كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

مرت عمارة وبناء المسجد النبوي γ بأطوار ومراحل عبر التاريخ، كان لكل مرحلة طابعها الخاص، سواء من حيث حجم التوسعة، أو من حيث الفن المعماري الذي تم تطبقه ليكون شاهداً على مستوى تطور فن العمارة الإسلامية في كل عصر.

في عهد الرسول γ

وقع اختيار رسول الله γ على الأرض التي كانت تسمى المربد لغلامين من بني النجار هما : سهل وسهيل، أبناء رافع بن عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم، لبناء مسجده، فدعا الغلامين وعرض عليهما شراءها ، فقالا: نهبها لبناء المسجد[5]، ولكنه γ أبى إلا أن يدفع لهما عشرة دنانير ثمناً لها، حيث إنهما لم يبلغا بعد سن الرشد ، ثم أمر بتجهيز الأرض ، ثم ينقلون الصخر ورسول الله γ معهم وهو يقول: [اللهم لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْر الآخِرَة، فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَة] [6]، وكان γ يباشر البناء مع أصحابه ، وتم بناء المسجد فيها، وجعل طوله خمسة وثلاثين متراً، وعرضه ثلاثين متراً، وبمساحة إجمالية 1050 متراً مربعاً.

وفي السنة السابعة للهجرة، ضاق المسجد بالمسلمين فأمر رسول الله γ بتوسعته، فوسع من جهتي الغرب والشمال، فبلغت مساحته الكلية 2475 مترا مربعاً. [7]

ثم في عهد عمر بن الخطاب سنة 17 هـ أضيفت إليه زيادات مقدارها 1100 متر مربع في الجهات الجنوبية والغربية والشمالية.

---

(4) صحيح البخاري، ح/ 1189

(5) المدينة المنورة درة المدائن، ص/80

(6) المرجع السابق، ح/ 428 .

(7) المرجع السابق،

ثم في 29 هـ أعاد عثمان بن عفان η بناءه بالحجارة، وزاد فيه من جهاته الثلاثة الجنوبية والغربية والشمالية مقدار أربعمائة وسبعين متراً مربعاً .

وفي سنة 88 هـ أعاد الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك توسعته، وزيد من جهاته الغربية والشمالية والشرقية، وأدخلت الحجرات الشريفة فيه مع المحافظة على حجرة أم المؤمنين عائشة التي فيها قبر رسول الله γ وصاحبيه رضي الله عنهما.

ثم في سنة 161 هـ أمر الخليفة المهدي العباسي بتوسعة وترميمه، فصارت مساحته الكلية ثمانية آلاف وثمانمائة وتسعين متراً مربعاً.

وفي سنة 879 هـ أعيد بناء أجزاء منه بأمر السلطان المملوكي الأشرف قايتباي، وزيد فيه من الجهة الشرقية مقدار 120 متراً مربعاً. وأضيفت إليه مئذنة خامسة عند باب الرحمة .

وفي عام 1984 م أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بأضخم عمارة وتوسعة في تاريخ المسجد النبوي استغرقت عشر سنوات، وزيد في مبناه اثنان وثمانون ألف متر مربع ، فبلغت مساحة المبنى ثمانية وتسعين ألفا وثلاثمائة وسبعة وعشرين متراً مربعاً. [8]

مسجد قباء

هو أول عمل قام به رسول الله γ كما ذكره الله سبحانه وتعالى ، أول مسجد أسس على التقوى، قال β : (•• ✍•◑➔⚐⬄ ▫♋⓿❍♋
“▪⬁♍♒⬆🕮 ➘⑨⬁➶⬄❍⮹☺⅄♑ 🗐 ✃✡⑨♦✍❒🕮
☜✌❑❒❒🕮 ⇳♊♋✌ ▤❽♦❑⬂◑✸☝♑♐✃ ❼■✍♦⬉
♦⚐❑➔◑⬧✍ ♌❒🕮 ❻✉☒❍❒🕮 ✌✈⬀❑♦③
⚈♍❑♒🖮♋♦⬈⑥ ⮘✌🔔⮹♊♐❻ ♋❍⓿♋▫ 🗐 ♋❍⓿♋▫
✦✎♐✃◆❒ 🗐 ☎✃❒⬉❷⚫♑⬧➲♦☝♦③ ♌❒🕮
⚈▫⬄♐❷♎♎♑⅄➲←☺⬂♑♐✃ ❹⬛♋♦⬈⑥
⬁⬂☜♋⬀) .[9]

(**8**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم ، ص/ 33.

(**9**) سورة التوبة، رقم الآية/ 108

وعن سهل بن حنيف η أن النبي γ قال: [مَنْ تَوَضَأْ فَأَحْسِنِ الوُضُوْءَ وَجَاءَ مَسْجِدَ قُبَاء فَصَلَّى فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ كَانَ لَهُ أَجْرَ عُمْرَة] [10].

بناه الرسول الكريم γ قبل وصوله إلى المدينة المنورة والشروع في بناء مسجده الشريف، وكان الرسول γ يسهم بنفسه ، ويده، ، في بناء المسجد، وفيه كانت أول تعليمات الدين الإسلامي الحنيف للمجتمع الإسلامي الجديد.

تم تجديد المسجد في عهد الوليد بن عبدالملك ، وقام بذلك عمر بن عبدالعزيز أمير المدينة المنورة آنذاك، وظل المسجد على حاله، ومساحته حتى صدرت توجيهات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، بتوسعته ، فأصبحت مساحته 7465 مترا مربعاً، ويستوعب ما يزيد على عشرين ألف مصل. [11]

مسجد الجمعة

بعد أن انتهى رسول الله γ من بناء مسجد قباء ، اتجه إلى المدينة جاعلاً المسجد خلفه، فكان اتجاهه γ من الشمال إلى الجنوب ، وبهذا المسار اصبحت منازل بني النجار على يمينه γ شرقاً، وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة.

تسارع بنو النجار داعين الرسول γ للبقاء عندهم ، والسكن معهم، وأخذوا يتجاذبون خطام ناقته القصواء باعتبارهم أخواله γ ، وكانت إجابته γ [دَعَوْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُوْرَة] [12] حتى إذا بلغ γ المكان الذي به المسجد الآن، فأدركته صلاة الجمعة، وهو في بني النجار وقد توفرت شروطها باكتمال العدد، صلى الرسول γ صلاة الجمعة، وحدد فيها واجبات صلاة الجمعة بالخطبتين، والإقامة ، واكتمال العدد، وكانت هذه الصلاة هي أول صلاة جمعة تؤدي في الإسلام، وأول جمعة تؤدي في المدينة المنورة وبها سمي المكان الذي أدى فيه γ صلاة الجمعة، وأقيم به مسجد سمي بالاسم نفسه. [13]

مسجد الميقات ذي الحليفة

(**10**) رواه أحمد في مسنده، ج/3، ص/ 487

(**11**) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام ، ص/ 298.

(**12**) جامع الأحاديث ، ج/36، ص/ 418، ح/ 39662

(**13**) سيرة ابن هشام ، ج/1 ، ص/ 495 .

يعرف هذا المسجد بعدة أسماء منها : أبيار علي ، ومسجد الميقات، أو الإحرام لأنه ميقات أهل المدينة المنورة ومن أتى عليها من غير أهلها، يعرف كذلك بمسجد الشجرة، وعن ابن عمرκ أنه قال: [بَاتَ رَسُولُ الله γ بِذِيْ الحُلَيْفَة وَصَلَّى فِي مَسْجِدِه] [14] كان النبي γ [يَرْكَعُ بِذِيْ الحُلَيْفَة رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ اسْتَوَتْ بِهِ النَّاقَة قَائِمَة وَأَهَّلَ بِهَذِهِ الْكَلِمَات لَبَيْكَ اللهم لَبَيْك لَا شَرِيْكَ لَك] [15].

أقام بناء مسجد الميقات أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز في العصر الأموي وتوالت التجديدات عليه، وتعرض للكثير من التلف، وظل على هذه الحال إلى أن أمر الملك عبدالعزيز بإعادة بنائه بناء حديثاً. ثم أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بإعداد التصميمات الهندسية اللازمة بما يليق ومكانته. وقد بلغت مساحته بعد التوسعة 88000 مترا مربعاً، ليصبح ثاني أكبر مسجد بالمدينة بعد المسجد النبوي. [16]

مسجد القبلتين

يقع المسجد شمال غرب المدينة، وكانت أمنية الرسول γ أن تكون وجهته وقبلته إلى البيت الحرام، وفي منتصف شعبان من السنة الثانية للهجرة، وبينما رسول الله γ قائم يصلي الظهر ومعه نفر من المسلمين، إذا هبط عليه الروح الأمين مبلغاً إياه بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة، قال χ : ([illegible]

(**14**) صحيح مسلم، ح/ 1188

(**15**) نفس المرجع، ح/ 1184

(**16**) المدينة درة المدائن، ص/ 138.

☞●☺◆⬉ ✍✍✎▦🕔◆⇔✎☜ ✦✍☞✂ ☞◆✌◆❐
③◆➔✍☺◻☒➔❑♌◆ ⇗✍✍⇘⇚) [17] . عندها تحول رسول الله γ وهو في صلاته ومن معه من القبلة الأولى التي كانوا يصلون إليها ، إلى مكة المكرمة في اتجاه الكعبة المشرفة ليصبح البيت الحرام والكعبة المشرفة قبلة المسلمين في صلاتهم. [18]

مسجد الغمامة

يرجع سر تسميته بهذا الاسم إلى ما جاء عن أنس بن مالك η خادم رسول الله γ حيث يقول : إن الرسول γ قد خرج إلى المصلى يستسقي، فبدأ الخطبة ثم صلى وقال: [**هَذَا مَجْمَعُنَا وَمُسْتَمْطرُنَا وَمُدَعَانا لِعِيْدِنَا لِفِطْرِنَا وَأَضْحَانَا فَلَا تَبْنَى فِيْهِ لَبِنَة وَلَا خَيْمَة**][19] وبعد دعاء الاستسقاء ، ظللته الغمامة، ونزل عليه المطر إجابة لدعائه، فلما ظللته الغمامة عقب الدعاء ، أطلق عليه الصحابة اسم " مسجد الغمامة" . [20]

الأماكن الأخرى في المدينة المنورة

الحجرة الشريفة

الحجرة الشريفة هي البيت الذي كان النبي γ يقيم فيه مع أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق κ ، ويقع في الجهة الشرقية الجنوبية من المسجد النبوي.

بني هذا البيت مع بناء المسجد النبوي بالطين واللبن وجريد النخل، وغطي بمسوح الشعر، لا تزيد مساحته على 3.50 م × 5 م، له باب من خشب العرعر أو الساج، يفتح على الروضة الشريفة في المسجد.

توفي رسول الله γ في هذه الحجرة، ودفن فيها من جهة القبلة، وظل الجز الشمالي منها سكناً للسيدة عائشة رضي الله عنها.

(**17**) سورة البقرة، رقم الآية/ 144

(**18**) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، محب الدين بن النجار، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، ص/ 190.

(**19**) تاريخ المدينة لابن شيبة، ح/360.

(**20**) دليل مساجد المدينة، إعداد إدارة الأوقاف في المدينة، 1399هـ .

وعندما توفي والدها الصديق η ، دفن خلف النبي γ بذراع ، ورأسه عند منكب النبي γ .

ولما توفي عمر بن الخطاب γ دفن فيها أيضاً خلف الصديق بذراع، ورأسه عند منكبه، وظلت الجهة الشمالية مسكناً للسيدة عائشة ι ، بقية حياتها، ولم توفيت عائشة ι دفنت في البقيع ولم تسكن الحجرة من بعدها.

وفي إمارة عمر بن عبدالعزيز على المدينة أعيد بناؤها وأحيطت القبور بجدار ذي خمسة أضلاع ليس له باب.

وفي عهد نور الدين زنكي سنة 557 هـ أقيم حولها سور من الرصاص له أساس عميق.(21)

الروضة الشريفة

الروضة الشريفة هي المكان الواقع بين بيت النبي γ والمنبر الشريف ، وسميت بهذا الاسم لما ورد في الحديث الصحيح : [مَا بَيْنَ بَيْتِيْ وَمِنْبَرِيْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة] (22)

وقد اشتهرت بعض الأعمدة في الروضة، وارتبطت بمآثر مدونة في كتب الحديث والتاريخ، وهي : أسطوانة السيدة عائشة، وأسطوانة الوفود، وأسطوانة التوبة، والأسطوانة المخلقة، وأسطوانة السرير، وأسطوانة المحرس أو الحرس.

الصُفَّة

"مكان في مؤخرة المبنى القديم من المسجد النبوي الشريف، غرب ما يعرف اليوم بدكة الأغوات، إلى الجنوب قليلاً ، وليس لها أية علامة مميزة حالياً.

أمر γ بأن يظلل هذا المكان بجريد النخل، وأطلق عليه اسم الصفة وقد أعد لنزول العزاب من المهاجرين، والفقراء والوافدين الذين لا مأوى لهم.

وكان عمل أهل الصفة تعلم القرآن والأحكام الشرعية، من رسول الله γ أو ممن يأمره رسول الله γ بذلك . " (23)

(**21**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/36.

(**22**) صحيح البخاري، ح/ 2672

(**23**) http://www.sef.ps/vb/multka375573

جنة البقيع

ذكر محمد حسين هيكل عن جنة البقيع في رحلته " في منزل الوحي " حيث يقول : " البقيع، أو بقيع الغرقد كما تسميه كتب السيرة، هو مقبرة المدينة كان مقبرتها في الجاهلية وفي صدر الإسلام وما يزال مقبرتها إلى اليوم" (24)

يقع في مواجهة القسم الجنوبي الشرقي من سور المسجد النبوي ، يضم البقيع رفات الآلاف من أهل المدينة ومن توفي فيها من المجاورين والزائرين، ويروي أن ما يقرب من عشرة آلاف صحابي دفنوا فيه . منهم أمهات المؤمنين زوجات الرسول γ عدا خديجة وميمونة κ . .(25) "

يقول محمد حسين هيكل : " ففي هذا الجزء من البقيع مقابر أزواج النبي γ وقبر ابنه وقبور بناته، وقبر عثمان بن عفان η وقبر جعفر الصادق ، وقبر مالك بن أنس ρ وقبور شهداء واقعة الحرة التي هاجمت فيها جيوش يزيد بن معاوية المدينة سنة ثلاث وستين من الهجرة . هذا إلى كثير من صحابة رسول الله γ ذكرت المؤلفات القديمة عددا كبيراً من أسمائهم" (26)

مقبرة شهداء أحد

"في شمال المسجد النبوي وعلى بعد أربعة كيلومترات منه، تقع مقبرة سبعين من أصحاب رسول الله γ استشهدوا في معركة أحد وفي مقدمتهم عمه حمزة بن عبدالمطلب η .

وكان استشهادهم في شوال سنة ثلاث من الهجرة في غزوة أحد. وكان رسول الله γ يتعهد هم بالزيارة بين الحين والآخر." (27)

جبل أحد

"جبل أحد من أهم المقامات المقدسة الطبيعية في المدينة المنورة وأظهرها، يقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي ، على بعد 4.5 كم منه تقريباً، ويبلغ طوله

(**24**) في منزل الوحي ، محمد حسين هيكل، ص/ 518

(**25**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/ 59.

(**26**) في منزل الوحي، ص/ 518

(**27**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/61. -http://www.travelzad.com/vb/177569

ثمانية كيلومترات، وعرضه ما بين 2-3 كم ، وأقصى ارتفاع له عما حوله 300 م تقريباً. " (28)

ولهذا الجبل مكانة متميزة في نفوس المسلمين حيث يرتبط اسمه بمعركة عظيمة هي معركة أحد التي وقعت بين المسلمين والمشركين سنة 3 هـ ، وجاءت في فضله عدة أحاديث منها قوله γ : [أُحُدْ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ] (29)

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

"يقع في الجزء الشمالي الغربي من المدينة المنورة على طريق تبوك، ويعد أحد المنشأت المتميزة فيها، فهو مركز علمي وصناعي لخدمة كتاب الله، يقدم للمسلمين في أنحاء العالم القرآن الكريم وتفسيره مطبوعاً باللغة العربية واللغات الحية الأخرى، كما يقدمه مسموعاً في أشرطة مسجلة." (30)

مدينة الطائف

وهي المدينة الثالثة من الحجاز وكانت تعرف قديماً باسم "وج" نسبة إلى وادي وج الذي ينسب إلى وج بن عبد الحي من العماليق(31)، و أكد ياقوت الحموي والفاسي بـ " أن جبريل v أقتطعها من أرض فلسطين فسار بها إلى مكة وطاف بها سبع مرات حول البيت الحرام ثم أنزلها حيث الطائف اليوم فسميت ذلك الذي طاف عليها وطاف بها" (32).

الطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان تقع قريباً من مكة وهي إحدى مدن الحجاز الرئيسية تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من مكة على ظهر جبل غزوان ، و جبل عرفة العالي الذي طلعت بعض الجبال منه وهي مرتفعة

(**28**) نفس المرجع، ص/ 88 ، نفس المرجع

(**29**) صحيح البخاري ح/ 4422

(**30**) المدينة المنورة تاريخ ومعالم، ص/ 97 ، وانظر http://www.madina2013.com/pages.

(**31**) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، لسالم، ص/ 521

(**32**) معجم البلدان، ج/4، ص/ 9، شفاء الغرام، ج/1، ص/ 90

أكثر من خمسة آلاف قدم عن مستوى البحر في سهل رملي محاط بالتلال المنخفضة. وهو من جبال السراة وبغزوان قبائل هذيل. [33]

والطائف تقع على ارتفاع 1700 م فوق سطح البحر، وكلما تتجه إلى الجنوب والغرب فيزداد الارتفاع حتى تصل 2500 م . والطائف يربط بمكة المكرمة بطريقين ، أحدهما طريق الهدى وطوله 88 كم ، وثانيهما طريق السيل وطوله 113 كم. وتقع بين خطي عرض 20-22 درجة، وخطي طول 40-42" . [34]

والطائف محلتان محلة إلى جانب من وادي وج تسكنه ثقيف والأخرى على الجانب المقابل ويقال لها الوهط. [35]

وقد ظل اسم وج يطلق على موضع من الطائف يقع على وادي وج يقال له برد في العصر العباسي إذ أقامت فيه زبيدة زوجة هارون الرشيد حائطين يقال لهما وج [36] ووادي الطائف الذي يعرف بوادي وج تجري فيه مياه المدابغ التي يدبغ بها الأديم.

ويحيط بالطائف نطاق من المزارع والبساتين تمتد إلى حوالي ثلاثة أو أربعة كيلومترات من المركز العمراني بالمدينة ويطوق جبل غزوان حالياً من هذه المزارع بينما ينفتح سهل الطائف مكة وبالقرب من الطائف تقع قرية العرج المعروفة بعرج الطائف وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف وإليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبدالله بن عمر بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عثمان بن عفان η وهذه القرية هي أول تهامة. [37]

ومن نواحي الطائف المشهورة الوهط وهي قرية على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص وقد سميت كذلك لكثرة ما كان فيها من كروم. [38]

(**33**) نفس المرجع، صفة جزيرة العرب، ص/ 49 .

(**34**) www.wikipedia.org

(**35**) جغرافية شبه جزيرة العرب، لعمر رضا كحالة، دمشق ، 1945 ، ص/ 190

(**36**) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص/ 79.

(**37**) دراسات في تاريخ العرب القديم قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ص/ 322.

(**38**) الكروم : شجرة العنب . صفة جزيرة العرب، ص/ 121.

يذكر شكيب أرسلان نقلاً من الأصمعي أنه قال: " دخلنا الطائف فكأني كنت أبشر وكأن قلبي ينضح بالسرور ولا أجد لذلك سبباً إلا انفساح حدها وطيب نسمتها" [39]

يقول شارلز ديدية عن الطائف : " إن بساتين الطائف التي تجعلها مشهورة في الحجاز كله منتشرة حول المدينة، وتبدو كأنها واحات في وسط الرمل. إن البساتين صغيرة على العموم، وفيها قليل من النباتات، ولا تدين بشرتها إلا للقحط الشامل الذي يسود الجزيرة العربية." [40]

روي الفاكهي محمد بن موسى القطان قال: ثنا محمد بن حجاج الثقفي، قال : ثنا عبدالعزيز بن أبي رواد، عن عطاء ، عن ابن عباس K قال: كانت الطائف من أرض فلسطين، فلما قال إبراهيم V : ([illegible]) [41] قال : رفعها الله تعالى له ، فوضعها في موضعها . [42]

"وقيل أن " عين بردي " في الطائف هو نفس الاسم الذي معروف لنهر " بردي في مدينة دمشق بالشام . ويقال أن ماؤهما لا يختلف في الطعم ولا في العذوبة. وهكذا لا تختلف طعم الفواكه والخضروات في المنطقين الشام والطائف . [43] .

(**39**) الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان، ص/ 124

(**40**) الرحلة الحجازية ، ص/ 310.

(**41**) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37.

(**42**) يقول الفاكهي محمد بن حجاج الثقفي لم أعرفه ، وبقية رجاله موثقون. والفاكهي رواه من الأزرقي ، ج/1، ص/ 77 ، وابن جرير في التفسير ، ج/13، ص/ 235.

www.wikipedia.org (**43**)

المناخ

تتميز مدينة الطائف بجو معتدل لارتفاع أرضها وكثرة المزارع والبساتين فيها وما حولها ، وخير ما وصف ابن المجاور بأنها : "بلد طيب الهواء بارد الماء"[44]. وأما المقدسي وصف بأنها "شامية الهواء باردة الماء" [45]. وأهل مكة يأتون إليها عندما تشتد الحرارة في الصيف.

وجو الطائف في فصل الشتاء بارد إلى حد نقطة الانجماد المياه[46]. وتكثر الأمطار فيها في فصل الشتاء ويبلغ متوسط نزول الأمطار من (50 – 500ملم) وقد كثرت الزراعة وكثرة الفواكه بسبب نزول الأمطار فيها[47].

وتعدُّ الزراعة عماد الثروة الاقتصادية في الطائف إذ ساعد على قيامها جودة التربة وتوافر المياه وملائمة المناخ مما أدى إلى نشاط زراعي على نطاق واسع، فانتشرت حولها المزارع والبساتين التي تنتج أنواع الفواكه والخضراوات ، وفي مقدمة حاصلات الطائف الرمان والموز والتين والعنب والزيتون والخوخ والسفرجل والبطيخ وقد كان لتمور وكروم الطائف شهرة واسعة في بلاد العرب. وقد ذكر ياقوت ذلك فقال : "فيها العنب العذب ، لا يوجد مثله في بلد من البلدان وأما زبيبها فيضرب بحسنه المثل" [48] ، ومن غلاتهم الحيوية الأخرى الحنطة ويذكر ابن المجاور : "أن زراعتهم الحنطة اللقمية التي تشابه اللؤلؤ" [49]

وقد استفاد سكان الطائف من أشجار الغابات المجاورة لهم على سفوح جبل غزوان فاستخدموها حطباً للوقود وصناعة الفحم واستخرجوا منها القطران ، فضلاً عن استخدام الغابات لصيد الحيوانات كالفهود،ومارس أهل الطائف تربية نحل

(**44**) صفة بلاد اليمن والحجاز بعض مكة لابن المجاور ، ص/25 ، شفاء الغرام ، ج/1، ص/89 .

(**45**) أحسن التقاسيم ، ص/79.

(**46**) معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج/4، ص/10

(**47**) دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية، عمر فاروق السيد رجب، ص/60

(**48**) المرجع السابق، ، ص/ 11-12

(**49**) صفة بلاد اليمن والحجاز وبعض مكة لابن المجاور، ص/ 25

العسل فكان العسل أحد مصادر الثروة المهمة وقد أكتسب عسل الطائف شهرة واسعة قبل الإسلام وبعد ظهوره[50].

فضل الطائف

- أن الله تعالى قرنها بمكة في امتنانه على نبيه γ بفتحها في كتابه العزيز قوله β : (❒◆③⇖☞⚻⚐○ ☼⚻➔⬀☺⍓☞◆❍➔⦶ ⇖◆▣■⓿⬂⌨⍓)[51] جاء في التفسير أي بفتح مكة والطائف ذكره الميورقي في البهجة .[52]
- أن الله تعالى قرنها بمكة المشرفة في الذكر الحكيم ، حيث يقول χ : (❒◆♕✦⟋♑⌂⬀❑✄☎ ♒✦❑⬀✦• ☼➔❽♒⚡✌◆ ♎⍓◑⓿☒✄ ✄⟋♑⌂⬂◑➔❷⬀⬈◆✄♌⇖ ⇖◆✍■❼🗐 ❻◆♉⇖✍🗄 ✌♓⚻♊⌘ ✄⟋♑⌂⬂◑✦❷⬀③◆✌◆✓⬀✖⬀ ⇖◆➔⚻➚☹✍ ⬀⬂▩⬃)[53]، قال المفسرون : هما مكة والطائف، واختلف في الرجلين، فقيل : إنهما الوليد بن المغيرة بمكة ، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، واقتصر على هذا القول الجلال المحلى في تفسيره.[54]
- أن الله تعالى قرنه بالحرمين أيضاً في سابقية شفاعته γ لأهله على غيرهم ممن ليس من أهل الحرمين، فقد قال γ : [**أَوَّلُ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَة ، أَهْلُ مَكة وَأَهْلُ المَدِيْنَة وَأَهْلُ الطَّائِف**][55]

([50]) دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، سالم، ص/ 527-528

([51]) سورة الفتح، رقم الآية/ 2

([52]) بهجة المهج للميورقي ، ص/35

([53]) سورة الزخرف، رقم الآية/ 31.

([54]) تفسير الجلالين، ص / 163.

([55]) رواه أبو محمد القاسم بن عساكر عن عبدالمالك بن عباد بن جعفر، ونقله عن المحب الطبري في القرى.

- أن الله تعالى شرفها بتنزيلات إلهية وخصوصيات سنية دل عليها قوله γ : [إن آخر وطأة[1] وطئها الله بوج] [2] ، وقال الميورقي في في البهجة : وأحسن ما قيل في ذلك قول شيخنا عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري : " معناه آخر غزوة وطئ الله بها أهل الشرك غزوة الطائف " [3]
- أن الله تعالى شرفها بدخلوه γ مرتين: الأولى في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من النبوة، ومعه زيد بن حارثة، فأقام بها شهراً يدعو إلى الله تعالى ، فلم يجيبوه، بل أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع علي الناس ، وألجأوه إلى حائط عتبة وشيبة ابن ربيعة، وهما فيه، فرجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف، فمحمد γ إلى ظل حبلة [4] من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما لقي من السفهاء فلما أطمأن قال : [اللهم إِلَيْكَ أَشْكُوْ ضـُعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيْلَتِيْ وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَاحِمِين إِلى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى عَدُو يَتَجَهَّمُنِي أَم إِلى قَرِيْب مَلَكْتَه أَمْرِي إِنْ لَم تَكُن سَاخطًا عليَّ فَلاَ أُبَالِي غَيْر أَن عَافِيَتُكَ أَوْسَعَ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيم الذِي أَضَاءَتْ لَه السَمَوات وَأَشْرَقَت لَه الظُلُمَاتِ وَصَلُح عَلَيْهِ أَمْرَ الدُنْيَا وَالآخِرَة أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبكَ أَوْ يَنْزِل بِي سَخَطُك لَك العُتْبَى حَتى تَرْضَى وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَةَ إِلَّا بِك] [5]

والمرة الثانية بعد فتح مكة في شوال حين فرغ من حنين فسلك منها γ على نخلة اليمانية، ثم على قرن ثم بحرة الرغاء من لية [6] فابتني بها مسجداً فصلى فيه. [7]
[7]

---

(1) وطأة : شدة

(2) أخبار مكة للفاكهي، رواه الفاكهي عن خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون K .

(3) بهجة المهج، ص/ 32.

(4) الحبلة: شجرة العنب أو قضبانها

(5) جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي ، ح/ 4917 ، وانظر سيرة ابن هشام، ج/2 ، ص/ 420.

(6) قرن وبحرة الرغاء، ولية : مواضع بالطائف.

(7) إهداء اللطائف من أخبار الطائف، للعجيمي، ص/33

مسجد النبي γ

في الطائف مسجد ينسب إلى النبي γ ، وهو الآن تحويطة صغيرة ، طولها من الأرض فوق ذراع، ملاصقة للجدار القبلي من القبة الأخيرة الكائنة في آخر المسجد العباسي، على يمين الداخل من بابه الشرقي.

أما المسجد المبني تجاه القبة الأخرى المتقدمة في صحن المسجد العباسي، فقال ابن فهد وغيره: إنه لم يثبت فيه شيء .

وأول من بني هذا المسجد النبوي عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك لما أسلمت ثقيف. ثم عمرته أم جعفر زبيدة بنت جعفر العباسية ، كما يدل عليه ما ذكره الفاسي في شفاء الغرام، قال : " وجدت بخارج الجدار القبلي من المسجد العباسي حجراً مكتوباً فيه : أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل، أم ولاة عهد المسلمين ـ أطال الله بقاءها ـ بعمارة مسجد رسول الله γ بالطائف، وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومائة " [1]

المسجد العباسي

المسجد العباسي من أكبر المساجد في الطائف وفيه قبر سيدنا عبدالله بن عباس K ، وهو مشتمل على أربعة أروقة في الجهة القبلية ومنبر خشب فيه عشر درجات ، وعليه قبة صغيرة من خشب، أيضاً ، ليس بينها وبين سقف المسجد إلا نحو شبرين، وأمامه باب على يمينه محراب من رخام قطعة واحدة، وهو نات عن جدار المسجد، وللمسجد ثلاثة أبواب في يمينه ويساره ومؤخره وفي مؤخره منارة من جهة الركن.

وقال المرجاني : "وخلف المسجد تحت المنارة بئر ينزل فيها إلى الماء بدرج قريب الأربعين درجة، وقال: نزلتها في سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وهذه البئر موجودة إلى الآن. " [2]

---

(1) شفاء الغرام للفاسي، ج/1 ، ص/ 145 . وتحفة الطائف ، ص/ 140 .

(2) بياض الأصول للمرجاني،

ويقول الفاسي : " وأول ما بني هذا المسجد في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء العباسي" [1]

ثم جدد عمارته والقبة والمنارة بأمر الملك المظفر يوسف ابن رسول صاحب اليمن ، وتدل عليه الكتابة الموجودة على باب القبة : أمر بتجديد الملك المظفر في سنة ستمائة وخمس وسبعين الهجرية . [2]

قبر ابن عباس

وفيها قبر ترجمان القرآن مفسر الصحابة عالمهم بدقائق كلام الله تعالى سيدنا عبدالله بن عباس κ ، وهو أحد الستة المكثرين للرواية عن رسول الله γ الألوف في الحديث، وهم أبوهريرة، وابن عمر ، وجابر وابن عباس وأنس وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين.

توفي ابن عباس κ بالطائف سنة ثمان وستين في أيام الزبير η عن عمر إحدى وسبعين سنة، وصلى عليه محمد بن الحنفية ρ .

قبر زيد بن ثابت η

وفيها قبر زيد بن ثابت بالجبانة خارج المسجد في فسقية من غير شك عند أهل الطائف، واشتهر عندهم بقبر صاحب الراية، وهو مشهور بالبركة حتى إن بعض المرضى حمل إليه متوسلاً به إلى الله تعالى زوال مرضه، فقال من ساعته كأنما نشط من عقال، ورجع إلى بيته ماشياً على قدميه. [3]

مدينة جدة

اسم جدة

يوجد ثلاث آراء في اسم مدينة " جدة " ولكل رأي دليل وحجة ، وهذه الآراء هي :

(**1**) المرجع السابق.

(**2**) إهداء اللطائف من أخبار الطائف ، ص/ 56

(**3**) نفس المرجع، ص/ 54

بكسر الجيم : لقد سميت " جِدّة " من قبل سكان الحجازيين ، ويُنتسب هذا الاسم إلى شيخ قبيلة قضاعة الذي اسمه " جدة بن جرم بن حلوان بن علي بن إسحاق بن قضاعة" .

يقول لبيب البتنوني : " أهل البلاد يسمونها الآن جِدّة بكسر الجيم" [1]

بضم الجيم: وفي المعاجم اللغوية أن أصل الاسم لهذه المدينة هو " جُدّة" ومعناها شاطئ البحر ، وقد ذكر هذا الاسم صاحب معجم البلدان وابن بطوطة .

وقد ذكر البكري في معجمه: " جُدّة بضم أولها ساحل مكة ، معروفة ، سميت بذلك لأنها حاضرة البحر والجُدة من البحر والنهر ، ما وَلِي البَّر، وأصل الجُدّة: الطريق الممتد" [2]

ويقول ابن منظور: "جُدة مضمومة الجيم وهي الطريقة في الماء والجبل والجُدة الطريقة والجمع جُدد" [3].

بفتح الجيم: أما "جَدّة" أي بفتح الجيم هي كلمة عربية معنى والدة الأم والأب، ويقال إن أم البشر " حواء عليها السلام " دفنت في هذه المدينة . [4]، ويقول لبيب البتنوني : " ويسميها المصريون جدة بفتحها " [5]

ويقول البتنوني : " وكلها على ما أرى تسمية صحيحة : لأن الجدة بالكسر اليمن والسعادة ، وهذا الثغر بلا شك منه المادة التي تقوم بحياة هذه البلاد كلها وأي شيء أسعد مما يقوم بحياة الإنسان ووجوده. كما أن الجدة بالفتح الطريق الواسعة، وليس من طريق في بلاد الحج أوسع من هذه." [6]

موقع مدينة جدة

(**1**) الرحلة الحجازية ، لبيب البتنوني، ص/ 5.

(**2**) معجم ما استعجم ، ص/ 371 .

(**3**) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (جدة) ج/3 ، ص/108 .

(**4**) http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_120449.html

(**5**) معجم ما استعجم ، ص/ 371

(**6**) الرحلة الحجازية ، لبيب البتنوني، ص/ 5.

تقع مدينة جدة على الساحل الغربي من المملكة عند خط عرض 21 درجة و 30 دقيقة شمالا وخط طول 39 درجة و 12 دقيقة شرقاً، عند منتصف الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر .

ويحيط مدينة جدة من جهة الشرقية سهول تهامة ومرتفعات الحجاز، أما من الغرب فنجدها سلاسل من الشعب المرجانية.

ومدينة جدة تابعة لمنطقة مكة المكرمة في غرب المملكة العربية السعودية ، ولقبت بعروس البحر الأحمر ، وتعتبر جدة العاصمة الاقتصادية والسياحية، و جدة أكبر مدينة الثانية بعد الرياض في المملكة العربية السعودية. (1)

وتقدر مساحتها الإجمالية 748 كم^2 ، ويبلغ عدد سكانها حوالي 3.430.697 نسمة ، تطورت مدينة جدة خلال العقدين الآخرين من القرن العشرين وأصبحت من أهم المدن المملكة العربية السعودية ، وصارت من مدن الصناعية حالياً ، وتعد مركزاً مهماً للمال والأعمال. (2)

ويقول حافظ وهبة "وكان بجدة قبر ينسب إلى حواء أم البشر، وقد كان الحجاج يزورون هذا القبر ويتبركون به، كان أن أهل جدة أنفسهم كانوا يقصدون هذا المكان للتعظيم، وقد هدمت الحكومة الحاضرة القبة الموضوعة على القبر، كما أزلت البنيان الذي على القبر، ومنعت الناس من التمسح به أو إتيان أي عمل لا يتفق مع الشريعة الإسلامية . (3)

ولقد زار العلامة ابن جبير الأندلسي جدة في حجة سنة 579 هـ ، فذكر بعض آثار جدة، ومنها الموضع الذي شيد عليه " قبة عتيقة " يقال إنه كان منزل حواء أم البشر عند توجهها إلى مكة.

(**1**) http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_120449.html

(**2**) نفس المرجع

(**3**) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 22.

وقال الهمداني وابن جبير:"أن موضع القبة كان منزلاً لحواء فقط وليس موضع قبرها . فهو المكان الذي نزلت به وتعرفت أبي البشر آدم (عليه السلام)" (1).

وأما الحميري يؤكد أنَّه "كان في جُدة نزول حواء وبعرفات تعرفت بآدم"(2).

ويحيط بجدة قرى صغيرة في الجنوب والشمال، وأكثرها مؤلفة من بيوت صغيرة أو أكواخ يسكنها البدو، والجمالون وكثير من الزنوج. وجدة ليس بها نهر أو عين لشرب السكان ، ولكن بها آبار كثيرة خارج البلد، يملك أكثرها الأشراف والأهالي، وهي تملأ بماء الأمطار.

سور مدينة جدة وأبوابها

يكتب حافظ وهبة عن مدينة جدة في كتابه حيث يقول : " هي مدينة كانت مسورة . ولكن سورها قد أزيل واتصلت البلدة القديمة بالمباني الجديدة التي زاد عددها عن دور المدينة القديمة وتقع ميناؤها في منتصف طول البحر الأحمر تقريباً ، وهي ميناء مكة، والمسافة بينهما خمسة وخمسون ميلاً" (3)

يقول شارلز ديدية عن سور جدة : " يوجد في هذا السور ثلاثة أبواب ، باب اليمن من الجنوب ، وباب المدينة في الشمال، وأخيرا باب مكة المكرمة في الشرق وهو أجملها، ويقوم على حراسته برجان منخفضان منحوتان بمهارة فائقة في الذروة. " (4)

تاريخ جدة

(**1**) صفة جزيرة العرب، ص/ 223، رحلة ابن جبير، ص/ 53

(**2**) الروض المعطار في خبر الأقطار ، للحميري ، ص/157 .

(**3**) جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص/ 22

(**4**) الرحلة إلى الحجاز، ص/ 170

يقال إن نشأة مدينة جدة تعود إلى ما يقارب 3000 سنة ، واكتشفت مجموعة من الصيادين الذين يستقرون فيها بعد الصيد. ثم جاءت قبيلة قضاعة إلى جدة قبل أكثر من ألفين وخمسة سنة وسكنت فيها . [1]

ثم أسس الخليفة الثالث عثمان بن عفان η ، في عام 647 م وأمر ببناء ميناء على البحر للحجاج الذين يأتون لأداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة عن طريق البحر. وهي لا تزال المعبر الرئيسي لحجاج البحر والبر والجو .[2]

مدينة جِدَّة في عهد المماليك

كانت جدة تحت سيطرة الحكومات الإسلامية المتتالية من الأمويين والعباسيين والمماليك والعثمانيين. وكان المماليك يهتمون بها لأن جدة هي المدينة القريبة إلى مكة وهي طريق الحجاج والتجار، فكان السلطان المملوكي يعين حاكماً لجدة ويسميه نائب جدة .

وكان السلطان قانصوه الغوري قام ببناء سور جدة في عام 915 هـ ليحميها من هجمات السفن الأوربية. وهو من آخر حكام المماليك الذين حكموا جده في القرن 10 هـ .

جدة في العهد العثماني

في عام 931 هـ سيطر العثمانيون على الحجاز بعدما قام الشريف بركات حاكم الحجاز بإعلان ولائه للخلافة العثمانية.

ويقول حافظ وهبة : "وقد شيدت الحكومة التركية آلة على البحر لاستخلاص الماء الحلو، فساعد أهل جدة والأوربيين المقيمين بها على الحصول على ماء صحي نقي، وقد اشترت الحكومة السعودية في 1926 ماكينتين كبيرتين لهذه الغاية بالنظر إلى قدم العهد على الآلة الأولى، فتوفرت المياه العذبة للسكان وللحجاج" [3].

جدة كما وصفها الأدباء

(**1**) http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_120449.html

(**2**) جزيرة العرب في القرن العشرين. ص/ 22

(**3**) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 22

إن مدينة جدة مدينة ساحلية وجميلة وقد وصفها الأديب شارلز ديدية في قوله : " أخبروني في القاهرة أن جدة ليست إلا حياً صغيراً ، وقد تكرر ذلك على مسامعي حتى إنني لم أكن أنتظر رؤيتها على ما هي عليه. كم كانت دهشتي كبيرة عندما وجدتها على العكس مدينة جميلة، مكينة البناء ، جيدة التأسيس، تعج بالسكان، نابضة بالحياة ، ومزدحمة ، وجديرة على كل المستويات أن تحمل الاسم الذي تعرف به، ميناء مكة المكرمة، وليست بأقل جدارة لحمل اسمها الذي يعني بالعربية الغنية " . (1)

يقول شارلز ديدية في وصف جدة :

" فالماء العذب نادر فيها، وهواؤها سيئ في فصل الصيف، حار ورطب في الوقت نفسه، ترتخي له الأعصاب، ويوهن الجسد ، وخصوصاً هواء الجنوب، وإن كثيراً من الأجانب ، والسكان الأصليين لا يستطيعون اعتياده، فالزحار، والحمى المقلعة، والعفنية تكاد تكون مستوطنة على هذا الشاطئ الذي تنتشر فيه الأوبئة أكثر من أي شاطئ آخر في الجزيرة العربية" (2)

ووصفها المقدسي حيث يقول :

" محصنة عامرة آهلة، أهل تجارات ويسار، خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر. وبها جامع سري، غير أنهم في تعب من الماء مع أن فيها بركاً كثيرة، ويحمل إليهم الماء من البعد، قد غلب عليها الفرس. لهم بها قصور عجيبة، وأزقتها مستقيمة، ووضعها حسن، شديدة الحر جداً" (3)

المناخ في مدينة جدة:

يعتبر المناخ من أكثر العوامل المؤثرة في الظروف الطبيعية وبالتالي أكثرها تأثيراً على حياة الإنسان وعلى أحواله الاقتصادية والاجتماعية ، ومدينة جدة تقع في نطاق منطقة صحراوية داخل الإطار العام لمنطقة الضغط المرتفع المداري ، الذي يجعلها بصفة عامة في نطاق الرياح التجارية الشمالية الشرقية الحافة وهي تقع بين

(**1**) الرحلة إلى الحجاز، شارلز ديدية، ص/ 169

(**2**) نفس المرجع، ص/ 177

(**3**) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي، ص/ 77

المناخ المعتدل لحوضي البحر المتوسط والمناخ الموسمي الهندي ولهذا يتميز مناخها بالجفاف.

وترتفع درجة الحرارة في مدينة جدة صيفاً لأن سماءها الصافية تزيد من نسبة السطوع والأشعاع الساقطة على الأرض مما يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة ساعات النهار كما أن المدينة تقع على عرض 21 درجة شمالاً أي أنها قريبة من مدار السرطان بحيث أن أشعة الشمس تتعامد عليها في فصل الصيف وتصل درجة الحرارة العظمى إلى أكثر من 41 درجة مئوية في معظم أشهر السنة ، وذلك من شهر إبريل حتى نهاية شهر أكتوبر ، وأما بقية الأشهر تقع في فصل الشتاء فهي معتدلة وأقل الشهور حرارة هو شهر يناير حيث تصل درجة الحرارة العظمى إلى أكثر 31.5 درجة والصغرى 13 درجة مئوية. [1]

يتأثر مناخ جدة مباشرة بموقعها الجغرافي حيث ترتفع درجة الحرارة ونسبة الرطوبة خلال فصل الصيف، و تصل درجة الحرارة إلى بداية الأربعينات مئوية حيث تقع تحت تأثير امتداد منخفض موسمي عبارة عن كتلة هوائية حارة وصلبة وتصل الرطوبة إلى معدلات أعلى في فصل الصيف بسبب ارتفاع حرارة مياه البحر وتنخفض في فصل الشتاء نتيجة لتأثير المنطقة بالكتلة الهوائية المعتدلة المرافقة للمرتفع الجوى[2] .

مدينة ينبع

مدينة ينبع من أكبر مدن الحجاز في وقتنا الحاضر وهي من أكبر مدن الصناعية في المملكة العربية السعودية ، وهي المدينة الخامسة من مدن الحجاز من أهميتها وميناءها .

يقول حمد الجاسر : " وقوع هذه البلاد في منطقة تقرب من المدينة المنورة وعلى طريق قوافل قريش التي تتجه إلى الشام في عصر النبوة، جعل المؤرخين

(**1**) جغرافية الصناعة في مدينة جدة ، الرسالة العلمية ، عبدالحفيظ عبدالرحيم عبدالرحمن محبوب، 1403، جامعة ملك سعود ص/ 127.

http://www.jeddah.gov.sa (**2**)

المتقدمين يولونها قدراً يسيراً من العناية، فترد في كتبهم وفي كتب الجغرافيين المتقدمين إشارات موجزة، ونبذ قصيرة عنها، عند الحديث عن غزوات الرسول الله γ وذكر سراياه.

ولقربها من المدينة عني جغرافيو العرب بذكر بعض مواضعها باعتبارها معدودة في منطقة المدينة ، كما في كتابي " المغانم المطابة في معالم طابة" و " وفاء الوفاء في تاريخ دار المصطفى " .

يقول أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : "كانت تسكنها الأنصار وجُهينة وليث، وهي اليوم لبني حسن بن علي . وكان عمر η أقطعها [1] علياً η ، وفيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يليل، وبها منبر وهي قرية غناء، وواديها يصب في غيقة. " [2]

وعن جعفر بن محمد قال : " أقطع النبي γ علياً η أربع أرضين الفقيرين وبئر قيس، والشجرة ، وأقطعه عمر η ينبع مضافة إلى غيرها .

اسم مدينة ينبع

يقول ياقوت الحموي "ينبع بصيغة الفعل المضارع، وسمي بذلك لكثرة ينابيعه"[3] الجارية ويطلق هذا الاسم على ناحية متسعة في الحجاز، غرب المدينة المنورة، بميل نحو الشمال وتبعد عن المدينة نحو 150 كم.

ويقول الفيروز آبادي: " ينبع : بالفتح ثم السكون وضم الموحدة وعين مهملة، مضارع نبع الماء : ظهر ، ويجوز تثليث ياء مضارعه لغة " . [4]

ويرد اسم ينبع في كتب المتأخرين في صور متعددة ، " ينبع " و هو الصحيح و " الينبع " و " الينبوع " . وهما تحريف للأول، ويكثر هذا في مؤلفات أهل القرن الثمن الهجري فيما بعده كالمقريزي وابن تغري بردي والطبي وابن إياس الحنفي، والنابلسي وغيرهم .

(**1**) إعطاء قطعة من الأرض

(**2**) المغانم المطابة في معالم طابة، لأبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص/ 440 .

(**3**) معجم البلدان لياقوت الحموي، مادة ينبع، وانظر لسان العرب لابن منظور، ج/8، ص/ 345

(**4**) المغانم المطابة في معالم طابة، ، ص/ 440 .

ويطلق اسم ينبع في العهد الحاضر وقبله بزمن على " ينبع " الميناء، وإذا أريد ينبع النخل قيل " ينبع النخل" . إلا أن اسم ينبع عند إطلاقه في كتب المتقدمين يقصد به الأخير ، لأن ينبع الميناء أو " ينبع البحر " كما يسمى أيضا، كان أقل شهرة بل قلّ أن يوجد له ذكر في كتب الجغرافية القديمة كمعجم البلدان، ومعجم ما استعجم، باستثناء إشارات موجزة تشير إلى ميناء ينبع.

الموقع

تقع مدينة ينبع على بعد 200 كم في غرب المدينة المنورة على شاطئ البحر الأحمر، وهي على بعد 350 كم شمال مدينة جدة .

يقول أحمد العلي : " تقع ينبع على ساحل البحر على يمين (شمالي) رضوى[1] لمن كان منحدر من المدينة إلى البحر، على ليلة من رضوى، ومن المدينة على سبع مراحل " [2]

وقال المقدسي : " ينبع كورة جليلة حصينة الجدار، غزيرة الماء، أعمر من يثرب وأكثر نخيلاً حسنة الحصن، حارة للسوق، لها بابان ، الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو حسن" [3]

ويقول السمهودي : أن ينبع من نواحي المدينة " وإنما أفردت عنها في الأعصر الأخيرة، سميت به لكثرة ينابيعها"[4] وقد ذكر ياقوت الحموي عن الشريف بن سلمة بن عياش الينبعي " أنه عدّ بها مائة وسبعين عيناً " [5]

وقد ذكر حافظ وهبة مدينة ينبع بالاختصار، وقسمها إلى ينبع البحر وينبع النخل ، فأما ينبع البحر فهي " مبنية على سهل واقع بين البحر والجبل، وهي مسورة من جهة الداخل ، بيوتها مبنية من الحجر الجيري، والمسافة بينها وبين المدينة المنورة تقطع بالسيارة في ست ساعات" ثم يذكر ينبع النخل فيقول : " هي واحة

---

(1) اسم المكان

(2) الحجاز في صدر الإسلام ، ص/ 105

(3) أحسن التقاسيم، ص/ 83

(4) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، ج/2، ص/ 392 .

(5) معجم البلدان، ج/2، ص/ 392

نخيل مياهها كثيرة، وهي مقر عرب جهينة وحرب، ويتبعها نحو عشرين قرية آهلة بالسكان. "[1]

الموقع الفلكي

تقع هذه الناحية من خط الشمال العرضي بين الدرجة 24 ، و الدرجة 30/ 34 غرباً، ومن خط الطول بين 38 والدرجة 38/31 درجة شرقاً. [2]

مناخ مدينة ينبع

مدينة ينبع تتميز بجو معتدل الذي يتأثر بالبحر الأحمر مما يؤدي إلى ظهور السحب أثناء فصل الشتاء، وتنزل الأمطار في نوفمبر وديسمبر ويناير، ودرجة حرارتها في الشهور الثلاثة ما بين 20 – 25 درجة مئوية ، وما بين 27 إلى 35 درجة مئوية أثناء باقي فصول السنة .

المساح

تقدر المساحة الإجمالية لمدينة ينبع 980 كيلومتر مربعاً ، وأما المساحة الإجمالية لمحافظة ينبع مع المناطق التابعة لها 19058 كيلومتر مربعاً. [3]

السكان:

يبلغ عدد السكان في مدينة ينبع 292.000 نسمة تقريبا حسب آخر الإحصاءات المتوفرة، ويعمل معظم السكان في التجارة والزراعة والصناعات البتروكيماوية والمساندة وخدمات الشحن والتخزين والوظائف الحكومية[4].

تاريخ مدينة ينبع

إن تاريخ مدينة ينبع يرجع إلى 2500 عام على الأقل، حيث إنها مدينة واقعة على طريق البخور والبهارات من اليمن إلى مصر ومنطقة البحر المتوسط. وقد ظهرت أهمية مدينة ينبع وميناءها كميناء تجاري منذ العصر الإسلامي إلى فترة

---

(1) جزيرة العرب في القرن العشرين، ص/ 20

(2) بلاد ينبع لحمد الجاسر، ص/ 10

(3) http://travel.maktoob.com/vb/travel83092/

(4) نفس المرجع

العثمانية حيث كانت تصلها قوافل وبواخر الحجيج القادمة كل من شمال إفريقيا ومصر . [(1)]

وميناؤها استعملت كقاعدة للقوات البريطانية والعربية ضد العثمانيين أثناء الحرب العالمية الأولى ، وكانت ميناء صغيراً حتى النهضة الجديدة لمدينة ينبع الصناعية.

مدينة ينبع حالياً

ومدينة ينبع الآن تتكون من ثلاث مقاطع رئيسية وهي : مدينة ينبع النخل وينبع البحر وينبع الصناعية .

وأصبحت مدينة ينبع في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ρ مدينة متطورة وهي من أهم مواني تجارية على البحر الأحمر ، وميناؤها استقبلت الحجيج حتى 1403 هـ .

وصارت مدينة ينبع مركزاً سياحياً وبسبب بحرها سكان منطقة المدينة المنورة يتجهون إليها للنزهة والتمتع بجوها . لأنها من أجمل المدن على ساحل البحر الأحمر بمنطقة المدينة المنورة ، بعد أن شهدت تغيرات عمرانية واقتصادية واجتماعية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ρ الذي أمر في تخطيط مدينة ينبع من جديد . وبعد تخطيط مدينة ينبع انتشرت الحدائق العامة في الأحياء وبُنيت سواحلها بطراز جديد بالإضافة إليها المناطق السياحية على ساحل البحر في كل من الكورنيش الجنوبي والشمالي والشرم ومنطقة شاطئ الأمير عبدالمجيد الساحلي، وزينت هذه المناطق بالمشاريع السياحية والمنتزهات والمساحات الخضراء وخاصة المخيمات الساحلية. [(2)]

اختيار ينبع كمدينة الصناعية وتجارية

في عام 1977 م اختارت الحكومة السعودية مدينة ينبع كمدينة صناعية وتجارية نظراً لموقعها الجغرافي ، وهذه المدينة متميزة لتصدير الانتاجات النفطية إلى العالم. وتقع ينبع الصناعي في جنوب غرب المنطقة السكنية.

(**1**) نفس المرجع

(**2**)نفس المرجع

نظراً لتصدير وإيراد المواد التجارية قامت الحكومة ببناء مينائيين فيها ، أحدهما ميناء ينبع التجاري ، وثانيهما ميناء الملك فهد الصناعي ، وتعد ميناء الملك فهد الصناعي ثاني أكبر الموانئ الصناعية في العالم، وتمتد على الساحل حوالي 16 كيلومتر ، وهذه الميناء مختصة لتصدير البترول والصناعات . أما الميناء التجاري فهي مختصة للحمولات الثقيلة وهي من أعرق الموانئ على البحر الأحمر. [1]

أهم الصناعات في مدينة ينبع

- شركة ينبع السعودية للبتروكيماويات
- شركة غاز
- الشركة الوطنية لثاني أكسيد التيتانيوم المحدودة.
- شركة صفرا المحدودة.
- محطة تصدير الزيت البترول
- شركة مصفاة أرامكو السعودية

★★★★★★★★★★
★★★★★★★★

(1) نفس المرجع

الحجاز في صدر الإسلام وأهميته في تثبيت الإسلام

للحجاز مكانة متميزة في تاريخ الإسلام ودولته، فظهر الإسلام في مكة المكرمة وقوي في المدينة المنورة وقامت الدولة الإسلامية الجديدة فيها.

وعاش النبي γ حياته وقضى خمسين سنة من عمره في مكة حيث نزل عليه الوحي وبدأ الدعوة للدين الإسلام، ثم هاجر إلى المدينة التي أصبحت دولة الإسلام ومركز المسلمين، ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت الحجاز كله ومعظم جزيرة العرب.

ويكفي لأهمية الحجاز وتفضيله على المناطق الأخرى وقوع مكة والمدينة لأن المسلمين يتوجهون إلى الحجاز لأجل الكعبة والمسجد النبوي γ من كافة أنحاء العالم يومياً وشهرياً وسنوياً.

ومع أن عدداً من العرب خارج الحجاز أسلموا في هذه السنين الأولى وأن الرسولγ كوّن علاقات سياسية مع قبائل تسكن خارج الحجاز، إلا أن السلطان الفعلي لدولة الإسلام لم يخرج عن الحجاز إلا بعد فتح مكة، أي في السنوات الثلاث الأخيرة من حياته، وحتى في هذه الفترة التي توسعت فيها الدولة الإسلامية فشملت الجزيرة.

والصحابة الذين أسلموا في البداية كانوا أكثرهم من الحجاز، وكانوا أكثر الناس تشبعاً بمبادئه وروحه، وبذلك صاروا المصابيح التي تقتدي لهدي الإسلام ومعرفته. وكان منهم الجيش الذي يعتمد عليه الرسول γ في الحفاظ على دولة الإسلام وتوسعها.

وقد ظل أهل الحجاز على الإسلام بعد وفاة الرسول γ ، فلم يرتد أحد من أهل المدينة ومكة، كما أن معظم القبائل الحجازية ظلت على الإسلام، ولا ريب في أن موقف أهل الحجاز هذا كان من الدوافع التي حملت الخليفة الأول أبو بكر الصديقη على الاعتماد على الحجازيين في القضاء على حركات الردة وإعادة سيطرة الإسلام على الجزيرة وتثبيت سلطانه عليها. ولا بد أن الإيمان العميق لأهل

الحجاز هو العامل الرئيسي في عدم ارتداهم وفي مساهمتهم في القضاء على حركات الردة.

ولما خرجت الجيوش الإسلامية لفتح الأقاليم المجاورة للجزيرة بعد إتمام السيطرة على الجزيرة، ظل أهل الحجاز العماد الأول للجيش، لأن أبا بكر رفض إشراك المرتدين في جيوش الفتوح، وقصر اعتماده على القبائل الحجازية التي لم ترتد.

إن الجيوش الإسلامية التي خرجت من الجزيرة في زمن أبي بكر الصديقη للفتح وتوسيع دولة الإسلام، كان قوادها من أهل الحجاز، ومن أهل مكة بالذات، بما فيهم من أسلم بعد الحديبية، ومن أسلم بعد فتح مكة. [1]

وفي زمن عمر بن الخطاب η لما قويت واتسعت الدولة الإسلامية إلى خارج جزيرة العرب ، فأهل الحجاز يعملون في تطوير وتقدم الدولة الإسلامية ، حتى هاجروا من الحجاز واستقروا في مختلف الأمصار التي شيدها العرب، ولا تكاد تجد مصراً ليس فيه عدد من أهل الحجاز.

وكان الحجازيون يسكنون بالقرب من المسجد ودار الإمارة ، ليشاركون في دعوة الإسلام وتعليمه ويساهموا في تطوير دولة الإسلامية .

يقول دكتور صالح أحمد علي :" ظل معظم الصحابة يقيمون في الحجاز، ويمارسون نشاطهم الاجتماعي والاقتصادي والفكري، وكانوا يحيطون بالخليفة فيشيرون عليه، ويقدمون له الاقتراحات، ويساهمون في توجيه السياسية العليا الإسلامية، ومن المعلوم أن آراءهم وأفكارهم هي مزيج من خبراتهم المستمدة من أحوال الحجاز مع التعديلات التي أدخلها الإسلام ، وحصيلتها تعبر عن روح الإسلام التي سادت في الدولة الجديدة وميزته بسماته الخاصة المعروفة." [2]

إدارة الحجاز في صدر الإسلام

كان الحجاز عند ظهور الإسلام مكوناً من مجموعات من مدن وقرى ومناطق تستوطنها عشائر، ولا توجد حكومة يشمل سلطانها الإقليم كله، وإنما كانت

(**1**) الحجاز في صدر الإسلام، ص/ 7-8

(**2**) نفس المرجع، ص/ 10

فيه مجموعات من المجتمعات المستقلة، ولكل قبيلة ومدينة تنظيم خاص وقائد القبيلة، الذي يرتب أمور التنظيم والمدينة.

ولما هاجر الرسول γ إلى المدينة وتكونت دولة إسلامية التي ظلت تتوسع أكد على فكرة السيادة العليا أو لسلطة العامة، وعني بتنظيم إدارة الحرب والسلم، ولم ينشئ إدارة معقدة أو وظائف كثيرة، ولم يستخدم موظفين ثابتين قد يتطلب تعيينهم دفع رواتب لهم، فكان المقاتلون ينفقون على أنفسهم ما يحتاجونه من معاش وسلاح، ولم يشيد أبنية عامة فخمة، فكانت نفقاته قليلة.

ولما توسعت الدولة الإسلامية بعد وفاة الرسول γ وضعت أقاليم واسعة وغنية، ذات نظم معقدة تكونت نتيجة خبرات طويلة وواسعة، فالعراق مثلاً كان من أغنى الأقاليم ويعتمد في ثروته على الزراعة التي تتطلب إدارة معقدة لتنظيم شؤون الري والزراعة والجباية من تلك الأراضي مما يتطلب صلاحيات واسعة لحكومة قوية تستطيع حشد عدد كبير من العمال لحفر الترع وإقامة السدود وصيانتها والمحافظة عليها، وهي بدورها تتطلب معرفة متقنة بانحدار الأرض ومستواها وتعرجها، كما تتطلب معرفة بتوازن السوائل ومواد البناء والتربة ، لتأمين تخزين المياه للصيف واتقاء أخطار الفيضانات، والاستفادة من الماء بأحسن وسيلة ممكنة، وكل هذه لا يمكن أن تتم إلا بأعمال جماعية ليفيد منها عدد كبير، وهذا بدوره يتطلب حكومة قوية تستطيع أن تهيمن وتنظم الأمور وتمنع التجاوزات والتعديات التي تؤدي إلى الفوضى والاضطراب. (3)

الحجاز في العصر الأموي

بعد انتقال الخلافة من المدينة إلى دمشق في العصر الأموي، فما فقد الحجازيون تأثيرهم في السياسة لأن الخلفاء كانوا من أهل الحجاز، فإن معاوية مؤسس الدولة الأموية هو ابن أبي سفيان زعيم مكة ، ثم بعده عدد من الخلفاء الأمويين كمروان بن الحكم، وابن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز كانوا من الحجاز وقد عملوا في حكم الحجاز قبل خلافتهم.

---

(3) نفس المرجع، ص/ 14

ثم إن الحجاز زاره عدد من الخلفاء الأمويين، إما في زمن خلافتهم أو قبل ذلك، وكان وجود بيت الله وأداء الحج فيه عاملاً مهما في زياراتهم .

لقد حدث في الحجاز عدد من الثورات ضد الخلافة الأموية ، كثورة أهل المدينة ضد يزيد بن معاوية وحركة عبدالله بن الزبير التي امتدت من زمن يزيد إلى زمن عبدالملك، كما أن فرع العنابس من الأمويين الذي كان مقيماً في الحجاز لم يكن على وئام مع الخلافة الأموية ، ولكن هذه الأحداث لم تكن ذات تأثير عميق في جعل الحجاز يقف عموماً موقف المعادي للأمويين.

وقد ساعد حصر الأمويين الخلافة في أسرتهم إلى تثبيت الفكرة التي أصبحت كالعقيدة بين الناس وهو أن الخلافة في قريش ولا يمكن أن تكون في غيرهم.

وكانت معظم الوظائف الكبيرة، وخاصة ولاية الأقاليم وقيادة الجيوش تسند إلى رجال من أهل الحجاز ولا بد أن هؤلاء الولاة كانوا يقربون أهل الحجاز ولا يبخلون عليهم بالرعاية والعناية، وبذلك كان للحجازيين أثر فوق أثر رجال الأقاليم الأخرى في إدارة الأقاليم ولهم مكانة خاصة بما لهم من صلة بالولاة ولعل من مظاهر ذلك أن الحجازيين في معظم الأمصار الإسلامية كانت خططهم وبيوتهم التي يقيمون فيها قرب المسجد الجامع ودار الإمارة، وكل هذه يظهر مكانتهم المتميزة في الأمصار ودورهم الخاص في الإدارة والتوجيه.

الناحية الإدارية

أما بالنسبة للناحية الإدارية للحجاز في أواخر العصر الأموي، فهي امتداد وتطور للنظام الإداري الذي أرسى رسول الله γ قواعده، ثم سار عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم فيما بعد. وقد راعى النظام الإداري للحجاز منذ نشأته المبكرة، الأهمية السياسية والدينية والاقتصادية لكبرى مدن الحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ونظراً لأهمية مكة المكرمة ومكانتها الدينية عند المسلمين، فقد حرص رسول الله γ على أن يجع لها مكانة خاصة، فأناب عليها عتّاب بن أسيد [4] قبل مغادرته لها، لتصبح بذلك أول ولاية إسلامية، كما جعل الطائف تابعة لها وخصص له درهماً في كل يوم[5] .

واستمر الوضع على ذلك حتى خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، عندما اضطرته الظروف السياسية على التحول للكوفة، واتخاذها مقراً له، مما أفقد المدينة المنورة أهميتها السياسية وحوّلها من عاصمة للخلافة إلى ولاية، وكان أول من تولاها، سهل بن حنيف الأنصاري، [6] وبذلك أصبح الحجاز ينقسم إدارياً إلى ولايتين تتبع كل منهما مدنا وموائي وقرى ونواح.

ولما آلت الخلافة إلى بني أمية، واستتب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان أقر الوضع الإداري الذي كان عليه الحجاز من قبل، وأرسل الولاة إلى كل من مكة المكرم والمدينة المنورة .

وأثناء العهد الأموي تطورت سلطة الولاة على البلدان، وكان خلفاء بني أمية يهتمون في اختيار ولاتهم على الحرمين الشريفين، فكان يسند هذا المنصب إلى أبناء البيت الأموي ، وقد جمع الحجازُ كلّه في ولاية واحدة لأحدهم في بعض الأحيان، ولعل مروان بن الحكم كان أول من جُمِع له الحجاز في العصر الأموي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ويرجح الفاسي : " أن تكون الحجاز قد جمعت قبل ذلك ، لقثم بن العباس، وذلك لفترة قصيرة في خلافة علي بن أبي طالب" [7] .

ومن أشهر الولاة الأمويين على الحجاز عمر بن عبدالعزيز الذي تولى الحجاز في خلافة الوليد بن عبدالملك . [8] وفي أواخر الخلافة الأموية ، خاصة في العقدين

(**4**) عتاب بن أسيد بن أبي العاص بن أمية القرشي، أسلم يوم الفتح فحسن إسلامه (الأنساب، للبلاذري، ج/4، ص/ 456.)

(**5**) سيرة ابن هشام، ج/2، ص/ 440 .

(**6**) هو سهل بن حنيف بن وهب بن حكيم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي، راوي الحديث، وتوفي بالكوفة، سنة 38هـ، (الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، مكتبة الخديوية، القاهرة، ط/1، ج/2، ص/ 87)

(**7**) شفاء الغرام، للفاسي، ج/2، ص/ 259.

(**8**) الكامل لابن الأثير، ج/4، ص/ 43.

الأخيرين منها، أصبح جمع الحجاز في ولاية واحدة أمراً دائماً وبصورة مستمرة[9] وكان ولاة بن أمية الذين تجمع لهم الحجاز يتخذون من المدينة المنورة مقراً دائماً لإقامتهم، ويبعثون إلى مكة نواباً عنهم. [10]

دور الحجاز في التجارة في الأموي

كان الحجاز عند ظهور الإسلام مركزا تجاريا، وخاصة مكة ، وكلنا نعرف عن سوق عكاظ وما حوله ، وكانت مكة تقع في طريق اليمن والشام ، فالتجار يمرون بها ويتاجرون فيها.

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يعملون في التجارة بمكة ثم في المدينة بعد الهجرة. فلما توسعت الدولة الإسلامية مد أهل الحجاز وخاصة أهل مكة نشاطهم التجاري إلى مختلف أقاليم الدولة.

وقد تأثر الحجاز من توسع النشاط التجاري، فازدادت النقود فيه ووفرت الثروات ونمى استيراد السلع من أقاليم الجزيرة وخارجها، وأهم ميدان واضح لهذا النمو هو في المنسوجات المنوعة التي كانت تستورد من مختلف أقاليم الدولة، بما في ذلك الأقاليم النائية كخراسان وما وراء النهر.

الحجاز في العصر العباسي

حينما كثرت مشاغل الخلفاء في العواصم التي هم فيها، واتسعت رقعة الممالك الخاضعة لهم، وكثر الأدعياء والأضداد والأعداء، أهملوا شأن هذه البلاد ولم يعيروها الاهتمام إلا بقدر ما يحفظ لهم السيطرة على الحجاز، ويمنع أعداءهم من الانتفاع به.

ولا مشاحة في أن العباسيين قاموا في الحجاز بمآثر عديدة إلا أن ذلك ظل محصوراً في الحرمين الشريفين والأماكن الموصلة إليهما، وأما الأنحاء الأخرى فإنهم أهملوا شأنهم وتركوها على حالها البدوية فعادت القبائل سيرتها الأولى: ـ نهب ـ وغزو ـ وفتن ـ وحروب ، إما فيما بينها وإما تعضيداً لأمير على أمير وكانت نجد خاضعة

(**9**) تاريخ اليعقوبي، لأحمد بن موسى جعفر اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ص/ 332-407 .

(**10**) العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتاب العربي بيروت، ج/4، ص/ 133، وشفاء الغرام، ج/2، ص/260.

أكثر الأوقات لسلطان الأمير العباسي في الحجاز، وقد فعل هذا أبو العباس السفاح فإنه عام 133 ولي خاله زياد بن عبدالله بن عبدالمدان على المدينة ومكة والطائف واليمامة. وأبو جعفر المنصور فإنه الحق ولاية البحرين بالحجاز.

إدارة الحجاز في العصر العباسي

سار العباسيون في إدارتهم للحجاز، على نفس النظام الذي كان معمولاً به في أواخر العصر الأموي، فجمع أبو العباس السفاح في بداية خلافته ـ الحجاز في ولاية واحدة لعمه داود بن علي [11] ، وأضاف إليه اليمن واليمامة [12] ، إلا أن ولايته كانت لفترة قصيرة، إذ ما لبث أن توفي بعد أشهر قليلة [13] .

فولي مكة زياد بن عبيدالله بن المدان الحارثي[14] وأضيف إليه الطائف والمدينة واليمامة ودامت ولايته إلى سنة 136 هـ . وبقيت المدينة المنورة في بداية العصر العباسي الأول مقراً لولاة الحجاز، حيث كانوا يرسلون نوابا عنهم إلى مكة المكرمة لرعاية شئونها [15] .

ثم في السنة 136 هـ ولي مكة العباس بن عبدالله بن معبد بن العباس بن عبدالمطلب ، وذكر ابن الأثير : " أن ولايته دامت إلى أن مات السفاح " [16] .

ثم إن المنصور عزل زياداً، وولي مكة الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني ، سنة 141 هـ واستمر إلى سنة مائة وثلاثة وأربعين . [17] ، وولي مكة السري بن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبدالمطلب، واستمر إلى سنة 145 هـ .

ثورة محمد النفس الزكية [18]

(**11**) هو داود بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، ولي الكوفة أولا للسفاح، ثم تولى له الحجاز واليمامة واليمن.

(**12**) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، ج/2، ص/ 87

(**13**) الكامل لابن الأثير، ج/5، ص/ 448

(**14**) هو زياد بن عبدالله بن عبدالنان الحارثي، خال الخليفة العباسي أبي العباس السفاح، (شفاء الغرام للفاسي، ج/2، ص/ 278).

(**15**) التاريخ للطبري، ج/7، ص/ 464

(**16**) الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ج/4، ص/ 348.

(**17**) نفس المرجع، ج/ 4 ، ص/ 369

ظهر محمد النفس الزكية في المدينة ، ولم يتخلف عنه أحد من وجوه الناس[19] إلا نفر قليل ، واستفتى الناس الإمام مالك بن أنس في الخروج مع محمد النفس الزكية، وفي أعناقهم بيعة الخليفة العباسي المنصور، فأفتى لهم مالك بجواز نقضها وقال لهم " إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكرهٍ يمين " فتسارع الناس إلى محمد النفس ولزم مالك بيته[20] .

ويقول صاحب منائح الكرم " بايعه الأئمة من أهل عصره ، كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله ومن في طبقتهما". [21]

وبدأ محمد في تدبير أمره ، فتسمى بأمير المؤمنين[22]، وقلد جماعة من مؤيديه المناصب ، فعين على المدينة عثمان بن خالد بن الزبير وأرسل إلى مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، ومعه القاسم بن اسحاق والياً على اليمن، فخرج إليهم السري بن عبدالله بن الحارث ابن العباس بن عبدالمطلب أمير مكة، فالتقيا بشعب أذاخر[23] فهزماه. ، ودخل محمد بن الحسن مكة، وأقام بها يسيراً، حتى أمره محمد بن عبدالله بالرجوع إلى المدينة [24].

ولما بلغ أبو جعفر المنصور ظهور محمد النفس بالحجاز فأرسل المنصور إليه يعرض عليه الأمان، له ولأهل بيته ، إن هو رجع وتاب قبل أن يقدر عليه ، فرد عليه محمد بكتاب رفض فيه جميع عروضه، وبيّن أنه أحق منه بالخلافة [25] .

فأرسل المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بأربعة آلاف من الجيش ونزل عيسى بن موسى في الجُرف [26] .

(**18**) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي أبي طالب، وكان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه. (مروج الذهب، ج/3، ص/ 295)

(**19**) كان من وجوه الناس من خرج معه عبدالله بن مصعب الزبيري (مروج الذهب، ج/3، ص/ 341)

(**20**) الكامل لابن الأثير، ج/5، ص/ 532، العبر لابن خلدون، ج/3، ص/ 406

(**21**) منائح الكرم ، ج/2، ص/ 95.

(**22**) الطبري ، ج/7 ، ص/ 567-574.

(**23**) أذاخر: شعب بأعلى مكة، (معجم البلدان، ياقوت، /1، ص/ 127.

(**24**) الطبري لابن جرير، ج/7، ص/ 475، ومنائح الكرم ، ج/، ص/ 95

(**25**) نفس المرجع ، ص/ 578، البداية والنهاية لابن كثير ، ج/10، ص/ 87.

ويروي أن محمد النفس خطب في الناس وأحلهم من بيعته ، وترك لهم الخيار في الإقامة معه للقتال، أو الخروج من المدينة، فانصرف عدد كبير منهم، وبقي عدد قليل .

ولما وصل عيسى بن موسى إلى المدينة أرسل إلى محمد النفس الأمان على أن يعود إلى الطاعة ولكن محمداً أبى إلا القتال ، فالتقى الفريقان واقتتلا، وأخيراً اقتحم جند عيسى بن موسى المدينة ونصبوا راية سوداء فوق مسجد الرسول γ .

وهكذا عاد السريّ إلى ولاية مكة من قبل المنصور . ثم ولي مكة عبدالصمد بن علي بن عبدالله بن العباس عم المنصور والسفاح وظل والياً على مكة حتى157هـ. (27)

ولم يذكر المؤرخون بعد هذه الثورة أحداثاً في تلك الفترة التي تستحق الذكر ، ولعل ذلك الهدوء لم يكن طاعة وولاء للخليفة، بقدر ما كان رهبة وخوفاً من شدة بطشه بأهل الحجاز، حيث كان يضع الطالبيين دوماً محل اللوم، ويحمّلهم ما يحدث من غيرهم في أي قُطر، ويرى أن صادرٌ عن رأيهم، ولعل ما عرف عن المنصور من عدم عفوه عن من يقدر عليه. (28)

ولما ولي هارون الرشيد اهتم منذ بداية خلافته بالنظر في شئون الحجاز، وبدأ عهده بعزل والي المدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز ، وولى مكانه إسحاق بن سليمان بن علي(29) ، وأبقى على مكة المكرمة عبيد الله بن قثم (30) ، وقد سار الرشيد في سياسته بالمساواة بين بني هاشم في سهم ذوي القربى، كما أمر بإعادة جميع الطالبيين الذين كانوا بدار السلام إلى المدينة المنورة. (31)

(**26**) الجُرُف : مكان على ميل ، وقيل على فرسخ من المدينة المنورة ، وهناك كان المسلمون يعسكرون إذا أرادوا الغزو. (المعجم البكري ، ج/2، ص/ 376)

(**27**) شفاء الغرام، ج/2، ص/ 278.

(**28**) تاريخ الطبري، ج/7، ص/ 607.

(**29**) هو إسحاق بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب، (تاريخ بغداد، للخطيب، ج/6، ص/329) .

(**30**) هو عبيدالله بن قثم بن العباس بن عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، (الجمهرة لابن حزم، ص/19).

(**31**) الكامل لابن أثير، ج/6، ص/ 108-114.

لقد كان لسياسة الرشيد في الحجاز ، واهتمامه بشئونه واطلاعه المستمر على أوضاعه أكبر الأثر في الاستقرار الذي ساد الحجاز في عهده، حيث هدأت نفوس الطالبين في الحجاز، فلم يحدث أن خرج أحد منهم عن طاعته، وحاول الرشيد جاهداً تجنب سفك دمائهم قدر الإمكان. (32)

وبعد خلافة هارون الرشيد ولي مكة جماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية ومن أشهر الولاة هم :

سليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس ، وعلي بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى، وموس بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس (33)

توسعة الحرم المكي خلال العهد العباسي

العباسيون اهتموا بعمارة المسجد الحرام وتوسعته ، فأول من أمر بتوسعة المسجد من الخلفاء بني العباس هو أبو جعفر المنصور الذي أمر زياد بن عبيدالله ولي مكة بشراء الأراضي حول المسجد الحرام حيث يقول تاج الدين السنجاري قائلا: " أمر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام ، فزيد في شقه الشامي مما يلي دار الندوة، ومن أسفله إلى أن تنتهي إلى باب بني سهم ، وزين المسجد بالذهب وأنواع النقوش، ورخم الحِجَر وهو أول من رخّمه، وبني منارة بن سهم " (34)

وفي سنة160هـ أشتري المهدي أراضي حول المسجد وأمر بتعمير المسجد الحرام حيث يقول تاج الدين السنجاري: " أمر المهدي قاضي مكة أن يشتري دوراً بأعلا المسجد ويهدمها، ويدخلها في المسجد. ووفر لذلك أموالاً عظيمة، وصنع القاضي جميع ما أمره به المهدي " (35)

(**32**) إن الخليفة الرشيد لم يأمر طول فترة خلافته سوى بقتل واحد فقط من الطالبيين، هو العباس بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (المقاتل للأصفهاني، ص/ 498)

(**33**) انظر للتفصيل منائح الكرم، ج/2، ص/ 120

(**34**) منائح الكرم في أخبار مكة، ج/2، ص/ 92

(**35**) نفس المرجع، ج/2 ، ص/ 110.

ذكر الشيخ محيي الدين بن عربي : " أن المهدي لما حج سنة 164هـ دخل الكعبة ومعه منصور الحجبي، فقال له المهدي: جوف الكعبة، أذكر حاجتك. فقال منصور : إني أستحي من الله أن أسال في بتيه غيره، فسكت المهدي. فلما خرج بعث إليه بعشر آلاف دينار " [36]

وفي السنة 164 رأى المهدي الكعبة ليست في وسط المسجد، لضيق الجانب اليمان، (أي جهة باب الصفا) فرجع إلى العراق ، وأرسل بأموال فاشتريت له الدور التي على الجانب الأيسر، وهدمها وجعلها مسيلاً، وأدخل المسيل الأصلي في المسجد " وبهذه الزيادة صارت الكعبة في وسط المسجد ." [37]

قال عز الدين ابن جماعة : " ومساحة المسجد الحرام ستة أفدنة ونصف وربع، والفدان عشرة الآف ذراع بذراع العمل المستعمل في البنيان بمصر، وهو ثلاثة أشبار تقريباً " . [38]

قال ابن الضياء الحنفي : " وأمر المهدي بحفر بئر خارج باب ا لحزورة، عوضاً عن بئر جاهلية، كانت في المسجد، حفرها قصي بن كلاب في شرقي المسجد". [39]

قال القطب الحنفي [40] : " ولا أعرف للرشيد زيادة ولا عمارة في المسجد الحرام مع كثرة خيراته وكرمه، إلا أن عامله على مصر موسى بن عيسى أهدي إلى المسجد الحرام منبراً منقوشاً من خشب، له تسع درجات، وكان يخطب عليه. ورُفع الأول وهو منبر سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما إلى منى، واستمر هذا المنبر إلى زمن الواثق" [41]

(**36**) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار للشيخ محيي الدين بن عربي ، ج/1، ص/ 108.

(**37**) أخبار مكة لأرزقي، ج/ 2، ص/ 69. وشفاء الغرام، ج/1، ص/ 360.

(**38**) إتحاف الورى لابن فهد، ج/2، ص/ 218.

(**39**) نفس المرجع218.

(**40**) هو القطب الحنفي محمد النهروالي ، توفي سنة 990 هـ وكتابه الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص/ 148، وانظر أخبار مكة، ج/1، ص/ 313.

(**41**) تاريخ ولاة مصر وقضاتها للكندي، ص/ 106-110.

وفي السنة 306 هـ زاد المقتدر بالله جعفر زيادة باب إبراهيم[42] وهي رحبة بين رباط رامشت ورباط الخوزي، وكان المباشر لعمارتها القاضي محمد بن موسى قاضي مكة ، وطول هذه الزيادة سبعة وخمسون ذراعاً إلا سدساً، وعرضها اثنان وخمسون ذراعاً وربع. [43]

توسعة الحرم المدني في العصر العباسي

أمر الخليفة المهدي العباسي بزيادة مسجد النبوي γ في عام 161 هـ واشترى دار مُلَيكة ، ودار القرّاء ودار المسور ودار شرحبيل بن حسنة من شمال مسجد الرسول γ وضم هذه الدور فيه ، وأكمل عمارته في عام 165هـ.

وتقدر توسعة المهدية للمسجد الرسول γ 2450 مربع متر. ووصلت مساحته 8890 مربع متر.

ثم في عام 654 هـ أتلف الكثير من المسجد بشبّ الحريق، فلما علم المعتصم الخلفية العباسي فأمر بإصلاح مسجد الرسول γ ولكن بسب سقوط بغداد وقتل الخليفة ما استطاع إكمال عمارته، ثم بعد قتل الخليفة قام خلفاء المسلمون بمصر واليمن بإكمال عمارته وانتهت هذه العمارة في عهد الظاهر بيبرس.[44]

أهم أحداث الحجاز في العصر العباسي

إغارة الحبشة على جدة

يقول علي بن تاج الدين السنجاري: " سنة 173 هـ جاءت الحبشة في زمن الحج إلى جدة، فوقعوا بمن فيها، فخرج الناس هاربين إلى مكة، فخرج معهم أهل

(**42**) ليس المراد به إبراهيم الخليل عليه السلام ، بل كان خياطاً يجلس قبل هذا الباب فعرف به. (منائح الحرم، ج/2، حاشية ص/ 186.

(**43**) شفاء الغرام، ج/1، ص/ 364.

(**44**) http://www.kl28.com/books/showbook.php?bID=89&pNo=2#start

مكة، فلما رأت الحبشة ذلك هربوا في المراكب، فجهز وراءهم صاحب مكة غزاة في البحر" [45]

ويقول الفاسي : " قال بعض أهل مكة : إن الحبشة جاءت جدة سنة 183 هـ ، فخرج الناس من مكة مجاهدين، وأميرهم حينئذ عبدالله بن محمد بن إبراهيم، فخرج الناس غزاة في البحر، واستعمل عليهم عبدالله بن محمد بن إبراهيم حفيده عبدالله الحارث بن عبدالملك بن أبي ربيعة المخزومي" [46]

سيلان مكة

وفي سنة 184 هـ كان السيل المخبل ، سمي بذلك لحصول خبل في عقول الناس بعده، ووقع بعده سيل آخر عقبه ، إلا أنه لم يحصل منه ضرر كالأول. [47]

ويقول الأرزقي " وفي سنة 202 هـ في أيام المأمون وقع في مكة سيل عظيم، دخل المسجد وعلى مكة يزيد بن محمد ابن حنظلة خليفة لحمدون بن علي، فنظفه، وسماه الناس سيل ابن حنظلة"[48]

وفي سنة 208 وقع سيل عظيم، ودخل المسجد الحرام ، وبلغ إلى الحجز الأسود،وكان على مكة عبيدالله بن الحسن، فنظفه أهل مكة حتى النساء، فأرسل المأمون بمال عمر به المسجد" [49]

"وفي سنة 253 هـ دخل المسجد سيل عظيم، أحاط بالكعبة، وبلغ إلى قريباً من الحجر الأسود، وهدم دوراً بمكة كثيرة وذهب بأمتعة الناس، وملأ المسجد غثاء حتى جرف بالعجلات" [50]

وفي عام 559 هـ دخل سيل عظيم إلى الحرم من باب بني شيبة ، ولم يعهد قبله سيل دخل من ذلك الباب . [51]

(**45**) شفاء الغرام، ج/1، ص/ 144. منائح الكرم، ج/2، ص/ 121.

(**46**) نفس المرجع،ص/ 141

(**47**) أخبار مكة للأزرقي، ج/1، ص/ 397، شفاء الغرام، ج/2، ص/ 418.

(**48**) نفس المرجع، ص/ 397 ، نفس المرجع، ج/ 2، ص/ 419

(**49**) نفس المرجع، ص/ 419.

(**50**) نفس المرجع، ص، 421.

(**51**) نفس المرجع، ص/265

"وفي سنة 573 هـ وقع بمكة مطر وسيل، فدخل المسجد الحرام، ودخل الكعبة المطهرة، فبلغ قريباً من ذراع، وأخذ إحدى فردتي (شق الباب) باب إبراهيم، وحمل درجة الكعبة إلى آخر المسجد" [52]

النشاط الاقتصادي في الحجاز في العصر العباسي

كانت التجارة من أهم النشاطات التي مارسها سكان الحجاز منذ عهد القديم، ويبدو أن موقع بلادهم على الطريق الذي كانت تسلكه القوافل التجارية القادمة من جنوب شبه الجزيرة العربية، محملة ببضائع الهند والصين والحبشة وغيرها من بلاد الشرق، لتلقي على أرضه، بالقوافل الآتية من الشمال، محملة بالبضائع الفارسية والرومية وغير ذلك من تجارات بلاد المغرب، قد حفز أهل الحجاز على المشاركة في هذه التجارة العابرة بأراضيهم، خاصة أن تلك القوافل، كانت تتخذ من بعض مدن الحجاز وقراه محطة لها أثناء عبورها بأراضيه ، وتبيع بعض ما تحمله من سلع لأهله [53].

ولما كانت مكة المكرمة تقع على منتصف ذلك الطريق التجاري، فقد أصحبت مركزاً تجارياً لتلك القوافل، حيث كانت تنتهي عندها رحلة كل من قوافل الشمال وقوافل الجنوب، فتتم عمليتا البيع والشراء وتبادل السلع بين تلك القوافل على أرضها وعلى مرأى من أهلها، ثم تعود بعد ذلك قوافل الجنوب محملة بالبضائع التي أتت بها قوافل الشمال، وتحمل قوافل الشمال ما أحضرته قوافل الجنوب.

وقد شارك المدينة المنورة في هذه التجارة أيضاً، حيث كانت محطاً للقوافل القادمة من فارس وبلاد الشام، تتوقف بها للراحة من عناء السفر وتقوم ببيع بعض ما تحمله من بضائع لأهلها. [54]

كما كان بالطائف أيضاً تجار شاركوا ببيع منتجات بلادهم من الجلود المدبوغة، والزبيب وغير ذلك من منتجات الطائف، التي كان لها شهرة واسعة، وسوق نافقة خارج شبه الجزيرة العربية، ولما كانت الطائف بعيدة عن طريق القوافل

(**52**) نفس المرجع، ص/ 198.

(**53**) مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول لأحمد الشريف، دار الفكر بيروت، ص/ 371 .

(**54**) المفصل في تاريخ العرب، لجواد علي ، دار الملايين، بيروت، ج/4، ص/ 141.

المارة بالحجاز، فقد كانت بضائعهم تحمل إلى مكة المكرمة لتصدر منها البلاد المجاورة لبلاد العرب، عن طريق القوافل التجارية التي كانت تأتي إلى مكة المكرمة من الشمال ومن الجنوب. [55]

ومما ساعد على الازدهار الاقتصادي للحجاز في العصر العباسي هو الاهتمام الذي أولاه أغلب خلفاء هذا العصر لشئون الحجاز، وحرصهم على أداء مناسك الحج وزيارة الديار المقدسة وإقامة المنشآت العمرانية به، والتقرب لأهله وصلتهم بكثرة العطاء.

وقد استمر النظام التجاري للأسواق الموسمية، معمولاً به في تجارة الحجاز الداخلية لفترة طويلة بعد الإسلام، فقد أباح الدين الإسلامي للمسلمين ممارسة البيع والشراء، ومزاولة التجارة أثناء تأديتهم لمناسك الحج دون أي حرج، فانتشعت هذه الأسواق في الإسلام، وظلت أغلبها تقام حتى أواخر العصر العباسي الأول.

وكان سوق عكاظ قد توقف قيل قيام الدولة العباسية بسنوات قليلة ، ويقول الأرزقي إن سوق عكاظ توقف في سنة 129 هـ [56] ، أما أسواق مُجَنّة وذي المجاز فيبدوا أنها توقفت تباعاً في أوقات متقاربة في غضون سنوات قليلة في أواخر القرن الثاني الهجري، ويقول الأرزقي إن سوق حباشة ، كان آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية حيث ظل ذلك السوق يقام حتى سنة 197 هـ [57] .

الحجاز في العهد العثماني

سميت الدولة العثمانية نسبة إلى مؤسسها الأول عثمان بن أرطُغرُل، وكان قومه من القبائل التركية التي هاجرت من أواس آسيا، واستقرت بعد إسلامها في آسيا الصغرى التي أقاموا فيها دولتهم.

(**55**) سيرة ابن هشام، ج/1، ص/ 334، تاريخ اليعقوبي، ج/1، ص/ 243.

(**56**) أخبار مكة، للأرزقي، ج/1، ص/ 190.

(**57**) نفس المرجع، ص/192، وشفاء الغرام، ج/2 ، ص/ 452.

ظهرت الدولة العثمانية في الأناضول ، وبدأت تتوسع في فتح البلاد المجاورة حتى تمكنت من الإستيلاء على الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك في أواخر سنة 922 هـ [58]

وقد حكم الدولة العثمانية عدد من السلاطين ، أشهرهم:

محمد الثاني الملقب بالفاتح، لأنه فتح القسطنطينية عاصمة البيزنطيين، واتخذها عاصمة للدولة العثمانية، وأطلق عليها " استانبول" . ولا تزال تحمل هذا الاسم حتى اليوم.

اتجهت أنظار العثمانيين لبسط نفوذهم على البلاد العربية لعدة أسباب منها:

- رغبة العثمانيين ضمّ الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لرفع مكانتهم لدى المسلمين.
- الدفاع عن الحرمين الشريفين خاصةً، والبلاد العربية عامة من أخطار أعداء الإسلام.

لذا زحف السلطان سليم الأول إلى بلاد الشام ومصر، وضمهما إلى دولته بعد هزيمته للمماليك ثم سيطر العثمانيون على الحجاز في بداية القرن العاشر الهجري، بعد إعلان حكامها الأشراف ولاءهم له .

حيث يقول على بن محمد بن حمد الصلابي في كتابه تاريخ الدولة العثمانية عن سيطرة العثمانيين على الحجاز: " كانت الحجاز تابعة للمماليك وعندما علم شريف مكة بمقتل السلطان الغوري ونائبه طومان باي بادر شريف مكة "بركات بن محمد " إلى تقديم السمع والطاعة إلى السلطان سليم الأول وسلمه مفاتيح الكعبة وبعض الآثار فأقر السلطان سليم شريف الحجاز بركات باعتباره أميراً على مكة والحجاز، ومنحه صلاحيات واسعة ، وبذلك أصبح السلطان سليم خادماً للحرمين الشريفين وأصبحت مكانته أقوى أمام الشعوب الإسلامية وبخاصة أن الدولة أوقفت أوقافاً كثيرة على الأماكن المقدسة"[59].

(**58**) تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، ص/73.

(**59**) تاريخ الدولة العثمانية لعلي بن محمد بن حمد الصلابي، دار المعرفة بيروت لبنان، ص/ 333.

نظام إدارة الحجاز في العصر العثماني

كان العثمانيون في بداية حكمهم يبقون عادة على نظام الحكم المحلية في البلاد التي يدخلوها في صورتها السابقة، لكنهم يعملون بعد ذلك على تعديلها ومواءمتها تدريجياً ، لتتناسب مع الإطار العام لسياسة دولتهم (60) .

إن السلطان سليم اهتم بالجانب السياسي في الحجاز، فجعل الإدارة في الحجاز التي مشتملة في البداية على " إمارة الأشراف في مكة، ونيابة جدة ، وقضاء مكة أو المدينة" ، وقد ربط السلطان سليم تعيين قيادات الثلاثة بمركز الدولة وأعطاهم الحق في الرجوع إليها مباشرة فيما قد يستجد من أحداث وقضايا طارئة، يرون مناقشتها مع المسئولين في العاصمة. ثم ألحق الإقليم بمصر إداريًّا وماليًّا، فأضاف عنصراً رابعاً للقوي المؤثرة فيه، وهذا العنصر هو أمير أمراء مصر .

"ويتضح ترتيب أهمية كل من هذه القوي عند ذكر ممثليها في الخطبة لهم على منبر الحرم الشريف، حيث كان يدعى للسلطان، ثم للشريف ، ويليه أمير أمراء مصر، فقاضي مكة أو مدينة، فنائب جدة بعده ، لكن النائب احتج فأصبح اسمه يذكر قبل اسم القاضي " . (61)

في بداية الدولة العثمانية سميت " الوالي بأمير الأمراء" ، و"أمير المدينة المنورة بشيخ الحرم"، وهما يعين من إستنبول مباشرةً ، و "أمير مكة المكرمة بشريف مكة" وكان يُختار من أشراف مكة. ثم في الفترة الأخير للدولة العثمانية غَيّر بعض الوظائف كوظيفة " أمير الأمراء بوالي الحجاز" و " شيخ الحرم بمحافظ المدينة المنورة " .(62)

وكان العثمانيون قسموا الحجاز في ثلاث مناطق التي يسمونها سناجق(63) ، ويقول الدكتور سهيل صابان في مقالته " جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية" حيث يقول قائلاً: "وكانت ولاية الحجاز تتكوَّن من

(**60**) بدائع الزهور لابن إياس، ج/5، ص/ 193

(**61**) نفس المرجع

(**62**) جوانب من الحياة العلمية في الحجاز من خلال بعض الوثائق العثمانية ، مقالة لدكتور سهيل صابان ، نشرت على الشبكة، http://www.alukah.net/Culture/0/26860/#ixzz246gjrYEA

(**63**) سناجق: جمع سنجق، أي مقاطعة، إقليم. (قاموس الصخر الالكتروني)

ثلاث سناجق: مكة المكرمة وهى مركز الولاية، والمدينة المنوَّرة وجدة، في الوقت الذي كانت جدة تشكِّل مع الحبشة إمارة في بدايات عهدها، وكان والي جدة نفسه شيخًا للحرم المدني، ولا سيَّما إذا حاز رتبة الوزارة " [64]

اهتمام العثمانيين بالحجاز

إن العثمانيين لما سيطروا على الحجاز في عام 1551 م منذ ذلك اليوم يهتمون اهتماماً بالغاً بالحجاز لأن هذه المنطقة تضم بالأماكن المقدسة للمسلمين كالحرم المكي والحرم المدني ، وهذا هو السبب الذي سمي السلطان سليم خادم الحرمين الشريفين.

وكان هذا الاهتمام ليس للأماكن فقط بل تعدّاها إلى المواطن، كما يقول الأستاذ الدكتور الصفصافي أحمد القطوري في مقالته التي نشرت على الشبكة على عنوان " قوافل الحج في العصر العثماني " حيث يقول : " وقد أعفت الدولة العثمانية منطقة الحجاز من أداء الضرائب، بل أقر لها سليم الأول ثلث ما كان يجبى من مصر. كما أوقف خراج اليونان عند فتحه على الحرمين الشريفين، أُعفِي سكان الحجاز من التجنيد، وأبقت الدولة على الحكم الذاتي المتمثل في نظام الشرافة " [65]

وكان السلطان أوصى الشريف الجديد بحماية الحجاج في أرواحهم وأموالهم، والقيام بالعدل بين أهالي الحجاز ، والسعي للأمن في طرق الحجاج.

والعمل الذي فضلت الدولة العثمانية في الاهتمام هو قوافل الحجاج، حيث يقول د. الصفصافي في مقالته : " هو قوافل الحج والإشراف المباشر والفعلي على الحج، واعتبرت هذا العمل واجبا يقع على عاتقها، باعتباره الركن الخامس من أركان الإسلام، وأن عليها تيسير الحج أمام الراغبين فيه، فأنشأت قوافل الحج، واهتمت بالطرق؛ فأقامت الحصون، وحفرت الآبار على طول طرق الحج، وشجعت على إقامة الخانات، وأقامت المخافر، وكانت تشرف على قوافل الحج الرئيسية التي كانت تخرج من أنحاء الدولة كافة في مواعيد محددة كل عام، وتضع لها قوة تحرسها،

(**64**) المرجع السابق

(**65**) قوافل الحج في العصر العثماني ، أ.د. الصفصفاي أحمد القطوري،
http://www.hiramagazine.com/archives/title/29

يقودها أحد كبار العسكريين، الذي كان يسمى "سَرْدَارُ الحج". وكان على رأس كل قافلة أمير للحج، وكثيرا ما كان أمير الحج يتولى قيادة الجيش المرافق للقافلة، وخاصة قافلة الحج الشامي" [66]

وكانت الدولة العثمانية بنت القلاع والحصون على طرق قوافل الحجاز ، وهذه القلاع مليئة بالحراسة والقوات التي يقوم ضد قطاع الطرق ، وهذه القوات تستعمل لحفظ الأمن في الحجاز كله.

وقد سعت الدولة العثمانية لتنظيم مواني للحجاج كميناء جدة لحجاج مكة المكرمة وميناء ينبوع لزائرين المدينة المنورة، ويقول الدكتور الصفصافي إن الدولة العثمانية عينت سفن بريدية يسمونها " بوسته " حيث يقول : " كانت هناك سفن بريدية "بوسته" تعمل بانتظام بين إستانبول والحديدة، لنقل البريد والجنود بين موانئ البحر الأحمر والحجاز" [67]

والدولة العثمانية لم يحافظ طرق الحجاز فحسب بل يراعون أهلي الحجاز أيضاً ويرسلون إليهم الحبوب والطعام والأموال كما يقول السنجاري: " ثم وصلت إلى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب [68] قمح للفقراء وهو أول حب ورد للفقراء بمكة فكتبت جميع بيوت أهل مكة إلا السوقة ، والتجار ، ووزع عليهم ذلك الحب" [69]

توسعة الحرمين في العهد العثماني

كما وضحت في البداية أن الخلفاء في العهد العثماني كانوا يحبون الحجاز وبخاصة الحرمين الشريفين ويهتمون بأمور الحجاز والحرمين وكلما طُلب منه أموالاً لأهالي الحجاز أو للحرمين الشريفين فما كانوا يتأخرون في إعطاء الأموال المطلوبة .

(**66**) نفس المرجع

(**67**) نفس المرجع

(**68**) الأردب: مكيال مصري للحنطة يسع أربعة وعشرين صاعاً أو ست ويبات كل ويبة ثمانية أقداح كبيرة أو ستة عشر قدحاً كبيراً ويصعب تحديده بالدقة، (المعجم الوسيط، ج/1، ص/ 13)

(**69**) منائح الكرم، ج/3، ص/ 236.

ويقول القرماني عن السلطان المراد الثاني : "كان سلطاناً عالماً عاقلاً عادلاً شجاعاً، وكان يرسل لأهالي الحرمين الشريفين وبيت المقدس من خاصة ماله في كل عام ثلاثة آلاف وخمس مئة دينار" (70)

وتعدُّ توسعة الحرمين الشريفين في العهد العثماني هي من أكبر التوسعات قومت في الحرمين الشريفين .

فكان السلطان سليم اهتم وأشرف بنفسه بإعادة بناء المسجد الحرام ، وبلغت مساحة الحرم في هذه التوسعة 28.003 مربع متر ، وحلت القباب محل السقف الخشبي، وزاد عدد الأعمدة الرخامية، إلى أن وصل عددها 589 عموداً في جميع جهات الحرم . وضم المسجد 152 قبة منتشرة داخل السقف الحرم المكي.

وبلغت أبواب المسجد الحرام في التوسعة العثمانية ستة وعشرين باباً : في الجانب الجنوبي سبعة أبواب ، وفي الجانب الغربي ستة أبواب ، وفي الجهة الشمالية ثمانية أبواب ، وفي الشرق خمسة أبواب .

وكان من أشهر سلاطين الدولة العثمانية الذين بادروا بالتعمير والإصلاح في الحرم الشريف، السلطان سليمان القانوني، حيث حظيت مكة بصفة عامة والحرم بصفة خاصة باهتماماته، وكان من أبرز الإصلاحات في عهده إعادة بناء منارتي باب علي وباب العمرة ، وبناء باب السلام في عام 931 هـ . (71)

إن الدولة العثمانية أعادت تعمير مقام(72) المذهب الحنفي في المسجد الحرام عدة مرات وحرصت على شكله وعلى ملاءمته للمكان، لأن مقام المذهب الرسمي للدولة.(73)

(**70**) تاريخ سلاطين آل عثمان، للقرماني، ط/ 1985م، دار البصائر دمشق سوريا، ص/ 25.

(**71**) إتحاف فضلاء الزمن للطبري، ص/ 105-106.

(**72**) مقام الحنفي: كانت الصلوات في المسجد الحرام تقام لكل مذهب من المذاهب الأربعة على حدة، ولكل مذهب إمام يقف تحت ظلة تخصه، فكان مقام الشافعي مقابلاً لباب الكعبة، والمقام الحنفي في شمال الكعبة، والمقامان الآخران في الجهتين الأخريين، (تاريخ عمارة المسجد الحرام ، لباسلامة، ص/ 224-239) .

(**73**) بدائع الزهور لابن إياس، ج/5، ص/ 205.

وبعد هذه التوسعة أجريت عدة إصلاحات وترميمات في الحرم المكي في العهود التالية :

- السلطان محمد خان في عام 1005 هـ .
- السلطان عبدالعزيز في عام 1287 هـ.
- السلطان عبدالحميد في عام 1314 هـ.
- السلطان محمود رشاد في عام 1327 هـ. (74)

ولا تزال هذه التوسعة والترميمات موجودة في الحرم المكي.

توسعة الحرم المدني في الفترة العثمانية

أمر السلطان عبدالمجيد ρ في عام 1265 هـ ببناء المسجد النبوي من جديد، بعد عمارة الملك قايتباي ما يقارب على 400 سنة.

وكان السلطان أشرف بنفسه واهتم بهذه البناء وبنى المسجد النبوي γ على طريقة جديدة وطراز جديد، وأرسل المهندسين والخبراء والعاملين البنائين والحجارين مع المؤن والنقود والآلات الضرورية .

بدأ تعمير المسجد النبوي γ في عام 1265 هـ وانتهت في عام 1277هـ وتقدر توسعة العثمانية في المسجد النبوي بـ 1294 مربع متر . ووصلت مساحة المسجد النبوي 10303 مربع متر .

واستخدمت في بناء هذه العمارة الأحجار المنحوتة في الأشكال المختلفة من جبال غرب وادي العتيق، وحلت القباب محل السقف الخشبي ، وزينت هذه القباب بأشكال الطبيعية وكتب داخل القباب وعلى الجدران السور والآيات القرآنية والأحاديث النبوية γ .

وزادت الأعمدة الحجرية مزينة بالزخارف، وبلغ عددها إلى 327 عموداً. وبنيت فيه مآذن ولا زالت بعض منها موجودة حتى بعد التوسعة السعودية. كما أقيمت الأعمدة الحجرية تحمل عقوداً مزينة بالزخارف ، وتحمل العقود قباب المسجد ، وبُنيت في المسجد مآذن لا زالت اثنتان منها قائمة حتى الآن ، بعد

---

(74) http://www.kl28.com/books/showbook.php?bID=87&pNo=3

التوسعة السعودية ، وبنيت العمارة العثمانية بكل اهتمام وعناية وإتقان على أجمل فن من الفنون المعمارية ، ولا يزال منها بالمسجد قسمه الجنوبي .

وكان للمسجد في التوسعة العثمانية خمسة أبواب في غاية من الروعة والإبداع والإتقان ، وبقى منها اليوم قائم الذات ، بعد العمارة السعودية ، باب جبريل عليه السلام ، وباب الرحمة ، وباب السلام ، وباب النساء . [75]

الحجاز في العهد السعودي

يتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة أدوار وهي :

الدور السعودي الأول :

يبدأ من عام 1157 هـ وهي السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى بلدة الدرعية، واتفق مع أميرها محمد بن سعود على تأييد دعوته وبذلك تأسست الدولة السعودية الأولى واستمر هذا الدور مدة تناهر 75 عاماً تقريباً ، وتولى الحكم في هذه المدة أربعة من كبار مؤسسي الدولة السعودية وهم :

- الإمام محمد بن سعود (1139-1179 هـ)
- الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، (1179 -1218هـ)
- الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، المعروف بسعود الكبير (1218-1229 هـ).
- الإمام عبدالله بن سعود، (1229-1233)

وينتهي هذا الدور في عام 1233هـ عندما دفعت الدولة العثمانية بالحملة الثالثة على الجزيرة العربية بقيادة باشا.[76]

الدور السعودي الثاني

(75) http://www.kl28.com/books/showauthor.php?aID=47#top

(76) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، عبدالله بن حمد الحقيل، ص/ 13

يبدأ من عام 1240 هـ وهي السنة التي استولى فيها الإمام تركي بن عبدالله علي مدينة الرياض ، وحرر سائر بلدان نجد من سيطرة محمد علي باشا والي مصر آنذاك. وأهم الأمراء في الدور الثاني هم :

- الأمير تركي بن عبدالله
- الإمام فيصل بن تركي
- الأمير خالد بن سعود
- الإمام عبدالله بن فيصل
- الإمام عبدالرحمن الفيصل

لم تدم ولاية الإمام عبدالرحمن الفيصل إلا سنتين تقريباً حيث استولى محمد بن عبدالله بن رشيد ـ أمير حائل ـ على الرياض وضمها إلى إمارته، ورحل الإمام عبدالرحمن الفيصل إلى الكويت هو و أسرته وبذلك انتهي الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية. (77)

الدور السعودي الثالث

كان الملك عبد العزيز أثناء إقامته بالكويت يتردد على مجلس حاكم الكويت، الشيخ مبارك الصباح، ويستمع إلى الأحاديث السياسية والاجتماعية التي تدور في مجلسه، كما جالس الزعماء والقادة وممثلي الحكومات الأجنبية هناك . فكانت الكويت المدرسة التي اكتسب منها عبد العزيز مهاراته وخبراته السياسية.

وفي عام 1319 هـ خرج الملك عبدالعزيز من الكويت ومعه عدد من أقاربه ومؤيّديه الذين تذكر بعض المصادر أنهم أربعون (78) ، وذلك بعد أن تهيَّأ له من الركاب والأسلحة والمؤن ما كان للشيخ مبارك بن صباح اليد الطولى في تهيئته. وقام بعدة غزوات أدَّت إلى انضمام فئات من القبائل إليه. لكنها تركته لما رأت أن

(**77**) نفس المرجع

(**78**) وهناك مصادر تقول: إنهم كانوا ستين تقريباً، ولعل الذين خرجوا من الكويت كانوا أربعين، ثم انضم إليهم آخرون فيما بعد بحيث أصبحوا حوالي ستين عند اقترابهم من الرياض. (انظر حاشية بعثة إلى نجد، لسانت جون فيلبي، ط/2، 1998م ، مكتبة العبيكان، الرياض، سعودية) .

السلطات العثمانية في الأحساء أصبحت ضده. فمضى إلى يبرين الواقعة بين قطر والربع الخالي، وأقام هناك مدة يتدبّر أمره، ثم انطلق هو ومن معه صوب الرياض 11 من رمضان 1319، وفي ليلة الخامس من شوال وصل إلى مشارف البلدة، وهناك وضع خطة لدخولها.

قسم الملك عبدالعزيز رجاله ثلاث مجموعات، وحدد لكل مجموعة مهمة تنفذها، وقاد المجموعة الثالثة بنفسه إلى داخل البلدة[79].

دخل عبدالعزيز ورفاقه الرياض ليلاً، ثم تسللوا إلى بيت مجاور لبيت عجلان عامل ابن رشيد على الرياض، فاستدعى أخاه محمدًا ومن معه، وتمكن الجميع من دخول بيت عجلان، لكن عجلان لم يكن في بيته تلك الليلة وإنما كان نائماً في قصر المصمك مع رجال الحامية.

وانتظر الجميع خروج عجلان من قصر المصمك في الصباح، وعندما خرج انقض عليه عبدالعزيز، ورفاقه بهجوم مباغت، فحاول عجلان العودة إلى داخل القصر لكن المهاجمين تمكنوا من دخول القصر، وقتله مع عدد من أتباعه وأُجبر الباقون من رجال الحامية على الاستسلام، ثم نودي في البلدة بأن " الحكم لله ثم لعبد العزيز"[80] .

بعد أن استعاد الملك عبدالعزيز الرياض قام بإعادة بناء أسوارها المنهدمة، كما أرسل إلى أبيه وإلى الشيخ مبارك الصباح يبشرهما بانتصاره ويطلب منهما إرسال مساعدات عاجلة إليه.

بعد أن اطمأن الملك عبدالعزيز إلى قوة ما قام به من تحصينات في الرياض سارع إلى التحرُّك خارجها لمواصلة مسيرته. فبدأ بالأقاليم الواقعة جنوب هذه المدينة، ونجح في توحيدها، وهزم ابن رشيد في معركة الدِّلَم في ربيع الأول من عام 1320 هـ. ثم بدأ بتوحيد الأقاليم النجدية الواقعة شمال الرياض ولم يمرَّ عام على تلك المعركة إلا وقد دخل تحت طاعته أقاليم المحمل والشعيب وسُدَير ، وأصبح على حدود إقليم

(**79**) معارك الملك عبدالعزيز، للعثيمين، ص/ 59-74.

(**80**) بعثة إلى نجد، ص/ 26

القصيم الذي دارت على أرضه أعظم المعارك بيه وبين خصمه الأمير عبدالعزيز بن رشيد.(81)

ثم في معركة البكيريَّة سنة 1322 هـ : زحف ابن رشيد بقواته إلى القصيم؛ للسيطرة عليها، فتصدت له قوات الملك عبدالعزيز ودار بين الطرفين معركة كبيرة في البكيرية، واستطاعت فرقة من جيش الملك عبدالعزيز أن تلتفَّ على قوات ابن رشيد من الخلف، وتنزل بها خسائر فادحة انسحب ابن رشيد على إثرها إلى الشنانة. (82)

ضم الحجاز

كانَ حاكمُ الحجازِ في تلكَ الفترةِ الشريفَ حسينَ بنَ علي قدْ اختلفَ مع الملك عبدِالعزيزِ حولَ واحتَي تربةَ والخرمةِ اللَّتينِ يؤيدُ أكثريةُ سكانهما الحكمَ السعوديَّ .وقدْ دارتْ بينَ جيشِ الحسينِ وقواتِ الملكِ عبدِالعزيزِ معركةٌ في تربة انهزمت فيها قواتُ الحسينِ؛ ونتيجةً لذلكَ منعَ الشريفُ حسينٌ أتباعَ الملكِ عبدِالعزيزِ منْ أداءِ الحجِ، فعقدَ الملك عبدالعزيز مؤتمرًا في الرياضِ برئاسة والده عبد الرحمن بن فيصل تقرَّرَ فيهِ تخليصُ الحجازِ منْ حكمِ الأشرافِ.

أرسلَ الملكُ عبدُالعزيزِ قواتَه إلى الطائف، فدخلتْها بسهولةٍ، وقدْ تنازلَ الحسينُ عنِ الحكمِ لابنهِ علي أملاً في إيقافِ الحربِ .لكنَّ القواتِ السعوديَّةَ واصلتْ سيرَها، فدخلتْ مكة دونَ قتالٍ.

ثم توجَّه الملكُ عبدُالعزيزِ بجيشٍ إلى جدةَ وحاصرَها، وخلالَ الحصارِ أرسلَ فرقاً منْ جيشِه ضمتْ رابغًا والقنفذةَ والمدينةَ المنورةَ .وعندما عجزَ عليٌ بنُ الحسينِ عنِ الدفاعِ عنْ جدةَ، طلبَ منَ الملكِ عبدِالعزيزِ الصلحَ على تسليمهِ مدينةِ جدةَ، ومغادرتهِ البلادَ، وذلكَ سنةِ 1344 هـ . وبهذا أصبحتْ الحجازُ كلها تحتَ الحكمِ السعوديِّ، وتوحدتْ مع بقيةِ مناطقِ البلادِ.

بعدَ أنْ تمَّ توحيدُ جميعِ مناطقِ البلادِ، واستقرتِ الأحوالُ الداخليَّةُ فيها، صدرَ مرسومٌ ملكيٌّ بتسميةِ البلادِ(المملكةُ العربيَّةُ السعوديَّةُ) في الحاديَ والعشرينَ

(**81**) معارك الملك عبدالعزيز، ج/2، ص/ 67-70.

(**82**) تاريخ المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، للصف السادس الابتدائي. ص/ 42

منْ جمادَى الأول سنةَ 1351 هـ .وأصبحَ هذا اليومُ يُعرفُ باليومِ الوطنيِّ للمملكةِ العربيَّةِ السعوديَّةِ.[83]

توسعات الحرمين في عهد السعودي الحالي

تعتز المملكة العربية السعودية حكومة وشعباً بتشرفها بخدمة الحرمين الشريفين، ويأتي في مقدمة الأمور التي تشغل اهتمامات قادة المملكة منذ عهد مؤسسها الملك عبدالعزيز ρ توفير الأمر والراحة والطمأنينة لحجاج بيت الله الحرام ومعتمريه وزوار مسجد رسوله γ ، مما جعل آلاف المسلمين يؤدون مناسك الحج والعمرة والزيارة في امن ويسر وسهولة واطمئنان.

يقول عبدالله بن حمد الحقيل عن توسعة الحرم في عهد الملك: "ففي المسجد الحرام أجريت في عهد الملك عبدالعزيز عملية ترميم وتوسعة اشتملت على تعديلات بالأركان حيث صب 73 عموداً خرسانياً من حبيبات الرخام والإسمنت . وتم إنشاء جدار ساند بين أروقة الحرم وصحن المطاف به فتحات مركب عليها درج للصعود والنزول، وتم قبل ذلك وضع من قماش سميك بصحن المسجد ليستظل تحتها. [84]

وفي عهدِ الملكِ سعودٍ صدر المرسوم الملكي في 22 رجب 1375 هـ ببدء العمل في مشروع التوسعة الكبير للمسجد الحرام التي نفذت على عدة مراحل، حيث سار المشروع في عهد الملك فيصل بخطي حثيثة وشملت التوسعة:

- بناء المسعى من طابقين
- أقيم في وسط المسعى حاجز يقسمه إلى قسمين طويلين خصص أحدهما للسعي من الصفا إلى المروة والآخر من المروة إلى الصفا.
- أنشئ للمسعى 16 بابا في الواجهة الشرقية .
- وأنشئت حول الحرم خمسة ميادين عامة وأصبح عدد أبواب الحرم 64 باباً .

(**83**) نفس المرجع. ص/ 39-42

(**84**) توحيد المملكة العربية السعودية، ص/ 194.

"وقد أصبحت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة 193 ألف متر ، وشملت التوسعة كذلك ترميم المطاف بتجديد مقام إبراهيم عليه السلام." (85)

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز صدرت التوجيهات السامية للرئاسة العام لشؤون الحرمين الشريفين بالمشاركة في خطة التنمية الرابعة 1405-1410 هـ ، ووضعت أهداف محددة لتطوير وتحسين منطقة الحرم المكي لشريف، وإضافة مساحات جديدة لاستيعاب أكبر عدد من المصلين ، وصدر قرار مجلس الوزراء بالموافقة على خطة التنمية الرابعة، وقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بوضع حجر الأساس للتوسعة الجديدة في عام 1408 هـ .

"تبلغ مساحة التوسعة الجديدة التي تتضمن إضافة جزء جديد إلى مبنى المسجد الحرام 76000 متر مسطح ، ويشمل المشروع تجهيزا لساحاته الخارجية بمساحة قدرها 40000 م ، وتصبح بذلك مساحة المسجد الحرام شاملة مبنى المسجد بعد التوسعة للسطوح وكامل الساحات 309000 متر مربع ." (86)

قال الملك فهد بعد التوسعة: " لا أستطيع أن أقول إننا عملنا شيئاً، ولكني أقول : إن هذا بعض ما يجب أن يعمل وسوف أواصل عملي في هاتين المدينتين بكل ما يمكن من مجهود لتطويرها التطوير الذي يجب علينا أن نصل إليه إن شاء الله. " (87)

توسعة المسجد النبوي الشريف

في عام 1368 هـ أمر الملك عبد العزيز ρ بتوسعة المسجد النبوي الشريف بعد أن رأى المسجد بدأ يضيق بالأعداد الكبيرة من الزوار، ففي عام 1372 ، قام ولي العهد آنذاك الملك سعود بوضع حجز الأساس للتوسعة نيابة عن الملك عبد العزيز في احتفال إسلامي كبير وشملت المناطق الشمالية الشرقية والغربية من المسجد حيث نزعت ملكية مساحة قدرها 6247 متراً مربعاً.

(**85**) نفس المرجع، ص/ 195

(**86**) نفس المرجع، ص/ 196

(**87**) تاريخ المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، للصف السادس الابتدائي. ص/ 72

وفي عام 1382 هـ أمر الملك فيصل بإجراء توسعة ثانية للمسجد من الناحية الغبية بلغت مساحتها 29 ألف متر مربع. وفي التوسعة الثالثة بلغت مساحتها الإجمالية 49 ألف متر مربعة . والتوسعة الرابع في عهد الملك خالد التي بلغت مساحتها 45 ألف متر مربع .

والتوسعة الخامسة في عهد خادم الحرمين الشريفين الذي وضع حجر الأساس لمشروع الحرم النبوي الشريف في الخامس من شهر صفر عام 1405 هـ.

ويتضمن هذا المشروع إضافة مبنى جديدة إلى المبنى الحالي يحيط ويتصل به من الشمال والشرق والغرب لتصبح المساحة الإجمالية للمسجد 98500 متراً مربعاً. منها 82000 متر مربع بالتوسعة الجديدة ، وتوسعة السطح بمساحة قدرها 67000 متر مربع.

وبذلك يتسع المسجد النبوي الشريف بعد التوسعة لأكثر من 257000 مصل ضمن مساحة إجمالية تبلغ 165500 متر مربع.

بالإضافة إلى هذه التوسعة ست مآذن جديدة ارتفاع كل منها 92 متر، ليصبح عدد مآذن المسجد بعد التوسعة عشر مآذن، وتم تصميم نظام مركزي للتكييف ضمن قواعد الأعمدة يتم من خلالها دفع البارد إلى المبنى وهو أكبر مشروع تكييف الهواء من نوعه في العالم.[1]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★
★★★★★★
★★★★
★★★
★★
★

(1) المدينة المنورة درة المدائن الدكتور مختار محمد بلول، ص/ 92

الباب الرابع

الحجاز عند الرحالة العرب وغير العرب

- **الفصل الأول:** الجوانب الدينية والتاريخية
- **الفصل الثاني:** الجوانب الجغرافية والاقتصادية
- **الفصل الثالث:** الجوانب الاجتماعية.

الرحلة فن من فنون الأدب العربي، يختلف عن سائر الفنون الأدبية ويتفق معها في آن، ذلك أن هذا الأدب يعد " نمطاً من أنماط الأدب وفناً من فنون القول الأدبي، تتجمع فيه أساليب القصة والمسرحية والمقالة الأدبية، دون أن يخضع لمعاييرها، ومقاييسها التي قررها الأدباء والنقاد" (1) إذ هو ملزم باستثمار المعطى الفن وفق ضوابط معينة، فإذا كان الخيال مثلاً يسهم في إيجاد وإثراء فنون أدبية كالقصة والرواية فإن نطاقه في " أدب الرحلة" محدد في تلوين المشاهد والحوادث،لا خلقها، أو تزييفها، ولذا تتحدد وظيفة الخيال في " أدب الرحلة" وهي وظيفة لها أهميتها، ولها خطورتها أيضاً حين تتجاوز الحقيقة أيا كانت هذه الحقيقة الرحلية سواء في الحدث أو المشاهد، ولم يتجاوز الرحالة هذه الرواية، فقد استطاعوا أن يوظفوا هذا الخيال في دائرة متطلبات هذا الفن الأدبي. وطبعي أن الرحالة ـ أيا كان ـ يواجه في ارتحاله مشاهد وحوادث متنوعة، مما يدعوه التسجيل والنقل، ومن هناك كان الرحالة يتجه إل الصورة لتقديم مشاهده، وإلى القصة في سرد الحوادث التي كان طرفاً فيها، أو شاهدها.

وانطلاقا من هذا فإن كثيراً من الرحالة قد اشتركوا في الاستعانة بالصورة أداة فنية تسهم في نقل المشاهد، والحوادث، وقد أفادوا منها سواء على الطريقة البلاغية المعتمدة على التشبيه، والمجاز والكناية أو كانت وصفية سردية لا تعتمد على الألوان البلاغية. (2)

واهتم الأدباء وبخاصة الرحالة المسلمون من أنحاء العالم ، وقد تفوق الأدباء ورحالوا غير العرب على العرب في كتابة رحلاتهم، ولتفوقهم عدة دوافع وأسباب وأهمها :

1. أداء فريضة الحج وزيارات الأماكن المقدسة كمكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس وغير ذلك من الأماكن المقدسة.

---

(1) ابن بطوطة الرحل والرحالة، أسماء محمد، ص/ 141.

(2) أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ص/ 127.

2. طلب العلم ولاسيما من منابعه الأصلية مكة المكرمة والمدينة المنورة، و الدول الإسلامية الأخرى كبغداد ودمشق والقاهرة .
3. الشوق والرغبة في حصول على الإجازة والسند من أكبار العلماء والمحدثين .

أما رحالة العرب قديماً وحديثاً فقد قاموا برحلاتهم شوقاً ورغبة في السياحة ، ورحلوا إلى بلاد غير العرب ، وذاك ليس موضوعنا ، والذين رحلوا إلى بلاد الحجاز ودونوا رحلاتهم فلا نجد في رحلاتهم التفاصيل القيمة والشوق والاحترام في بلاد المقدسة إلا بعض من الرحالة العرب .

وقد تحدثنا في الباب الثالث بالتفصيل من أولئك الرحالين الذين رحلوا لأجل السببين الأولين.

وهذا النوع من الرحلات شاع بين رحالي العرب وغير العرب ، وكتابة الرحلات تعتبر فناً أدبياً قائماً بذاته، من حيث تدوينه بأسلوب مميز في سفر يشمل تاريخ الخروج والوصول إلى كل مدينة، بالإضافة إلى مراحل السفر ومشاكلها وحوادثها ، كما يشمل وصفاً مفصلاً لمدن المقدسة مع ذكر مناسك الحج ومشاعره.

والرحالة المغاربة والأندلسيون وشبه القارة الهندية ينتهزون فرصة أدائهم فريضة الحج في التجول بين المراكز العلمية ، كبغداد ودمشق والإسكندرية والقاهرة ، ودونوا تفاصيل لقاء العلماء وتراجمهم وأسماء مشايخهم وأسانيدهم ومروياتهم ، فمن هؤلاء الرحالة ابن رشيد وبوركهات وغير ذلك من الرحالة .

وهناك عدد من الرحالة الذين اهتموا بالجانب العلمي وكتبوا في رحلاتهم عن الدين ، والتي دلت على مكانتهم العلمية في الدين وعلومه ، كصديق حسن خان من رحالة شبه القارة الهندية ورحالة ابن جابر الوادي آشي من رحالة المغاربة والأندلسيين .

وهناك الرحالة الذين اعتنوا بالجانب الجغرافي ودونوا رحلاتهم على أسلوب جغرافي وتلك الرحالة رحلوا إلى الحجاز ضمن رحلاتهم الجغرافية ومعرفة الجانب

الجغرافي للحجاز ، كالمقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم والمسعودي في مروج الذهب ، والأصطخري في المسالك والممالك .

وسنواصل الكلام في هذا الباب عن أساليب ومنهجية الرحالين في رحلاتهم والنزعة الفنية والقصصية والأدبية .

الصورة الفنية

لا شك أن الصورة الفنية من أهم ركائز الأسلوب الأدبي في الشعر والنثر على حد سواء، ذلك أن الصورة تجسيد فني لقدرة الأديب الخيالية على إيجاد العلاقات بين الأشياء، ذلك أن الصورة تجسيد فني لقدرة الأديب الخيالية على إيجاد العلاقات بين الأشياء، وتقديمها في لوحة فنية تستحث المتلقي على التحليق في أجوائها، وتدعوه للاستمتاع والدهشة ! .

ورغم الاتساع الكبير الذي بلغه الحقل الدلالي لكلمة " صورة " فعندما يغوص الباحث في فهمها، يضيع بين المفاهيم المتنوعة، لا بل المتناقضة أحياناً كثيرة"[1] ورغم أن من الباحثين " من يرى أن النثر فن الوصف التحليلي الذي لا يحتاج إلى الإدراك الاستعاري حاجة الشعر " [2] إلا أن كل ذلك لن يمنع الباحث من البحث والتنقيب عن الصورة جميلة التي تؤكد غنى النثر الأدبي، وقدرته على توظيف الصورة توظيفاً فاعلاً في سياق العمل الأدبي ، وبخاصة في سياق أدب الرحلة، الذي يتطلب من الرحالة الأديب قدراً كبيراً من القدرة عل بتوظيف خياله في صياغة المشاهد، صياغة لا تبتعد عن الواقع أو تزيفه! بقدر ما تمنحه شحنات خيالية ذاتية .

وإذا تحدثنا عن الرحلات الحجازية فعلي أن أشير إلى هؤلاء الرحالة الذين مختلفون بل متفاوتون في قدراتهم على توظيف الصورة الأدبية في أعمالهم الرحلية. قدرة على تركيز وتكثيف الصورة من جهة، ورصد تفاصيلها وخطوطها من جهة أخرى، وبثها مشاعر وآهات الذات من جهة ثالثة.

إن الرحلات الحجازية ـ كرحلة ابن جبير، ورحلة ابن بطوطة ورحلة العبدري ورحلة ابن رشيد وغيرها ــ من النماذج النوعية في هذا الفن في الأدب العربي، فإن تزاحم عنصر كتابة الرحلة، وتعدد مجالات إنتاجه لم يَخْلُ من ميزته النوعية أيضا، مما يقوم شاهداً على إنتاج العصر لهذا الصنف من التأليف وازدهار كتابته. فقد تمثل

(**1**) الصورة الشعرية في الكتابة النثرية، دكتور صبحي البستاني، ص/6

(**2**) الصورة الأدبية، الدكتور مصطفى ناصف، ص/ 265.

العديد من أصناف كتابة الرحلة فيه، بما تيسر لأصحابها الراحلين من العلماء والأدباء من رغبة في العرض والتسجيل، وما تهيأ لهم خلال ذلك من قدرات في الكتابة، وصياغة ما شاهدوه وصادفوه من ظروف جديدة أثناء الرحلة، وما رافقها في حالتي السفر والإقامة، فيمثل الوصف الكامل والعرض المثير لمراحل الرحلة، مما ينتج عنه هذا الصنف من الكتابة. سواء أكانت رحلات طويلة، مثل الرحلات التي استهدفت خارج الوطن، وبخاصة لأداء فريضة الحج وتأدية مناسكه وزيارة المعالم المقدسة، وإما لقضاء مهمة سفارية في أحد البلاد المجاورة وغيرها أو رحلات محدودة، وبخاصة الرحلات داخل الوطن .

والرحلة الحجازية وإن تباعدت أشكالها، وتنوعت أحجامها ونصوصها، تبقى رهينة مجموعة من الثوابت، لتعطيها صفة الانتماء إلى صنف الرحلة الحجازية، بمميزاته وخصوصيته، ولتتمثل بها تلك القواسم المشتركة التي تلتقي بها هذه الرحلة مع مثيلتها في الصنف، رغم تباعد زمنها، وتباين اهتمامات الكاتب لها، وتفاوت طريقة الكتابة والقدرة على الصياغة الأدبية فيها.

كما ذكرت أن الرحالين دونوا رحلاتهم بأساليبهم ومناهجهم الخاصة، فبعضهم اختاروا أسلوب الروية وبعضهم اختاروا أسلوب القصة ، وبعضهم اختاروا أسلوب نقل الأخبار ، وهكذا بعض الرحلات أدبية وعلمية وبعض الرحلات بلغة محلية .

رغم تلك الأسلوب المتنوعة الهدف الرئيسي للرحلة هو نقل الأخبار عن البلد المشهود إلى القاري بطريقة جيدة وبرسم بارعٍ وصور بديع لكي يتمتع القاري من قراءة الرحلة ولا يتعب .

وتعتبر هذه الرحلات من الرحلات الوصفية لأنها تقوم على الوصف وتسجيل ما يجري من أحداث الرحلة، وإن تفاوتت قدرات الوصف بين أصحابها، وتباعدت قوة الملاحظة والتسجيل بين كتابها. وغالبا ما ينصرف هذا الوصف إلى إبراز بعض الأحداث الأساسية التي يقوم عمل الرحلة بها، ويتركز عليها باعتبارها تشكل مجموعة من الثوابت تتركب منها هذه الأحداث، وتعطيها صفة التميز على

أنها أحداثُ رحلة ووقائعُها. وتبدأ عملية الوصف بأخذ هذه الأحداث في أشكالها التالية:

1. وصف الاستعداد للرحيل، بما فيه وصفُ حالة الشوق للذهاب إلى الحج، وخطورُه على النفس، وإلحاحُه في قرار الرحيل، والحسم فيه. فتبدأ عملية تيسير الأسباب بتهييء زاد السفر، والبحث على الرفقة، وإعداد العدة للسفر بما تلزمه الطريق، من مركوب، وأموال، وحماية، واستعداد نفسي وبدني. ثم يعقب بعد كل هذا لحظة السفر، وبداية الرحلة، وتوديع الأهل والأصحاب. وقد جئت بعض النماذج لاستعداد الرحلة في رحلة ابن جبير.
2. وصف مراحل الرحلة وذكر مميزاتها. ويقوم فيها الحديث، إن كان السفر في البر، بذكر المسالك ووعورتها، والطريق وأحوالها، وأماكن النزول والمبيت ومميزاتها، ومظان الحاجة من الماء والأزواد وخصوصيتها، وإن كان السفرُ في البحر، بذكرِ المراسي التي يتم النزول بها، والظروف التي تهيأت للوصول إليها أو الإقلاع منها، والبحث عن المراكب التي هي مهيأة للسفر، وكيفية الركوب بها، والمعاملة التي يلقاها الراكب فيها، كرحلة ابن جبير وابن بطوطة والعبدري وغيره.
3. وصف حالة الراحلين أثناء السفر، إما في البحر بالحديث عن المركب ونمط الحياة فيه، وظروف السفر في البحر، والجماعة المسافرة على متنه. وإما في البر، بذكر الركب، وأميره، ونظامه، وحالته في السير والإقامة، وفي الحراسة والحماية وفي النزول والمبيت، وتأدية الصلوات، وغير ذلك مما يتميز به سير الركب المغربي، إن كان بمفرده، أو بصحبة الركب المصري الذي يترافق معه دائما في الطريق من مصر إلى الحجاز ذهابا، ومن الحجاز إلى مصر إيابا.

4. وصف الحوادث الجارية أثناء الطريق، مما يمكن أن يكون عاديا في حياة جماعة من الناس، من حدوث مرض أو وفاة، أو البحث عن تائه، وغير ذلك. ومما يمكن أن تحمله الظروف الطارئة من غزارة أمطار، وجريان أنهار، واعتراض قطاع طريق، وسرقة متاع، وغير ذلك من العوائق التي يصعب معها سيرُ الرحلة، ومتابعة قطع المراحل. هذا إن كان السفر براً، وإن كان في البحر أيضا بما تأتي به الظروف الطارئة من فزع القرصان الذي تحمله صدفة اللقاء، فيهدد بالاستيلاء على المركب واستعباد أصحابه، ومن هول البحر وهيجان أمواجه وعواصف رياحه، مما يمكن أن يكون امتحانا عسيراً للراحلين في البحر. ثم ما يعقب بعد كل هذا من مضايقات تفتيش الناس، والأمتعة، ومصادرتها، والمطالبة بدفع المكوس والأعشار عليها في بعض المراسي البحرية، كمرسى الإسكندرية وغيرها. كرحلة ابن جبير وصديق حسن خان وغيرهم من الرحالين.
5. وصف المجتمعات التي يتم المرور بها، والعمائر التي تؤدي إليها مراحل الرحلة، ومسالك طرقها، حاضرة أو بادية. وخلالها يتم التعرف على القرى والثغور والحواضر، ووصف عمارتها وحصانتها. ويتم التعرف أيضا على أهل هذه العمائر، وعاداتها، ومواقفها، وتعاملها مع ركب الحاج المار بها، وغير ذلك. وقد تنتقد بعض عاداتها إذا كانت لا تتناسب مع ما يتطلبه أن تكون عليه صورة المجتمع الإسلامي المتزن. وقد تحدث كثير من الرحالين عن وصف المجتمعات بالتفصيل.

رحلة ابن جبير

وفي هذه الأسطر أعرض الأسلوب والرسم الوصفي للرحالة و أتحدث أولاً عن رحلة ابن جبير الذي كتب رحلته على شكل يوميات، بلغة سهلة وبسيطة ، عباراتها مفصلة ، لا ثرثرة فيها ولا استطرادات أو تكرار، وطريقته في السرد محببة إلى

النفس ، تتسم عبارته بجمال التركيب وحلاوة البيان، وهو يجيد صناعة السجع وسبكه، فيضفي على النص موسيقى جذابة تشجع على مداومة المطالعة، ومعظم السجع يأتيه بلا تكلف، ولا يضطر له اضطرارا إلا في القليل، حيث يبدو الافتعال في مثل يصف أحد خطباء الحرم الشريف في مكة :

"وفي أثناء ذلك ترشقه سهام من المسائل فيتلقاها بمجن من الجواب السريع البليغ، فتحار له الألباب، ويملك كل نفس منه الإغراب والإعجاب، فكأنما هو وحي يوحى" (3)

ويقول في سفرهم من عكا، وقد سكن البحر في عبارة موشاة بألفاظ قرآنية وكثيرا ما فعل ذلك : حيث قال :

" فعاد كأنه صرح ممرد من قوارير، ولم يبق للجهات الأربع نفس يتنسم، فبقينا لاعبين على صفحة ماء، تخاله العين سَبِيْكة لُجَين، كأنّا نجول بين سماءين." (4)

فنرى ابن جبير انه رسم أهرام مصر رسماً بارعاً حتى يحس القاري مشاهدة الأهرام وهو يقرأ النص وها هو يقول عن أهرام مصر ومعجزة بنائه:

" وبمقربة من هذه القنطرة المحدثة الأهرام القديمة، المعجزة البناء، الغريبة المنظر، المربعة الشكل، كأنها القباب المضروبة قد قامت في جو السماء، ولاسيما الاثنان منها، فإنهما يغص الجو بهما سُموّاً، في سعة الواحد منها من أحد أركانه الركن الثاني ثلاث مئة خطوة وست وستون خطوة. قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة. وركبت تركيباً هائلاً بديع الإلصاق دون أن يتخللها ما يعين على إلصاقها، محددة الأطراف في رأي العين، وربما أمكن الصعود إليها على خطر ومشقة فتُلفى أطرافها المحددة كأوسع ما يكون من الرحاب، لو رام أهل الأرض نقض بنائها لأعجزهم ذلك." (5)

رحلة العبدري

(3) رحلة ابن جبير، ص/ 159.

(4) نفس المرجع، ص/ 286.

(5) نفس المرجع، ص/ 28

إن العبدري وصف لنا مكة المكرمة بصورة رائعة حيث قال:

" وها أنا أصف على قدر الإمكان، فأقول والله المستعان: إن مكة ـ شرفها الله ـ من عظيم آيات الله في الأرض الدالة على عظيم قدرته ، فإنها بلدٌ يسبي عقول الخلقِ ، ويستولي على قلوبهم ويتملّك رِقَّها من غير سبب ظاهر، فالنفوس إليه نزَّاعة من كلِّ أرضٍ، ولا يدخله أحد إلا أخذ بمجامع قلبه مع عدم الدواعي إلى ذلك، ولا يفارقع إلا وله إليه حنين، ولو أقام به على الضنْكِ سنين، لا يملّ سكناه، ولا تضيق النفسُ بلزوم مغناه، على أنه بوادٍ كما قال الله β : (✍❑◆✂⑩⊛ ➘☒❷⬀❸✎ ❶✍❽ ✎➹⬀➚❻☒♉)[6]وأرضهُ جدبة كلها حجر، لا ماء ولا شجر، وفي أصحابها بعض جفاء وقلة ارتباط للشرع. وهم في الغالب يؤذون الحجاج ويحيفون على المجاورين بها.."[7]

ووصف مقام إبراهيم ν بصورة جميلة حيث قال:

" والمقام حجرٌ فيه أثر قدمي إبراهيم ν ، وقف عليه وهو يبني الكعبة، فساخت فيه قدماه، وقيل: كان كلما ارتفع البناء، ارتفع به المقام في الهواء حتى تم البيت، وقيل : إنما وقف عليه حين أذّن في الناس بالحج فتطاول حتى علا الجبال، وأشرف على ما تحته، فنادى: أيها الناس أجيبوا ربكم، وقيل غير هذا مما هو مسطور، والأول هو الصحيح حسبما يأتي ذكره من حديث البخاري. وسأل أبو سعيد الخدري عبدالله بن سلام K عن الأثر الذي في المقام فقال: كانت الحجارة على ما هي عليه الآن، إلا أن الله تعالى أن يجعل المقام آية من آياته. وتقدم قول قتادة : " ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه."[8]

رحلة ابن بطوطة

(**6**) سورة إبراهيم، رقم الآية/ 37.

(**7**) رحلة العبدري، ص/ 362.

(**8**) نفس المرجع، ص/ 383.

ونلاحظ ابن بطوطة في رسم الصور للمناطق والمناظر الجميلة ، وأقدم بعض النماذج من رحلته لمعرفة بأنه كيف يرسم صورة جميلة للمناطق والأشياء المختلفة، وهو في هذه النماذج رسم صورة بيانية لعربة تجراها الجياد، فها هو يقول :

" وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار، ومنها ما يجره فرسان، ومنها ما يجره أكثر من ذلك، وتجرها أيضاً البقر والجمال على حال العربة في ثقلها أو خفتها. والذي يخدم العربة يركب إحدى الأفراس التي تجرها. ويكون عليه سرج، وفي يده سوط يحركها للمشي، وعود كبير يصوّبها به إذا عاجت عن القصد، ويجعل على العربة شبه قبة من قضبان خشبة مربوط بعضها إلى بعض بسيور جلد رقيق، وهي خفيفة الحمل ، تكسى باللبد (الصوف) أو بالملف (الجوخ)، ويكون فيها طيقان مشبكة، ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه" (9)

ويصور لنا مشهد الكعبة المشرفة حيث قال:

" ودخلنا البيت الحرام الشريف الذي من دخله كان آمناً من باب بني شيبة، وشاهدنا الكعبة الشريفة – زادها الله تعظيماً – وهي كالعروس تُجلى على منصة الجلال، وترفل في برود الجمال، محفوفة بوفود الرحمن، موصلة إلى جنة الرضوان.... ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب. حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام." (10)

الرحلة الحجازية

(**9**) رحلة ابن بطوطة، ص/158**.**

(**10**) نفس المرجع، ص/ 58.

بعد قراءة الرحلة الحجازية يمكننا أن أقول إن شكيب أرسلان كان ناقلاً لأقوال الأدباء واللغويين وليس فقط ناقلاً بل يشرح الأقوال ويبين رأيه ، كما هو يشرح قول الهمداني :

" وأما قول الهمداني " إن في برد حائطين كبيرين لزبيدة عظيمين يقال لموضعهما وج " (فيقول) فأظنه يعني بهما (الوهط) و (الوهبط) الأول بفتح فسكون والثاني بالتصغير وذلك أنه لا يوجد في سفوح برد مياه جارية تسقي بساتين إلا في الوهط والوهبط، الأول جار الآن في وقف الأشراف ذوي زيد والثاني يخص ذرية الشريف عون الرقيق من ذوي عون. ولقد ورد ذكر الوهط في معجم البلدان قال قال ياقوت : " والوهط المكان المطمئن المستوى ينبت العضاة والسمر والطلح وبه سمي الوهط. وهو مال كان لعمرو بن العاص بالطائف وهو كرم كان على ألف ألف (أي مليون) خشبة شري كل خشبة بدرهم. قال ابن الأعرابي : عرّش عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم... " [11]

فوجدنا في فقرة واحدة أنه يشرح قول الهمداني برأيه ثم يأتي رأي ياقوت الحموي ثم يأتي قول ابن الأعرابي، ونجد هذا الأسلوب طيلة رحلته حتى ولو قدم صورة الأماكن فبين ضمنها آراء الرحالين والجغرافيين واللغويين، وإذا وجد فيه شيء من الشعر فلا يتركه.

ومن صورة الأماكن التي قدم شكيب أرسلان بأسلوب جميل ورائع وهو لم يترك نقطة مشهودة في وصف الأماكن، كما يصف لنا "لية" حيث قال:

" وأما وادي " لية" الذي يسكنه بنو نصر من هوازن فقد زرته وبثت فيه ليلة. وهو واد ضيق مستطيل يمتد مسافة أربع ساعات، مبدؤة من بلاد السفانية من ثقيف. وهو ينحدر نحو الشرق الجنوبي وعليه من الجانبين البساتين والجنان والزروع وكلها تسقي بالسواني لأن مياه الوادي تشح كثيراً في الصيف وقد ينقطع بعضها عن بعض فلا يبقى منها إلا غدر إن تردها المواشي اشهره الذي يقال له غدير البنات. وبيوت سكان الوادي

(**11**) الرحلة الحجازية ، ص/ 129.

مرتفعة عن النهر احتياطاً من السيل لأنه كثيراً ما تطفي المياه على الجانبين. والبيوت مبنية بالحجر تظن بعضها براجاً منيعة.... وجميع ما في هذه الجنان أشجار مثمرة منها الكرم والسفرجل والرمان .... أما الرمان فهو كحب الياقوت ليس له نظير منظراً وطعماً وقد اشتهر وادي لية به.... وقد ذكر ياقوت هذا الوادي في المعجم فقال : " لية بتشديد الياء وكثر اللام لها معنيان : اللية قرابة الرجل وخاصته واللية العود الذي يستجمر به وهو الألو، ولية من نواحي الطائف مر به رسول الله γ حين انصرافه من حنين يريد.... وقال حفاف بن ندبة :

سرت كل واد دون رهوة دافع وجلـذان أو كـرم بليـة محـدق[1]

ومن فنية الرحلة الحجازية أن شكيب أرسلان انغمس في التاريخ وحضارة العرب و بين أعجب الأشياء من تاريخ الطائف، كما قال في تاريخ العرب :

" من أنصح الدلائل على مدنية العرب، لا في دور الجاهلية فقط بل في صدر الإسلام أيضاً ـ كثرة الكتابات المنقوشة على الصخور ..... ولقد أتيح لي أن أرى طرفا من هذه الكتابات وأن أقرأ بعضها وأن يشكل علي قراءة البعض الآخر، فعولت فيه على بعض الأسانيد المخصصين بمعرفة الخطوط القديمة، وذلك أني نسخت ما قرأته في جبل السكارى في وسط الطائف وبعثت به إلى برلين وذلك إلى الأستاذ مورتيز من فحول المستشرقين. فحل الكتابة وأعادها لي، ولم تكن من الخط المسند بل من الخط الكوفي القديم الذي لم نألفه فإن الخط الكوفي ليس شكلاً واحداً. وهذه الكتابات خالية مع الأسف من التواريخ.... ويظهر أن الكتابات التي في جبل السكارى هي من القرن الأوائل للهجرة وربما كان بعضها من زمن الجاهلية ونص واحد منها " أعف يا الله، عبدك أود بن موسى " ونص أخرى " اللهم حكم عبدك عيفر بن أبي قبيع من النادي وكتب " [2]

(**1**) نفس المرجع ، ص/ 133-134.

(**2**) نفس المرجع ، ص/ 198-199.

وأثناء وقوف عرفة رسم لنا شكيب أرسلان روعة وجمال موقف عرفات بأسلوب جميل حيث قال:

" ما أنسى لا أنسى منظر عرفات ليلاً، فهو من أبهج ما ارتسم في خاطري من مناظر هذه الدنيا الفانية مع كثرة ما شاهدت في حياتي وما تقلبت في الأمصار والعواصم، فقد أقبلنا عليها غلساً آتين من منى، فكانت أشبه بسماء في كواكبها وطرائقها منها بسهول وهضاب في خيامها، وقبابها المضروبة، ومصابيحها المعلقة ونيرانها المشبوبة، فكان منظراً قيد النواظر لا يشبع منه الرائي تطلعاً، ولا يزداد به إلا ابتهاجاً، وليست عرفات في النهار بأقل حسناً وجلالاً في تموج جموعها وتراص قبابها، ولاسيما في مناظر الخشوع التي تأخذ بالألباب، ومسامع الأدعية التي ليس بينها وبين الله حجاب" [1].

في منزل الوحي

إن محمد حسين هيكل من أحد الأدباء العصر الحديث وكتبه خير إضافة في المكتبة الأدبية العربية وأما حسين هيكل في رحلته وصف الحجاز بأسلوب جميل ورائع ، ومن تلك الأوصاف وصف صلاة الجمعة في الحرم المكي حيث قال:

" وعلا صوت المؤذن بالنداء للصلاة: الله أكبر، لا إله إلا الله، .....ما أجمل هذا النداء وأعظم وقعة في النفس! إنها لتهتز له وتفيض حين سماعه إكباراً وتقديساً. والقلب والروح وكل جارحة وكل عضو تتجاوب لسماعه وتردد صداه في إيمان وإسلام. ولكما ألقى المؤذن مقطعاً منه دوى المسجد بالجواب عليه صادراً من عاطفة قوية في صدق إيمانها بالله، فلا يكاد المؤذن ينادي : " الله أكبر، الله أكبر" ، حتى يجيبه المسجد كله كتلة واحدة، .... وأتم المؤذن أذانه، فقام من شاء يصلي ركعتين لله تعالى، وأقام القوم بألوفهم المؤلفة ينتظرون خطبة الخطيب ليؤمهم بعد ذلك في صلاة الجمعة، وسكن كل من في المسجد وما فيه حين بدأ الخطيب يتكلم، أما نحن البعيدين عنه فلم نسمع مما قال شيئاً ، وما أحسب الأكثرين من الحاضرين كانوا خيراً منا في ذلك حظّاً. أنَّ لصوت رجل

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 42.

ينطلق في القضاء فلا يحجزه جدار أن يصل إلى هؤلاء الذين جلسوا في مئات متلاصقة من الصفوف وكلهم متوجّه إلى ناحية الكعبة من جهاتها الأربع! " (1)

ووصف محمد حسين هيكل داخل الكعبة بصورة جميلة حيث قال :

"وصعدت الدرج ودخلت البيت العتيق، وتلقاني الشيخ الشيّبي أول دخولي فحياني هشًّا بشًّا، وأشار لي بيمناه إلى علامتين في إزاء الجدار الذي يقابل الباب وقال: هنا يصلي الإنسان ركعتين في المكان الذي صلّى فيه رسول الله γ . فتقدمت نحو المكان أصلي ركعتين، وما أذكر أني شعرت في حياتي بمثل ما شعرت به في هذه اللحظة من غبطة ورضا.... وقمت فدلّني السّادن على مواضع صلى فيها الأنبياء والخلفاء قبالة الجدران الأخرى، فصليت حيث صلّوا منذ قرون مضت، ... الكعبة بهو رفيع خال من كل زينة أو زخرف. وسقفها يعتمد اليوم على ثلاثة عمد من الخشب الضارب لونه إلى حمرة تشوبها صفرة، ويرجع العهد بهذه العمد إلى أجيال طويلة خلت. فعبدالله بن الزبير هو وضعها حين جدد بناء الكعبة ... فأما الجدار فأحيط أسفله برخام خلوّن مزركش بنقوش لم تعمل فيها يد ذوي الفن ولم تخرج بيت الله عن بساطته. "(2)

رحلة إلى الحجاز

وصف المازني بيوت جدة ورسم لنا أحسن صورة لبيوت جدة حيث قال:

" وبيت القائمقام أنموذج حسن لغيره من الدور التي رأيناها مع تفاوت بينها في السعة، وطرازها جميعاً شرقي عتيق ثم طبقات يغلب أن تكون اثنتين أو ثلاثاً، وحُجَر الاستقبال في الطبقة العليا، وغرف المائدة في التي تحتها، وقد يجتمعان في طبقة واحدة فتنفرد الأخرى للنوم، والأثاث فاخر والذوق فيه سليم، ليس فيه ذلك البذخ الذي ينم عن الخُيلاء والذي هو أشبه بالإعلان." (3)

ووصف المازني طعام مدينة جدة حيث قال:

" والأطعمة التي تناولناها فيها صنعة حسنة وذوق يجمع بين الأسلوبين العربي والتركي، وقد يحدث أن يقدم لك بعد بضعة ألوان طعام حلو فتحسب

(**1**) في منزل الوحي، ص/ 170

(**2**) نفس المرجع، ص/ 189

(**3**) نفس المرجع ، ص/ 47.

أنك قد قاربت النهاية ويسرك ذلك فراراً من كظ المعدة بألوان عدة لا آخر لها وإذا بهم بعد الحلوى يكرون إلى اللحوم والخضر وما إلى ذلك" (1)

ورسم صورة حالة جدة وقال : أحب أن أعين القارئ على تصور حالة جدة وعمل البداية فيها، فأقول:

" إن الطرق غير مرصوفة كما هي في مصر ولكنها نظيفة على الجملة، وقد أصارها المطر بركاً وبحيرات، وهو مطر ملأ صهاريج الثغر كلها، ومن بين هذه الصهاريج واحد سعته . بحسابهم . مئتان وأربعون ألف " صفيحة" فإذا اعتبرت أن القربة تعادل أربع صفائح كانت سعة الصهريج ستين ألف قربة، وقد قيل لي إن الماء الذي في الصهاريج يكفي موسم الحج." (2)

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★
★★★★★
★★★

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 53.

(2) نفس المرجع.

كما نعرف أن للأدب عدة ألوان وأنواع، وكان الأدباء لم يكونوا ماهرين في جميع الألوان الأدبية، ولكنهم يختارون حسب رغبته وشوقه نوعا أو بعضا من أنواع الأدب ويتمهرون فيها، ولا شك أن معظم الرحالين أدباءً وهؤلاء يزينون رحلاتهم بأساليب وأنواع الأدب المختلفة ، والرحلة تمنحه للرحالة تعدد الرؤى وتنوعها ، والاحتكاك بالأحداث، والشخصيات، والمواقف المختلفة تعطي الرحالة فرصة لالتقاط الصور الجميلة من خلال مشاهداته ولقاءاته المختلفة . ومن تلك الألوان التي يستخدم الرحالة في تزيين رحلته ، الرواية والقصة والحوار والأشعار ويقوي أقواله بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، والأشعار الجميلة . وفي هذا الفصل أعرض شواهد الشعرية والقصصية والحوارية وأسلوب البلاغية وضرب الأمثال والحكم والروايات في الرحلات الحجازية.

شواهد الأشعار في الرحلات الحجازية

الشعر عنصر مهم من عناصر الأدب العربي، وكان الرحالون لم ينسوا ضم الأشعار إلى رحلاتهم فنجد كثير من الرحالين الذين ضموا الأشعار حسب الموقع والمحل، وأود أن أذكر نماذج من الأشعار التي وردت في الرحلات الحجازية.

شواهد الأشعار في رحلة ابن جبير

إن رحلة ابن جبير رحلة أدبية مليئة بالشواهد البلاغية بالإضافة إلى ذلك زين رحلته بالأشعار والنصوص الأدبية ومن الأشعار التي ورد في رحلته :

حينما وقع مركب ابن جبير في مصيبة شديدة وظن أن الأجل يدق الباب واستسلم نفسه للقدر فقال:

سيكون الذي قضي   سخط العبد أو رضي[1]

وفي مكان أخر ذكر شعر ابن عبد ربه لحب صلاح الدين الأيوبي ضمن كلامه عن خطبة الإمام في الحرم المكي الشريف فيقول:

---

(1) ما عرفت قائل البيت ولكن آية الله مجد الدّين النّجفي الأصفهاني انتسب إلى أبي العتاهية في كتابه " اليواقيت الحسان في تفسير سورة الرحمان " ص/ 92. ، الناشر دار الذخائر . (شرح البيت : سيكون ما في الحظ ولو كان الإنسان راض أو غير راض)

وإذا أحب الله يوماً عبده ألقـى عليـه محبـةً للنـاس[1]

وأثناء تحدثه عن مكة المكرمة فقوي كلامه بشاهد من بيت حسان بن ثابت η والحديث النبوي γ حيث ذكر شعر حسان:

عَـدِمنا خَيلَنـا إِن لَم تَرَوهـا تُـثيرُ الـنَقعَ مَوعِـدُها كَـداء[2]

وأثناء ذكر مدينة نصيبين ذكر شعر أبي نواس الحسن بن هانئ حيث قال :

" رحم الله أبا نواس الحسن بن هانئ حيث يقول:

طابـت نصـيبين لي يومـاً فطبـت لهـا يا ليت حظي من الدنيا نصيبين [3]

وأثناء كلامه عن وعظ رئيس العلماء في المسجد النبوي γ ينقل الشعر الذي ذكر الواعظ أثنا وعظه حيث قال :

"وأنشد أبياتاً بديعة من قوله، منها هذا البيت، وكان يردده في كل فصل من ذكره، γ، يشير الروضة:

هاتيـك روضـته تفـوح نسـيماً صلوا عليه وسلموا تسليماً[4]

شواهد الشعرية في رحلة العبدري

الأمر الذي يدركه القارئ لأول وهلة، هو ذلك الأسلوب الأدبي الجميل والعبارة العذبة المسبوكة بحذق، والدقة في اختيار اللفظ الدال على المشاعر والمناسب للمقام، وحسن تصويره وصدقه في النقل، كما في قوله: جفت سواقي المعرفة، وقوله: وجئنا قسنطينة، شفى الله جراحها، فضلاً عن استعانته بالشعر في تطريز كتابه وأغلبه من نظمه.

(**1**) رحلة ابن جبير، ص/ 73 ، والبيت لابن عبد ربه ، (ديوان ابن عبد ربه حقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1 1421 ، ص/182)

(**2**) نفس المرجع ، ص/ 87 ، والبيت لحسان بن ثابت η ، ديوان حسان بن ثابت η ، ص/ 1 ، وقد ذكر ابن جبير عجز من بيت حسان η .

(**3**) رحلة ابن جبير، ص/ 216 ،

(**4**نفس المرجع ، ص/ 178.

ورحالة العبدري تضم نصوصاً أدبية ـ شعريةً ونثرية ونقدية ـ مهمة تتفرّد الرحلة في بعضها، بما يزيد في أهمية الرحلة ويضعها في مكانها الصحيح بين كتب الرحلات المختلفة ، وهنا أقدم بعض الأبيات من القصائد التي ضم إلى رحلته ـ بشكل كبير حتى تظن أنها ديوان شعري ـ منها :

ينقل عن حارث بن عمرو بن مضاض الجرهمي شعره في حدود مكة :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر[1]

وقال المعري:

فلا يبكِ مكيٌّ لفقد حجونه لكلِّ بلادٍ مصرعٌ وحجون[2]

وقال في أسماء مكة :

" واختلف في اشتقاق الاسمين فقيل: بكة بالباء مشتقة من الازدحام وأنشد أبو عبيدة[3]:

إذا الشريبُ أخذتهُ أكّه فخَلِّهِ حتىَّ يبكَّ بكّه[4]

وقيل : من بكَّ العُنق وهو التواؤها، لأنه ما فجر فيها أحدٌ في الدهر الأول إلا أصبحت عُنقه ملتوية.

قلت: ويحتمل أن يكون من بكّ الشيء إذا فرقه، لتفرُّق الناس منها في كلِّ جهة عند فراغ الحج، قال امرؤ القيس :

ولله عيناَ من رأى من تفرُّق أشتَّ وأنأى من فراقِ المحصب[5]

وقال في مكان آخر :

---

(1) رحلة العبدري، ص/ 366،

(2) نفس المرجع

(3) أبو عبيدة معمر بن المثنى من أئمة العلم بالأدب واللغة له: نقائض جرير والفرزدق، توفي بالبصرة سنة 209. (بغية الوعاة، ج/2، ص/394) والبيتان في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، 128.

(4) الشريب : الذي يشرب معه، والذي يسقي إبله م إبل صاحبه، يقول : إذا ضاق الشريب وساء خلقه وغضب عند الحوض فدعه يبك إبله بكة، أي يقبلها الحوض يصرفها إليه، والأكة: الحمية .

(5) ديوان امرئ القيس، ص/ 42.

" وقرأت على صاحبنا أبي العباس المذكور[1] قصيدة في مدح النبيγ وهي طويلة تزيد على ثلاث مئة وعشرين بيتاً، رام فيها إيعاب ما نقل من معجزاته γ، ووسمها بـ " خلاصة الصفافي خصائص المصطفى" وهي مهذبة منقحة لا حشو فيها البتتة ومطلعها:

لأحمد خير الخلق أُهدي تحيتي　　محمد الأتي بحكمٍ وحكمة

مدحتُ رسول الله والمدحُ دونه　　ولو ملأ المدّاحُ كلَّ صحيفةِ

ولو كان كالبحر المحيط مداده　　وكالشجر الأقلامِ ما قطُّ جفتِ[2]

وقد ذكر قصيدة النبوية لابن المنير وبعض الأبيات منها :

أجب دعوةَ الرحمان يا صاحِ تسعدِ　　وبادِرْ لفرضِ الحجّ غيرَ مُفنَّد

ولُذْ بالمتابِ الآنَ وازدَد من التُّقى　　فإنَّ اتقاءَ الله خيرُ التزَوُّدِ

ودعْ خاطِرَ التَّسويفِ والخَوفَ جانباً　　وسلّمْ لأمرِ اللهِ أمركَ في غدِ[3]

شواهد الشعرية في رحلة ابن بطوطة

شواهد الشعر في رحلة ابن بطوطة قليل ومنها يقول ابن بطوطة:

"ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له: اسمع مني واحفظ عني:

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه　　أمنتم به يوم المعاد من الرجس

وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبةٍ　　فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسى"[4]

وذكر ابن بطوطة عند ذكر الصفا والمروة أشعار الحارث الجرهمي بقوله:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا　　أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا　　صروف الليالي والجدود العواثر"[1]

---

(1) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ميمون الأشعرى المالقي، يعرف بابن السكان.

(2) رحلة العبدري، ص/ 547.

(3) نفس المرجع ، ص/ 234.

(4) رحلة ابن بطوطة، ص/ 57 ،

شواهد الشعرية في رحلة ابن خلدون

قد نقل ابن خلدون قصيدة لأبي إسحق إبراهيم الساحلي المعروف جده بالطويجن، وقد قدم حاجاً، وفي صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم، كاتب سر السلطان ابن الأحمر صاحب غرناطة، الحظي لديه، أبي عبد الله بن زمرك، خاطبني فيه بنظم ونثر يتشوق، ويذكر بعهود الصحبة نصه:

سلوا البارق النجدي من علمي نجد ... تبسم فاستبكى جفوني من الوجد

أجاد ربوعي باللوى بورك اللوى[2] ... وسح به صوب الغمائم من بعدي

ويا زاجري الأظعان وهي ضوامر ... دعوها ترد هيماً عطاشاً على نجد

ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا ... فإن زفير الشوق من مثلها يعدي

يراها الهوى بري القداح وخطها ... حروفاً على صفح من القفر ممتد[3]

شواهد الشعرية في رحلة صديق حسن خان

و نجد صديق حسن خان ينقل بعض أشعار للإمام الغزالي أثناء رحلته ومن الأشعار التي انضم صديق حسن خان في رحلته :

أسرُ الخطايا عند بابك واقفُ ... على وجل ممَّا به أنت عارفُ

يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ... ويرجوك فيها، فهو راجٍ وخائف

ومن ذا الذي يرجو سواكَ ويتقي ... ومالك في فصل القضاء مخالفُ

فيا سيدي ! لا تُخزِني في صحيفتي ... إذا نُشرت يوم الحساب الصحائفُ

وكنْ مونسي في ظُلمة القبر عند ما ... يصد ذوو القربى ويجفو الموالف[4]

شواهد الشعرية في الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان

---

(1) نفس المرجع، ص/ 63 ،

(2) اللوى: وادي من بني سليم

(3) رحلة ابن خلدون، ص/ 210.

(4) رحلة الصديق إلى البلد العتيق، ص/ 94.

إذا أمعن النظر في الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان فنجده مهتماً بأدبية الرحلة اهتماماً بالغاً ولاسيما الناحية الشعرية، فيذكر الأشعار كثيراً، فمن الأشعار التي نقلها:

يحملن كل شاحب محقوقف   مِن طولِ تدآبِ الغُدُوِّ وَالسُرى
ينوى التي فضلها رب السماء[1]   لمـــا دحـــا تربتهـــا علـــى البـــنى
حَتّى إِذا قابَلَها اِستَعبَرَلا   يَملِكُ دَمعَ العَينِ مِن حَيثُ جَرى[2]

ينقل شكيب أرسلان أشعار ياقوت الحموي بشأن عرفات حيث قال:

ولها مربع ببرقة خاخ   ومصيف بالقصر قصر قباء
كفنوني إن مت في درع أروى   واغســـلوني مـــن بئـــر عـــروة مـــائي
سخنة في الشتاء باردة الصيف   سراج في الليلة الظلماء[3]

" وممن اشتهر بالنسبة إلى الطائف أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة ابن عوف بن عقدة بن عنزة بن قبس وهو ثقيف بن منبة بن بكر بن هوازن قال صاحب الأغاني: هكذا يقول من نسبهم إلى قيس، وأم أمية بن أبي الصلت قرشية وهي رقية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان أمية من أشعر العرب وإليه ينسب هذا البيتان :

قوم إذا نزل الغريب بأرضهم   ردوه رب صواهل وفيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم   لـــتلمس العـــلات بالعيـــدان[4]

شواهد الشعرية في رحلة إلى الحجاز للمازني

لما دخل المازني في حدود مدينة جدة وكان البحر هائج فيبين حالة البحر في شعره حيث يقول:

(**1**) وفي أصل القصيدة كلمة " العلى " بدلا من " السماء .

(**2**) الرحلة الحجازية ، ص/ 15 ، والأشعار لابن دريد.

(**3**) نفس المرجع ، ص/ 25 .

(**4**) نفس المرجع ، ص/ 168.

"فانتفضت قائما وقد فرحت وسرني أن البحر أولانا التفاتا وجعلت
أروح وأجيء بقد ما استطيع في هذا الحجر الضيق الذي يسمونه حجرة النوم
وأرفع صوتي بقول ذلك البدوي الساذج :

والبحر صعب المرأس جداً   لا جعلـــــت حـــــاجتي إليـــــه !
أليس ماء ، ونحن طين ؟   فما عسى صبرنا عليه ؟[1]

وأثناء الحوار مع صديقه يذكر له قول الشاعر حيث يقول:

"وهممت بأن أقول كلاماً آخر أثبت به نظريتي، ولكن زميلاً غيره ألقى
بنفسه بين ذراعي، فأكبرت هذه العاطفة منه وتمثلت في سري بقول الشاعر.[2]

أشوقا ولما يمض لي غير ليلة؟   فكيـف إذا خـب المطـي بنـا عشـرا؟

وفي مكان آخر ينقل كلام ابن الرومي حيث يقول:[3]

فكاه كالعصرين من دهره   كلاهمـــــا في شـــــأنه دائـــــب
ذي معدة ثعلبها لاحس   وتارة ارنبهـــــــــا ضـــــــــاغب
تعلوه حمى شره نافض   لكـــــن حمـــــي هضـــــمه صـــــالب

كان المازني في سفر الكندرة ذاهبا من جدة ذكر قول المتنبي قائلاً :

" وضحكت في سري وقد تذكرت قول المتنبي في كافور :[4]

جوعان يأكل من مالي ويمسكني   كيمـا يقـال عظـيم القـدر مقصـود!

في منزل الوحي لحسين هيكل

وأما الأشعار فلا نجدها إلا قليلاً ولعل سبب قلة الأشعار هو نسيان الأشعار من ذاكرته وفي هذا يقول :

(**1**) رحلة إلى الحجاز للمازني، ص/ 36

(**2**) نفس المرجع ، ص/38

(**3**) نفس المرجع ، ص/40

(**4**) نفس المرجع ، ص/ 136

"كنت أحفظ في حياتي كثيراً من الشعر العربي نسيت الآن أكثره، ومما لا يزال عالقاً بذاكرتي قول الشاعر :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنـــيس ولم يَســـمُرْ بمكـــة ســـامر[1]

وفي مكان آخر ينقل قول أبي نواس ثم يعلق عليه والشعر هو :

قل لمن يبكي على رسم درَسَ واقفــاً ، مــا ضــرَّ لــو كــان جلــس ![2]

وفي تعليقه يقول :

" وكنت أشارك صديقي في الإعجاب بهذا البيت وبدقة النكتة وبالتهكم اللاذع فيه. فلما خرجت إلى سرف وإلى وادي فاطمة ورأيت القوافل متجهة صوب المدينة ورأيت إبلا تنقطع عن القافلة وتسير فرادي وعلى هون، ذكرت هذا البيت من شعر أبي نواس فلم يثر مني إعجاباً ولا طرباً، بل سخرت منه ومن أبي نواس، فهذه البادية المترامية الأطراف يرتحل أهلها البدو من مكان إلى مكان، يضربون خيامهم إذا نزلوا، فإذا ارتحلوا درس رسمهم، ليس فيها معنى أبعث للتشوق وللحنين من هذه الرسوم الدوارس..." [3]

وفي سفر الطائف ينقل قول عمر بن أبي ربيعة وقبل الشعر يقول :

" ولعلي لو رآني في هذه الساعة أحد من أهلي أو أصدقائي بمصر لذكر لفوره قول عمر بن أبي ربيعة :

أخا سَفَر جواب أرض تقاذفت بـــه فلـــواتٌ فهـــو أشـــعث أغـــبر[4]

وفي زيارة مدينة الرسول γ يذكر بأشعار استقبال النبي γ : حيث قال:

" لقد طرق سمعهم صوت لفت نظرهم، ذلك صوت فتيات من ربّات الخدور صعدن الشُّرُفات يتغنين:

طلع البدر علينا مـــن ثنيـــات الـــوداع
وجب الشكر علينا مـــــا دعـــــا لله داع

(1) في منزل الوحي، ص/ 217
(2) نفس المرجع ، ص/ 269
(3) نفس المرجع ، ص/ 269.
(4) نفس المرجع ، ص/ 217

أيها المبعوث فينا جئــت بالأمــر المطــاع[1]

شــواهد القصــص والحكايــات فــي الرحلــات الحجازية

ومن صور الأدبية القصة التي نجدها في معظم الرحلات ، والرحالون يحكون القصص المشهورة أثناء سرد رحلته لانتباه القارئ، وبعض الرحالين يحكون مشاهدات رحلته بأسلوب قصصي جميل .

شواهد القصص والحكايات في رحلة ابن جبير

ومن أمثلة القصص في رحلات الحجازية أقدم قصة عروس إفرنجي لابن جبير حيث يقول :

" ومن مشاهد زخارف الدنيا المحدث بها زفاف عروس شاهدناه بصور في أحد الأيام عند مينائها، وقد احتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساءً، واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة، والبوقات تضرب والمزامير وجميع الآلات اللهوية، حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال، كأنهما من ذوي أرحامها، وهي في أبهى زي، و أفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب قد حفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حليها وحللها، تمشي فتراً في فتر مشي الحمامة أو سير العمامة، نعوذ بالله من فتنة المناظر، وأمامها جلة رجالها من النصارى في أفخر ملابسهم البهية،...." [2]

وفي مكان آخر نجده متحدثاً عن مصر وعن حائط العجوز و أشار إلى القصة والخرافة العربية التي وردت في المسالك والممالك حيث يقول :

" .... والأقوال في أمر هذا الحائط تتشعب وتختلف، وبالجملة فشأنه عجيب ولا يعلم سره إلا الله عز وجل. وهو يعرف بحائط العجوز، ولها خبر

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 500

(2) رحلة ابن جبير ، ص / 278

مذكور، أظن هذه العجوز هي الساحرة المذكور خبرها في المسالك والممالك التي كانت لها المملكة بها مدة." [1]

وقد ذكر في حاشية الصفحة القصة التي أشار إليها حيث قال :

" في الخرافات العربية أن العجوز هي دلوكة بنت ربا، وخبرها أنه لما أغرق الله فرعون وقومه بعد خروج موسى v ، بقيت مصر وليس فيها من أشراف أهلها أحد، ولم يبق إلى العبيد والأجراء والنساء، فأعظم النساء أن يولين أحداً من العبيد والأجراء، وأجمع رأيهن أن يولين دلوكة، وكان لها عقل ومعرفة، وقد بلغت يومئذ مئة عام أو أكثر، ...... وهذا البناء هو حائط العجوز" [2]

وقد حكي قصة الصبي الذي تعجب بفصاحته حيث قال:

" وشاهدنا منهم صبياً في الحجر قد جلس إلى أحد الحجاج يعلمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص. فكان يقول له: (⇗✍➔🔔 ♎➔❑◆ ✂🙞✎✦ 🕮❒❍☒⑨➘) فيقول الصبي: (♎➔❑◆ ✂🙞✎✦ 🕮❒❍☒⑨➘) فيعيد عليه المعلم، فيقول له: "ألم تأمرني بأن أقول: (♎➔❑◆ ✂🙞✎✦ 🕮❒❍☒⑨➘)؟ قد قلت. فكابد في تلقينه مشقة، وبعد لأي ما علقت بلسانه. وكان يقول له: (🗀⦸❍⬄🏳☞ ✂🙞✎★ ✂🙞◉2▪❑⬃☝◆🕐♊⇦ ✂🙞◉2▪❍☡⑩🏳☞ ⇦⇨⇗ ✂🙞◉⬂◆☐☺⇧⑨← ✎✶ ❻◆⚇♌☞ ✂🙞◉⬂➔☐🕐🖬■☺☡✓✕♦ ⇗⌘⇦)، فيقول الصبي: (🗀⦸❍⬄🏳☞ ✂🙞✎★ ✂🙞◉2▪❑⬃☝◆🕐♊⇦ ✂🙞◉2▪❍☡⑩🏳☞ ،وَ ✂🙞◉⬂◆☐☺⇧⑨← ✎✶) . فيعيد عليه المعلم، ويقول له: لا تقل: (وَ ✂🙞◉⬂◆☐☺⇧⑨← ✎✶) إنما قل: ( ) ✂🙞◉⬂◆☐☺⇧⑨← ✎✶ فيقول الصبي: إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم، أقول: (وَ ✂🙞◉⬂◆☐☺⇧⑨← ✎✶) ،

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 33

(2) نفس المرجع ، ص/ 33-34.

للاتصال، و إذا لم أقل بسم الله، وبدأتُ قلت: (✂♋♐♊♏⬂⧫⌂☺⇳⑨← ✏✶)، فعجبنا من أمره ومن معرفته طبعاً بصلة الكلام وفصله دون تعلم." (1)

لاحظنا من هذه النماذج التي أوردناها من رحلة ابن جبير أن المؤلف تمتع بحس قصصي متدفق، يرصعه بآيات من القرآن الحكيم، يحسن توظيفها ووضعها في أفضل المواضع ملاءمة.

شواهد القصص والحكايات في رحلة ابن بطوطة

إن ابن بطوطة يتميز من الرحالين الآخرين بأسلوب كثرة سرد الحكاية في رحلته ، وكما نعرف أن الحكاية نوع من الأدب العربي ، ومن حكايته:

"ذكر أن سراج الدين هذا أقام في خطة القضاء بالمدينة والخطابة بها نحو أربعين سنة، ثم إنه أراد الخروج بعد ذلك إلى مصر، فرأى رسول الله γ في النوم ثلاث مرات، في كل مرة ينهاه عن الخروج منها، وأخبره باقتراب أجله، فلم ينته عن ذلك وخرج، فمات بموضع يقال له: سويس ، على مسيرة ثلاث من مصر، قبل أن يصل إليها"(2)

ومن حكاياته أيضاً:

"يذكر أن أبا عبد الله الغرناطي كان خديماً لشيخ يسمى عبدالحميد العجمي، وكان الشيخ حسن الظن به، يطمئن إليه بأهله، ويتركه متى سافر بداره، فسافر مرة، وتركه على عادته بمنزله، فعلقت به زوجة الشيخ عبدالحميد وراودته عن نفسه، فقال: إني أخاف الله ولا أخون من ائتمنني على أهله وماله. فلم تزل تراوده وتعارضه حتى خاف على نفسه الفتنة فجبّ نفسه، وغشي عليه، ووجده الناس على تلك الحالة، فعالجوه حتى برئ وصار من خدام المسجد الكرام، ومؤذناً به، ورأس الطائفين به. وهو باقٍ بقيد الحياة إلى هذا العهد" (3)

والحكاية الأخرى التي حكت ضمن رحلته :

(**1**) نفس المرجع ، ص/ 113.

(**2**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 54.

(**3**) نفس المرجع ، ص/ 55.

"لما وصلنا إلى المدينة -كرمها الله، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، - ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلاً يقول له: اسمع مني واحفظ عني:

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه   أمنتم به يوم المعاد من الرجس

وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبةٍ   فطوبى لمن يضحي بطيبة أو يمسى

وجاور هذا الرجل بعد صحبه بالمدينة. ثم رحل إلى مدينة دهلي قاعدة بلاد الهند، في سنة ثلاث وأربعين، فنزل في جواري. وذكرت حكاية رؤياه بين يدي ملك الهند، فأمر بإحضاره، فحضر بين يديه، وحكى له ذلك، فأعجبه واستحسنه، وقال له كلاماً جميلاً بالفارسية، وأمر بإنزاله، وأعطاه ثلاثمائة تنكة من ذهب. ووزن التنكة من دنانير المغرب ديناران ونصف دينار، وأعطاه فرساً محلى بالسرج واللجام، وخلعة، وعين له مرتباً في كل يوم." (1)

شواهد القصص والحكايات في رحلة صديق حسن خان

وإذا أمعن النظر في رحلة صديق حسن خان " رحلة الصديق إلى البلد العتيق" فنجده في الصفحات الأخيرة من رحلته لما يبين سفر الحج من البداية إلى النهاية اختار أسلوب القصة والرواية في سرده لسفر الحج ، وهاهو أنموذجاً من رحلته:

" ثم يوم الربوع ثاني عشر ذي القعدة ركبنا من " جدة" إلى حدة بعد صلاة المغرب، ومن حدة إلى كعبة المقصود، وعتبة الجود، بعد جمع صلاة الظهر والعصر، ودخلنا البلد الأمين بعد نصف الليل مع السيد أبي بكر المطوِّف، ونزلنا عن الجمال، ومشينا على الأقدام، وتركنا الأحمال والأثقال مع الخدام ولم نعرج على شيء، وقصد المسجد الحرام، ودخلنا " باب السلام " ، وأدينا أعمال العمرة من الطواف والسعي والحلق على الترتيب. " (2)

شواهد القصص والحكايات في الرحلة الحجازية

---

(1) نفس المرجع ، ص/ 57 .

(2) رحلة الصديق إلى البلد العتيق، ص/ 165.

لا شك أن رحلة شكيب أرسلان رحلة أدبية ونجد في رحلته قصص وحكايات ومن تلك القصص التي جرت معه في أرض الحجاز حيث قال:

" وإني لأروي للقراء قصة جرت معي في تلك الأرض وهي أني كنت وجماعة من إخواني نتنزه في الوهط قرية عمرو بن العاص المشهورة، وهي على نحو ساعة ونصف من الطائف إلى جهة جبل برد، فرأينا في طريقنا على مقربة من الوهط آثار قرية دارسة يعرف أنها كانت ذات شأن من اتساع جبانتها، وشاهدنا في الجبانة قبة مهدوما أعلاها قائمة جدرانها، قيل لنا أنها قبة سيدنا عكاشة من الصحابة رضوان الله عليهم . (1)

شواهد القصص والحكايات في منزل الوحي

من شواهد القصة في رحلة حسين هيكل ، نجد حسين هيكل يضم القصص التاريخية والحكاية القديمة كثيرة في "منزل الوحي" ومن تلك القصص قصة ابن الزبير η حيث قال :

" .... ولقد فزع لذلك أهل مكة وأهل الشام جميعاً، وترك ابن الزبير الكعبة ليراها الناس، فيكون مرآها محرِّضاً لهم على أهل الشام. وظل الأمر كذلك، وظل الحصين بين نمير محاصراً للبلد الحرام حتى بلغه نعي يزيد بن معاوية. وتحدث إليه رجال من أهل مكة واتهموا رجاله بأنهم رموا الكعبة بالنفط وقالوا له: أما وقد توفّي أمير المؤمنين فعلى ماذا نقاتل؟ إرجع إلى الشام حتى ترى ما يجتمع عليه رأي صاحبك، يريدون معاوية بن يزيد. ورجع الحصين إلى الشام تاركاً الكعبة واهية توشك أن تنقضّ. وتحدث ابن الزبير η إلى أهل مكة : ماذا يصنع بالبيت، أيصلح ما وهي منه؟ أم ينقضه ويعيد بناءه ؟ وكان عبدالله بن عباس على رأي المعارضين للهدم وإعادة البناء، قال موجهًا كلامه لابن الزبير: دعْها على ما أقرها رسول الله γ ، فإن أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ويبنيها، ثم يأتي بعد ذلك آخر، فلا تزال أبداً تهدم وتبني فتذهب حرمة هذا البيت من قلوبهم ، ولا أحب ذلك ولكن أرقعها. وأجابه ابن الزبير: والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت

---

(1) الرحلة الحجازية، ص/ 149.

أبيه وأمه، فكيف أرقع بيت الله سبحانه وأنا أنظر إليه ينقضُّ من أعلاه إلى أسفله... " (1)

شواهد أسلوب الحوار في الرحلات الحجازية

إن أسلوب الحوار أهم عنصر من عناصر النثر الأدبي الرفيع، وبعض الرحالين اختاروا أسلوب الحوار أحياناً وخاصة لما يحكون قصص اللقاء مع الناس أو مع الملوك أو الأمراء ، وهنا أعرض بعض نماذج الحوار من الرحلات الحجازية.

شواهد أسلوب الحوار في رحلة ابن فضلان

ونرى أسلوب الحوار في رحلة ابن فضلان وها هو نموذج الحوار من رحلته : وكان ابن فضلان يصف الحوار مع الملك يلطوار ملك البلغار حيث يقول:

" كان يُخطب له على منبره قبل قدومي ، اللهم أصلح الملك يلطوار ملك البلغار، فقلت أنا له : إن الله هو الملك، ولا يسمى على المنبر بهذا الاسم غيره β ، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يقال على منابره في الشرق والغرب اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين ، وكذا من كان قبله من آبائه الخلفاء، فقال لي :

فكيف يجوز أن يخطب، قلت : باسم واسم أبيك

قال : إن أبي كان كافراً ، ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر، وأنا أيضاً فما أحب أن يذكر اسمي إذا كان الذي سماني به كافراً، ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين ، فقلت : جعفر .

قال: فيجوز أن أتسمى به.

قلت: نعم .

قال: قد جعلت اسمي جعفراً واسم أبي عبدالله ، فتقدم إلى الخطيب بذلك ففعلت، فكان يخطب له: اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبدالله أمير البلغار مولى أمير المؤمنين." (2)

شواهد أسلوب الحوار في منزل الوحي

هذا الحوار جزء من حوار محمد حسين هيكل والملك ابن سعود ρ :

---

(1) في منزل الوحي، ص/ 201

(2) نفس المرجع، ص/ 11

"بدأ جلالته الحديث بقوله : لم أقابلك من قبل ولكنني أعرفك.

واغتبطت لهذه التحية الرقيقة التي لم تكن تتفق مع ما يبدو على وجه الرجل في هذه اللحظة من اشتغال باله، وأجبت :

جئت أقدّم التحية وأعرض الرجاء في تعاون المسلمين لرفعة هذه الأماكن المقدسة..... لذلك أسرع في الجواب على ما أبديت من رجاء بقوله:

نحن لا نبتغي من الدول الإسلامية غير امتناع أذاها، ويكفينا صدق مودّتها معنا، ونحن ها هنا في هذه البلاد بفضل الله لا بإرادتنا نحن. القرآن في رقابنا، وسيوفنا في جنوبنا. وأكبر ما نغتبط له أن تجتمع كلمة المسلمين. فالمسلمون أكثرهم عرب، بل كلهم عرب، واجتماع الكلمة هو أول واجب على الدول الإسلامية..... فقلت:

ونحن المسلمين نحرص على أن تكون مكة من الدول الإسلامية كجنيف من الدول الأوربية، وأن نتعاون جميعاً لرفعة هذه الأماكن المقدّسة. وأجاب وما يزال في تحفظه:

لقد عرفت رأيك في مكة وما يجب أن تكون عليه، وهذه الحكومة تشاطرك الرجاء في أن تكون مكة مقرّ عصبة الأمم الإسلامية ومكان الإصلاح بين المسلمين إذا اختلفوا."[1]

شواهد أسلوب الحوار في رحلة إلى الحجاز

كما قلنا إن المازني اختار أسلوب الحوار أيضاً في رحلته فهنا أقدم أنموذج الحوار بين المازني وصديقه أثناء رحلته :

" واستعرت من زميل لي مبرأة ، وملت إلى الحاجز على ظهر السفينة وأرهفت أقلامي، ثم لم أجد لي عملاً بعد ذلك فأقمت حد المبراة على حديد الحاجز ورحت كأني أقطع، فسمعت قائلاً يقول لي :

رفقا بالسفينة يا صديقي، أو بمبراتك إذا كان أمر السفينة لا يعنيك! ، فالتفت فإذا إنجليزي في مثل ثياب الربان .

فقلت له : المبراة عارية وقد آن أن أردها .

فابتسم وقال: بعد أن شحذتها؟

---

(1) في منزل الوحي، ص/ 149.

فسألته وأن أشير إلى رجل في مقدمة الباخرة: " من هذا الرجل ذو الوجه الأمرد والنظرة الوحشية؟

فقال : " هذا الكبتن ... لقد كان ضابطا في البحرية البريطانية وأبلى في الحرب الكبرى بلاء حسنا، وقد سرح وهو الآن يعمل في هذه الباخرة." (1)

شواهد الرسائل في الرحلات الحجازية

الرسالة عنصر مهم من النثر الأدبي، ونجدها منذ زمن الرسول γ حيث أرسل النبي γ رسائل الدعوة إلى الملوك والأمراء، ونجد بعض الأدباء المشهورين الذي اشتهروا بكتابة الرسائل. فتلك الرسائل الأدبية نجدها عند بعض الرحالة في رحلاتهم وها هي بعض النماذج .

شواهد الرسائل في رحلة ابن خلدون

ونقل ابن خلدون رسالة أبي الحسن علي بن الحسن البني حيث يقول :

" وكتب إلي قاضي الجماعة بغرناطة، أبو الحسن علي بن الحسن البني: الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله. يا سيدي و واحدي وداً وحباً، ونجي الروح بُعداً وقرباً. أبقاكم الله، وثوب سيادتكم سابغ، وقمر سعادتكم –كلما أفلت الأقمار – بازغ، أسلم بأتم السلام عليكم، وأقرر بعض ما لدي من الأشواق إليكم، من حضرة غرناطة – مهدها الله –، عن ذكر لكم يتضوع طيبه، وشكر لا يذوي – وإن طال الزمان – رطيبه، وقد كان بلغ ما جرى من تأخيركم عن الولاية التي تقلدتم أمرها، وتحملتم مرها ." (2)

شواهد الرسائل مرآة الحرمين(3)

إن إبراهيم رفعت باشا ذكر عدة رسائل أثناء رحلته ومن تلك الرسائل رسالة الخديو إلى محافظ المدينة وشيخ الحرم النبوي الشريف :

(**1**) رحلة إلى الحجاز للمازني، ص/ 12

(**2**) رحلة ابن خلدون، ص/ 219

(**3**) مرآة الحرمين :كتبها إبراهيم رفعت باشا ، وهو اللواء إبراهيم رفعت باشا ولد في عام 1855 في القاهرة، وسافر للحج أربع مرات، وكتب رحلته مرآة الحرمين . ويعتبر رحلته من أوائل المصورين الذين التقطوا صورا فوتوغرافية لرحلة الحج وللديار المقدسة بمكة والمدينة ، وطب مرآة الحرمين في عام 1935. (www.wikipedia.org)

"إلى الجانب العالي شيخ الحرم الشريف النبوي حضرة صاحب العطوفة . إن المحمل الشريف المصري المعتاد قيامه من مكة إلى المدينة المنورة سيسلك طريق ينبع في رجوعه من المدينة لأنه أقرب الطرق والمياه به كثيرة وقد نبهنا على المخلص صاحب السعادة إبراهيم باشا رفعت أمير الحج بإرضاء عربان هذا الطريق حتى لا يقع الحجاج الكرام في مشاكل معهم فالرجاء عدم حرمان الأمير السالف الذكر من المساعدة والإعانة التي توصله إلى تلك الغاية المنشودة".[1]

والرسالة الأخرى من خديو إلى أمير مكة :

" حضرة صاحب الدولة والسيادة . إن المحمل المصري الشريف الذي اعتاد القيام من مكة إلى المدينة قد تقرر أن يسلك الطريق السلطاني من المدينة إلى ينبع لقرب هذا الطريق وكثرة المياه به وتجنبا لوقوع حجاج بيت الله الحرام في المشاكل ومحافظة على راحتهم التي هي لديكم أمر لازم دائما ومع أننا نبهنا الباشا أمير الحج إلى كل ذلك فإننا لا نرتاب في أن راحة الحجاج مرهونة بما تبذلونه من المساعدات الجليلة والعنايات الفخيمة فإذا استصوبت ذاتكم العلية الهاشمية المرور من الطريق السلطاني فأرجو أن تأذنوا بصدور الأمر إلى محافظ المدينة بأن يمكّن المحمل من سلوك هذا الطريق ويقدم له المساعدات الواجبة وفضلا عن ذلك فإننا أكدنا على أمير الحج باسترضاء عربان هذا الطريق بأي صورة كانت ومع كل فالأمر والإرادة لحضرة من له الأمر " [2]

شواهد الخطب في الرحلات الحجازية

الخطبة فن من فنون الأدبية الممتازة ونجدها منذ العصر الجاهلي وكان الخطباء يخطبون في الأسواق وأماكن الاجتماع لإقناع رأيهم، وكثرت استعمالها للدعوة الإسلامية بعد مجيء الإسلام، ثم أصبحت الخطبة من فنون الأدبية، ونجد بعض الرحالين الذين أوردوا نصوص الخطب الإسلام أثناء رحلاتهم ، وها هي بعض شواهد الخطب في الرحلات الحجازية.

(**1**) مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1935 ج/2، ص/ 107.

(**2**) نفس المرجع ، ج/2، ص/ 187

شواهد الخطب في رحلة العبدري

أشار العبدري في رحلة إلى بعض الخطب ومن تلك الخطب خطبة أبي حفص بن عمر التي ذكر نصها وهي:

" عباد الله ! الدين النصيحة، فخذوها محضةً صريحةً، هديُ الله هو الهدى، ومن اتبع رُسل الله اهتدى، فإياكم والقدماء وما أحدثوا، فإنهم عن عقولهم حدّثوا، أتوا من الافتراء بكلّ أعجوبة، وقلوبهم عن الأسرار محجوبة . الأنبياء ونورهم، لا الأغبياء وغرورهم، عنهم يتلقى، وبهم يدر السول..."[1]

شواهد الخطب في الرحلة الحجازية

وذكر شكيب أرسلان بعض الخطب الجاهلية والإسلامية ضمن رحلته كما ذكر هذه الخطبة :

" وحدثوا من طريق آخر أنه γ قال في خطبة " الحمد الله الذي صدق وعده، ونصر جنده وهزم الأحزاب وحده، ألا أن كل مأثرة في الجاهلية وكل دم ودعوى موضوعة تحت قدمي، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج"[2]

شواهد الخطب في منزل الوحي :

صاحب رحلة في منزل الوحي ينقل ضمن قصة هجرة النبي γ جزء من خطبته γ في بطن وادي رانوناء من أودية المدينة حيث قال:

" لقد أدركوا الجمعة إذ هو ببطن وادي رانواناء من أودية المدينة، فنزل فصلاها بالناس بعد أن خطبهم قائلاً : [أَيُّهَا النَّاس، أَفْشُوا السَّلَام، وَأَطْعِمُوا الطَّعَام، وصِلُوا الأَرْحَام، وَصَلُّوْا بِاللَيْلِ وَالنَّاسِ نِيَام، تَدْخُلُون الجَنَّة بِسَلَام**(3)**] .[4]

شواهد الخطب في رحلة إلى مكة [5]

(**1**) رحلة البعدري، ص/ 286-287.

(**2**) نفس المرجع ، ص/ 200.

(**3**) سنن الترمذي، ج/4، ص/652، ح/2485

(**4**) في منزل الوحي، ص/ 500.

(**5**) رحلة إلى مكة كتبها مراد هوفمان في يناير 1996. مراد هوفمان ولد في عام 1931 في ألمانيا، وأسلم في عام 1980، وهو صاحب العديد من الكتب التي تتناول مستقبل الإسلام في الحضارة الغربية الأوروبية،

صاحب الرحلة مراد هوفمان أشار إلى خطبة حجة الوداع وذكر مقتطفات من خطبة حجة الوداع حيث قال:

" ففي هذا المكان ألقى محمد γ قبل وفاته بأسابيع قليلة في عام 632 ميلادية خطبة تقرأ كل عام في ذات اليوم، وذات المكان، لقد خاطب المسلمين في ذاك اليوم قائلاً: [أُوْصِيْكُم بِالنِّسَاءِ خَيْراً ....] وأنهى خطبته قائلاً : [إِنِّي تَارِك فِيْكُم ـ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي ، وَإِنِّي مَسَائِلُكُم يَوْمَ القِيَامَة فِيْمَا أَنْتُم فَاعِلُون] . ووفقا للرواية ، أجابه ا لحاضرون: [نَشْهَدُ أَنَّكَ أَدَيْتَ الأَمَانَةَ، وَبَلَغْتَ الرِّسَالَة، وَنَصَحْتُ الأُمَّة]. (1)

شواهد بلاغية وأدبية مختلفة في الرحلات الحجازية

إن ابن جبير أديبٌ جيد، وأدبيته تعرف من فصاحة رحلته وبلاغة كلامه وفي بعض الأحيان يستخدم نوعا من السجع في نصوص رحلته، كما هو يتحدث عن أهل مدينة السلام بغداد حيث يقول:

" وأما أهلها فلا تكاد تلقى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سواهم الأحاديث والأنباء" (2)

ويستمر الكلام ثم يقول :

"فالغريب فيهم معدوم الإرفاق، متضاعف الإنفاق، لا يجد من أهلها إلا من يعامله بنفاق، أو يهش إليه هشاشة انتفاع واسترقاق، كأنهم من التزام هذه الخلة القبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق" (3)

وابن جبير يخبرنا دخوله مكة المكرمة بكلمات فصيحة وبليغة ولا يمكن للرحالة غير الأديب أن يخبرنا بهذه الطريقة، فنجده متحدثاً :

" ودخلنا مكة، حرسها الله، في الساعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور، وهو الرابع من شهر أعشت، على باب العمرة، وكان إسراؤنا تلك الليلة المذكورة، والبدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، والليل قد

(**1**) نفس المرجع ، ص/ 31.

(**2**) رحلة ابن جبير ، ص/ 194.

(**3**) نفس المرجع.

كشف عنا قناعه، والأصوات تصك الآذان بالتلبية من كل مكان، والألسنة تضج بالدعاء وتبتهل الله بالثناء، فتارة تشتد بالتلبية، وآونة تتضرع بالأدعية.فيما لها ليلة كانت في الحسن بيضة العقر، فهي عروس ليالي العمر وبكر بنيات الدهر"(1)

كما نعرف أن حسين هيكل أديب وشاعر ممتاز وهنا أود أن أقدم أنموذجاً من رحلته " في منزل الوحي" لكي نعرف مكانة بلاغية وأدبية لرحلته.

محمد حسين هيكل يصف بيئة الباخرة بأسلوب أدبي بليغ حيث قال:

" وشُغِلت بخليج السويس ومياهه وأمواجه حتى انحدرت الشمس إلى مغيبها. ولما تناولنا طعام العشاء أسرعت إلى مخدعي، عليَّ أجد في النوم ما يعوضني عن مجهود نهاري، وبعض ما يعوضني عن مجهود الأيام التي سبقت. واستيقظت مع الصبح واستنشقت هواء البحر، ما أرقّه وأعذبه وأصحّه ! وشكرت لله أنعمه وأنا في خلوتي المبكرة فوق سطح الباخرة أشهد شواطئ خليج السويس التي لم تزل قريبة منا. فلما آن ليقظه النهار أن تجمع أصحابي معي كي نتبادل من الحديث أطرافه ألفيتُني في رفقة لم ألفِ منها أحداً فيما سبق من أسفاري، وإن يكن منهم من سافر من قبل إلى أمريكا وأوربا، وإن يكن منهم من يقيم في باريس أكثر وقته." (2)

ميزة أدبية للرحلة الحجازية لشكيب أرسلان

شواهد تراجم الأدباء

والشيء العجيب التي أحسست في الرحلة الحجازية هو أن شكيب أرسلان أشار في رحلته إلى أدباء وشعراء المنطقة مع حياتهم موجزا وأشعارهم كما يتحدث عن أمية بن أبي الصلت :

" وممن اشتهر بالنسبة إلى الطائف أمية بن أبي الصلت عبدالله بن أبي ربيعة ابن عوف بن عقدة بن عنزة بن قبس وهو ثقيف بن منبة بن بكر بن هوازن قال صاحب الأغاني: هكذا يقول من نسبهم إلى قيس، وأم أمية بن أبي الصلت قرشية وهي رقية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان أمية من أشعر العرب وإليه ينسب هذا البيتان :

(**1**) نفس المرجع ، ص/ 58.

(**2**) في منزل الوحي، ص/ 51-52.

قوم إذا نزل الغريب بأرضهم ردوه رب صواهل وفيان
لا ينكتون الأرض عند سؤالهم لــتلمس العــلات بالعيــدان[1]

والأمير شكيب أرسلان قدم ترجمة مختصرة لشاعر من شعراء الطائف غيلان حيث قال:

" وممن ينسب إلى الطائف من الشعراء غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمر بن سعيد بن عوف بن قسي وهو ثقيف وأمه سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي أخت أمية بن عبد شمس أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ولم يهاجر، وأسلم ابنه عامر قبله وهاجر ومات عامر بطاعون عمواس بالشام سنة 18 وكان مع خالد بن الوليد ، وكان فارس ثقيف في زمانه فرثاه غيلان بقوله :

عيني تجود بدمعها الهتان سمحا وتبكي فارس الفرسان
يا عام من للخير لما أحجمت عــن شــدة مرهوبــة وطعــان[2]

ومن الشعراء الأخرى التي ضمهم إلى رحلته حياتهم وأشعارهم طريح بن إسماعيل الثقفي، والشاعر العرجي[3].

شواهد الرواية في الرحلة الحجازية

من الروايات التي ضمها شكيب أرسلان إلى رحلته رواية علي η التي سمع من أستاذه محمد عبده ρ :

" إن الشرائع السماوية لم تأت بشيء جديد وإنما جاءت أثارة لدفائن القلوب، فالعقل مضمون في صلب الشرع، كما أن الشرع مضمون في صلب العقل. وبناء على هذا المبدأ قرر الإسلام أنه هو خاتمة الشرائع، وإنه لا بدل من أن يظهر على الدين كله، كأنه يقول إن آخر ما يصل إليه الإنسان من الهدى

---

(1) الرحلة الحجازية، ص/ 168.

(2) الرحلة الحجازية، ص/ 170.

(3) هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي .

هو دليل العقل، وهذا الدليل هو الشرع بعينه، لأن كل ما ناقض هو مردود فيه، فلا عجب أن يكون الشرع المعقول هو الشرع الأخير. " [1]

والعبارة فيها إجمال وغموض وهي مروية بالمعنى، وموضوعها أن الإسلام دين الفطرة على دلائل العقل، والمسألة مفصلة مبنية في رسالة التوحيد، بما لا غموض في ولا إبهام.

وقد روي أقوال في شأن ابن عباس K حيث قال:

" قال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب. وعن عطاء : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقيهاً وأعظ خشية، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع . وعن طاوس : أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كما قلت. وسمع أحدهم ابن عباس يخطب ويفسر فقال: لو سمعته الروم وفارس لأسلمت ." [2]



(1) الرحلة الحجازية، ص/ 85.

(2) نفس المرجع ، ص/ 153

إن وجود النزعة القصصية في أدب الرحلة أمر طبيعي للرحلة، وما يتخللها من حوادث ومواقف تستحث الرحالة على التسجيل، وصياغة هذه الحوادث في أسلوب قصصي يعتمد الإثارة والتشويق في كثير من الأحيان، والرحلة في حد ذاتها قصة إن لم تتوافر فيها خصائص القصة، فهي تشاركها في بعض خواصها، فهي تظل على حد تعبير أحد الرحالة: "قصة ارتحال تظل لها حلاوة القصة ... وإن لم يكن لها طابعها".

ولذلك فإن عددا من الرحالة قد وفقوا في عرض بعض المواقف والحوادث في صورة قصصية تميزت بصدقها، إذ لم يكن للخيال دور في إيجاد شخوصها، أو خلق حوادثها بل كان دوره فقط في محاولة اختيار الطريقة والأسلوب الملائم للعرض القصصي.

ولذا فإن وجود هذه النزعة القصصية قد أسهم كثيراً في هذا اللون الأدبي الرحلي قديما وحديثاً، ومن هنا كان الرحالة الذين يوفقون في رحلته إلى المرور والاحتكاك المباشر بهذه المواقف مؤهلاً في ظل وجود القدرة الأدبية لإثراء أعمالهم الرحلي وتألقهم إذا وفقوا في عرض هذه الحوادث واستثمارها استثماراً فنياً من جهة، والتزام الواقع، وعدم اصطناع الأحداث وافتعال التشابك.

ومع ذلك فإن الرحالة يملكون مساحة واسعة تمكنهم من التدخل المباشر الذي لا يؤثر على مصداقية هذه المواقف، بقدر ما يمنحها مشاعر مختلفة من الحزن أو الطرافة على سبيل المثال.

وقد يكون الموقف عصبياً في مجمله، بيد أن الرحالة يتدخل ليقدم هذا الموقف المتأزم في صورة طريفة، حتى ليستطيع تقديم القصة من خلال عنصري الجد والهزل معاً، فلا يسعك إلا أن تقرأ القصة مشدوداً ومتحفزاً تارة، ومستأنساً ضاحكاً تارة أخرى.

إن أبرز ما يميز أدب الرحلات هو تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحور إلى الوصف وغيره، ولكن أبرزه أسلوب الكتابة القصصي ، المعتمد على السرد

المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، مما حدا بالدكتور شوقي ضيف إلى اعتبار أدب الرحلة عند العرب " خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها الأدب العربي، تهمة قصوره في فن القصة، ومن غير شك من يتهمونه هذه التهمة لم يقرءوا ما تقدِّمه كتب الرحلات من قصص عن زنوج إفريقية وعرائس البحر وحجاج الهند وأكلة لحوم البشر وصناع الصين وسكان نهر الفولجا وعبدة النار والإنسان البدائي والراقي مما يصور الحقيقة حيناً، ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حيناً آخر" [1]

ونرى الرحالون والجغرافيون في رحلاتهم وكتبهم الذين سلكوا طريقة ممتعة في وصف عالمهم والعوالم المحيطة بهم ، واهتموا بالحديث عن عادات الأمم والشعوب وطباعها وما بديارها من آثار وعجائب وقصّوا ما عندهم من أساطير وخرافات، واعتمدوا على المشاهدة والحكاية. وغلب على هذه الكتب الطابع القصصي ولما نقرأ الرحلات فنجد لذة في قرأتها .

وإذا أمعنا النظر في رحلة ابن جبير فنجده حاكياً قصة ما شاهده في طريقه إلى حجّه وعودته منه ، وإذا قرأت رحلة ابن بطوطة فهي مليئة بالحكايات والمازني وحسين هيكل يحكي لنا حكايات مضيفهما بشكل جيد.

وفي هذا الفصل سأبين كيفية القصة في الرحلات الحجازية مع ذكر النماذج من القصص الواردة في تلك الرحلات .

رحلة ابن جبير

كان أسلوب ابن جبير في رحلته قصصي وروائي وبطل قصته هو بنفسه، وقد يذكر أحداث وواقعات الرحلة بعنوان المشهد أو المشاهد، واخترت أنموذجاً من رحلته لنعرف أسلوب الرحلة، ففي بداية الرحلة تحدث ابن جبير أهوال البحر ومصائبه، وعقب يحكي قصة ذكرياته حيث قال:

> " ثم إنا أقلعنا منه ظهر يوم الأحد السادس عشر من الشهر المذكور،
> وفي مدة مقامنا بالمرسى المذكور جددنا فيه الماء والحطب والزاد. وهبط واحد من

---

(1) الرحلات لشوقي ضيف، ص/ 6

المسلمين ممن يحفظ اللسان الرومي مع جملة من الروم أقرب المواضع المعمورة منا فأعلمنا أنه رأى جملة من أسرى المسلمين نحو الثمانين بين رجال ونساء يباعون في السوق. وكان ذلك عند وصول العدو، دمره الله، بهم من سواحل البحر ببلاد المسلمين، والله يتداركهم برحمته.ووصل المرسى المذكور، يوم الجمعة الثالث من يوم أرسينا فيه، سلطان الجزيرة المذكورة، مع جملة من الخيل.فنزل إليه أشياخ المركب من الروم واجتمعوا به، وطال مقامهم عنده، ثم انصرفوا وانصرف موضع سكناه. وتركنا المركب المذكور في موضع إرسائه، بسبب مغيب بعض أصحابه في البلد، عند هبوب الريح الموافقة لنا." (2)

ويحكي لنا ابن جبير يومياته في الإسكندرية بأسلوب روائي وقصصي جميل حيث يسرد :

" فمن أول ما شاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أُمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جُلبَ فيه. فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحداً واحداً وكُتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناضّ(3) ليؤدّي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو ما لم يحل. وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة لم يستصحبوا سوى زادٍ لطريقهم، فلزموا أداء زكاة ليسأل عن أنباء المغرب وسلع المركب .."(4)

ويحكي قصة دخوله في مكة المكرمة حيث قال:

" ودخلنا مكة، حرسها الله، في الساعة الأولى من يوم الخميس الثالث عشر لربيع المذكور، وهو الرابع من شهر أعشت، على باب العمرة، وكان إسراؤنا تلك الليلة المذكورة، والبدر قد ألقى على البسيطة شعاعه، والليل قد كشف عنا قناعه، والأصوات تَصُكُّ الآذان بالتلبية من كل مكان، والألسنة تضج بالدعاء وتبتهل الله بالثناء، فتارة تشتد بالتلبية، وآونة تتضرع بالأدعية.فيما لها ليلة كانت في الحسن

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 9

(3) الناض: الدراهم والدنانير.

(4) المرجع السابق. ص/ 13-14.

بيضة العقر[5]، فهي عروس ليالي العمر وبكر بنيات الدهر. أن وصلنا، في الساعة المذكورة من اليوم المذكور، حرم الله العظيم ومبوأ الخليل إبراهيم. فألفينا الكعبة الحرام عروساً مجلوّة مزفوفة جنة الرضوان محفوفة بوفود الرحمن، فطفنا طواف القدوم، ثم صلينا بالمقام الكريم وتعلقنا بأستار الكعبة عند الملتزم، وهو بين الحجر الأسود والباب، وهو موضع استجابة الدعوة. ودخلنا قبة زمزم وشربنا من مائها وهو لما شرب له"[6]

رحلة العبدري

إن العبدري اختار أسلوب القصة والرواية بالإضافة إلى ذلك أنه يورد بشكل قصة والرواية والتاريخ الإسلامي ، كما قال عن مقام إبراهيم:

> " والمقام حجرٌ فيه أثر قدمي إبراهيم V ، وقف عليه وهو يبني الكعبة، فساخت فيه قدماه، وقيل: كان كلما ارتفع البناء، ارتفع به المقام في الهواء حتى تم البيت، وقيل : إنما وقف عليه حين أذّن في الناس بالحج فتطاول حتى علا الجبال، وأشرف على ما تحته، فنادى: أيها الناس أجيبوا ربكم، وقيل غير هذا مما هو مسطور، والأول هو الصحيح حسبما يأتي ذكره من حديث البخاري. وسأل أبو سعيد الخدري عبدالله بن سلام K عن الأثر الذي في المقام فقال: كانت الحجارة على ما هي عليه الآن، إلا أن الله تعالى أن يجعل المقام آية من آياته. وتقدم قول قتادة : " ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه."[7]

ويسرد حكاية جهل الحجاج عن قبة زمزم ، حيث قال:

" ولم أدخل قُبَّةَ زمزَم لكثْرةِ الازدحام، ولا ضاغطت[8] في دخولها، لما كنتُ عزمتُ عليه من الإقامةِ، فأملتُ التشفي منها ومن غيرِها في وقت الفراغِ وخفةِ الزِّحام، وقدرتُ ما جرى القدرُ بغيره، وليس إلا ما شاء الله . وقد وقفتُ عليها مراراً، فلم أجدْ مدخلاً من كثرةِ الخلقِ، وإفراط الزِّحام، والذي يكونُ بها وبغيرها من المضايقة، والمدافعة، وتكلُّفِ ما لم يرِدْ به شرعٌ، وتقوّلِ ما ليس له أصل، أمرٌ يضيقُ

(**5**) أي لا مثيل له

(**6**) المرجع السابق، ص/ 58

(**7**) رحلة العبدري، ص/ 383.

(**8**) زاحمتُ.

عنه الوصفُ، وقديماً شُكي بذلك، قال قتادة في قوله β : (واتخِذُوْا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيْمَ مُصَلًّى) [9] ، إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يُؤمرا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها." [10]

رحلة ابن بطوطة

أشار محقق رحلة ابن بطوطة الدكتور حسين مؤنس " وهذا على وجه التحديد هو الوصف الدقيق لهذه الرحلة : إنها "تقرير " عن أحوال الأمة الإسلامية خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع الميلادي، وهذا التقرير تعوّد القارئ العربي أن يقرأه على أنه قصة ممتعة، أو رحلة سندبادية حافلة بالغرائب"[11].

وقد كرر كلامه في مكان آخر حيث قال عن رحلة ابن بطوطة :

" فرحلة ابن بطوطة معروفة متداولة بأيدي الناس، وهي قصة جميلة تُقرأ في لذة واستمتاع، لأنها في صميمها مغامرة طويلة حافلة بالمعلومات الصادقة الدقيقة بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف" [12]

فمعنى كلام حسين مؤنس أن أسلوب رحلة ابن بطوطة هو أسلوب قصصي رائع ، ونرى هذا الأسلوب طول رحلته، ومن النماذج التي اخترت من رحلته سأقدم النص الأول الذي يسرد لنا فيه قصة الذهاب من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ، حيث قال :

" ثم رحلنا منه ونزلنا بالروحاء، وبها بئر تعرف ببئر ذات العلم. ويقال: إن علياً ν قاتل بها الجن. ثم رحلنا ونزلنا بالصفراء. وهو وادٍ معمور، فيه ماء ونخل وبنيان، وقصر يسكنه الشرفاء الحسنيون وسواهم، وفيها حصن كبير، وتواليه حصون كثيرة وقرى متصلة. ثم رحلنا منه، ونزلنا ببدر حيث نصر الله رسوله γ، وأنجز وعده الكريم، واستأصل صناديد المشركين. وهي قرية فيها حدائق نخل متصلة، و بها حصن منيع يدخل إليها من بطن وادٍ بين جبال ووهاد. وببدر عين فوارة يجري ماؤها وموضع

(**9**) سورة البقرة، رقم الآية/ 125

(**10**) نفس المرجع ، ص/ 370.

(**11**) ابن بطوطة ورحلته، ص/ 8

(**12**) نفس المرجع ، ص/ 11

القليب الذي سبح به أعداء الله المشركون. هو اليوم بستان. وموضع الشهداء φ خلفه. وجبل الرحمة الذي نزلت به الملائكة على يسار الداخل منه إلى الصفراء، وبإزائه جبل الطبول، وهو شبه كثيب الرمل ممتد. ويزعم أهل تلك البلدة أنهم يسمعون هنالك مثل أصوات الطبول في كل ليلة جمعة وموضع عريش رسول الله γ الذي كان به يوم بدر، يناشد ربه جلّ وتعالى، متصل بسفح جبل الطبول، وموضع الواقعة أمامه، وعند نخل القليب مسجد يقال له مبرك ناقة رسول الله γ . وبين بدر والصفراء نحو بريد في وادٍ بين جبال تطرف فيه العيون، وتتصل حدائق النخل"(13)

والأنموذج الثاني الذي اخترت من رحلته يسرد فيه حكاية فتْحُ باب الكعبة المشرفة ويصف الكعبة بداخلها، حيث قال:

" ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة، ويفتح في يوم مولد النبي γ ورسمهم في فتحة أن يضعوا كرسياً شبه المنبر، له درج وقوائم خشب، لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها، ويلصقونه إلى جدار الكعبة الشريفة، فيكون درجه الأعلى متصلاً بالعتبة الكريمة، ثم يصعد كبير الشيبيين وبيده المفتاح الكريم ومعه السدنة، فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع، خلال ما يفتح رئيسهم الباب، فإذا فتحه قبَّل العتبة الشريفة، ودخل البيت وحده، وسد الباب، وأقام قدر ما يركع ركعتين، ثم يدخل سائر الشيبيين، ويسدون الباب أيضاً ويركعون، ثم يفتح الباب، ويبادر الناس بالدخول، وفي أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم بأبصار خاشعة وقلوب ضارعة وأيدٍ مبسوطة إلى الله، فإذا فتح كبروا ونادوا: "اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين" وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع، وحيطانه كذلك... " (14)

الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان

(**13**) نفس المرجع ، ص/ 57-58.

(**14**) نفس المرجع ، ص/ 60.

كما ذكرت أن أسلوب الرحلة الحجازية أسلوب أدبي رائع بالإضافة إلى ذلك أسلوبها يميل إلى القصة ورواية وهذا الشيء يثبت من النص التالي الذي حكي فيه سفر الباخرة حيث قال:

" قضيت العجب من هذا المنظر وقلت : إن مثل هذا الميناء لا تمله النواظر، ولا تشبهه المناظر، مهما كانت نواضر، ثم سألت ربان الباخرة، ـ وهي من البواخر الهندية ربانها إنكليزي ـ عما إذا كان رأى هذا المنظر في بحر آخر وقلت له: إني جلت كثيرا في الدنيا، ورأيت أحبراً وبحيرات وأنهاراً لا تحصى، ولم أعهد مسرح لمحة على سطح الماء يحاكي في البهاء هذا الميناء، فما قولك أنت؟ قال لي : مهما يكن من سيرك في الأرض ومعرفتك للبحار فلا تعرف منها جزءاً مما أعرف، وأن أقول لك إني لا أعهد هذه المناظر البديعة إلا لهذا الميناء وحده. " (15)

ويسرد قصة لقاء مع الملك ابن السعود حيث قال:

" ثم شاهدت جلالة ملك هذه الديار وخادم الحرمين الشريفين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وكان في جدة ذلك اليوم، فوجدت فيه الملك الأشم الأصيد، الذي تلوح سيماء البطولة على وجهه، والعاهل الصنديد الأنجد الذي كأنما قدَّ ثوب استقلال العرب الحقيقي على قدِّه، فحمدت الله على أن عيني رأت فوق ما أذني سمعت، وتفاءلت خيراً في مستقبل هذه الأمة. " (16)

في منزل الوحي لحسين هيكل

ونجد في رحلة حسين هيكل أسلوب القصة والرواية والحوار ومن أمثلة أسلوب القصة أقدم القصة التي تسرد لنا فيها لقاء ابن سعود في قصره فها هو يقول:

"وقد ذهبت إلى قصره يوم دعيت لمقابلته غداة وصولي مكة وفي نفسي منه صورة غيرة واضحة المعالم لا تستبين فيها قسمات محيّاه ولا جلسته أو وقفته. ونزلت من السيارة أمام باب القصر، فتخطيته إلى حديقة غرست فيها نباتات صغيرة وأزهار، ورفعت طرفي فإذا أمامي درج فسيح لم أكد أثبت نظرتي فيه حتى التفت الذي يتقدمني إلى اليمين. وسرت وراءه، فتخطينا بابًا استدرتُ

(**15**) الرحلة الحجازية، ص/ 992.

(**16**) نفس المرجع ، ص/ 12.

عنده في دهليز فرش بالحصباء، ثم ألفيت إيواناً أشار مضيفي على أن أدخله، وتلقاني وزير المالية على بابه، وأردت أن أُسرِح بصري في المكان المفروش بالسجاد كي أجتلي منه صورة كاملة، لكن وزير المالية التفت إلى الناحية المقابلة للباب، فالتفت معه فألفيت رجلا ضخم الجلسة على مصطبة مفروشة بالسجاد وقد لبس عباءة . أو مسلحاً على التعبير الحجازي . من الصوف البني اللون، واعتجر بصمادة مخططة بالأحمر والأبيض من فوقها عِقال مذهب. وتقدم الشيخ عبدالله السليمان فأسرّ له شيئاً، وتقدّم من ورائه الشيخ عباس قطان، ثم تأخرا وتقدّمتُ، فوقف عاهل العرب ومد إليّ يده الضخمة فحيّاني وأشار إلى مقعد بجانبه فجلس وجلست، وانصرف الرجلان، وبدأ جلالته الحديث بقوله:

لمْ أقابلك من قبل ولكنني أعرفك.

واغتبطت لهذه التحية الرقيقة التي لم تكن تتفق مع ما يبدو على وجه الرجل في هذه اللحظة من اشتغال باله، وأجبت :

جئت أقدّم التحية وأعرض الرجاء في تعاون المسلمين لرفعة هذه الأماكن المقدسة . " (17)

وحسين هيكل يحكي قصة الذهاب إلى الطائف حيث قال:

" لم يعترض أحد من الحاضرين على هذا الكلام فملت إلى تصديقه، وكان لي بزيارة الطائف شغف، ففيها من أثر الرسول γ قبيل هجرته وفي أعقاب غزوة حنين ما يدعو إلى زيارتها. لكني تصورت ركوب الدواب في صعود الجبال فذكرت يوماً من سنة 1924 فيه بلبناب وصعدت فيه إلى الأرز مع رفاق كثيرين. ولم تكن طريق الأرز قد عبِّدت للسيارات حينذاك، فاكترينا الدواب من بلدة (بشري) وامتطينا لتصعد بنا في طريق فيه سعة ونظام. مع ذلك بقيت أذكر ذلك اليوم والصعود على الدواب فيه فتمتلئ نفسي من صعودها مخافة ورهبة . فهي تأبى إلا أن تسير على حافة الطريق المتصلة بالهاوية حتى ليشعر الإنسان أن موف في كل خطوة على حتفة. وعبثاً يحاول الإنسان أن يلزمها السير في منتصف الطريق فإنها لا تلبث أن تعود إلى حافتها وتلزمها."(18)

(**17**) في منزل الوحي، ص/ 148-149.

(**18**) نفس المرجع ، ص/ 293-294.

ويستمر في قصة الذهاب إلى الطائف ثم يحكي عن لقاء فلبي في منزله حيث قال:

" و في صباح يوم الاثنين زرت فلبى بمنزله على موعد بيننا، وأفضيت إليه بأنني ذاهب على الطائف بعد الظهر، ويقع منزل فلبى بحي جرول في أطراف مكة فوق ربوة يسيرة الارتفاع، وقفت السيارة أمام بابه فصعدنا درجة كان من الخير أن تكون درجتين أو ثلاثاً. وتخطينا الباب إلى حديقة تبدو أشجارها الباسقة من فوق السور ولا تحجب الدار القائمة بعدها. وليس الحديقة بالفسيحة ولا بالضيقة، تتراوح مساحتها بين المائة والخمسين والمائتين من الأمتار المربعة. وهي أدنى إلى أن تكون مهملة قلّ أن تمتد إليها يد التنظيم، لكنها مع ذلك متعة للنظر في مكة حيث لا تقع العين على حديقة إلا في الدور التي تشبه القصور." (19)

ويسرد محمد حسين هيكل قصة مكر وعناد اليهود مع المسلمين وأشار إلى تلك القصة التي هي سبب لمحاصرة بني قينقاع خمسة عشر يوم ، حيث قال:

> " أرادوا امرأة مسلمة جاءت سوقهم تصلح حِلية لها عند صائغ منهم على كشف وجهها فأبت . وجاء يهودي من خلفها على غِرَّة منها فأثبت طرف ثوبها بشوكة إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فصاحت، إذ ذاك وثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، وأراد رسول الله حسم الشر فطلب إلى اليهود أن يكفّوا عن أذى المسلمين وأن يحفظوا عهد الموادعة الذي عقده معهم أو ينزل بهم ما نزل بقريش. وكان جواب بني قينقاع: " لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة. إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس"(20)

رحلة إلى الحجاز للمازني

قام عبدالقادر المازني في رحلته بأسلوب قصصي وحواري، وكان المازني يصف الأماكن بسرد قصصي، كما وصف لنا قرية ينبع بأسلوب قصصي حيث قال:

---

(19) نفس المرجع ، ص/ 294.

(20) في منزل الوحي، ص/ 148

" وركبنا زورقاً إلى المدينة، وهي صغيرة فقيرة، وبها مساجد كثيرة، وأهلها وكلاء للتجار أو عمال لهم، وليس فيها زرع ولا ضرع، وبها آلة لتصفية ماء البحر للشرب يسمونها " الكندنسة" ويه لفظة محرفة عن " الكوندنسر"[1]، فاستقبلنا قائم المقام الشيخ مصطفى الخطيب وهو من أهلها، وكان عاملاً عليها في عهد الحسين لم تنحه الحكومة وهي أبسط ما تكون: بضعة مكاتب في الدور الأرضي، وفي الدور الذي فوقه غرفتان إحداهما للقائمقام، وفيها مكتب وسجادة ولشبابيكها ستائر، وفي الأخرى مكتبا صغيران" [2]

واستمر في سرد حكاية رحلته حيث قال:

"ولم يكن في الدكاكين أحد لأنه كان وقت الصلاة، وكان الطريق غاصاً بالأطفال يمشون وراءنا ويحفون بنا في خرق ممزقة ومراقع لا تكاد تستر شيئاً، فتساءلت: ماذا يحمي هذه المتاجر أن يسرق منها هؤلاء الغلمان الفقراء؟ فقيل لي إنه لا خوف منهم لأنه ما من أحد يجرؤ أن يسرق شيئاً ، وبلغنا آخر السوق حيث المسجد، وكان الناس قد فرغوا من الصلاة فوقف رجل أمام كوم من الكلأ وقطع من الحصير وأعواد من الخشب يبيعها بالمزاد، وكل ما أمامه لا يساوي ريالاً. " [3]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★
★★★★★★★★

(**1**) أي المقطِّر.

(**2**) رحلة إلى الحجاز، للمازني، ص/ 20.

(**3**) نفس المرجع ، ص/ 21

الباب الخامس

الدراسة الأسلوبية لأهم الرحلات إلى الحجاز

- **الفصل الأول: الصورة الفنية .**
- **الفصل الثاني: الصورة القصصية.**
- **الفصل الثالث: الصورة الأدبية المتميزة.**

الجوانب الدينية والتاريخية

لما نمعن النظر على الرحلات الحجازية فنجد الرحالين متفقين في سرد الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية رغم الاختلاف في مناهجهم وأهدافهم في تلك الرحلات.

فمن المظاهر الدينية والتاريخية نجد معظم الرحالين يقصون أداء مناسك الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي γ والأماكن المقدسة ، وبعضهم تحدثوا عن المذاهب الدينية كابن جبير في رحلته وابن خلدون في كتابه العبر ، وهناك عدد من الرحالين تعمقوا في تاريخ الحرمين الشريفين بالإضافة إلى ذلك تاريخ الحجاز . وفي هذا الفصل أوضح الجوانب الدينية والتاريخية مقتبساً من الرحلات الحجازية.

أولاً الجانب الديني في الرحلات الحجازية

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت، حيث كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة إمامٌ ومكان خاص لإمامة ، وقد ذكر ابن جبير في رحلته عدد الأئمة في الحرم حيث يقول :

"وللحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية[1]." [2]

ويقول ابن جبير عن أفعال الفرقة الزيدية :

" وهم يزيدون في الأذان: حي على خير العمل إثر قول المؤذن حي على الفلاح، وهم روافض سبابون، والله من وراء حسابهم وجزائهم، ولا يجمعون مع الناس إنما يصلون ظهراً أربعاً، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها"[3].

وجود إمام الفرقة الزيدية استمر إلى وقت مجيء التجيبي إلى مكة في عام 696 هـ الموافق 1296 م وقد تحدث عن وجود إمام الزيدي في الحرم ، وقد استنكر الزيدية حيث يقول التجيبي : " والله تعالى يرشدهم إلى مذهب أهل السنة

---

(1) إحدى الفرق الشيعية.

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 78.

(3) نفس المرجع.

والجماعة بمنه وكرمه" [1] ، ولكن اختفى وجوده في وقت رحلة ابن بطوطة الذي زار مكة المكرمة سنة 726 هـ ولم يذكر وجود الفرقة الزيدية.

ولكن الأكثرية والأولوية للإمام الشافعي ρ لأنه معين من قبل الخليفة فهو الذي يقيم الخطبة ويبدأ بالصلاة وأهل مكة على مذهبه ، وأشار ابن جبير في رحلته إلى هذه الحقيقة حيث يقول :

"فأول الأئمة السنية الشافعي، رحمه الله، وإنما قدمنا ذكره لأنه المقدم من الإمام العباسي. وهو أول من يصلي، وصلاته خلف مقام إبراهيم، صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا الكريم"[2]

وقد بين ابن جبير طريقة الصلاة للأئمة في وقت واحد حيث يقول :

"إلا صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها: يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنو سائر الأئمة. وربما دخل في هذا الصلاة على المصلين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة. فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه. فترى كل أذن مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو. ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس."[3]

وقد حدد ابن جبير مكان الصلاة لأئمة الأربعة في الحرم حيث يقول :

"..... المالكيρ وهو يصلي قبالة الركن اليماني، وله محراب حجر يشبه محاريب الطرق الموضوعة فيها. الحنفي، رحمه الله، وصلاته قبلة الميزاب تحت حطيم مصنوع له. وهو أعظم الأئمة أبهة وأفخرهم آلة من الشمع وسواها بسبب أن الدولة الأعجمية كلها على مذهبه، فالاحتفال له كثير، وصلاته آخراً . ثم الحنبلي، رحمه الله، وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد، موضع صلاته يقابل مابين الحجر الأسود والركن اليماني. ويصلي الظهر والعصر قريباً من الحنفي في البلاط الآخذ من الغرب الشمال، والحنفي يصليهما في البلاط

(**1**) مستفاد الرحلة والإغتراب، ص/299.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 79.

(**3**) نفس المرجع

الآخذ من الغرب الجنوب قبالة محرابه ولا حطيم له. والشافعي بإزاء المقام حطيم حفيل."(1)

ولم يتطرق أحد من الرحالة إلى بداية وجود الأئمة وتعددهم بالحرم الشريف إلا التجيبي ذكر خبراً عن بداية تعددهم حيث قال في مستفاد الرحلة :

" جاء نتيجة تغلب الديلمي(2) على العراق فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرها من البلدان فبقي الناس بالحرم الشريف أشتاتاً بغير إمام لهم يقيم لهم الصلاة ففزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجلٍ منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة فمضى العمل على ذلك من يومئذ " (3)

وقد أشار ابن جبير إلى قوة المذهب الشافعي وضعف المذهب المالكي حيث يقول :

"والمالكي أقلهم شمعاً وأضعفهم حالاً لأن مذهبه في هذه البلاد غريب، والجمهور على مذهب الشافعي وعليه علماء البلاد وفقهاؤها، إلا الإسكندرية وأكثرُ أهلها مالكيون وبها الفقيه ابنُ عوف، وهو شيخ كبير من أهل العلم، بقية الأئمة المالكية " (4)

وفي مكان آخر يتحدث ابن جبير عن مسجد عائشة ويشير إلى المذهب المالكي بأنهم يحرمون من مسجد عائشة ، حيث يقول :

" ومسجد عائشة l ، خارج هذه الأعلام بمقدار غلوتين، وإليه يصل المالكيون ومنه يحرمون، وأما الشافعيون فيحرمون من المساجد التي حول الأعلام المذكورة." (5)

وأشار عدد من الرحالة إلى تنوع حلقات العلم كحلقة سماع الأحاديث الشريفة ، وحلقة التفسير ، وحلقة الشعر والأدب، وحلقة علوم الحديث وحلقة علم

(**1**) المرجع السابق، ص/ 78.

(**2**) الديليمي : ما وضح التجيبي من هو الديليمي ، ولعل الديلمي هو معز الدولة ابن بويه فقد دخل بغداد سنة 334 هـ (وفيات الأعيان لابن خلكان، ج/1، ص/ 174-176) .

(**3**) مستفاد الرحلة ، ص/ 296.

(**4**) رحلة ابن جبير، ص/ 80

(**5**) نفس المرجع، ص/ 90.

القراءات والفقه وغيرها من العلوم، والذين أشاروا إلى هذه الحلقات منهم ابن جبير ، وابن بطوطة والتجيبي وغير ذلك من الرحالين.[1]

وقد تحدث ابن جبير عن تعدد الحلقات العلمية بتنوع العلماء وكثرتها وحضر في إحدى الحلقات العلمية حيث يقول :

" فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الإمام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية، وفقيه المدرسة النظامية، والمشار إليه بالتقديم في العلوم الأصولية. حضرنا مجلس بالمدرسة المذكورة اثر. صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور، فصعد المنبر، وأخذ القراء أمامه في القراءة على كراسي موضوعة، فتوقوا وشوقوا، وأتوا بتلاحين معجبة، ونغمات محرجة مطربة، ثم اندفع الشيخ الإمام المذكور فخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم، من تفسير كتاب الله عز وجل، وإيراد حديث رسوله، صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، والتكلم على معاينة. ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب، فأجاب، وما قصر، وتقدم وما تأخر، ودفعت إليه عدة رقاع منها، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على كل واحدة منها وينبذ بها أن فرغ منها. وحان المساء فنزل وافترق الجمع. فكان مجلسه مجلس علم ووعظ." [2]

وإذا امعن النظر في الرحلة العبدري فنجد أنه جعل فصلاً فقهياً في مناسك الحج وذكر فيه آراء الإمام مالك ρ حيث يقول :

" والوقوف مع الإمام وبالوضوء أفضل، وكره مالك تركَ الموقِفِ والوقوفَ على جبال عرفة وقال : [المَوْقِفُ كلُّه سَوَاء] [3] " [4]

وقد ينقل رأيه في مكان آخر : [5]

" وذكر مالك في الموطأ أنّ عثمان بن عفان η كان إذا اعتمر ربما لم يحطُط عن راحلته حتى يرجع" [6]

(**1**) نفس المرجع، ص/ 80، رحلة ابن بطوطة، ص/ 138 ، ومستفاد الرحلة، ص/ 306.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 81.

(**3**) الموطأ لإمام مالك ، ص/ 268.

(**4**) رحلة العبدري، ص/ 403.

(**5**) نفس المرجع، ص/ 410.

(**6**) الموطأ لإمام مالك، ص/ 238.

وأشار العبدري إلى مكان الوقوف لإمام الشافعية والمالكية حيث يقول:

" وقد بني عليه مسجد مليح مختصر مبيض، فهو يلوح على بعد وفيه يقف الإمام إمام الشافعية، ويقف المالك أسفل منه على اليسار" [1]

ويشير ابن بطوطة إلى مدرسة ودار المالكية وموقعهما حيث يقول :

" وبمقربة من باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر التي تنسب إليه الدراهم المظفرية باليمن، وهو كان يكسو الكعبة، إلى أن غلبه على ذلك الملك المنصور قلاوون – وبخارج باب إبراهيم زاوية كبيرة فيها دار إمام المالكية الصالح أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المدعو بخليل وعلى باب إبراهيم قبة عظيمة مفرطة السمو "[2]

وقد أغفلت كتب الرحالة ذكر بعض المدارس الموجودة في عصورهم ، وأشارت إليها الكتب التاريخية المعاصرة . ومن أهم تلك المدارس التي تؤدي دورها في المذاهب الدينية منها :

مدرسة الزنجبيلي ذكر الفاسي وابن فهد موقعها عند باب العمرة ويدرس بها الفقه الحنفي وأوقفت سنة 580هـ الموافق سنة 1184م ، [3] ، وابن جبير حجّ في تلك السنة ولم يذكر أنه رأى مدرسة بمكة ، ولم يرد ذكر هذه المدرسة في كتب الرحالة وربما لعدم شهرتها أو لتغيير اسمها خاصة .

مدرسة طاب الزمان الحبشية للشافعية في عام 1184، [4] ومدرسة الأرسوفي لأبي محمد عبدالله الأصل المصري، للشافعية، عام 1194 م ، [5] ومدرسة ابن الحداد المهدي، للمالكية، وتعرف بمدرسة الأدارسة، في عام 1240 م [6]

(**1**) المرجع السابق،، ص/ 388.

(**2**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 63.

(**3**) العقد الثمين، للفاسي، ج/1، ص/ 117، وانظر إتحاف الورى، لابن فهد، ج/2، ص/ 549، وانظر الرحلات المغربية والأندلسية.

(**4**) نفس المرجع.

(**5**) نفس المرجع.

(**6**) إتحاف الورى، لابن فهد، ج/3، ص/ 54.

وقد أشار ابن إلى احتفال الفرق الدينية لشهر رمضان في المسجد الحرام حيث يقول:

" وحق ذلك من تجديد الحصر وتكثير الشمع والمشاعيل وغير ذلك من الآلات حتى تلألأ الحرم نوراً وسطع ضياء، وتفرقت الأئمة لإقامة التراويح فرقاً؛ فالشافعية فوق كل فرقة منها قد نصبت إماماً لها في ناحية من نواحي المسجد؛ والحنبلية كذلك؛ والحنفية كذلك، والزيدية، وأما المالكية فأجتمعت على ثلاثة قراء يتناوبون القراءة، وهي في هذا العالم أحفل جمعاً وأكثر شمعاً، لأن قوماً من التجار المالكيين تنافسوا في ذلك فجلبوا لإمام الكعبة شمعاً كثيراً من أكبره شمعتان نصبتا أمام المحراب فيها قنطار وقد حفت بهما شمع دونهما صغار وكبار. فجاءت جهة المالكية تروق حسنا وترتمي الأبصار نوراً، وكاد لا يبقى في المسجد زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعة خلفه، فيرتج المسجد لأصوات القراءة من كل ناحية، فتعاين الأبصار، وتشاهد الأسماع من ذلك مرأى ومستمعاً تنخلع له النفوس خشية ورقة" (1)

وكان صديق حسن خان الذي جعل رحلته كتابا مدللا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية حينما يتحدث عن المشاعر المقدسة ومناسك الحج ولكنه لم يذكر آراء المذاهب الأربعة حول مناسك الحج أو المشاعر المقدسة ، وذلك لأنه ينتمي إلى جماعة أهل الحديث وجماعتهم شهيرة بعدم التقليد. رغم ذلك أودُّ أن أذكر نموذجاً من رحلته، ومما ذكر صديق حسن خان خلال رحلته إلى جدة يذكر خوفه حين سمع الملاحين ينادون غير الله حيث يقول:

" وكنت إذا سمعتهم ينادون غير الله، ويستعينون بالأولياء، خفت على أهل المركب خوفاً عظيماً من الهلاك، وقلت في نفسي : يا لله العجب! كيف يصل هذا المركب بأهله إلى ساحل السلامة ! فإن مشركي العرب قد كانوا لا يذكرون آلهتهم الباطلة في مثل هذا المقام، بل يدعون الله تعالى وحده غيرَ مشركين به، كما حكى عنهم سبحانه في محكم كتابه المبين: (
❼⚐× ☎✁❑←⌨⇖🗎◆❻ ✁⧫❶⚐✉⧫▫
⅄✎⊶✁ ☎✁↓❑⧫↖⍓⑩ ⇖⌨▫▪→▦⬂⊶✁

---

(1) رحلة ابن جبير ، ص/ 122.

(♦×⇦♋♏✍✎✍✁ ←❍⬧♑◉ ♦×✓⬁⏲♋⌨⬂③➔☝)
[1]، وهؤلاء القوم الذين يسمون أنفسهم المسلمين يدعون غيرَ الله، ويهتفون بأسماء المخلوقين، ولقد صدق الله تعالى فيما قال: (❒◆♦✌✍
★✎✍✍⧅✉ ☠➔♎⬉❸■✡⇩🗏❒🕮 ←♊♋✌⬀⬧⬉③
(⭠⭢⭠♋⭡ ♦♌❑⬈✍⧅❸⇳⌑♋✌ ☠➔♎◆❒ ⬧♦⧅➁)
"[2] [3]

وأشار شكيب أرسلان إلى اختلاف الشيعة وأهل السنة في وقفة عرفات حيث قال:

" وقد يتأخر حجاج الشيعة ليلة أخرى إن لم تثبت عندهم رؤية الهلال وبعضهم يرى أنه يسعهم ما وسع أهل السنة، وعندي أن الأولى ترك الناس وحريتهم في أمور كهذه، إذ ليس في ذلك مخالفة للشرع وإنما هو مجرد اجتهاد لا غير" [4]

ثم يفصل قوله في حاشية الصفحة حيث يقول:

" أما تركهم وشأنهم فذلك ما جرت ولا تزال تجري عليه الحكومات من أهل السنة ، وأما هدي أئمة السلف وهو اللائق بالوحدة الإسلامية فهو عدم الخلاف واجتناب التفرق في الشعائر الإسلامية العامة وذلك بأن يترك أمر إثبات أول ذي الحجة إلى حكومة الحجاز ولا يحاول الشيعة اثبات ذلك فيها بشهادة من يشهد منهم برؤية الهلال في حال مكان الرؤية الخ ، وإنما كان يعمل كل أحد باجتهاده الشخصي في المسائل الشخصية، وحكم الحاكم يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية المتعلقة بمصلحة الأمة. " [5]

(**1**) سورة العنكبوت، رقم الآية/ 65.

(**2**) سورة يوسف، رقم الآية/ 106.

(**3**) رحلة الصديق إلى البلد العتيق، ص/ 164.

(**4**) سورة يوسف، رقم الآية/ 106..

(**5**) الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان ، حاشية الصفحة رقم / 41.

الجانب التاريخي

نجد رحالي الحجاز متحدثين في تاريخ مدن الحجاز والحرمين الشريفين والأماكن المقدسة الأخرى ، وهنا أقدم بعض النماذج من الرحلات الحجازية لتوضيح الأمر.

ابن جبير لما دخل مدينة جدة فيتحدث عن تاريخ جدة حيث يقول:

"وبهذه القرية آثار قديمة تدل على أنها كانت مدينة قديمة، وأثر سورها المحدق بها باقٍ إلى اليوم، وبها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يُذكر أنه كان منزل حواء أم البشر، صلى الله عليها، عند توجهها إلى مكة، فبني ذلك المبنى عليه تشهيراً لبركته وفضله، والله أعلم بذلك. " (1)

ويحكي لنا المشاهد الكريمة مع بيان وجه تاريخه حيث يقول عن دار الحيزُران:

" ومن مشاهدها الكريمة أيضاً دار الحَيزُران، وهي الدار التي كان النبي γ ، يعبد الله فيها سراً مع الطائفة الكريمة المبادرة للإسلام من أصحابه، φ ، حتى نشر الله الإسلام منها على يدي الفاروق عمر بن الخطاب η"(2)

ويتحدث عن تاريخ دار الحيزُران حيث يقول:

"دخلنا دار الخيزران التي كان منها منشأ الاسلام، وهي بإزاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان مسكن بلالη، ويدخل إليها على حلق كبير شبيه الفندق قد أحدقت به البيوت للكراء من الحاج. والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل الحلق المذكور عن يساره، وهي مجددة البناء، أنفق في بنائها جمال الدين، المذكور أثره الكريم في هذا المكتوب، نحو الألف دينار نفعه الله بما أسلفه من العمل الصالح. وعن يمين الداخل الدار المباركة باب يدخل منه قبة كبيرة بديعة البناء، فيها مقعد النبيγ والصخرة التي كان إليها مستنده، وعن يمينه موضع أبي بكر الصديق، وعن يمين أبي بكر موضع علي بن أبي طالب، والصخرة التي كان إليها مستنده هي داخلة في

---

(1) رحلة ابن جبير، ص/ 53

(2) نفس المرجع، ص/ 92.

الجدار كشبه المحراب. وفي هذه الدار كان إسلام عمر بن الخطاب ومنها ظهر الإسلام على يديه" (1)

ومن مشاهدها قبة بين الصفا والمروة تنسب لعمر بن الخطاب η ، وفي وسطها بئر يقال إنه كان يجلس فيها للحكم، η والصحيح في هذه القبة أنها قبة حفيده عمر بن عبدالعزيز، η وبإزاء داره المنسوبة إليه، وفيها كان يجلس للحكم أيام تولية مكة. كذلك لنا أحد أشياخنا الموثيق" (2)

ويحكي لنا قصة جمال الدين وآثارها السنية بالتفصيل حيث يقول :

"ولهذه البلدة المباركة حمامان: أحدهما ينسب للفقيه الميانشي، أحد الأشياخ المحلقين بالحرم المكرم، والثاني، وهو الأكبر، ينسب لجمال الدين، وكان هذا الرجل كصفته جمال الدين، له، رحمة الله، بمكة والمدينة، شرفهما الله، من الآثار الكريمة والصنائع الحميدة والمصانع المبنية في ذات الله المشيدة ما لم يسبقه أحمد إليه فيما سلف من الزمان ولا أكابر الخلفاء فضلاً عن الوزراء. وكان، رحمه الله، وزير صاحب الموصل، تمادى على هذه المقاصد السنية المشتملة على المنافع العامة للمسلمين في حرم الله تعالى وحرم رسوله،صلى الله عليه وسلم، أكثر من خمس عشرة سنة، ولم يزل فيها باذلاً أموالاً لا تحصى في بناء رباع بمكة مسبلة في طرق الخير والبر، مؤيدة، محبسة، واختطاط صهاريج للماء، ووضع جباب في الطرق يستقر فيها ماء المطر، تجديد آثار من البناء في الحرمين الكريمين." (3)

ويتحدث ابن جبير عن غار ثور حيث يقول:

" وفيه الغار الذي آوى إليه النبيγ، مع صاحبه الصديق η، حسبما ذكر الله β في كتابه العزيز. وقرأت في كتاب أخبار مكة لأبي الوليد الأزرقي: "إن الجبل نادى النبيγ، فقال: إلي يا محمد! إلي يا محمد! فقد آويت قبلك نبياً. وخص اللهβ نبيه فيه بآيات فمنها أنهγ دخل مع صاحبه على شق فيه ثلثا شبر وطوله ذراع، فلما اطمأنا فيه، أمر الله العنكبوت فاتخذت عليه بيتاً، والحمام فصنعت عليه عشاً وفرخت فيه. فانتهى المشركون إليه بدليل قصاص للأثر

(1) نفس المرجع، ص/ 145.

(2) نفس المرجع، ص/ 93.

(3) نفس المرجع، ص/ 102.

مستاف أخلاق الطريق، فوقف لهم على الغار وقال: ههنا انقطع الأثر، فأما صعد بصاحبكم من ههنا السماء أوغيض به في الأرض. ورأوا العنكبوت ناسجة على فم الغار والحمام مفرخة فيه، فقالوا: ما دخل هنا أحد. فأخذوا في الانصراف. فقال الصديقη: يا رسول الله! لو ولجوا علينا من فم الغار ما كنا نصنع؟ فقال رسول اللهγ: " لو ولجوا علينا منه كنا نخرج من هناك، وأشار بيده المباركة الجانب الآخر من الغار، ولم يكن فيه شق، فانفتح للحين فيه باب، بقدر الله β، وهو سبحانه قدير على ما يشاء..." (1)

والعبدري تحدث عن تاريخ الكعبة والمسجد النبوي وغير ذلك بالتفصيل وقد جعله فصولاً حسب طريقته كفصل بناء الكعبة وبناء المسجد النبوي وحدوه مكة المكرمة والمدينة ، وهنا نلاحظ ما يقول في تاريخ بناء الكعبة :

" قيل إن الملائكة بنت البيت وإنهم لما قالوا (
⇖✍⊠➔⬂♑❐👌❐🕮 ☎✂✖❑⇗♒✇👓♦🔔
⇐⑨⬁○⬂⊞⇖③ ♊♦👌 👓❑&❸🙰▫)(2) غضب الله عليهم، فعادوا يطوفون بالعرشِ، يسترضون ربهم فرضي عنهم وقال لهم: ابنوا في الأرض بيتاً يعوذ به كلُّ من سخطتُ عليه كما فعلتم بعرشي، فبنوا البيت ، وقيل : إنما بناه آدم ν ، وإنه لما اهبُط من الجنة أوحى الله إليه: ابن لي بيتاً ، واصنع حوله كما كانت الملائكة تصنع حول عرشي فبناه... " (3)

ويصف لنا العبدري تاريخ بناء الكعبة بالتفصيل حتى عهد الرشيد . حيث ينقل لنا قول ابن مالك ρ :

" ولما كان الرشيد استشار مالكاً ρ في ردِّها على ما صنع ابنُ الزبير كما أراده رسول الله γ ، فقال له مالك ρ : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت ملعبةً للملوك، لا يشاء أحدٌ منهم إلا نقض وبناءه ، فتذهب هيبته من صدور الناس، فقبل الرشيد كلامه، وتركه على ما هو عليه"(4)

(**1**) رحلة ابن جبير، ص/ 93 ، وأخبار مكة للأزرقي، ص/ 35.

(**2**) سورة البقرة، رقم الآية/ 30.

(**3**) رحلة العبدري، ص/ 380.

(**4**) نفس المرجع، ص/ 384.

وابن بطوطة تحدث عن تاريخ المسجد النبوي γ منذ عهد النبي γ وتوسيعه والإضافة عليه في عهد الخلفاء الراشدين، والأمويين والعباسيين وكذلك في العهد المملوكي وقد تحدث بالتفصيل كما تحدث العبدري في رحلته عن تاريخ المسجد وبناءه وكأنه نقل من العبدري وابن جبير، حيث يقول عن بناية المسجد الشريف في البداية :

"وجعل للمسجد ثلاثة أبواب: ثم سد باب الجنوب منها حين حولت القبلة، وبقي المسجد على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، وحياة أبي بكر رضي الله عنه. فلما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: لولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغي أن نزيد في المسجد ما زدت فيه. فأنزل أساطين الخشب، وجعل مكانها أساطين اللبن، وجعل الأساس حجارة إلى القامة، وجعل الأبواب ستة، منها في كل جهة ما عدا القبلة بابان" (1)

ونجد ابن بطوطة في رحلته متحدثا في تاريخ مكة وهيئتها، فمثلاً يحدثنا عن أبواب مكة قائلا:

"ولمكة من الأبواب ثلاثة: باب المعلى بأعلاها، وباب الشبيكة من أسفلها، ويعرف أيضاً بباب العمرة، وهو إلى جهة المغرب، وعليه طريق المدينة الشريفة، ومصر والشام وجدة. ومنه يتوجه إلى التنعيم، وباب المسفل، وهو من جهة الجنوب، ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم فتح مكة شرفها الله" (2)

ويصف ابن بطوطة فتح باب الكعبة على أيدي الشيبين وهيئة الكعبة داخلها حيث يقول :

"ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة، ويفتح في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ورسمهم في فتحة أنم يضعوا كرسياً شبه المنبر، له درج وقوائم خشب، لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها، ويلصقونه إلى جدار الكعبة الشريفة، فيكون درجه الأعلى متصلاً بالعتبة الكريمة، ثم يصعد كبير

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 54.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 59.

الشيبين وبيده المفتاح الكريم ومعه السدنة، فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع، بخلال ما يفتح رئيسهم الباب، فإذا فتحه قبل العتبة الشريفة، ودخل البيت وحده، وسد الباب، وأقام قدر ما يركع ركعتين، ثم يدخل سائر الشيبين .... وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع، وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج" (1)

ويخبرنا ابن بطوطة بنسخة قرآنية بخط زيد بن ثابتη والواقعات حولها حيث يقول:

" بها اختزان المصاحف الشريفة، والكتب التي للحرم الشريف وبها خزان تحتوي على تابوت مبسوط متسع، فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، منتسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً. وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الشريف، وفتحوا باب الكعبة، ووضعوه على العتبة الشريفة، ووضعوه في مقام إبراهيم عليه وسلم، واجتمع الناس كاشفين رؤوسهم، داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الشريف، فلا ينفصلون إلا وقد تداركهم الله برحمته، وتغمدهم بلطفه. " (2)

ونجد شكيب أرسلان متحدثا عن تاريخ عرفة:

" إن في صحراء عرفة آباراً معطلة احتفرها آباؤنا وأهملناها نحن، فدلت على أن الأبناء قصروا عن شأو الآباء، وإن الأبناء إنما ارتفقوا بما عجز الحدثان عن طمسه من مآثر الآباء، ولكنهم لم يزيدوا عليها شيئاً " (3)

ويبين شكيب أرسلان تاريخ مسجد ابن عباسη بالطائف بالإضافة إلى ترجمة ابن عباس η ، حيث يقول في مسجد ابن عباس η :

" أهم أثر في الطائف هو مسجد عبدالله بن عباس η ، وهو على طرف البلدة إلى جهة (وج) وليس من بعده إلى وج عمارة . " (4)

(**1**) نفس المرجع، ص/ 67.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 62.

(**3**) الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان ، ص/ 25

(**4**) نفس المرجع، ص/ 161.

" قصدنا إلى ذلك المكان فوجدنا مسجداً فيه قبور مشيدة منها ما هو قديم من صدر الإسلام عليه كتابات بالخط الكوفي، ومنها ما هو من القرن الخامس أو السادس للهجرة. وشاهدنا من هذا الخط كتابات لم تر عيني أجمل منها في البداعة والإتقان. " (1)

ونرى شكيب أرسلان في الرحلة الحجازية يتحدث عن أسواق العرب في الجاهلية فكان من الرحالين والجغرافيين المعدودين الذين تحدثوا عن أسواق العرب في الجاهلية ، منهم لبيب البتنوني ومحمد حسين هيكل وغير ذلك من الرحالين، فها هو شكيب يقول :

" لا ينبغي أن يطن أن أسواق العرب هي عكاظ ومجنة وذو المجاز فحسب، بل كانت لهم أسواق عديدة غيرها، وقد جاءت في " صبح الأعشى " خلاصة هذه الأسواق "

وقد ينقل كلام الأعشى ثم يقول :

" على أني أرى صاحب " صبح الأعشى " أهمل " المربد " من أسواق العرب وهو سوق عظيم في البصر .... ولا إهماله ذكرها هنا هو من أجل أنها سوق محدثة في صدر الإسلام ولم تكن في الجاهلية، وأصله سوق للإبل، ثم صار محلة عظيمة يسكنها الناس، قال ياقوت : " وبه كانت مفاخرات الشعراء، ومجالس الخطباء، وهو الآن بائن عن البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال وكان مابين ذلك كله عامراً وهو الآن خراب" (2) وعلى كل حال أشهر أسواق العرب عكاظ" (3)

ومحمد حسين هيكل تحدث عن تاريخ حدود الحرم حيث يقول :

" يذهب قوم إلى أن الحرم كان محدوداً من عهد جرهم بالحدود القائمة هذه الأعلام عندها، بل يذهب بعضهم إلى أن إبراهيم **V** هو أول من نصب الأعلام تعظيماً للبيت وتشريفاً، ويقول آخرون: إن إسماعيل بن إبراهيم هو الذي نصب هذه الأعلام. ويذهب قوم إلى أن قصيًّا هو الذي عين هذه الحدود

(**1**) نفس المرجع، ص/ 162.

(**2**) معجم البلدان لياقوت، ج/5، ص/98.

(**3**) الرحلة الحجازية، ص/ 108

حين أمر بالبناء حول الكعبة، ويقال إن عدنان أول من وضع أنصاب الحرم، وإن قريشاً نصبتها بعد ذلك في عهد النبي γ وقبل هجرته من مكة. وفي قول يرحجه بعضهم أن النبي γ وضع حدود الحرم عام الفتح ونصب الأعلام حوله، ثم نصبها عمر بن الخطاب η ، ثم عثمان بن عفان η ، ثم معاوية بن أبي سفيان، ثم عبدالملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، وقد أمر جماعة من الملوك والأمراء بتجديد هذه الأعلام بعد ذلك. وأحدث ما تذكره الكتب من تجديدها أنه كان في سنة 683 هـ ، بأمر المظفر صاحب اليمن، والحالة التي عليها الأعلام اليوم تدل على أنها جددت بعد ذلك غير مرة وأنها لا ترجع إلى أكثر من بضع عشرات من السنين " (1)

وقد بين لنا تاريخ أعلام الحرم حيث أشار إلى حدود التنعيم وتاريخه قائلاً:

" أقرب أعلام الحرم إلى مكة علما التنغيم، ويخرج الإنسان إلى التنغيم من مكة في طريق القوافل إلى المدينة. وقد أطلق على هذا المكان اسم التنعيم لاعتبارات تاريخية يسوقها واضعو تاريخ مكة ويختلفون عليها، وأشهرها أنه يقع بواد يقال له نعمان محصور بين جبلين اسم أيمنهما ناعم واسم الأيسر نُعَيم. ولعل أشهر حادث في تاريخ جهاد المسلمين على عهد النبي γ وقع عند التنعيم مقتل خُبيب بن عدي. وخُبيب أحد المسلمين الستة الذين بعثهم النبي من المدينة في السنة الثالثة من الهجرة إجابة لطلب رهط من هُذَيل ليعلّموهم شرائع الإسلام ويقرئوهم القرآن ... " (2)

وتحدث عن تاريخ مسجد عائشة في التنعيم حيث يقول :

" .... وقد بنى مسجد هناك باسم مسجد عائشة ، ذكر صاحب مرآة الحرمين أن آخر من جدّده السلطان محمود في سنة 1011 هـ ، وخلف المسجد حوضٌ لخزن المياه، وصهريج كبير قديم كان يمتلئ من السيول ويتوضأ من المعتمرون ، ثم تخرب فأصلحه الوزير سنان باشا في سنة 978 هـ ، وأصلح بئراً قريبة منه وأقام عليها ساقية، لكن الصهريج والبئر أهملا وعفّت عليهما يد الزمن." (3)

---

(1) في منزل الوحي لحسين هيكل، ص/ 264.

(2) نفس المرجع، ص/ 267

(3) نفس المرجع، ص/ 268.

وقد تحدث في رحلته عن الطائف وآثارها والواقعات المتعلقة بها ، حيث يذكرنا تاريخ غزوة حنين بين المسلمين وبين هوازن وثقيف في أعقاب فتح مكة، حيث ينقل لنا كلام صاحبه في شكل قصة تاريخية :

" وأن جيوش المسلمين قضت الليل على أبواب الوادي الذي تخطيناه الآن بين هاتين المحلتين، والذي كان يسمى يومئذ وادي حنين ، فلما كانت بُكرة الفجر تحركوا والنبي γ على بغلته البيضاء في مؤخرتهم يريدون أن يأخذوا عدوهم على غِرة ، وإنهم لمنحطون إلى الوادي إذ شدت عليهم القبائل بإمرة مالك بن عوف النصرى شدة رجل واحد ، وأصلوهم وابلاً من النبال، هنالك اضطرب أمر المسلمين فولّوا الأدبار منهزمين وقد زُلزلوا زلزالاً شديداً. ورأى محمد فرار أصحابه فلم يتزحزح من مكانه، بل ثبت وجعل ينادي في الناس وهم يمرون به منهزمين : (أين أيها الناس أين !) ووقف عمه العباس بن عبدالمطلب إلى جانبه يصيح في الناس بصوت جهورى أسمعهم جميعاً " (1)

وقد يذكرنا سيرة النبي γ حينما زار الطائف وما فعل أهل الطائف مع النبي γ ، وقد حكى قصة الطائف مدللاً بالأحاديث النبوية، حيث يقول:

" بل أنكروا عليه رسالته في غلظة وفظاظة يحدثهم ، قال أحدهم : فقال أحدهم: "هُوَ يَمْرُطُ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ" . وقال الثاني : "مَا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ " ورأى الثالث ما في هاتين العبارتين من قسوة فلجأ إلى التهكم وقال : "وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُكَ كَلِمَةً أَبَدًا ، لَئِنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ ، كَمَا تَقُولُ ، لأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامَ " (2)

وحسين هيكل لم يترك في رحلته مكانا أو إنسانا إلا ويذكر تاريخه وسيرته كما يذكر تاريخ ابن عباس حين زار مسجد ابن العباس في الطائف حيث يقول :

" وابن عباس صاحب هذا القبر والذي سمي المسجد باسمه، أو الحبر ابن عباس كما يسميه بعضهم، هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي العربي γ ، وجد الخلفاء العباسيين، وليس أحد قرأ علوم الإسلام إلا يعرفه

---

(1) نفس المرجع، ص/ 298.

(2) نفس المرجع، ص/ 312 .

http://www.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=334&hid=463&pid=376742

كل المعرفة، فهو من رواة الحديث المعروفين، وهو من أكثر أهل زمانه ذكاء وعلماً، وكان أبيض وسيماً جسيماً مُشرَباً صفرة طويلاً صبيح الوجه له وفرة يخضب بالحناء ويلبس الخزّ ويعمم بعمامة سوداء يرخيها شبراً. توفي سنة 88 هجرية بعد أن كفَّ بصره " (1)

وأثناء زيارته في باديات الطائف يشير إلى وادي نخب وتاريخه والتي تتعلق بوادي النمل مذكراً قصة سليمان V حيث يقول :

" غدونا إذا مصبحين وتناولنا قدحاً من الشاي وآخر من القهوة ثم ركبنا السيارة فانطلقت بنا قاصدة السد السملجي. وكما مررنا أمس بوادي وجّ في طريقنا إلى هضاب الرُّدّف فقد مررنا أول ما تبدت البادية أمامنا بواد لفت صاحبي نظري إليه قائلاً : إنه وادي نَخِب ، والمأثور أنه بوادي النمل الذي ذكره القرآن في قصة سليمان V إذ يقول تعالى : ([illegible]

---

(1) في منزل الوحي، ص/ 312.

[illegible]) [1]، وسألت صاحبي: وأين سليمان من الطائف وقد كان ملكه بالشام؟ قال : " لقد جند الله لسليمان الوحش والطير فكان يسيرهم إلى حيث شاء من بقاع الأرض ، وكانت الطائف بعض ما مر به من البقاع في ذهابه إلى اليمن..." [2]

وها هو حسين هيكل تحدث عن تاريخ سوق عكاظ وبدايته وقد غوص في تاريخه حيث يقول:

"ومن عجب أن ليس لعكاظ على استفاضة شهرتها تاريخ مدوَّن في بطون الكتب على نحو يستطيع الإنسان أن يطمئن إليه. فلم يحقق أحد الزمن الذي بدأ العرب يقيمونها فيه. وأدق ما يروى عن ذلك أنها اتُّخذت سوقاً في الجاهلية بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة. والخلاف على عام الفيل وتحديده مستفيض كشهرة عكاظ، ولا أدل على ذلك من نسبة عام الفيل إلى مولد الرسولγ . فقد قيل إنه عليه السلام ولد عام الفيل ، ويقول ابن عباسη إنه ولد يوم الفيل، والمشهور أنه ولد في سنة 570 ميلادية. وإذن يكون عام الفيل كذلك سنة 570 ميلادية. لكن آخرين يقولون : إنه ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة. ويذهب غير هؤلاء إلا أنه ولد بعد الفيل بأيام، وبأشهر، وبسنين يقدرها قوم بثلاثين سنة ويقدرها قوم بسبعين. فما هو التاريخ الصحيح لعام الفيل ؟ إن الذين يروون أن عكاظاً أقيمت بعد الفيل بخمس عشرة سنة يذهبون إلى أنها أقيمت سنة 540 للميلاد. إذاً لقد كان عام الفيل في رأيهم سنة 525 م وقد ولد محمد γ سنة 570 م، فهو إذا قد ولد على قولهم بعد عام الفيل

(**1**) سورة النمل، رقم الآيات/ 16-19

(**2**) المرجع السابق، ص/ 336.

بخمس وأربعين سنة. وهذا كلام يقع عليه خلاف شديد، ولا يسلم به إلا الأقلون."[1]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★★★★★★
★★★★★★★★
★★★★★
★★★

(1) في منزل الوحي، ص/ 365.

الجوانب الاجتماعية

الحياة الاجتماعية تتكون من عدة مظاهر ومنها طبقات المجتمع ، والاحتفالات ، والعادات والتقاليد، والملابس ، والمواكب ، والأطعمة والأشربة إلى غير ذلك من المظاهر، وكانت رغبتي والأحسن أن أتحدث عن جميع مظاهر الاجتماعية ولكن لا أستطيع خوفاً لإطالة البحث ، فسأحاول أن أسجل بعض المظاهر من الرحلات الحجازية .

طبقات المجتمع

حكام الحجاز

تولى حكم الحجاز الأشراف من ذرية الحسن بن علي K في مكة المكرمة ومن ذرية الحسين بن علي K في المدينة المنورة واتسم حكمهم بطابع الإمارة فقط.(1)

وقد أشار ابن جبير في رحلته إلى حاكم مكة المكرمة حيث يقول :

" وفي عشي يوم الثلاثاء الحادي عشر من الشهر المذكور، وهو الثاني من شهر أغشت، كان انفصالنا من جدة بعد أن ضمن الحجاج بعضهم بعضاً، وثبتت أسماؤهم في زمام عند قائد جدة علي بن موفق، حسبما نفذ إليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكثر بن عيسى المذكور وهذا الرحل مكثر من ذرية الحسن بن علي، رضوان الله عليهما، لكنه ممن يعمل غير صالح، فليس من أهل سلفه الكريم، رضي الله عنهم."(2)

ونلاحظ في رحلة ابن بطوطة أيضاً من حكام مكة المكرمة الأشراف من نسل الشريف أبي نمي عطيفة ورميثه ومقرهما مكة المكرمة وقد ذكر عن دارهما في مكة المكرمة وتميز رميثة بحسن السيرة في أهل مكة المكرمة حيث قال:

"وكانت إمارة مكة في عهد دخولي إليها للشريفين الأجلين الأخوين: أسد الدين رميثة وسيف الدين عطيفة أبني الأمير أبي نمي بن أبي سعد بن علي بن قتادة الحسنيين. ورميثة أكبرهما سناً، ولكنه كان يقدم اسم عطيفة في الدعاء له بمكة، لعدله ولرميثة من الأولاد أحمد وعجلان، وهو أمير مكة في هذا العهد،

---

(1) صبح الأعشى، القلشقندي، ج/4، ص/ 281.

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 57 .

وتقيه وسند وأم قاسم. ولعطيفة من الأولاد محمد ومبارك ومسعود. ودار عطيفة عن يمين المروة، ودار أخيه رميثة برباط الشرابي عند باب بني شيبة، وتضرب الطبول على باب كل واحد منهما عند صلاة المغرب من كل يوم." (1)

وقد تحدث ابن بطوطة عن حكام المدينة المنورة وأشار إلى كُبيش بن منصور بن جماز ، حيث قال:

" كان أمير المدينة كبيش بن منصور بن جماز. وكان قد قتل عمه مقبلاً. ويقال: إنه توضأ بدمه. ثم إن كبيشاً خرج سنة سبع وعشرين إلى الفلاة في شدة الحر ومعه أصحابه، فأدركتهم القائلة في بعض الأيام، فتفرقوا تحت ظلال الأشجار فما راعهم إلا وأبناء مقبل في جماعة من عبيدهم ينادون: يا لثارات مقبل، فقتلوا كبيش بن منصور صبراً، ولعقوا دمه. وتولى بعده أخوه طفيل بن منصور، الذي ذكرنا أنه نفى أبا العباس الفاسي."

واعتمد الأشراف على حرس يسمون بالحرابة ووصفوا باللصوص لسلبهم أمتعة الحجاج بحيل وطرق عجيبة حيث قال ابن جبير عن هؤلاء الحرس :

"ومن صنع الله الجميل وفضله العميم علينا أنا وصلنا هذه البلدة المكرمة فألفينا كل من بها من الحجاج المجاورين ممن قدُم عهده فيها وطال مقامه بها يتحدث على جهة العجب بأمنها من الحرابة المتلصصين فيها على الحاج المختلسين ما بأيديهم والذين كانوا آفة الحرم الشريف، لا يغفل أحد عن متاعه طرفة عين إلا اختلس من يديه أو من وسطه بحيل عجيبة ولطافة غريبة، فما منهم إلا أحذ يد القميص، فكفى الله في هذا العام شرهم إلا القليل، وأظهر أمير البلاد التشديد عليهم فتوقف شرهم"(2)

وتحدث شكيب أرسلان عن أمراء مكة بالتفصيل حيث قال:

" وهؤلاء الذين منهم الأمير عبد المطلب الذي ولي إمارة مكة ثلاث مرات والذي حفيده الأمير علي حيدر باشا وقد ولته الدولة الأمارة في أيام الحرب بعد أن ثار عليها الشريف حسين بن علي ولقب ملكا..." (3)

واستمر الكلام عن أمراء مكة إلى أن قال:

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 66.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 100.

(**3**) الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان، ص/ 126.

" وهكذا كانت إمارة الحجاز منحصرة في ذوي زيد إلى أن استولى الوهابيون على الحجاز ، وعجزت الدولة عن إخراجهم منه فرمتهم بمحمد علي والي مصر الذي جرد عليهم الجيوش ولبث يقاتلهم نحو عشر سنوات إلى أن أخرجهم من الحجاز، فكان اقتراحه على الدولة إخراج إمارة الحجاز من ذوي زيد وتولية أمير من غيرهم من الأشراف. " (1)

تحدث محمد حسين هيكل عن ابن السعود ρ حيث قال:

" كنت أسمع اسم ابن السعود عاهل العرب منذ زمان طويل. فلما بدأ يغزو الأشراف، وعلى رأسهم الحسين بن علي ملك الحجاز، كنت أتتبع أنباء النزاع بين الملكين العربين دون أن أقف طويلاً عندها. فلما انتهى الأمر إلى فرار الحسين وإلى قيام علي ابنه مقامه، ثم إلى استقرار السلطان في الحجاز لابن السعود، بدأ الحديث عن هذا الفاتح النجدي لبلاد العرب يتردد في صحف الغرب والشرق، وقد لقيت إذا ذاك غير واحد من الصحفيين المشهود لهم بالاتزان وبدقة الحكم على الأشياء والأشخاص، فما كان أشد عجبي حين سمعت من أحدهم " فون فيزل " الألماني المعروف، مبالغة في الثناء على ابن السعود إلى حدّ نعته إياه... " (2)

طبقة العلماء في رحلات الحجازية

أعطى الرحالون أهمية كبيرة للعلماء أثناء رحلته وقد تحدث الرحالون عن مجالسهم ودروسهم وخدماتهم لإزالة البدع والمنكرات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممن تحدث عن علماء الحجاز منهم ابن بطوطة حيث قال:

"ومنهم الصالح خضر العجمي، كثير الصوم والتلاوة والطواف. والشيخ الصالح برهان الدين العجمي الواعظ، كان ينصب له كرسي تجاه الكعبة الشريفة فيعظ الناس ويذكرهم بلسان فصيح وقلب خاشع يأخذ بمجامع القلوب. والصالح المجود برهان الدين إبراهيم المصري مقرىء مجيد ساكن رباط السدرة، ويقصده أهل مصر والشام بصدقاتهم، ويعلم الأيتام كتاب الله تعالى، ويقوم بمؤنهم ويكسوهم." (3)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 126.

(2) في منزل الوحي، حسين هيكل، ص/ 147.

(3) رحلة ابن بطوطة، ص/ 69.

وفي مكان آخر ذكر عدة الفقهاء والعلماء حيث قال:

" ومنهم الفقيه الصالح زين الدين الطبري، شقيق نجم الدين المذكور من أهل الفضل والإحسان للمجاورين ومنهم الفقيه المبارك محمد بن فهد القرشي، من فضلاء مكة. وكان ينوب عن القاضي نجم الدين بعد وفاة الفقيه محمد بن عثمان الحنبلي، ومنهم العدل الصالح محمد بن البرهان زاهد ورع مبتلى بالوسواس. رأيته يوماً يتوضأ من بركة المدرسة المظفرية، فيغسل ويكرر، ولما مسح رأسه أعاد مسحه مرات، ثم لم يقنعه ذلك فغطس رأسه في البركة. وكان إذا أراد الصلاة ربما صلى الإمام الشافعي، وهو يقول: نويت نويت، فيصلي من غيره وكان كثير الطواف والاعتمار والذكر." [1]

وذكر شكيب أرسلان عدة فقهاء والمحدثين في الطائف حيث قال:

" وروي ابن سعد في الطبقات أنه كان بالطائف بعد هؤلاء من الفقهاء والمحدثين عمرو بن الشريد بن سويد الثقفي وعاصم بن سفيان الثقفي، وأبو هندية الذي روي عنه سعيد بن المسيب، وعمرو بن أوس الثقفي، وعبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن عبدالله من ثقيف... " [2]

طبقة المهن في رحلات الحجاز

أشار بعض الرحالين إلى أصحاب المهن وأعمالهم في رحلاتهم كالخبازين والخياطين وصناع الحلوى والأغوات والنساخ وممن أشار إليهم منهم ابن جبير وابن بطوطة حيث قال ابن جبير :

" ويتصل بجدار هذا البلاط كله مصاطب تحت قسي حنايا يجلس فيها النساخون والمقرئون وبعض أهل صنعة الخياطة." [3]

وقال عن مهن في مدينة جدة :

"ويستخدمون أنفسهم في كل مهنة من المهن: من اكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحتطبونه"[4]

(**1**) نفس المرجع، ص/ 68.

(**2**) الرحلة الحجازية، ص/ 159.

(**3**) رحلة ابن جبير، ص/ 68.

(**4**) نفس المرجع، ص/ 68.

وقال عن البزازين والعطارين :

" وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البزازين والعطارين، فهم عند باب بني شيبة تحت السوق المذكورة وبمقربة تكاد تتصل بها." (1)

وقال ابن بطوطة عنهم :

" ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي " حنايا " يجلس بها المقرئون والناسخون والخياطون" (2)

وقال ابن بطوطة عن البزازين والعطارين :

" وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة، يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه. والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة، وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزازون والعطارون عند باب شيبة وبين الصفا والمروة دار العباس رضي الله عنه." (3)

العادات والتقاليد لأهل الحجاز

ومن العادات والتقاليد لأهل الحجاز، ضرب الطبول في أوقات الصلاة وابتداء لموسم الحج ويخبرنا ابن جبير عن هذه العادة حيث قال:

" وفي تلك الليلة ملئ المسجد الحرام كله سرجاً فتلألأ نوراً. وعند ثبوت رؤية الهلال عند الأمير أمر بضرب الطبول والدبادب والبوقات إشعاراً بأنها ليلة الموسم." (4)

وقال ابن جبير عن عادة أهل الحجاز حيث قال:

" ولأهل هذه الجهات المشرقية كلها سيرة حسنة، عند مستهل كلّ شهر من شهور العام يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضاً، ويتغافرون ويدعو بعضهم لبعض، كفعلِهِم في الأعياد، هكذا دائماً " (5)

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 59.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 85

(**3**) المرجع السابق، ، ص/63**.**

(**4**) رحلة ابن جبير، ص/ 108.

(**5**) نفس المرجع، ص/ 101.

ومن عادات أهل مكة إخراج مصحف مكتوب بخط زيد بن ثابت η أثنا القحط وعدم الغيث ويضعون على العتبة الشريف وعن هذه العادة تحدث ابن جبير وابن بطوطة حيث قال ابن بطوطة في رحلته :

" فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، منتسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً. وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الشريف، وفتحوا باب الكعبة، ووضعوه على العتبة الشريفة، ووضعوه في مقام إبراهيم عليه وسلم، واجتمع الناس كاشفين رؤوسهم، داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الشريف، فلا ينفصلون إلا وقد تداركهم الله برحمته، وتغمدهم بلطفه. " (1)

وتحدث ابن جبير عن عادة أهل مكة لإعداد مياه زمزم للشرب في الحرم حيث توضع في دوارق حيث قال:

" ويخرج مع الليل لسقي الحاج في قِلال يسمونها الدوارق، كل دورق منها ذو مقبض واحد. وتنور بئر زمزم من رخام قد الصق بعضه ببعض إلصاقا لا تحيله الأيام وأفرغ في أثنائه الرصاص" (2)

وتحدث ابن بطوطة عن العادات الحسنة لأهل مكة واصفاً إياها بأنها من الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء ، وقال عن مكارمهم :

" ولأهل مكة الأفعال الجميلة والمكارم التامة والأخلاق الحسنة والإيثار إلى الضعفاء والمنقطعين وحسن الجوار للغرباء. ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمة يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين، ويستدعيهم بتلطف ورفق وحسن خلق، ثم يطعمهم. وأكثر المساكين المنقطعين يكونون بالأفران، حيث يطبخ الناس أخبازهم. فإذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله فيتبعه المساكين فيعطي لكل واحد منهم ما قسم له " (3)

(**1**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 62.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 66.

(**3**) المرجع السابق، ، ص/ 67.

وأشار العبدري إلى اعتقادهم في زيادة ماء زمزم في يوم الجمعة حيث قال:

" وتراهم في قبة زمزم يتقاتلون على الماء، ويأخذ أحدهم الدلو فيصبه على نفسه بثيابه، حتى لوثوا الموضع، ويتقولون في ذلك أشياء ما لها وجود، مثل زيادة الماء في ليلة الجمعة، وهو أمر مشهور عندهم" [1]

الأعياد والاحتفالات لأهل الحجاز

كان أهل الحجاز وبخاصة أهل مكة المكرمة والمدينة المنورة يحتفلون بداية الشهور الهجرية، وكانوا يحتفلون بالذهاب إلى الحرم المكي والمدني مع طلوع شمس أول كل شهر ، وهكذا كانت عندهم الأعياد والاحتفالات الأخرى وسنشير إلى تلك الأعياد في هذه الأسطر.

تحدث ابن جبير عن عدة أعياد واحتفالات لدى الحجازيين ، ومن تلك الاحتفالات حفلة للنساء في اليوم التاسع والعشرين من كل شهر حيث قال :

" والعمرة في هذا الشهر كله متصلة ليلاً ونهاراً، رجالاً ونساء، لكن المجتمع كله إنما كان في الليلة الأولى، وهي ليلة الموسم عندهم. والبيت الكريم يفتح كل يوم من هذا الشهر المبارك. فإذا كان يوم التاسع والعشرون منه افرد للنساء خاصة، فيظهر للنساء بمكة في ذلك اليوم احتفال عظيم، فهو عندهم يوم زينتهم المشهور المستعد له." [2]

وتحدث ابن جبير عن احتفال الأعياد حيث قال:

"وفي أثناء ذلك يلاقي الرجال بعضهم بعضاً فيتصافحون ويتهادون الدعاء والتغافر بينهم، والنساء كذلك. والكل منهم قد لبس أفخر ثيابه واحتفل احتفال أهل البلاد للأعياد. وأما أهل البلد الأمين فهذا الموسم عيدهم، له يعبأون وله يحتفلون، وفي المباهاة فيه يتنافسون وله يعظمون، وفيه تنفق أسواقهم وصنائعهم، يقدمون النظر في ذلك والاستعداد له بأشهر." [3]

وقال عن احتفال عيد الفطر :

(**1**) رحلة العبدري، ص/ 371.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 113.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 110.

"فلما كان صبيحتها وقضى الناس صلاة الفجر، لبس الناس أثواب عيدهم وبادروا لأخذ مصافهم لصلاة العيد بالمسجد الحرام، لأن السنة جرت بالصلاة فيه دون مصلى الله عليه وسلم يخرج الناس إليه، رغبة في شرف البقعة وفضل بركتها وفضل صلاة الإمام خلف المقام ومن يأتم به. فأول من بكر الشيبيون، وفتحوا باب الكعبة المقدسة، وأقام زعيمهم جالساً في العتبة المقدسة... " (1)

وقال ابن بطوطة عن احتفال شهر رجب :

"وإذا هل هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات إشعارا بدخول الشهر، ثم يخرج في أول يوم منه راكباً. ومعه أهل مكة فرساناً ورجالاً، على ترتيب عجيب، وكلهم بالأسلحة، يلعبون بين يديه، والفرسان يجولون ويجرون، والرجال يتواثبون ويرمون بحرابهم إلى الهواء، ويلقفونها، والأمير رميثة والأمير عطيفة معهما أولادهما وقوادهما مثل محمد بن إبراهيم، وعلي وأحمد ابني صبيح، وعلي بن يوسف وشداد بن عمر وعامر الشرق ومنصور بن عمر وموسى المزرق، وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه القواد. وبين أيديهم الرايات والطبول والدبادب، وعليهم السكينة والوقار. ويسيرون حتى ينتهوا إلى الميقات، ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام، فيطوف الأمير بالبيت، والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط، على ما ذكرناه من عادته، فإذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم، وصلى عند المقام وتمسح به، وخرج إلى المسعى فسعى راكباً والقواد يحفون به، والحرابة بين يديه، ثم يسير إلى منزله. وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد يلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك." (2)

وقال ابن بطوطة عن احتفال ليلة السابع والعشرين :

"وأعظم من تلك الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين. واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي. ويختم بها القرآن العظيم خلف المقام الكريم."(3)

(1) نفس المرجع، ص/ 134.

(2) رحلة ابن بطوطة ، ص/ 73.

(3 نفس المرجع.

ويحتفلون في كل ليلة وتر من العشر الأواخر من شهر القرآن ، حيث يختم في كل ليلة وتر القرآن ابتداء من ليلة إحدى وعشرين ويقوم بختم القرآن أحد أبناء مكة بحضور قاضي مكة وعدد من الشيوخ، فإذا فرغ هذا الصبي قام فيهم خطيباً ومن ثم يستدعي أبو الصبي للاحتفال بهذه المناسبة الحضور إلى منزله.[1]

الملابس

حرص أهل الحجاز على لبس الملابس النظيفة الحسنة وقد تحدث ابن جبير وابن بطوطة وعدد من الرحالين عن ملابس أهل الحجاز ، وتحدث ابن جبير عن ملابس الخطيب الذي يلبس ثوباً أبيض وعمامة صوف بيضاء رقيقة متقلداً سيفه حيث قال:

> "ثم يقبل الخطيب داخلاً على باب النبي γ ، وهو يقابل المقام في البلاط الآخذ من الشرق الشمال لابساً ثوب سواد مرسوماً بذهب ومتعمماً بعمامة سوداء مرسومة أيضاً وعليه طيلسان شرب رقيق، كل ذلك من كسا الخليفة التي يرسلها خطباء بلاده" [2]

وساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة وقيام الأمير بإلباس المحتسب عمامة تكون له جواراً فلا يجرؤ أحد على التعرض له ولكنها تصبح عديمة النفع عند رحيل صاحبها عن مكة المكرمة. [3]

وقال ابن بطوطة عن لباس الخطيب:

"وعادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك إلى صفح الكعبة الشريفة، فيما بين الحجر الأسود والركن العراقي، ويكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم. فإذا خرج الخطيب، أقبل لابساً ثوب سواد، معتماً بعمامة سوداء، وعليه طيلسان أسود. كل ذلك من كسوة الملك الناصر. وعليه الوقار والسكينة، وهو يتهادى بين رايتين سوداوين، يمسكهما رجلان من المؤذنين، وبين يديه أحد القومه، في يده الفرقعة" [4]

---

(1) نفس المرجع، ورحلة ابن جبير، ص/ 13-134.

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 72.

(3) رحلة ابن بطوطة، ص/ 151.

(4) نفس المرجع، ص/ 73.

ويمتدح ابن بطوطة نظافة أهل مكة ونصاعة بياض ملابسهم وكثرة استعمالهم للطيب والكحل، ويصف :

" ونساء مكة فائقات الحسن بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف. وهن يكثرن التطيب، حتى إن إحداهن لتبيت طاوية وتشتري بقوتها طيباً. وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة، فيأتين في أحسن زي وتغلب على الحرم رائحة طيبهن، وتذهب المرأة منهن فيبقى أثر الطيب بعد ذهابها عبقاً."[1]

الأطعمة والأشربة

إن بلاد الحجاز اشتهرت بإعداد عدة أنواع من الطعام ، مثل إعداد أطعمة معينة أثناء مناسك الحج يحملونها معهم إلى عرفات. وقد أشار ابن جبير إلى عدة أنواع من الطعام حيث قال:

" يستعدون للوصول هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجتمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب اللوبياء ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز. فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة. " [2]

وكانوا لا يأكلون إلا مرة واحدة في اليوم ، وأشار ابن بطوطة إلى هذا حيث قال:

" وكان يأمر خدامه يخبزون الخبز ويطبخون الطعام ويأتون به إلي بعد صلاة العصر من كل يوم. وأهل مكة لا يأكلون في اليوم إلا مرة واحدة بعد العصر، ويقتصرون عليها إلى مثل ذلك الوقت." [3]

وقال ابن بطوطة:

" وفي هذا الركب نواضح كثيرة لأبناء السبيل يستقون منها الماء، وجمال لرفع الراد للصدقة ورفع الأدوية والأشربة والسكر لمن يصيبه مرض. وإذا

(**1**) نفس المرجع، ج/ 1، ص/ 67.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 110.

(**3**) رحلة ابن بطوطة، ص/ 68.

نزل الركب طبخ الطعام في قدور نحاس عظيمة تسمى الدسوت، وأطعم منها أبناء السبيل ومن لا زاد معه." [1]

وقد وصف المازني عادات الطعام للحجازيين حيث قال:

" وهم لا يراعون في الجلوس إلى الموائد ترتيبا معيناً وكانوا معنا على الأقل أحذق وأدق مجاملة من أن يتوخوا ترتيباً، فكان من شاء يجلس حيث يشاء، حتى لا يشعر أن غيره مفضل عليه أو مقرب دونه أو مختص بإيثار ، والقوم في الحجاز لا يأكلون سوى مرتين في الأربع والعشرين ساعة : مرة حوالي الساعة العاشرة والثانية حوالي الرابعة أو الخامسة، وأحسب أن جو البلاد هو الذي اقتضى هذا التخفيف، ولكنهم توخوا مثل عاداتنا في مصر من أجلنا، وغيروا مألوفهم وجروا على مألوفنا. والأطعمة التي تناولناها فيها صنعة حسنة وذوق يجمع بين الأسلوبين العربي والتركي.." [2]

★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★★

★★★★★★★★★★★★★★★

★★★★★★★★★★★

(**1**) نفس المرجع، ص/ 78.

(**2**) رحلة إلى الحجاز للمازني، ص/ 52.

الجوانب الجغرافية والاقتصادية

أولاً الجانب الجغرافي في الرحالات الحجازية

ذكر معظم الرحالة الحجاز الجانب الجغرافي للحجاز ولاسيما مكة المكرمة والمدينة المنورة وبعضهم وصفوا لنا بدقة وعينوا حدود الحرم المكي والمدني بالإضافة إلى ذلك المشاعر المقدسة في الحرمين الشريفين ، فها هو العبدري جعل فصولاً في بيان حدود مكة المكرمة والمدينة المنورة، وابن بطوطة يصف لنا مكة المكرمة داخلها وخارجها، وأما ابن جبير فهو لم يذكر لنا شيئاً من حدود الحرمين الشريفين ولكنه تحدث عن جبل ثور حراء ، ونرى شكيب أرسلان يبين لنا حدود الحجاز وتفاصيله الجغرافية . وأولاً أعرض شواهد الجغرافية في الرحلات الحجازية.

والأصطخري الذي يعد من الجغرافيين والرحالين تحدث كثيرا عن مواقع المناطق التي زارها ، فقد ذكر موقع مكة المكرمة حيث يقول :

"وهي مدينة فيما بين شعاب الجبال، وطول مكة من العلاة إلى المسفلة نحو ميلين، وهو من حد الجنوب إلى الشمال، ومن أسفل جياد إلى ظهر قعيقعان نحو الثلثين من هذا، وأبنيتها حجارة، والمسجد في نحو الوسط منها، والكعبة في وسط المسجد، وباب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة وهو مصراع واحد، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب... " (1)

وبين حدود مشاعر المقدسة والبعد من مكة وما حولها حيث يقول:

"ومنى على طريق عرفة من مكة، وبينها وبين مكة ثلاثة أميال، ومنى شعب طوله نحو ميلين وعرضه يسير، وبها أبنية كثيرة لأهل كل بلد من بلدان الإسلام " (2)

ويستمر الكلام ثم يقول عن مزدلفة :

" والمزدلفة مبيت للحجاج ومجمع للصلاة إذا صدروا من عرفات، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين، وأما بطن محسر فهو واد بين منى والمزدلفة، وأما المأزمان فهو شعب بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة، وهو واد بين المأزمين

---

(1) المسالك والممالك للأصطخري، ص/ 8.

(2) نفس المرجع.

وبين عرفة، وعرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط بني عامر إلى من أقبل على الصخرات، والتي يكون بها موقف الإمام وعلى طريق عقبة، وحائط بني عامر نخيل عند عرفة " (1)

وكان يذكر موقع مدينة المنورة ومياهها حيث يقول:

" وأما المدينة فهي أقل من نصف مكة، وهي في حرة سبخة الأرض، ولها نخيل كثيرة، ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار، يستقون منها العبيد، وعليها سور، والمسجد في نحو من وسطها، وقبر النبي γ من المسجد في شرقيه قريبا من القبلة" (2)

ثم يتحدث عن جبال المدينة حيث يقول:

"وأحد جبل في شمال المدينة، وهو أقرب الجبال إليها على بعد فرسخين، وبقربها مزارع فيها ضياع لأهل المدينة توازي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام من جنوبيها، وبها مسجد جامع، غير أن أكثر هذه الضياع خراب، وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة وأكثرها خراب، والعقيق واد من المدينة في قبليها على أربعة أميال في طريق مكة، وأعذب مياه تلك الناحية آبار العقيق." (3)

وتحدث الأصطخري عن مدن الحجاز الأخرى من حيث موقعها وبيئتها حيث يقول :

" وأما اليمامة فإن مدينتها دون مدينة الرسول، وهي أكثر تمرا ونخلا من المدينة ومن سائر الحجاز" ويستمر الكلام حتى يقول: " وليس بالحجاز مدينة بعد مكة والمدينة أكبر من اليمامة، ويليها في الكبر وادي القرى، وهي ذات نخيل كثيرة وعيون، والجار فرضة المدينة وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شط البحر، وهي أصغر من جدة، وجدة فرضة أهل مكة على مرحلتين منها على شط البحر، وهي عامرة كثيرة التجارات والأموال، ليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالا وتجارة منها، وقوام تجارتها بالفرس" . (4)

(**1**) نفس المرجع

(**2**) نفس المرجع، ص/ 9.

(**3**) نفس المرجع.

(**4**) المسالك والممالك للأصطخري، ص/ 10.

وأما ابن جبير فقال عن جبال مكة :

"وعن جانبي الطريق في هذا الموضع جبال أربعة: جبلان من هنا، وجبلان من هنا، عليها أعلام من الحجارة، وذكر لنا أنها الجبال المباركة التي جعل إبراهيم، عليه السلام، عليها أجزاء الطير ثم دعاهن حسبما حكي الله، عز وجل، سؤاله إياه جل وتع أن يريه كيف يحيي الموتى. وحول تلك الجبال الأربعة جبال غيرها" [1]

" من جبال مكة المشهورة، بعد جبل أبي قبيس، جبل حراء، وهو في الشرق على مقدار فرسخ أو نحوه مشرف على منى، وهو مرتفع في الهواء عالي القنة، وهو جبل مبارك، كان النبيγ كثيراً ما ينتابه ويتعبد فيه، واهتز تحته فقال له النبيγ: [اسْكُنْ حَرَاء، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِي وَصَدِيْقٌ وَشَهِيْد] [2] ، وكان معه أبو بكر وعمر، κ .... وكان عثمانη معهم، وأول آية نزلت من القرآن على النبيγ في الجبل المذكور وهو آخذ من الغرب الشمال، ووراء طرفه الشمالي جبانة الحجون ... وسور مكة إنما كان من جهة المعلى وهو مدخل البلد، ومن جهة المسفل وهو مدخل أيضاً إليه." [3]

وأما العبدري فنجده متحدثاً عن حدود مكة المكرمة والمدينة المنورة حيث يقول عن مكة المكرمة :

" ... بلدةٌ كبيرةٌ متصلة البنيان في بطن واد بين جبالٍ محيطة بها، لا يراها القاصد إليها حتى يُشرِفَ عليها، والجبال المحيطة بها ليست شامخةً، وبنيانها آخذٌ في الاستطالة مع الوادي، ولا سور لها، إلا أنها حيزت من أعلى الوادي وأسفله بحائطين من صخور لا ملاط لها، قطعاً الوادي عرضاً حتى وصلا بين الجبلين، وهما على فسحة من البلد. وأعلى الوادي ناحيةُ المشرق، وأسفله ناحيةُ المغرب، ولكن دخول الحجاج من أعلاه حسبما تقدم ، ولها ثلاثة أبواب: باب المعلاة من أعلاها، وباب الشبيكة من أسفلها ، والثالث باب اليمن من جهة الجنوب" [4] .

(**1**) رحلة ابن جبير، ص/ 89

(**2**) صحيح مسلم، رقم الحديث/ 50.

(**3**) المرجع السابق، ص/ 92.

(**4**) رحلة العبدري، ص/ 364-365.

يصف ابن بطوطة جبال مكة حيث يقول:

" فمنها جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق من مكة حرسها الله، وهو أحد الأخشبين، وأدنى الجبال من مكة شرفها الله، ويقابل ركن الحجر الأسود. وبأعلاه مسجد وأثر رباط وعمارة " [1]

ويتحدث ابن بطوطة عن جغرافية مكة المكرمة حيث يقول:

"هي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة، في بطن وادٍ تحف به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها. وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ. والأخشبان من جبالها هما جبل أبي قبيس، وهو في جهة الجنوب والشرق منها، وجبل قعيقعان، وهو في جهة الغرب منها، وفي الشمال منها الجبل الأحمر. ومن جهة أبي قبيس أجياد الأكبر، وأجياد الأصغر [2] "

ونجد شكيب أرسلان أكثر اهتماماً في إتيان تفاصيل الجغرافية للمناطق ، وإذا امعن النظر في قائمة المحتويات فنجد الموضوعات ذات أهمية جغرافية منها ، موقع الطائف وهواؤها وماؤها، وحدود الحجاز ، والشام هواؤها وماؤها ووباؤها، عرض الطائف الجغرافي وسبب تأسيسه ، وتخطيط الطائف وغير ذلك من الموضوعات.

ويتحدث شكيب أرسلان عن جغرافية الطائف وسبب تأسيسه ، حيث يقول:

" والطائف في الإقليم الثاني وعرضها إحدى وعشرون درجة كما في معجم البلدان، والأظهر في تسميتها بالطائف أنه من الحائط المحدق بها، ومنه قول أبي طالب بن عبدالمطلب : " نحن بنينا طائفا حصينا " قال ياقوت: وهي مع هذا الاسم الفخم بليدة صغيرة على طرف واد، وهي محلتان إحداهما عن هذا الجانب يقال لها طائف ثقيف، والأخرى على هذا الجانب يقال لها الوهط... " [3]

وها هو شكيب أرسلان يبين لنا موقع الطائف وهواؤها وماؤها حيث يقول :

---

(1) رحلة ابن بطوطة، ج/1، ص/ 65.

(2) نفس المرجع، ص/ 59.

(3) الرحلة الحجازية لشكيب أرسلان، ص/ 183.

" وأما فضل الطائف في صقعها وجودة مائها وهوائها فهو مما تواطأ عليه المحسوس والمأثور، ولست بمستغرب قول بعض المفسرين لقوله تعالى : (لَوْلاَ نُزِّل هَذَا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظيْم) [1]، إن المراد بالقريتين مكة والطائف..."[2]

وفي خاتمة رحلته يتحدث عن موقع الطائف الجغرافي والعسكري ومكانه من البلاد العربية كلها ، حيث يقول:

" ألا إن مدينة الطائف مركز عظيم في بلاد العرب لأنها لمكة من قبيل لازم وملزوم، ولان أقليمها من أبدع الأقاليم، وثمراتها من أشهى الثمرات، ولكونها متوسطة في الجزيرة الحجاز محيط بها، واليمن جنوبيها، ونجد والعراق شرقيها، والمدينة المنورة والشام شماليها .... " [3]

وحين ما يتحدث عن جبال الحجاز فيقول :

" مما اقتضى عجبي في الطائف شكل الصخور ، ... فإنه غريب جداً من وجوه أولها إن الصخور والجنادل هي بكثرة زائدة في كل هاتيك الجبال وفي السهوب التي تتخللها ، ثانيها إنها قد توجد مجموعة في أمكنة معلومة متراً صفة بعضها إلى بعض كأنما هي مجتمعة على ميعاد، (ثالثها) إن تغلب عليها الملاسة بخلاف صخور جبالنا الشامية التي تغلب عليها الحرسة إلا ما كان منها في الأودية السائلة ، (رابعاً) إن أشكال بعضها غريبة جداً، منها ما يشبه الشجر، ومنها ما يشبه البشر، ومنها ما تخل إنه ينظر بعيون .... " [4]

ويبين حرارة الحجاز وقلة المياه فيها حيث يقول:

" والحر في الحجاز نوعان : أحدهما الومد وهو الحر الشديد مع انقطاع الريح، والثاني السموم وهو الريح الحارة، وهذه الريح إذا اتقاها الإنسان بمنشفة مبلولة بالماء أو بحصير مرشوش بالماء معلق فوق باب أو نافذة انقلبت باردة ، وبالجملة فأشد ما يعاني المرء من حر مكة هو فيما لو تعرض للشمس في وسط النهار، أما المتعودون وأبناء مناطق خط الاستواء فلا كلام لنا فيهم، فقد كنت

---

(1) سورة الزخرف، رقم الآية/31

(2) المرجع السابق، ص/ 135.

(3) الرحلة الحجازية، ص/ 278.

(4) نفس المرجع، ص/ 112.

أراهم في وقت الظهيرة يمشون ويتهادون في الشمس كما يمشي لواحد منه في ظلال جنة، ولم يكن يصيبهم أدنى ضرر، ولم يكن يصاب بضربة الشمس إلا من تعرض لها من حجاج الشمال لا غير"[1]

ويبين شكيب أرسلان فوائد الحرارة في الحجاز ولاسيما في مكة المكرمة حيث يقول :

" من فوائد هذه الحرارة الشديدة في مكة في أيام الموسم أنها تقتل بشدتها جميع الجراثيم المضرة، فلا تجد في الحج شيئاً من الأوبئة السارية" [2]

وقد تحدث عن أهمية المياه في الحجاز حيث يقول :

" من لم يعرف الحجاز لم يعرف قيمة المياه في الأرض وإذا كانت آية (⌘♊ჲ✌ ✍♦✡▫⌧➔⌧♉◆❐ ✂✍⍝⌧☺⊞✍✐ⅡჲⅡ✍☐ ★⊠⊘⇔↗⚇ ❐⌧⊘♍✍ ☎) [3] صحيحة في أسوج وتروج، لا بل في القطب الشمالي حيث الثلوج عامة للأقطار طامة للأنظار، فكم تكون هذه الآية الكريمة صحيحة في قطر مثل الحجاز تصعد درجة الحرارة فيه بالصيف إلى 47 و 48 بميزان سنتيغراد ، وكثيرا ما يعز فيه المطر فتنضب من ذلك عيون كانت جارية، وآبار كانت دافقة، .... " [4]

وصديق حسن خان رحالة شبه القارة الهندية ذكر حدود الحرم وجبال مكة المكرمة مع فضائلها حسب منهجه في رحلته حيث يقول عن حدود الحرم:

" حدُّ الحرم من جهة طريق المدينة دون التنغيم على ثلاثة أميال من مكة، ومن طريق اليمن على سبعة أميال من مكة، ومن طريق الطائف للمار على عرفات من بطن نمرة على ثلاثة أميال من مكة، ومن طريق العراق للمار على ثنية جبل بالمقطع سبعة أميال من مكة، ومن طريق الجعرانة ومن شعب آل عبدالله بن خالد على تسعة أميال، ومن طريق جدّة على عشرة أميال وهذا قول الجمهور، وهو أصح الأقوال" [5]

(**1**) الرحلة الحجازية ، ص/ 12.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 12.

(**3**) سورة الأنبياء، رقم الآية/30

(**4**) الرحلة الحجازية ، ص/ 33.

(**5**) رحلة الصديق إلى البلد العتيق، ص/ 12.

ويقول صديق حسن خان عن جبال مكة :

" فمن جبالها :

1. جبل أبي قُبيس ، وهو الجبل المشرف على الصفا، وهو أحد أخشبي مكة المشرفة.
2. وجبل حراء بأعلى مكة ، وهذا الجبل على ثلاثة أميال، وهو مقابل ثبير والوادي بينهما، وهما على يسار السالك إلى منى، وحراء قبل ثبير مما يلي شمال الشمس، ويسمى : جبل النور، قال الحضراوي: وهو كذلك لكثرة مجاورة النبي γ وتعبده فيه.
3. وجبل ثور بأسفل مكة، وهو من مكة على ثلاثة أميال، قاله ابن الحاج وابن جبير، وقيل : على ميلين، وارتفاعه نحو ميل، وفي أعلاه الغار الذي دخله النبي γ مع أبي بكر، والبحر يُرى من أعلى هذا الجبل.
4. جبل ثبير وهو على يسار الذاهب من منى إلى مزدلفة ، قال القزويني إنه جبل مبارك، وقال ابن النقاش إنه يستجاب الدعاء به.
5. الجبل الذي بظهر مسجد الخيف بمنى ، ويدل له الحديث الثابت في " صحيح البخاري " عن ابن مسعود η قال : [بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُوْلُ الله γ فِي غَارٍ بِمِنَى، إِذْ نَزَلَت عَلَيْهِ (المُرْسَلَات)] [1] " [2]

إن محمد حسين هيكل كان من رحالي العصر الحديث ، ورحلته " في منزل الوحي من أهم الرحلات الحجازية لأنه تحدث من الجوانب المهمة مروراً مع ذكرياته اليومية، فهو تحدث عن الحج ، والبلد الحرام ، وأسواق العرب ، والحرمين الشريفين ، والمدينة المنورة وغير ذلك من الموضوعات المهمة.

---

(1) صحيح البخاري، رقم الحديث/ 1830.

(2) المرجع السابق، ، ص/ 13.

وقد تحدث عن جغرافية مكة المكرمة بالإضافة إلى غار حراء ، وغار ثور ، ومكة الحديثة ، وطريق الطائف، وآثار الطائف ، وظاهر المدينة وآثارها . وقد تحدث عن غار حراء وغار ثور بالتفصيل من حيث تاريخهما وطرقهما وموقعهما ، حيث يقول في طبيعة غار حراء :

" وليس استواء هذا السطح من عمل الطبيعة، وهو لم يكن مستوياً أيام كان محمد يصعد حراء للتحنث فوقه، إنما سواه الناس حين كان الألوف من الحجيج يصعدون يبتغون القبة المشيدة على القمة للتبرك بها. سووه ونقروا فيه صهريجاً يختزن مياه المطر، وأقاموا عنده مقهى يستريح الناس إليه ويتناولون طعامهم فيه إذ يصعدون لزيارة القبة. فلما هدمها الوهابيون وانقطع الناس عن الصعود أقفر المكان من المقهى ولم يبق من يعنى بأمر الصهريج وما يجيء من املاء إليه. لكن السطح بقي مستوياً كما كان، وبقي الذين يصعدون ابتغاء الغار يقفون عنده" (1)

ويستمر الكلام حتى يقول :

" فهذه القمة أعلى حراء ، وهي ضيقة لا يزيد مربعها على الثلاثين أو الأربعين متراً ، وهي مكشوفة لا يحيط بها صخر ولا يحجب الناظر منها إلى ما حولها حجاب ، وتبدو سلاسل الجبال المحيطة بحراء من جهاته الأربع كأنها كلها دون هذه القمة ارتفاعاً" (2)

ثم يقول عن هذا الموقع :

" وهذا موقع فريد قلّ في غير حراء من الجبال نظيره، فأنت إذ تقف ينكشف لك كل ما حولك، وتبدو لك عظمة الكون في كل جلالها، وتشعر وأنت تشهد من موقفك السماء والجبال، وتشهد مكة ومسجدها الحرام وبيتها العتيق، وتشهد ما وراء ذلك مما لا نهاية له" (3)

ولما زار غار ثور فيقول عن جبل ثور قائلاً:

---

(1) في منزل الوحي، محمد حسين هيكل، ص/ 235

(2) نفس المرجع، ص/ 236

(3) نفس المرجع، ص/ 236.

" لولا قصة الهجرة لما ذكر ثوراً ولا ذكر الغار الذي بأعلاه ذاكر ، فهو واحد من الجبال الكثيرة التي تحيط بمكة، ليس أرفعها وليس أبهاها، وليس يمتاز عليها بشيء مطلقاً من حيث طبيعته، والغار الواقع في قمته لا يمتاز على أي غار آخر مما يرى الإنسان في جبال الحجاز وفي جبل ثور نفسه" (1)

وتحدث عن موقع جبل ثور حيث يقول :

" وهو يقع إلى جنوب مكة في طريق المنحدر إلى اليمن، وتقوم على جانبيه إلى اليمين وإلى اليسار جبار مشابهة له كل الشبه، مع ذلك لا يعنى أحد بأن يعرف اسمها لأنها لا تتصل بحادث من حوادث التاريخ " (2)

وقد بين حدود الحرم ومواقيت الحج حيث يقول :

" فيما بين حدود الحرم ومواقيت الحج يقع الحل، وليس بين أعلام الحرم ومواقيت الحج أبعاد نائية إلا فيما بين مكة والجحفة، وفيما بين مكة وذي الحليفة. وتقع ذو الحليفة بظاهر المدينة، وهي ميقات أهل المدينة، منها أحرَمَ الرسول γ وأصحابه φ حين خرجوا إلى عمرة القضاء، وحين خرجوا إلى حِجَّة الوداع. أما الجُحفة فتقع في منتصف الطريق بين مكة والمدينة وهي ميقات المصريين والشاميين وكل من حاذاها في البر والبحر. "(3)

ويذكر موقع التنعيم في عصره مع مقارنة بالقديم حيث يقول:

" ويقع التنعيم اليوم بظاهر مكة على الطريق إلى المدينة كما قدمنا، ويمتد الطريق بعد التنعيم إلى وادي فاطمة مارًّا بسرف حيث بنى رسول الله γ بميمونة بعد عمرة القضاء. وتذهب أنباء السلف إلى أن قرية تدعي يأجج كانت قائمة عند التنعيم، كما أن سرف كانت قرية كذلك، فأما اليوم فليس عند التنعيم غير العلمين، علمي الحرم، وليس عند سرِف شيء يدل عليها غير مسجد ميمونة، وأنت تسير من مكة إلى وادي فاطمة فلا تكاد ترى مظهراً لحياة فيما قبل هذا الوادي، بل تحيط بك الجبال والأودية منساباً بينها الدرب

---

(1) في منزل الوحي، ص/ 248.

(2) نفس المرجع، ص/ 249.

(3) نفس المرجع، ص/ 264-265.

الذي تسير فيه القوافل صوب المدينة. وهذه القوافل تكثر أيام الحج كثرة تجعلك تلقاها كلما خرجت إلى هذا الطريق. " (1)

وتحدث عن موقع الجعرانة حيث يقول :

" وتقع الجِعرانة إلى الشمال الشرقي من مكة، على حين تقوم الحديبية إلى الغرب المنحرف شمالاً منها. ويقع طريق التنعيم وسَرِف ووادي فاطمة وما وراء ذلك فيما بين الحديبية والجعرانة. والذاهب الجعرانة ينحرف عن طريق السيارة إلى الطائف مغرباً إلى الشمال بعد أن يبلغ من طريق الطائف منتصف ما بين حراء والشرائع. ولا يشير كثيرون إلى الجعرانة على أنها من أعلام الحرم، لأنها لا تقع على طريق متصل بما وراء الحجاز من بلاد يقام لأهلها ميقات الحِلّ كي يحرموا عنده حين مجيئهم إلى مكة معتمرين. " (2)

وهذا هو حسين هيكل الذي تحدث عن موقعة بادية الطائف وبساتينها حيث يقول :

" وبادية الطائف فسيحة مترامية الأطراف تجعل من الطائف قطراً كاملاً ومملكة لو أنها عُمرت لكانت كبعض الممالك الصغرى بأوربا"

ثم استمر الكلام وقال:

" وأقرب بادية الطائف إليها بستانان يضيفهما بعضهم إليها لأنهما يقعان حيث كانت تقع الطائف على عهد الرسول γ ، ولأن موقعهما يختلف في طبيعته عن البادية، فبادية الطائف تقتضيك لكي تبلغها تسنم هضاب وتسلق جبال وجوب أودية ليست في شيء من طبيعة الطائف ولا من موقعها في سهلها المترامي الأطراف بين الجبال المحيطة به، وهذان البستانان يقعان في هذا السهل كما تقع في قروة وشبرة ونجمة وسائر ضواحي الطائف. وهذا ما يؤيد رواية الرواة أن الطائف القديمة كانت تقع حول هذين البستانين. فالمشهور أن مسجد ابن عباس كان يقع على بعد من أسفل المدينة القديمة من الجهة الشمالية، أما اليوم فهو يقع في أعلى المدينة من الجهة المذكورة، وهذان البستانان يقعان جنوب الطائف الحالية. " (3)

(**1**) في منزل الوحي، ص/ 269.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 276.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 329.

وكان المازني ما ذكر شيئاً من جغرافية أو حدود وموقع الحجاز في رحلته إلا قليل حينما يتحدث عن طرق إلى مكة ، وذلك لأن رحلته هي أشبه إلى مذكرة يومية التي مليئة بذكرياته في مدن الحجاز ، وأود أن أعرض هنا ما قاله في طرقات إلى مكة ، فهو يقول :

" والطريق إلى مكة طريقان واحد للسيارات وهو حسن ومكبوس بما نسميه " وابور الزلط " وقد رأينا " الوابور" يستريح عند سفح الجبل، والآخر للجمال والمشاة، على يميننا ويسارنا" (1)

ويستمر في ذكرياته حتى يذكر طريق مكة مرة أخرى ، حيث يقول:

" والطريق إلى مكة واد غير ذي زرع، وعلى جانبيه جبال شتى الشكول متفاوتة العلو، ومناظرها توقع في الروع أنها غاصة بالمعادن المختلفة، ولست أعلم أن أحدا درس طبيعتها وفي الطريق محطات أو استراحات، يجد فيها المسافر القهوة والشاي، ويستطيع أن يبيت فيها إذا أدركه الليل أو التعب أو كلت مطيته... "(2)

---

(1) رحلة إلى الحجاز للمازني، ص/ 70.

(2) نفس المرجع، ص/ 75.

ثانياً الجانب الاقتصادي في رحالات الحجازية

تقديم البلاد اقتصادياً يقتصر على بعض الأمور منها الزراعة والتجارة والثروة الحيوانية والصناعية ، فلما نمعن النظر إلى مناطق الحجاز فنجد بعض أراضيها قفرة لا تنبت ولا تزرع كمكة المكرمة، وبعض المناطق مشهورة بخصوبتها كالطائف والمدينة المنورة.

وكذلك وُجدتْ الأراضي الزراعية في الأراضي القريبة من مكة المكرمة وما حولها من القرى والأودية مثل وادي نخلة والبرابر [1] وبطن مر [2] وأدم [3] وعين سليمان التي تنسب لسليمان بن علي بن عبدالله بن موسى وقد اشتراها الشريف الحسن بن ثابت وهي قريبة من جدة.[4]

الصناعة في الحجاز

نجد بعض الإشارات في كتب الرحالة التي تشير إلى وجود صناعات رائجة ومعروفة ، كصناعة الحلي والمجوهرات، ومصانع لمصنوعات الفضية لاستخدامها في الحرمين الشريفين للزينة. والمعادن المجهولة في أراضي الحجاز.

أشار ابن بطوطة في رحلته إلى بعض المصانع في الحجاز حيث قال:

" ثم وصلت إلى جدة، وهي بلدة قديمة على ساحل البحر يقال: انها من عمارة الفرس، وبخارجها مصانع قديمة" [5]

وأشار شكيب أرسلان إلى مصانع الحلي في مكة المكرمة حيث قال:

" وكانت فيها صناعة الحلي بالغة درجة الاتقان، ولا يزال صاغة مكة، وصنعاء اليمن، وعنيزة نجد، إلى يومنا هذا مشهورين بإتقان الصنعة" [6]

وتحدث شكيب أرسلان عن اقتصاد الحجاز والمصانع فيها والمعادن المستورة في جزيرة العرب وبخاصة في حرات مكة المكرمة ، وألح بقيام شركات إسلامية

---

(1) مستفاد الرحلة ، ص/ 223.

(2) رحلة ابن بطوطة، ص/ 132.

(3) أدم من أشهر أودية مكة المكرمة، (معجم البلدان، ج/1، ص/ 125)

(4) الرحلات المغربية والأندلسية، ص/ 241.

(5) رحلة ابن بطوطة، ص/ 113.

(6) الرحلة الحجازية ، ص/ 222.

لاستخراج معادن الحجاز ، وقد عين أماكن معدن الذهب في جزيرة العرب، حيث قال :

" فأما الأقاليم التي فيها معادن الذهب من جزيرة العرب فمنها الأقاليم الغربية والذهب يوجد فيها بإسناد الجبال الواقفة بين الداخل والساحل أي إسناد الجبال المتدلية إلى التهائم. وكذلك توجد معادن ذهب في أواسط الجزيرة في الأماكن المجهولة الضاربة إلى الجنوب والشرق. وهذه الجوانب الجبلية متكونة من حجر الغرانيت مع كثير من الرخام السماقي، وهذه الحرات التي في الجنوب والتي تمتد إلى مكة وإلى غربيها لا شك أنها تولدت تحت تأثير التحولات الجيولوجية التي أدت إلى هذه القفار المحرقة وهذه اليبوسة في الجزيرة." (1)

وقد ذكر بالترتيب أماكن الغرانيت والمعدن الذهب حيث قال:

" أولا في الشمال الغربي من الجزيرة بأرض مدين القديمة ، ثانياً في أرض الحجاز الضاربة إلى الجنوب "(2)

وأشار إلى معادن الحجاز في عهد النبي γ حيث قال :

وكانوا في زمن النبي γ يستخرجون منها بمجرد رفع الحجارة ومما لا شك فيه أن الاستخراج منها وقع بعد المسيح بستمائة سنة . ومن معادن الحجاز معدن " بحران "(3) على الطريق السلطان من مكة إلى المدينة ، وأعظم معدن في جزيرة العرب معدن جبل فاران (4) الذي كان لبني سليم وكان في ذهب وحديد" (5)

ونجد جميع هذه العوامل المذكورة في كتب الرحلة الحجازية ، وقد تحدثوا عن الزراعة والصناعة وبخاصة التجارة حيث أنهم اهتموا بأسواق العرب كعكاظ والمجنة وذو المجنة . وفي هذه الصفحات أود أن أعرض بعض النماذج من كتب الرحالات الحجازية لكي تظهر لنا حالة الحجاز الاقتصادية.

(**1**) نفس المرجع، ص/ 223.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 223.

(**3**) بحران : بحران بالضم موضع بناحية الفرع، قال ابن اسحاق هو معدن بالحجاز في ناحية الفرع وذلك المعدن للحجاج بن علاط البهزي، (معجم البلدان ، ص/) .

(**4**) فاران من أسماء مكة المكرمة، وقيل هو اسم لجبال مكة. (الرحلة الحجازية لشكيب، ص/ 226)

(**5**) الرحلة الحجازية، ص/ 226.

الزراعة في الحجاز

أشار الأصطخري في المسالك والممالك إلى كثرة حدائق النخيل والزراعة والمياه في المدينة المنورة حيث قال:

"وأما المدينة فهي أقل من نصف مكة، وهي في حرة سبخة الأرض، ولها نخيل كثيرة، ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار " (1)

وقد تحدث ابن جبير عن الزراعة ومنتجاتها في الحجاز تحت عنوان " ذكر ما خص الله تعالى به مكة من الخيرات والبركات " حيث يقول :

" هذه البلدة المباركة سبقت لها ولأهلها الدعوة الخليلية الإبراهيمية، وذلك أن الله β يقول حاكياً عن خليله، γ: ([illegible]) (2)، وقال β: ([illegible]) (3). فبرهان ذلك فيها ظاهر متصل يوم القيامة، وذلك أن أفئدة الناس تهوي إليها من الأصقاع النائية والأقطار الشاحطة. فالطريق إليها ملتقى الصادر والوارد ممن بلغته الدعوة المباركة. والثمرات تجبى إليها من مكان، فهي أكثر البلاد نعماً وفواكه ومنافع ومرافق ومتاجر." (4)

---

(1) المسالك والممالك للأصطخري، ص/ 10.

(2) سورة إبراهيم رقم الآية/37

(3) سورة القصص، رقم الآية/ 57

(4) رحلة ابن جبير، ص/ 96.

وتحدث ابن جبير عن أسباب ازدهار الزراعة في الأودية المحيطة في الحجاز ، وعن وجود جالية مغربية قامت باستصلاح الأراضي حيث قال:

" قد جلب الله إليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيه بساتين ومزارع، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات، وذلك بفضل الله، عز وجل، وكريم اعتنائه بحرمه الكريم، وبلده الأمين." (1)

وتميزت الحجاز ببعض الغلات الزراعية كالتمر والرمان والعناب والتين والبطيخ والباذنجان وغيرها حيث يقول ابن جبير عن تلك الغّلات الزراعية :

" وأما الأرزاق والفواكه وسائر الطيبات فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه: كالتين، والعنب، والرمان، والخيار، جميع البقول كالباذنجان، واليقطين، والسلجم، والجزر، والكرنب، سائرها، غير ذلك من الرياحين العبقة والمشمومات العطرة. وأكثر هذه البقول كالباذنجان والقثاء والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طول العام، وذلك من عجيب ما شاهدناه مما يطول تعداده وذكره. ولكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق يفضل بها نوعها الموجود في سائر البلاد، فالعجب من ذلك يطول." (2)

وقد تعجب وتحير بطعم الفواكه ورائحتها حيث يقول :

" ومن أعجب ما اختبرناه من فواكهها البطيخ والسفرجل، وكل فواكهها عجب، لكن للبطيخ فيها خاصة من الفضل عجيبة، وذلك لأن رائحته من أعطر الروائح وأطيبها " (3)

وحدد ابن جبير المزارع والأراضي التي تأخذ منها الفواكه والخضروات حيث يقول :

" وهذه الفواكه تجلب إليها من الطائف، وهي على مسيرة ثلاثة أيام منها، على الرفق والتؤدة، ومن قرى حولها. وأقرب هذه المواضع يعرف بأدم، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلاً، وهو من بطن الطائف، ويحتوي على

---

(1) نفس المرجع، ص/ 68.

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 97.

(3) نفس المرجع، ص/ 97.

قرى كثيرة، ومن بطن مر، وهو على مسيرة يوم أو أقل؛ ومن نخلة، وهي على مثل هذه المسافة؛ ومن أودية بقرب من البلد كعين سليمان وسواها، قد جلب الله إليها من المغاربة ذوي البصارة بالفلاحة والزراعة فأحدثوا فيه بساتين ومزارع، فكانوا أحد الأسباب في خصب هذه الجهات، وذلك بفضل الله، عز وجل، وكريم اعتنائه بحرمه الكريم، وبلده الأمين." (1)

و أشار ابن إلى بساتين ومزارع منتشرة في مكة المكرمة وأنحائها حيث يقول :

" ثم تسير منها بمقدار ميل وتلقى الزاهر، وهو مبتنى على جانبي الطريق، يحتوي على دار وبساتين، والجميع ملك أحد المكيين" (2)

" وبجهة المسفل، وهو آخر البلد، مسجد منسوب لأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، يحف به بستان حسن فيه النخل والرمان وشجر العناب، وعاينا فيه شجر الحناء." (3)

وقال عن بطن مر :

"بطن مر، وهو واد خصيب كثير النخل ذو عين فوارة سيالة الماء تسقى منها أرض تلك الناحية. وعلى هذا الوادي قطر متسع وقرى كثيرة وعيون، ومنه تجلب الفواكه مكة" (4)

وأما العبدري فأشار إلى مناطق زراعية وخصبة في ينبع وأنحائها حيث قال:

" ومن ينبع إلى الدهناء مسيرة نصف يوم، وهي من عمل ينبع ، وبها ماءٌ معين ونخل كثير وأرضها سبخة، وماؤها طيب. "(5)

وأشار شكيب أرسلان إلى حجم العنب مع الحلاوة في الطائف حيث قال:

"... وأكثرهم كروم عنب، ومما لا ينبغي أن ينسى أن عنب " لقيم "(1) هو رأس عن الطائف في اللذة والحلاوة، وأن عنب وادي محرم أي قرن المنازل هو رأس عنب الطائف في كبر الحجم مع الحلاوة" (2)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 99.

(2) رحلة ابن جبير، ص/ 88.

(3) نفس المرجع، ص/ 93

(4) نفس المرجع، ص/ 161.

(5) رحلة المغربية، ص/ 346.

وأما محمد حسين هيكل تحدث بساتين وأشجار الفاكهة والأزهار الجميلة في الطائف وما حولها حيث قال عن الطائف وما حولها :

" ... إذ دخلت قصرها واخترقت بساتينها كأنما انتقلت من بلاد العرب كلها إلى جزيرة الروضة بالقاهرة أو إلى بعض الجوانب النضرة من سويسرا، هذا مع أني كنت قد مررت قبل ذلك ببساتين عدة في بادية الطائف، وكنت قد نسيت الجدب والإمحال المحيطين بمكة واللذين ينتشران في تهامة إلا في قليل من أوديتها. " (3)

وقد تحدث عن شبرة حيث قال:

" وشبرة ليس مع ذلك بالضاحية القديمة، فقصورها وبساتينها من بناء آل عون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن العشرين.... وغرست حول القصرين بساتين فخمة بقصر دونها الطرف، بها من أشجار الفاكهة النادرة والأزهار البالغة في البهجة ما جلبه بناة القصرين من مختلف بلاد الأرض"(4) .

وتحدث عن تلك البساتين والأشجار في مكان آخر حيث يقول :

" وهذه البساتين ، على ما فيها من أشجار ثمينة نادرة، لم يعنَ أحد بتنسيقها أو بتنظيم الطريق خلالها لتيسير المرور بها والوقوف عند محاسنها والمتاع بعطر زهرها وأريج فاكهتها، هي أدنى إلى أن تكون غابة مستوحشة ألقت المصادفة إليها بهذه الأشجار فمنتها تربتها الخصبة في نضرة وبهاء دون أن تجمع بين المتشابه منها أو تُعنى باتساق ألوان الزهر فيما يجتمع من أشجاره. يشير لك البستاني إلى شجرة من الورد ويصف لك بهاء لون زهرها ، ثم يذكر لك أن شجرة مثلها تقع في ناحية من البستان نائية أو قريبة، وأن شجرة من فصيلتها

---

(1) لقيم : قرية في الطائف ، وهي قرية لطيفة فسيحة الأرجاء لا يظنها من رآها قرية واحدة وذلك لتفرق بيوتها ما وتراخي ما بين حاراتها. (الرحلة الحجازية ، ص/ 117) .

(2) الرحلة الحجازية، ص/ 117.

(3) في منزل الوحي، ص/ 320.

(4) نفس المرجع، ص/ 321

تقع في الطرف الآخر منه. وما سوى الورد والفاكهة مبعثر في هذه البساتين كالورد سواء" (1)

ولما زار المازني وادي فاطمة(2) فتحدث عن أراضيها حيث قال:

" فيه نخيل وأعناب ، وفيه نخيل وأعناب ، وفيه موز وباذنجان، وطماطم وليمون، وملوخية وبامية، وأحسب هذا كل ما فيه أو أكثره وله عين يترقرق منها الماء ويجري في مجرى فسيق يستطيع المرء بأيسر مجهود أن يتخطاه من جانب إلى جانب ، وإذا وضع يده فيه أي في الماء ، لم تبتل إلى عقلة واحدة من أصبعه، وهم مع ذلك يباهون به ويعتزون" (3)

ثروة حيوانية في الحجاز

تمتعت بلاد الحجاز بوجود ثروة حيوانية بما فيها الضأن والماعز والبقر، والإبل والجمال ، فالضأن والماعز والأبقار تستخدم لأخذ الحليب واللحوم والجلود، والجمال تستخدم للمواصلات البشر والأمتعة. وتميزت جدة وينبع بوفرة الأسماك لأن موقعهما ذات موقع بحري متميز وكثير من الناس يشتغلون في حرفة صيد الأسماك.

وقد تحدث ابن جبير عن لحوم الحيوان في الحجاز حيث يقول:

" وأما لحوم ضأنها فهناك العجب العجيب، قد وقع القطع من كل من تطوف على الآفاق وضرب نواحي الأقطار أنها أطيب لحم يؤكل في الدنيا. وما ذاك، والله أعلم، إلا لبركة مراعيها، هذا على إفراط سمنه، ولو كان سواء من لحوم البلاد ينتهي ذلك المنتهى في السمن للفظته الأفواه زهماً ولعافته وتجنبته." (4)

وقال ابن جبير عن لذة ألبانها :

" وأنواع اللبن بها في نهاية من الطيب ، وكل ما يصنع منها من السمن، فإنه لا تكاد تميّزه من العسل طيباً ولذاذة" (5)

---

(1) نفس المرجع، ص/ 323.

(2) بقرب جدة ، (رحلة المازني، ص/ 141).

(3) رحلة إلى الحجاز، للمازني، ص/ 147.

(4) رحلة ابن جبير، ص/ 98.

(5) نفس المرجع، ص/ 98.

وقد ذكر العبدري عن لحوم الأسماك في الحجاز حيث يقول:

" وهنالك جزيرة في البحر منقطعة يسكنها بعض العرب، والحوت غالب عيشهم ، وإذا نزل الركب جلبوه إليهم" (1)

التجارة في الحجار

إن التجارة بمثابة الحرفة لأهالي الحجاز وكانوا يتاجرون داخل مكة وخارجها ولاسيما قوافل التجارية التي كانت ترحل لغرض التجارة إلى مناطق مجاورة. وقد اهتم القريش اهتماما بالغا بالتجارة لأنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام. وقد ورد في القرآن الكريم عن تلك الرحلتين حيث يقول الله β : (“ॐ③🖬■🕛✁☞ 🔔➔❷◆③🖎🕐🖒 ⇗⇘⇖ 🕑🕙♦🕐▦♋♑♈☠⬀ ❻⊘❍⇳✁♦🕯♦ ✁🕲⊕♏♋🖑♦🖎✎⬈♋ ❐◆✁🖎🕲🕐❍⓿⬂✁☞ ⇖✂⇖ (2))، ويقول السعدي في تفسير هذه السورة : " وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب" (3)

والحجاز هيئ فرص للتجار والحجاج، فنجد عدد من الفنادق بكثرة في مدينة جدة ويظهر أنها أُعدت للتجار الذين جاؤوا إليها لأجل التجارة.

ومن المراكز التجارية في الحجاز ، مدينة جدة، ومدينة ينبع والحوراء والدهناء وتبوك والمدينة المنورة ومكة المكرمة وغير ذلك من المدن التي اعتبرت كمدن تجارية .

أما الأسواق التجارية فهي كثيرة في الحجاز وتنوعت مبيعاتها وأوقاتها ففي مكة المكرمة يوجد سوق تجاري ما بين الصفا والمروة تباع فيه الأطعمة، وسوق العطارين وسوق البزازين(4) ، وسوق العبيد والجواري المعروف بسوق النخاسة

(**1**) رحلة المغربية، للعبدري، ص/ 344.

(**2**) سورة قريش رقم الآية/ 1-2

(**3**) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص/ 935.

(**4**) بائع الثياب والأقمشة، (لسان العرب، ج/5، ص/ 312.)

والأسواق الموسمية كأسواق الحج في عرفة وفي منى ، وبقرب الحرم وهذه الأسواق يستمر طوال موسم الحج.[1]

وأشار ابن جبير إلى أسواق التجارية في مكة المكرمة حيث قال:

" وما بين الصفا والمروة مسيل هو اليوم سوق حفيلة بجميع الفواكه وغيرها من الحبوب وسائر المبيعات الطعاميّة، والساعون لا يكادون يخلصون من كثرة الزحام، وحوانيت الباعة يميناً وشمالاً، وما للبلدة سوق منتظمة سواها إلا البزازين والعطارين، فهم عند باب بني شيبة تحت السوق المذكورة وبمقربة تكاد تتصل بها. " [2]

وأشار العبدري إلى سوق كبير في عرفة حيث قال:

" ويكون بعرفة سوق كبيرة يجلب إليها كل شيء ويكثر بها الطعام، يأتي به قوم من ناحية اليمن يقال لهم : " السرو " جُفاةٌ ، بداةٌ ، مفرطوا البداوة، عرب الألسنة، أدم الألوان، نحاف الأبدان، أكثرهم يجلب على ظهره، والعُري فيهم فاش إلا السُترة، ولهم ألفاظ حوشية. والدينار في لغتهم أربعة دراهم. " [3]

وقال العبدري عن سوق داخل المسجد الحرام عند باب بني شيبة حيث قال:

" وفي داخل المسجد الحرام عند باب بني شيبة سوقٌ كبيرةٌ بأنواع المبيعات، من أكثر الأسواق زِخاماً ولغطاً. " [4]

وأشار ابن بطوطة إلى سوق الدقاقين [5] حيث قال:

" ويتصل لباب الصفا ومن الناس من ينسب البابين من هذه الأربعة المنسوبة لأجياد إلى الدقاقين." [6]

(**1**) الرحلات المغربية والأندلسية إلى الحجاز، ص/ 245.

(**2**) رحلة ابن جبير، ص/ 85.

(**3**) رحلة العبدري، ص/ 389.

(**4**) نفس المرجع، ص/ 372.

(**5**) الدق : مصدر قولك دققت الدواء أدقه دقاً والدقاقة ما أندق من الشيء والدقاق فتات كل شيء دُق وأهل مكة يطلقون على توابل القدر دُقة (البهار) . ويحتمل أنه سوق للطحانين أو بائعي البهارات (لسان العرب، ج/1، ص/ 101.)

(**6**) رحلة ابن بطوطة ، ص/ 62.

وصاحب الرحلة الحجازية شكيب أرسلان تحدث بالتفصيل عن أسواق العرب وبخاصة سوق عكاظ وبين تاريخ أسواق العرب وما تباع فيها ، فها هو يقول عن سوق عكاظ:

" عكاظ وزان غراب سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل بمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن، وقال أبو عبيد: هي صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم، وهي بين نجد والطائف وكان يقام فيها السوق في ذي القعدة نحوا من نصف شهر ثم يأتون موضعاً دونه إلى مكة يقال له سوق مجنة فيقام فيه السوق إلى آخر الشهر، ثم يأتون موضعاً قريباً منه يقال له ذو المجاز فيقام في السوق إلى يوم التروية ثم يصدرون إلى منى... ويرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجون " (1)

وأشار المازني إلى السوق في الحجاز حيث قال:

" ثم ذهبنا إلى السوق ، وهو على المسعى، وقد كرهت أن أرى الدكاكين في بناء الحرم نفسه، وملنا إلى حارة ضيقة شبيهة بخان الخليلي في مصر، وفيها كل ما في الخان، والتجار فيها خليط من أهل مكة والهنود والفرس وغيرهم، وأكثر ما في السوق هندي أو فارسي، ودخلنا دكان هندي طويل له مساعدان، فزاغت أبصارنا وضلت عيوننا بين الطرف المعروضة وكان كل امرئ يتكلم ويطلب شيئاً ويسأل عن ثمنه والمساعدان يقدمان ما نطلب ويحيلان من يسأل عن الثمن إلى الهندي الطويل" (2)

والحجازيون يتاجرون داخل الحجاز وخارجها، فمن التجارة الداخلية تصدير السمك من المدن الساحلية إلى المدن البعيدة عن البحر كمكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف، وإيراد الفواكه والخضروات من القرى الخصبة كالطائف ووادي نخلة وأدم . وفي هذا يقول ابن جبير :

"وهذه الفواكه تجلب إليها من الطائف، وهي على مسيرة ثلاثة أيام منها، على الرفق والتؤدة، ومن قرى حولها. وأقرب هذه المواضع يعرف بأدم، هو من مكة على مسيرة يوم أو أزيد قليلاً، وهو من بطن الطائف، ويحتوي على

(**1**) الرحلة الحجازية ، ص/ 106 – 107.

(**2**) رحلة إلى الحجاز للمازني، ص/ 120.

قرى كثيرة، ومن بطن مر، وهو على مسيرة يوم أو أقل؛ ومن نخلة، وهي على مثل هذه المسافة؛ ومن أودية بقرب من البلد كعين سليمان وسواها" (1)

وقال عن بطن مر :

" وعلى هذا الوادي قطر متسع وقرى كثيرة وعيون، ومنه تجلب الفواكه مكة " (2)

وقال ابن بطوطة عن جلب الفواكه إلى مكة :

" فكل طرفة تجلب إليها، وثمرات كل شيء تجبى لها. ولقد أكلت بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظير له في الدنيا، وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواه طيباً وحلاوة، واللحوم بها سمان لذيذات الطعوم. وكل ما يفترق في البلاد من السلع، فيها اجتماعه. وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن مر، لطفاً من الله بسكان حرمه الأمين ومجاوري بيته العتيق." (3)

ومن المستوردات من الهند المسك والكافور والعنبر والعقاقير الهندية ومن اليمن الزبيب الأسود والأحمر واللوز وقصب السكر والعسل والحنطة واللوبيا وغيرها ، ونجد ابن جبير يقول فيه :

"ولو لم يكن لها من المتاجر إلا أو أن الموسم ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب، فيباع فيها في يوم واحد، فضلاً عما يتبعه، من الذخائر النفيسة كالجواهر، والياقوت، وسائر الأحجار، ومن أنواع الطيب: كالمسك، والكافور، والعنبر والعود؛ والعقاقير الهندية، غير ذلك من جلب الهند والحبشة، إلى الأمتعة العراقية واليمانية، غير ذلك من السلع الخراسانية، والبضائع المغربية، مالا ينحصر ولا ينضبط، ما لو فرق على البلاد كلها لأقام لها الأسواق النافقة ولعم جميعها بالمنفعة التجارية، كل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم، حاشا ما يطرأ بها مع طول الأيام من اليمن وسواها فما على الأرض سلعة من السلع ولا ذخيرة إلا

(**1**) رحلة ابن جبير، ص/ 99.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 161.

(**3**) رحلة ابن بطوطة ، ص/ 59.

وهي موجودة فيها مدة الموسم. فهذه بركة لا خفاء بها وآية من آياتها التي خصها الله بها." (1)

وقال ابن جبير في مكان آخر :

"على ما أخبرني به فقيه من أهل اليمن يعرف بابن أبي الصيف، فاشتق الناس لهم هذا الاسم المذكور من اسم بلادهم، وهم قبائل شتى كبجيلة وسواها، يستعدون للوصول هذه البلدة المباركة قبل حلولها بعشرة أيام، فيجتمعون بين النية في العمرة وميرة البلد بضروب من الأطعمة كالحنطة وسائر الحبوب اللوبياء إلى ما دونها، ويجلبون السمن والعسل والزبيب واللوز. فتجمع ميرتهم بين الطعام والإدام والفاكهة" (2)

وأما النقود المستخدمة في الحجاز في الأزمنة المختلفة فيظهر من كلام ابن جبير أن النقود المستخدمة في الحجاز كانت هي الدينار والدراهم حيث يقول:

"ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المِتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراق ويبايعونهم به ويشارونهم."(3)

وأشار المازني في رحلته إلى معادلة النقود الحجازية والمصرية حيث قال:

" أن الجنية المصرية يساوي عشرة ريالات حجازية، والريال عشرة قروش ونصفه خمسة وهكذا " (4)

والفرق بين التجارة القديمة والحديثة في الحجاز فنجد محمد حسين هيكل أنه فرق بين التجارة القديمة والحديثة في مكة المكرمة حيث قال:

" ولا تختلف مكة الحديثة في استيراد تجارتها من الخارج عن مكة القديمة العربية الصميمة. وقد كانت مكانة مكة التجارية قبيل الإسلام وفي عهده الأول

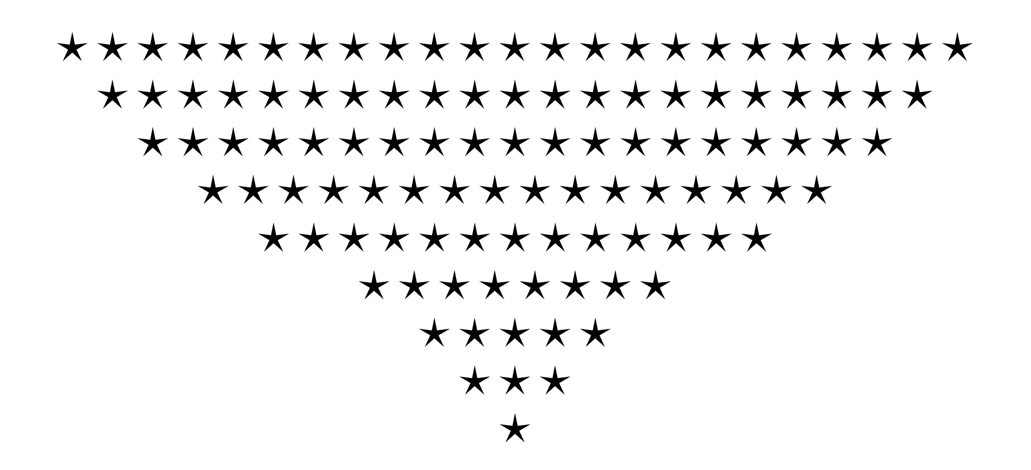
(**1**) رحلة ابن جبير ، ص/ 98.

(**2**) نفس المرجع، ص/ 110.

(**3**) نفس المرجع، ص/ 111

(**4**) نفس المرجع، ص/ 120.

عدلَ مكانتها الدينية ، وكانت ملتقى تجارة الغرب والشرق، وإنما الفرق بين يوم مكة وأمسها أنها كانت أمس طريق التجارة، فكان أهلها يذهبون في رحلة الشتاء إلى اليمن يجيئون منها ببضاعة الجنوب ليتجروا بها في الشمال، وبتجارة الشرق ينقلونها في رحلة الصيف إلى الغرب وإلى الشام يصرفون فيها ما جاءوا به من اليمن ويجيئون بألوان أخرى من التجارة مكانه، أما اليوم فالتجارة تجيء إلى مكة وتوزَّع على الحجاج في أسواقها من غير أن يكون لمكة في ذلك أي نشاط إيجابي، بل تنقل البواخر التجارة من أقصى الأرض من اليابان أو أوربا إلى جدة، وتنقلها السيارات من جدة إلى مكة ليتولى أهل مكة بيعها للذين فرضوا حجّ بيت الله الحرام بربح هو مصدر حياة أهلها إلى جانب ما يتبرّع به المحسنون للبلد الحرام من أرزاق. وقد أصبح الكثير من مواد التغذية نفسها، كالفاكهة والأطعمة المصنوعة من (بسكويت) وجبن وما إليها ، يرد إلى مكة من الخارج كما يرد غيره من البضائع. أما المواد الطازجة فترد من وادي فاطمة ومن الطائف." [1]



(1) في منزل الوحي ، ص/137-138.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

بفضل من الله سبحانه وتعالى قد أكملت هذا البحث بعد جهد مبذول، وحان الوقت أن أعرض نتائج البحث التي وصلت إليها خلال دراستي في هذا البحث ومن تلك النتائج :

1. اهتمام غير العرب بالرحلات إلى الحجاز منذ القرن الرابع الهجري.
2. كان خروج الرحالة أساساً للحج والزيارة وطلب العلم فلمعت أسماؤهم وذاع صيتهم بما نالوه من علم هناك.
3. كثير من الرحالين دونوا رحلاتهم الحجازية ولكن مع الأسف ضيعت لأسباب متعددة.
4. كثير من الجغرافيين دونوا رحلاتهم الحجازية أثناء العصر العباسي الأول والثاني.
5. إن الرحلات الحجازية من أهم الرحلات التي دونت في أزمنة مختلفة بحيث تتمتع القارئ وتتشوّق بالذهاب إلى الحجاز لرؤية تلك البلاد المقدسة .
6. تعتبر الرحلات الحجازية من أهم الكتب التي أشارت إلى الجانب العلمي، فقد كشف الرحالون عن أهم المراكز العلمية والمدارس التي تلقوا فيها العلم.
7. إن بعض الرحالين كتبوا رحلاتهم بمنهج علمي أدبي سليم وبعض الرحالين كتبوا رحلاتهم بأسلوب غير أدبي وبلغة محلية.
8. بعض الرحالين كتبوا مذكرات يومية ثم حولوها إلى الرحلات بأسلوب أدبي رفيع ، فتلك الرحلات مصدقة ومفصلة وذو قيمة رفيعة، وهناك الرحالين الذين كتبوا رحلاتهم بعد رجوعهم إلى بلدانهم من ذاكراتهم ومشاهداتهم، فتلك الرحلات أقل قيمة، وهؤلاء الرحالين اعتمدوا على الرحلات المسبوقة .

9. لقد استفاد بعض الرحالين من مصادر التاريخ المسبوقة قبلهم كالأزرقي والفاكهي وخاصة المصادر التي تتعلق بوصف الكعبة والمسجد الحرام والمشاعر المقدسة.
10. إن بعض رحالي الحجاز اهتموا بفقه الحج ومسائله ضمن ذكريات اليومية لسفرهم. كما أن بعضهم اهتموا اهتماماً كبيراً بالناحية الإدارية في الحجاز.
11. إن معظم رحالي الحجاز في زمن مبكر تحدثوا عن المدن الثلاثة ، مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة ينبع ، وقليل منهم زاروا الطائف وتحدثوا عنها. أما رحالي الحجاز في القرون الأخيرة زاروا أكثر المدن الحجاز كالطائف وجدة وينبع ضمن زيارتهم إلى مكة والمدينة.
12. اهتمام الرحالة على تقصي أحوال مكة المكرمة من جميع جهاتها و المدينة المنورة وباقي مدن وقرى الحجاز وهذا عائدٌ إلى طول مكثهم بها.
13. بعض من الرحالة إلى الحجاز تحدثوا عن جغرافية الحجاز وأكثرهم الجغرافيون ، وبعض من الرحالة اهتموا من ناحية المجتمع منهم الرحالة الذين مكثوا في الحجاز أكثر من أربعة أشهر.
14. أظهرت من الدراسة أن رحلة ابن جبير من أدق الرحلات الحجازية حيث سجل فيها معلومات عن : الموقع والجبال والمناخ والآبار الأبواب والأحوال الاقتصادية والاجتماعية وعادات السكان والاحتفالات وغيرها.
15. اهتمام خلفاء المسلمين بأمر الحرمين الشريفين اهتماما كبيراً وتظهر في ما قاموا من أعمال عمرانية التي تدل على حبهم للإسلام واهتمامهم بقبلة المسلمين فكانوا حريصين في توسعة الحرمين الشريفين.
16. معرفة أهل الحجاز لأساليب المعاملات التجارية بمختلف أنواعها من بيع وشراء ورهن واستدانة ومقايضة.

التوصيات والاقتراحات

وأخيراً أقدم بعض الاقتراحات حول أدب الرحلات ولمحبي الأدب العربي.

1. أرجو من مسئولي إعداد المناهج في الجامعات أو الأقسام اللغة العربية أن تؤخذ المقتطفات من هذه الرحلات، فبعضها تحمل قيماً فكرية ، وخصائص فنية ، وبعضها أسلوباً قصصياً وروائياً. وتستحق هذه الرحلات أن نأخذها كمادة أدبية لطلاب الماجستير والدكتوراه.
2. كما أني أصرّ على ترجمة بعض الرحلات القديمة التي قاموا بها إلى الحجاز أو الجزيرة العربية لأجل معرفة حقيقة تلك البلدان الإسلامية في زمن قديم.
3. وأدعو دارسي الأدب العربي إلى أن يهتموا بأدب الرحلة ، وأن يصنفوا عن أدب الرحلة ليتميز عن كتب التراجم والمسالك والتاريخ والجغرافيا.
4. الحاجة إلى انعقاد المؤتمرات حول أدب الرحلات.
5. تحتاج المكتبة العربية إلى دراسات تطبيقية حول الرحلات القديمة والحديثة.
6. مجال مفتوح لكتابة المقالات والكتب حول أدب الرحلات.
7. مجال مفتوح لطلاب القسم الدراسات الإسلامية أن يدارسوا الرحلات لطلب الحديث .
8. أثناء كتابة هذا البحث وجدت مواضع كثيرة التي تستحق البحث والتحقيق والمجال مفتوح لكل دارس وباحث أن يبذل جهوده في الموضوعات التالية :

أ- دراسة تحقيقية حول رحلة شكيب أرسلان " الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف" .

ب- دراسة حول رحلة ابن بطوطة لدول شبه القارة الهندية .

ج- دراسة حول رحلات بيت المقدس.

د- دراسة حول رحلات العراق وإيران لأن أهل التشيع يسافرون كثيراً وهناك عدد كبير من الرحلات العراقية.

هـ- دراسة تحقيقية حول الرحالة غير العرب وخاصة المستشرقين.

و- دراسة حول رحالة محمد الناصر العبودي أطال الله عمره.

ز- دراسة حول رحالة العرب الذين زاروا باكستان.

ح- دراسة حول رحالة شبه القارة الهندية إلى الحجاز أو الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية.

وفي الأخير أتمنى من الله χ أن أكون قد وفقت في معظم جوانب هذا الموضوع والكمال لله وحده. وأرجو من الله β أن يثيب كل من ساهم ومد يد العون والمساعدة في إكمال هذا البحث وخاصة الدكتور كفايت الله همداني المشرف على هذه الرسالة أطال الله عمره. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

حافظ محمد بادشاه

فهرس الآيات الواردة في البحث

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
1.	[illegible]	الفاتحة	2-1	376
2.	[illegible]	البقرة	30	299
3.	[illegible]	البقرة	38	17
4.	[illegible]	البقرة	125	105، 636،
5.	[illegible]	البقرة	127	96، 98، 222
6.	[illegible]	البقرة	144	131
7.	إنَّا لِلّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون	البقرة	156	214
8.	[illegible]	البقرة	164	21
9.	[illegible]	البقرة	198	108
10.	[illegible]	البقرة	286	190
11.	[illegible]	آل عمران	96	94، 97 ، 98، 101
12.	[illegible]	آل عمران	97	13، 101
13.	[illegible]	النساء	97	114

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
	[illegible]			
.14	[illegible]	النساء	100	12
.15	[illegible]	المائدة	97	97، 101
.16	[illegible]	الأنعام	11	21
.17	[illegible]	التوبة	40	107
.18	[illegible]	التوبة	100	119
.19	[illegible]	التوبة	108	129
.20	[illegible]	يوسف	106	296
.21	[illegible]	يوسف	109	21
.22	[illegible]	إبراهيم	32	22
.23	[illegible]	ابراهيم	37	10، 137، 255، 320، 351
.24	[illegible]	النحل	61	49

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.25	[illegible]	النحل	112	95
.26	[illegible]	الإسراء	1	25
.27	[illegible]	الإسراء	66	13، 21
.28	[illegible]	الإسراء	70	22
.29	[illegible]	الكهف	60-82	12
.30	[illegible]	الكهف	93-98	154-155
.31	[illegible]	الأنبياء	30	310
.32	[illegible]	الحج	25	102، 104
.33	[illegible]	الحج	27	12
.34	[illegible]	الحج	27-28	23

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.35	[illegible]	النمل	19-16	305
.36	[illegible]	النمل	63	22
.37	[illegible]	النمل	91	94، 102
.38	[illegible]	القصص	57	255، 320
.39	[illegible]	القصص	68	101
.40	[illegible]	العنكبوت	65	296
.41	[illegible]	العنكبوت	67	102
.42	[illegible]	فاطر	12	22
.43	[illegible]	يس	41	22
.44	[illegible]	الشورى	7	94
.45	وإِنَّا إِلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُون	الزخرف	14	214

رقم المسلسل	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
.46	[illegible]	الزخرف	31	139، 309
.47	[illegible]	الفتح	1-2	
.48	[illegible]	الفتح	2	139
.49	[illegible]	الفتح	24	93
.50	[illegible]	الفتح	27	95، 102
.51	[illegible]	الملك	15	21
.52	[illegible]	البلد	1	94، 103
.53	[illegible]	التين	3	95، 103
.54	[illegible]	الحشر	9	114
.55	[illegible]	القريش	1-4	10 ، 18
.56	[illegible]	قريش	1-2	325
.57	[illegible]	الإخلاص	1	376

فهرس الأحاديث الواردة في البحث

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
1.	أن إبراهيم حرّم مكة ودعا لها	2، 120
2.	أول من أشفع له يوم القيامة	3 ، 141
3.	ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشاً	8
4.	مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	24
5.	من سلك طريقا يلتمس	24
6.	يحشر الناس يوم القيامة	24
7.	خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	25
8.	أن النبي كان إذا سافر أقرع بين نسائه	29
9.	لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْوَحْدَةِ مَا سَارَ	29
10.	إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه	30
11.	أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه	30
12.	قال زودك الله التقوى	30
13.	ما استخلف عبد في أهله من خليفة	30
14.	اللهم ! بارك لأمتي في بكورها قال وكان	31
15.	اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس	31

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
16.	إذا خرج أحدكم إلى سفر ثم قدم على أهله	32
17.	كان إذا استوى على بعيره	33
18.	كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة	33
19.	ما أتى محمد صلى الله عليه وسلم قرية يريد	34
20.	لأنها تبك أعناق الجبابرة	96
21.	أي يوم هذا ؟ قالوا يوم الحج الأكبر	104
22.	لا هجرة ولكن جهاد ونية	105
23.	لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة السلاح	105
24.	لمكة ما أطيبك من بلد وأحبك	105
25.	العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما	105
26.	قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة	105،117،135
27.	والله إنك لخير أرض الله وأحب	106
28.	عن أول مسجد في الأرض؟ فقال: [المسجد الحرام]	106
29.	مَا يَدْخُلُ مَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا	106
30.	إن الله تعالى سمي المدينة طابة	115
31.	إنها طيبة يعني المدينة	115
32.	يا طَيبَةُ يا سَيِّدَةَ البُلدانِ	116
33.	لمَدينَةِ عَشَرَةُ أسماءٍ، هِيَ: المَدينَةُ، وطَيبَةُ	116
34.	صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ	117
35.	خرجت مع رسول الله γمن المدينة	117
36.	المدينة حرم من كذا إلى كذا	118
37.	اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا	118
38.	إنها حرمٌ آمنٌ	118
39.	خرج إلى ناحية المدينة وخرجت معه	118
40.	اللهم انقل عنا الوباء ثلاثا	119
41.	اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت مكة	119
42.	والذي نفسي بيده إن تربتها	119
43.	كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ	119
44.	لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال	120
45.	على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون	120
46.	المدينة كالكير تنفي خبثها	120

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
47.	اللهم ارزقني شهادة في سبيلك	120
48.	من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها	120
49.	أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها	120
50.	اللهم اغفر للأنصار	121
51.	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	130
52.	اللهم لا خير إلا خير الآخرة	130
53.	من توضأ فأحسن الوضوء	132
54.	دعوها فإنها مأمورة	132
55.	بات رسول الله γ بذي الحليفة	133
56.	يركع بذي الحليفة ركعتين	133
57.	هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا	134
58.	أحد جبل يحبنا ونحبه	137
59.	أول من أشفع له يوم القيامة	141
60.	إن آخر وطأة	142
61.	اللهم إليك أشكو ضعف	142
62.	إني تارك فيكم ـ ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً	385
63.	أيها الناس، أفشوا السلام	385

فهرس الأبيات الواردة في البحث

رقم مسلسل	الشطر الأول من البيت	رقم الصفحة
1.	حتّى إذا كُنَّ محجوزاً بنافذةٍ	50
2.	وللحرم التحديدُ من أرضِ طيبةٍ	92
3.	وسبعة أميال، عراقٌ وطائفٌ	92
4.	ومن يمنٍ سبعٌ بتقديمِ سينه	92
5.	وصلاحٌ وكوثى والحرامُ وقادسٌ	96
6.	ومعطشةٌ أم القرى رحمٌ ناسَّةٌ	96
7.	سِبُوحَةٌ عرشٍ أمّ رُحْمٍ عريشُنا	96

رقم مسلسل	الشطر الأول من البيت	رقم الصفحة
8.	كذا اسمها البلدُ الحرامُ لأمنها	96
9.	وما كثرةُ الأسماءِ إلا لفضلِها	96
10.	وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ	99
11.	وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا	99
12.	وَخَرَجْنَا مِنْهُ نَؤُمُّ سُهَيْلا	99
13.	دعنى أجل ما بدت لي	176
14.	لا بد يقطع سيرى	176
15.	إن عيبا على المشارق أن أر	176
16.	وعجيب يضيع فيها غريب	177
17.	ويقاس الظما خلال أناس	177
18.	"يا ساكني دار الحبيب عليكم	204
19.	يهنيكم قرب الأحبة فارحموا	204
20.	كم ذا أعلل بالوصول إليكم	204
21.	يا أمُّ لا تجزعني مما يحيق بنا	244
22.	تمضي المقادير الحكم فينا عادلةً	244
23.	وكل ضائقةٍ تعرو إلى فرجِ	244
24.	ضلّ الذي يرتجي تأخير قسمته	244
25.	بلدٌ نحوهُ يحِنُّ الرسولُ	265
26.	بلدٌ إن رأهُ يوماً مشوقٌ	265
27.	ولكن لهُ في النفسِ موقِعُ فرحةٍ	266
28.	تُري صُوَرَ الأحبابِ مِرآةُ صفوِهِ	266
29.	سرت كل واد دون رهوة دافع	354
30.	سيكون الذي قضي	367
31.	وإذا أحب الله يوماً عبده	368
32.	عَدِمنا خَيلَنا إن لَم تَرَوها	368
33.	طابت نصيبين لي يوماً فطبت لها	368
34.	هاتيك روضته تفوح نسيماً	368
35.	هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه	368
36.	وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبةٍ	369
37.	كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	369
38.	بلى نحن كنا أهلها فأبادنا	369
39.	فلا يبكِ مكيٌّ لفقد حجونه	369
40.	إذا الشريبُ أخذتهُ أكّه	370
41.	ولله عيناً من رأى من تفرُّق	370

رقم مسلسل	الشطر الأول من البيت	رقم الصفحة
42.	لأحمد خير الخلق أهدي تحيتي	370
43.	مدحتُ رسول الله والمدحُ دونه	370
44.	ولو كان كالبحر المحيط مداده	370
45.	أجب دعوةَ الرحمان يا صاحِ تسعدِ	370
46.	ولُذْ بالمتابِ الآنَ وازدَد من التُّقى	370
47.	سلوا البارق النجدي من علمي نجد	371
48.	أجاد ربوعي باللوى بورك اللوى	371
49.	ويا زاجري الأظعان وهي ضوامر	371
50.	ولا تنشقوا الأنفاس منها مع الصبا	371
51.	يراها الهوى بري القداح وخطها	371
52.	أسرُ الخطايا عند بابك واقفُ	371
53.	يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها	371
54.	ومن ذا الذي يرجو سواكَ ويتقي	371
55.	فيا سيدي ! لا تُخزِني في صحيفتي	371
56.	وكنْ مونسي في ظُلمة القبر عند ما	371
57.	والبحر صعب المرأس جداً	372
58.	أليس ماء ، ونحن طين ؟	372
59.	أشوقا ولما يمض لي غير ليلة	372
60.	فكاه كالعصرين من دهره	372
61.	ذي معدة ثعلبها لاحس	372
62.	تعلوه حمى شره نافض	372
63.	جوعان يأكل من مالي ويمسكني	372
64.	كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا	373
65.	قل لمن يبكي على رسم درَسَ	373
66.	أخا سَفَر جواب أرض تقاذفت	373
67.	طلع البدر علينا	373 -221
68.	وجب الشكر علينا	373
69.	أيها المبعوث فينا	373
70.	يحملن كل شاحب محقوقف	374
71.	ينوى التي فضلها رب السماء	374
72.	حَتّـى إذا قابَلَـهـا اِستَعـبَـرَ لا	374
73.	ولها مربع ببرقة خاخ	374
74.	كفنوني إن مت في درع أروى	374
75.	سخنة في الشتاء باردة الصيف	374

رقم مسلسل	الشطر الأول من البيت	رقم الصفحة
.76	قوم إذا نزل الغريب بأرضهم	374
.77	لا ينكتون الأرض عند سؤالهم	374
.78	هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه	377
.79	وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبةٍ	377
.80	قوم إذا نزل الغريب بأرضهم	387
.81	لا ينكتون الأرض عند سؤالهم	387

المصادر والمراجع

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
.1	القرآن الكريم
	أ
.2	إبراهيم الكاتب، إبراهيم عبدالقادر المازني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2000 ، مصر.
.3	ابن بطوطة الرحل والرحالة، أسماء محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992.
.4	ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق دكتور حسين مؤنس، دار المعارف، مصر، 2003.
.5	إتحاف السادة المتقين بشرح أحياء علوم الدين، محمد بن محمد بن الحسيني الزبيدي، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2005.

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
6.	إتحاف الورى بأخبار أم القرى، النجم عمر بن فهد، تحقيق فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، 1983 .
7.	الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، مكتبة الخانجي ، القاهرة1983.
8.	أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، شمس الدين أبي عبد الله المقدسي، دار صادر ، بيروت، بدون تاريخ النشر.
9.	إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ، دار الغد العربي، القاهرة ، 1987.
10.	أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الإمام أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1994.
11.	أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي محقق عبدالملك بن عبدالله بن دهش، مكتبة الأسدي، 2004.
12.	أدب الرحلات، الدكتور حسين محمد فهيم ، عالم المعرفة، 1989.
13.	أدب الرحلة عند العرب، الدكتور حسني محمود حسين ، دار الأندلس ، بدون تاريخ النشر.
14.	أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، عبدالله بن أحمد بن حامد آل حمادي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى مكة المكرمة،1418.
15.	الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره، الدكتور سالم أحمد حمداني، والدكتور فائق مصطفى أحمد، جامعة موصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، 1987.
16.	ارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف، الأمير شكيب أرسلان، مطبعة المنار بمصر، 1350هـ .
17.	الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري المعروف بابن حجر، دار الكتب بالأزهر مصر، بدون تاريخ النشر.
18.	الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ، دار العلم للملايين، 2002.
19.	أمراء المدينة المنورة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم، السيد أحمد ياسين الخياري، مكتبة المدينة المنورة، 1962.
20.	الأنساب ، الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، مكتبة ابن

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
	تيمية، القاهرة، 1980.
.21	إهداء اللطائف من أخبار الطائف، حسن بن علي بن يحيى العجيمي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، بدون تاريخ النشر.
	ب
.22	البداية والنهاية ، ابن كثير الدمشقي، دار الفكر ، بيروت لبنان، 1418 هـ .
.23	بعثة إلى نجد، سانت جون فيلبي، ط/2، 1998م ، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية .
.24	بلاد الشام في رحلة ابن بطوطة دراسة نقدية ،رسالة ماجستير، محمد يوسف عمر عابد، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1986.
.25	بلاد ينبع ، حمد الجاسر، بدون الناشر و التاريخ.
.26	بنو معروف أهل العروبة والإسلام، شكيب أرسلان إعداد وتقديم سعيد المولى، دار العودة بيروت. بدون الناشر والتاريخ.
.27	بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار، عبدالله بن عبدالملك المرجاني، مخطوط بمكتبة الحرم المكي برقم 13 .
	ت
.28	تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، مكتبة الصباح، دمشق، بدون تاريخ النشر.
.29	تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ، خالد بن عيسى البلوي،، بدون تاريخ النشر.
.30	تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1979.
.31	تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي.جامعة الدول العربية، 1957.
.32	تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان ، دار المعارف ، القاهرة. بدون التاريخ.
.33	تاريخ الأدب العربي ، الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين، 2006 .
.34	تاريخ بغداد مدينة السلام، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان. بدون التاريخ.
.35	تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، حسين مؤنس، مكتبة مدبولي، 1998.
.36	تاريخ الدولة العثمانية ، علي بن محمد بن حمد الصلابي، دار المعارف ، القاهرة. بدون التاريخ.
.37	تاريخ سلاطين آل عثمان، القرماني، ، دار البصائر دمشق سوريا، 1985م.

المصادر والمراجع	رقم مسلسل
تاريخ الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بمصر، بدون التاريخ .	.38
تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، د. طه عبدالقادر عمارة، مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى مكة المكرمة، بدون التاريخ.	.39
التاريخ القديم للوطن العربي، محمد مصطفى فارس وزملائه، وزارة التعليم ليبيا، بدون التاريخ.	.40
تاريخ قضاة الأندلس ، ابن الحسن النباهي الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1995 .	.41
تاريخ المدينة المنورة (الأردية)، محمد عبدالمعبود، المكتبة الحبيب راولبندي. بدون التاريخ.	.42
تاريخ المدينة، الشيخ قطب الدين، تحقيق عبدالله عبدالعزيز إدريس، جامعة إدنبرة، 1985.	.43
التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام ، عبدالقدوس الأنصاري، نادي مكة الثقافي الأدبي مكة المكرمة.1995	.44
تاريخ مكة ، محمد عبدالله المعبود، المكتبة الحبيب راولبندي. بدون التاريخ.	.45
تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة المنورة والقبر الشريف، الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد، دار الكتب العلمية بيروت ، 1997.	.46
التاريخ والمؤرخون ، مصطفى شاكر، دار العلم للملايين ، مصر، بدون التاريخ.	.47
التاريخ والمؤرخون العرب ، عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1997.	.48
تاريخ اليعقوبي، أحمد بن موسى جعفر اليعقوبي، دار صادر، بيروت. بدون التاريخ.	.49
تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، الشيخ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي المعروف بالصباغ، مكتبة الأسدي، 2004.	.50
تحفة الطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف، ابن فهد الكي، مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، بدون التاريخ.	.51
تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، 1980.	.52
تخليص الإبريز في تلخيص باريز، رفاعة رافع الطهطاوي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1958.	.53
تذكار الحجاز ، الحاج عبدالعزيز صبري بك، المطبعة السلفية بمصر. بدون التاريخ.	.54
تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1970.	.55
تفسير الجلالين. جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد ، و جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار ابن كثير، بدون تاريخ النشر.	.56
تقويم البلدان، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء، دار صادر، بيروت. 1980.	.57

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
58.	تهذيب اللغة ، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق هارون وآخرون، القاهر، 1964.
59.	توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية، عبدالله بن حمد الحقيل، مكتبة العبيكان، السعودية، 1997.
60.	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2002.
	ج
61.	الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، مؤسسة الرسالة، 2006.
62.	الجامع شعب الإيمان، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة الرُشد للنشر والتوزيع ، الرياض. بدون التاريخ
63.	جامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، العلامة جمال الدين محمد جار الله ، بدون الناشر، 1979.
64.	جريدة الجامعة العربية، العدد 1098، القدس، 12 حزيران، 1923.
65.	جريدة الجزيرة السعودية، بتاريخ 2004/2/3 .
66.	جزيرة العربي في القرن العشرين ، حافظ وهبة، ط/3، 1375 هـ، دار الآفاق العربية ، قاهرة مصر.
67.	الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدون، ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، جامعة الملك سعود، 1989.
68.	الجغرافيا والرحلات عند العرب، نقولا زيادة، دار الكتاب اللبناني والنشر والتوزيع، 1992
69.	جغرافية شبه جزيرة العرب، عمر رضا كحالة، دمشق ، 1945.
70.	جغرافية الصناعة في مدينة جدة ، الرسالة العلمية ، عبدالحفيظ عبدالرحيم عبدالرحمن محبوب، جامعة ملك سعود، 1403.
71.	الجغرافية عند العرب، د. شاكر خصباك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1986.
72.	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم، لبنان، بيروت، 2002 .
	ح
73.	الحجاز في صدر الإسلام ، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية، الدكتور صالح أحمد العلي 1990م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
74.	حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة، محمد صديق حسن خان ، تحقيق الدكتور

المصادر والمراجع	رقم مسلسل
مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة ، بدون التاريخ.	
الحطة في ذكر الصحاح السنة ، صديق حسن القنوجي، دار الجيل، بيروت ، بدون التاريخ.	.75
الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، بدون التاريخ.	.76
حلية الزمن بمناقب خادم الوطن ، سيرة رفاعة رافع الطهطاوي ، مجدي صالح، القاهرة ، بدون التاريخ.	.77
الحياة الاجتماعية في الحجاز قبل الإسلام ، صلاح عباس حسن السوداني، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 2002.	.78
خ	
خصائص جزيرة العرب ، بكر بن عبدالله أبو زيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف. 1995 .	.79
خصائص المناخ في منطقة مكة المكرمة، دراسة تعليمية ، قدمت أمينة بنت عطا الله بن عبد ربه الرحيلي ، في جامعة أم القرى مكة المكرمة عام 2005.	.80
خواطر حول الوهابية ، محمد إسماعيل المقدم، دار التوحيد الإسكندرية ، مصر 2008.	.81
خيوط العنكبوت، إبراهيم عبدالقادر المازني، سنة 1935 .	.82
د	
دائرة المعارف، معلم بطرس البستاني، دارة المعرفة، بيروت، 1882م.	.83
دراسات في تاريخ العرب القديم قبل الإسلام، سيد عبدالعزيز سالم، عبدالحميد حسين حموده ، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، 2008.	.84
دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية ، عمر الفاروق سيد، دار الشروق .	.85
الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، محب الدين بن النجار، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، بدون التاريخ	.86
دليل مساجد المدينة، إعداد إدارة الأوقاف في المدينة، 1399هـ .	.87
دور الفكر التربوي للشوكاني ورفاعة الطهطاوي للتأسيس للنهضة والتطوير خلال القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه ، عبدالكريم عبدالرحمن علي ، الجامعة الأردنية، 2005.	.88
الدولة العربية الإسلامية وحضارتها، الدكتور محمد عبدالفتاح وزملائه، وزارة التربية والتعليم، جمهورية مصر العربية، 2003.	.89
ديوان امرئ القيس، تحقيق مصطفى عبدالشافي، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2004.	.90
ديوان شكيب أرسلان، مطبعة المنار، القاهرة، 1935 م .	.91
ديوان المازني، إبراهيم عبدالقادر المازني، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1980 .	.92

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
	ذ
.93	ذكريات طيبة بحث حول أسرار الحج والزيارة، هاشم محمد سعيد دفتر، مكتبة الفقية، 1370هـ.
.94	الذيل و التكملة لكتابي الموصل و الصلة ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد ا ابن عبد الملك المراكشي، دار الكتب العلمية، بدون التاريخ.
	ر
.95	رحالة غربيون في بلادنا ، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، السعودية، 1417هـ.
.96	الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، د. زكي محمد حسن ، دار الرائد العربي، بيروت لبنان، 1981.
.97	الرحلات ، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة. بدون تاريخ النشر.
.98	الرحلات المغربية والأندلسية، عواطف محمد يوسف نواب ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 1996.
.99	رحلة ابن فضلان، تحقيق شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003.
.100	رحلة إلى الحجاز، إبراهيم عبدالقادر المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.
.101	الرحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، شارلز ديدية، ترجمها وقدم لها وعلق عليها، الدكتور محمد خير البقاعي، دار الفيصل الثقافية، الرياض، 2001.
.102	رحلة إلى مكة، مراد هوفمان ، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001.
.103	رحلة التجاني، أبي محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا ، تونس، 1981.
.104	الرحلة الحجازية ، محمد لبيب البتنوني، مطبعة الجمالية، مصر، 1329.
.105	الرحلة الروسية، مشاهدات في جمهورية روسيا الإتحادية وأحاديث في شئون المسلمين، محمد بن ناصر العبودي، بدون تاريخ النشر.
.106	رحلة الصديق إلى البلد العتيق ، محمد صديق حسن خان البخاري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دولة قطر، 2007.
.107	رحلة العبدري ، تحقيق دكتور علي إبراهيم الكردي، ط/ دار سعد الدين للطباعة والنشر ، دمشق، 2005.
.108	الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية، للمهندس أزهر ، حسين رزوقي، مجلة سعدي.

المصادر والمراجع	رقم مسلسل
الرحلة والرحالة المسلمون ، د. أحمد رمضان أحمد، دار البيان العربي ، جدة.	.109
الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري،، دار ابن خلدون، اسكندرية.	.110
رفاعة رافع الطهطاوي ، جمال الدين الشيال، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1981	.111
رفاعة الطهطاوي رائد التحديث الأوروبي في مصر ، سمير أبو حمدان، دار الكتاب العلمي ، بيروت.	.112
رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، الدكتور علي بن عبدالله الدفاع، مكتبة التوبة، بدون التاريخ.	.113
س	
سبيل الحياة ، إبراهيم عبدالقادر المازني، الدار القومية للطباعة والنشر، بدون التاريخ.	.114
سكان المدينة المنورة، محمد شوقي بن إبراهيم مكي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 1985.	.115
السنة قبل التدوين ، محمد عجاج الخطيب، مكتبة الوهبة ، 1988.	.116
سنن ابن ماجة ، الإمام الحافظ علاء ا لدين مغلطاي ابن قليج بن عبدالله الحنفي. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة. 1999.	.117
سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.	.118
سنن الترمذي ، الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.	.119
السنن الكبرى ، إمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة ، حيدر آباد دكن، الهند، 1344هـ.	.120
سنن النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض.	.121
سياحة في كشمير ، محمد بن ناصر العبودي، بدون الناشر، الطبعة الأولى 1999.	.122
سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبدالله، المحقق، حسان عبدالمنان، بيت الأفكار الدولية.	.123
السيرة النبوية، ابن هشام ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض.	.124
ش	
شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابن العماد، الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، دار ابن كثير، دمشق ، بدون تاريخ النشر.	.125
الشريف الإدريسي ، محمد عبدالغني حسن، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1971.	.126
الشعر غاية ووسائطه، إبراهيم عبدالقادر المازني، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990.	.127

المصادر والمراجع	رقم مسلسل
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تقي الدين محمد بن أحمد، مكتبة نزار الباز، 1990.	.128
شكيب أرسلان حياته وآثاره، سامي الدهان، ط /2، دار المعارف، مصر، 1976م .	.129
شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، أحمد الشرباصي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963.	.130
شكيب أرسلان دراسة في فكره السياسي ، محمد سالم أحمد عمايرة، رسالة دكتوراه، عام 2000م	.131
شوقي وصداقة أربعين سنة، شكيب أرسلان، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرية، 1936م .	.132
ص	
صبح الأعشى، الشيخ أبي العباس أحمد القلشقندي. دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922.	.133
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بدون تاريخ النشر.	.134
صحيح البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1400 هـ.	.135
صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، بدون تاريخ النشر.	.136
صفة بلاد اليمن والحجاز بعض مكة لابن المجاور، يوسف بن يعقوب، مكتبة الثقافة الدينية.	.137
صفة جزيرة العرب ،الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، محمد بن علي الأكوع الحوالي، مكتبة الإرشاد، 1990.	.138
صندوق الدنيا، إبراهيم عبدالقادر المازني، مكتبة الأسرة، 1995.	.139
صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين، عبدالله بن حمد الحقيل، مكتبة التوبة.	.140
صورة الأرض أبي القاسم بن حوقل النصيبي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992.	.141
الصورة الشعرية في الكتابة النثرية، دكتور صبحي البستاني، بدون التاريخ .	.142
ع	
عبدالرحمن بن خلدون، سلسلة أعلام العرب ، د. علي عبدالواحد وافي.	.143
عبقريات ابن خلدون، لدكتور علي عبدالواحد ، مكتبات عكاظ جدة،. 1992	.144
عشرة أيام في السودان، محمد حسين هيكل، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ، 1949.	.145
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، مؤسسة الرسالة، 1986.	.146
العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار الكتاب العربي بيروت 1990.	.147

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
	ق
.148	القاموس المحيط، محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل بيروت، 1985
	ك
.149	الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الكتب العلمية ، بيروت1987 .
.150	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، مؤسسة التاريخ العربي، بدون تاريخ النشر.
	ل
.151	لب التاريخ ، محمد غنيم ، المطبعة الحسينية المصرية، 1910
.152	اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين بن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ النشر.
.153	لسان العرب ، ابن منظور الأفريقي المصري، بيروت دار صادر ، 1980
	م
.154	المازني ساحر العصر الحديث، أحمد السيد عوضين ، الدار المصرية اللبناية. ، بدون تاريخ النشر.
.155	مجلة الأدب الإسلامي ، العدد الثالث ، ربيع الأول 415 هـ ، بيت فلسطين للشعر .
.156	مجلة الأمانة ، أمانة المدينة، العدد / 15، 1418 هـ.
.157	مجلة الرسالة، العدد/304، السنة السابعة، تاريخ، 1939/5/1.
.158	مجلة المنهل، حسن الصيرفي، عدد 54، عدد 499، 1413 هـ.
.159	محمد حسين هيكل أديباً وناقداً ومفكراً إسلامياً، إبراهيم عوض، دار الجيل بيروت.
.160	محمد حسين هيكل والفكر القومي المصري، الدكتور عبدالعزيز شرف، دار الجيل بيروت.
.161	المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان، دار الهلال، مصر، 1946.
.162	المدينة المنورة تاريخ ومعالم، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، 1426.
.163	المدينة المنورة درة المدائن، الدكتور مختار محمد بلول، دار بلول للنشر والتوزيع، الرياض، 1421.
.164	المدينة المنورة في كتابات الرحالة العرب ، مقالة للأستاذة ليلى سعيد سويلم الجهني.
.165	مذاكرات الشباب، محمد حسين هيكل، المجلس الأعلى للثقافة، 1996م.
.166	مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1935.
.167	مروج الذهب للمسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر بيروت.
.168	المسالك والممالك، ابن خرداذبة، مكتبة المثنى، بغداد، 1982.

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
169.	المسالك والممالك، الأصطخري، دار الهلال، مصر، 1946 .
170.	مستفاد الرحلة والاغتراب، القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، الدار العربية للكتاب، 1975.
171.	مسند الإمام أحمد بن حنبل ، حمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، بدون تاريخ النشر.
172.	المصباح المنير، أحمد بن علي المقري الفيومي بيروت ،دار الكتب العلمية 1398.
173.	معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد ، عبدالله الصالح العثيمين، العبيكان، الرياض، 1417.
174.	مع المسلمين البولندين، الشيخ محمد ناصر العبودي، دار الجيل، رياض.
175.	معجم الأدباء ، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي،1993.
176.	معجم البلدان، ياقوت الحموي الرومي ، دار صادر بيروت، 1977.
177.	معجم قبائل الحجاز ، عاتق غيث البلادي، الطبعة الثانية، دار مكة للنشر والتوزيع، 1403هـ.
178.	معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، عالم الكتب – بيروت، 1403.
179.	معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل مهندس، مكتبة لبنان ناشرون، 1984.
180.	معجم معالم الحجاز، عاتق غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، 2010.
181.	معجم معالم مكة التاريخية والأثرية ، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة. بدون تاريخ النشر
182.	معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة. ، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ النشر.
183.	المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة.
184.	المغانم المطابة في معالم طابة، أبي الطاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي.
185.	المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ، دار العلم للملايين بيروت 1970.
186.	المقدسي ، فلاح شاكر أسود، عالم الكتب، بيروت. بدون تاريخ النشر.
187.	المقدسي البشاري دراسة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ، أمل هشام أنصار، الجامعة الأردنية . 1984.
188.	مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن ابن خلدون، تحقيق عبدالسلام الشدادي، بيت الفنون والآداب.
189.	مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، أحمد الشريف، دار الفكر بيروت ، بدون تاريخ النشر.
190.	من أمير البيان شكيب أرسلان إلى كبار رجال العصر، نجيب البعين، دار المناهل، بيروت.
191.	منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، علي بن تاج الدين بن تقي الدين

رقم مسلسل	المصادر والمراجع
	السنجاري، جامعة أم القرى مكة المكرمة. 1998
.192	المنجد في اللغة والأعلام ، معلوف لويس، دار صادر بيروت، 1998.
.193	الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، 1996.
.194	الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال، دار الجيل بيروت، 1995م .
.195	الموطأ إمام مالك ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي – مصر.
.196	مواد لتاريخ الوهابيين ، بوركهات، ترجمة الدكتور صالح عبدالله العثمين، بدون الناشر والتاريخ.
	ن
.197	نشأة النثر الحديث وتطوره ، عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، 2007
.198	نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني الشريف الإدريسي، مكتبة الثقافة الدينية، 2002.
.199	نظرة في وسط أفريقية، رحلة وأحاديث عن أحوال المسلمين. محمد ناصر العبودي، ، بدون تاريخ النشر.
.200	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، دار صادر ، بيروت، بدون تاريخ النشر.
.201	النقد التاريخي، الأمير شكيب أرسلان، مجلة المجمع العلمي ، دمشق، 1929.
.202	نهضة العرب العلمية، في القرن الأخير شكيب أرسلان ، مجلة المجمع العلمي العربي ، كانون الأول 1937م.
	هـ
.203	الهدي النبوي في الفضائل والآداب ، الإمام ابن القيم الجوزية. المكتبة الإسلامي للطباعة والنشر، 2002.
	و
.204	وفاء الوفا، بأخبار دار المصطفى ، الشيخ نور الدين علي بن احمد السمهودي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، بدون تاريخ النشر.
.205	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار صادر بيروت، بدون تاريخ النشر.
	مواقع الشبكة
.206	http://www.adab-sy.com/forums/showthread.php?t=35854
.207	http://www. al-jazirah.com/2004/20040203/ar2.htm

المصادر والمراجع	رقم مسلسل
http://www.almadina55.com/vb/t55772	.208
http://www.almesryoon.com/permalink/21626.html	.209
http://www.alobody.net	.210
http://www.alukah.net/Culture/0/26860/#ixzz246gjrYEA	.211
http://www.ar.wikipedia.org/wiki/	.212
http://www.darah.info/bohos/data/13/3-1.htm	.213
http://www.elaphblog.com/posts.aspx?u=8188&A=126599	.214
http://www.factory.gph.gov.sa	.215
http://www.forum.sedty.com/t368987.html	.216
http://www.hiramagazine.com/archives/title/29	.217
http://www.ibtesama.com/vb/showthread-t_120449.html	.218
http://www.islamstory.com/ar/	.219
http://www.islamweb.net/hadith/display_hbook.php?bk_no=334 &hid=463&pid=376742	.220
http://www.jeddah.gov.sa	.221
http://www.kl28.com/books/showauthor.php?aID=47#top	.222
http://www.madina2013.com/pages.aspx?ln=ar&p=76	.223
http://www.merbad.net/vb/printthread.php?t=2048&pp=40&page=4	.224
http://www.mouradfawzy.yoo7.com/t20212p10-topic	.225
http://www.ravelzad.com/vb/177569-post4.html	.226
http://www.sef.ps/vb/multka375573	.227
http://www.shakwmakw.com/vb/showthread.php?p=2844558	.228
http://www.travel.maktoob.com/vb/travel83092/	.229